زهر الآداب

تأليف

الحصري القيرواني

شرح

الدكتور زكي مبارك

[illegible]

[illegible]

رُهبانُ الليل

رهبان الليل

الجزء الأول

تأليف

الدكتور سيد حسين العفاني

قدم له

الشيخ

أبو بكر جابر الجزائري

الشيخ محمد صفوت نور الدين — الشيخ محمد إسماعيل المقدم

الشيخ أبو إسحاق الحويني — الشيخ عائض بن عبد الله القرني

الناشر

مكتبة ابن تيمية

القاهرة

هاتف : ٥٨٦٤٢٤٠

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثالثة

١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

الطبعة الرابعة

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

○ مقدمة الطبعة الرابعة ○

بقلم فضيلة الشيخ / أبي بكر جابر الجزائري

شيخ المسجد النبوي بالمدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

□ كلمة تقريظ □

○ لأبي بكر جابر الجزائري ○

قال عفا الله عنه وغفر له :

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُبارَكًا فيه .

وصلاةُ الله وسلامُه وتحياتُه وبركاتُه على صفوة خلقه ، وخاتمِ أنبيائه ورسله سيِّدنا محمدٍ وآله وصحبه .

وبعد ..

لقد شرَّفني الدكتور سيد بن حسين العفَّاني بأن أرسلَ إليَّ مؤلَّفه القيِّم ذي القيمة التي لا يُقادَرُ قدْرُها ؛ إنه كتاب [رهبان الليل] ذو المجلَّدين، والذي لم ترَ العين- فيما أعلم- مثله في عالم المؤلَّفات في هذه الأيام.

والكتاب مَنْ قرأه ؛ حزِنَ ، وامتلأ قلبه بالأسى والأسف لحرمانه ممَّا فاز به الأولون ، وحُرمَه المتأخِّرون مثلي . فاللهمَّ إليك أشكو قساوة قلوبنا ، وجمود عيوننا ، وعِظَم نومنا ، وفرط سهونا وغفلتنا ، فأكرمْنا يا ربَّنا بقيام ساعة من آخر ليلنا ، حتى نموت عليها ، فنُشارك أولئك الرهبان الذين حُرِم منهم هذا الزمان. وجزاك الله خيرًا يا دكتور على ما وفَّقك إليه من تأليف هذا الكتاب الذي ينبغي أن لا يخلو منه بيت مسلم في هذه الحياة.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

أبو بكر جابر الجزائري

مقـدمة

الكتـــاب

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله تعالى وأشكره ، وأستعين به وأستظهره ، وأصلى وأسلم على عبده ورسوله محمدٍ خيرِ عابدٍ وسالك ، القائل : « قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها بعدى إلا هالك » .

أما بعـد

فإنا لانزال بحمد الله نستشرف ـ فى هذا العصر ـ طلائع البعث الإسلامى المرتقب ، تُظْهِرُ العجائب ، وتُبْرِزُ خبايا المواهب ، وتتبوأ من مقاعد البذل والعطاء أرفع المراتب .

وهذا المجموع الحافل الذى قيَّده الأخ الحبيب فى الله السيد بن حسين العفانى ـ لازال سعيه مشكوراً ، وعمله فى الدارين مبروراً ـ يَسُدُّ ثغرةً طالما أعوزَ شبابَ الصحوة سَدُّها ، ويُحيي سُنَّةً عَزَّ فينا من يحفل بها ، فأين عمال الله في هذه الأعصار ؟ أين رهبان الليل وفرسان النهار ؟ بانوا وكأنهم ما كانوا :

وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلا ... فقد صاروا أعز من القليل

فيامن أراد النجاة يوم الحساب ، تدبر ما حواه هذا الكتاب ، وأَلْزِم ساقيك المحراب ، فإنه للاستقامة باب ، وأحى هذه السنة فى نفسك ، ثم ذكِّر بها من ينتفع بنصحك ، لعلك تجلو بهذا العمل سَناها ، وتُعَدُّ يوم القيامة فيمن أحياها .

على أنه مما ينبغى للحاذق الفطن مراعاته : التوسط بين الحقوق

والواجبات ، بإعطاء كل ذى حق حقَّه ، وتقديم فرائض الأعمال على مستحباتها لينجو من الوزر ، وفاضِلها على مفضولها ليسلم من الغبن ، فإن الفقه ـ كل الفقه ـ أن تبصر أهم الواجبات فتقدمه ، وتعرف خير الخيرْين فتتبعه ، وشر الشريْن فتدفعه .

ولعل الله تبارك وتعالى يوفق أخانا أباتراب لِيُشفِّعَ هذا المجموعَ بِتَوْأَمِهِ الذى لم يفارقْهُ عند أسلافنا الأبرار ، مجموعٍ حافلٍ لأحوال فرسان النهار ، من المجاهدين فى كافة الأعصار ، لِتَقَرَّ بالمجموعَيْنِ عيونُ عِبادِ الرحمن ، وَتَصْفَرَّ وجوهُ أولياء الشيطان .

والله جل وعلا المسئول المرجو الإجابة أنْ يجعل هذا العمل فى ميزان حسناته ثقيلاً ثقيلاً ، وأن يجزيه بما يتمناه ، ويطيل فى أفياء السلامة والعافية بقاه .

اللهم اجعلنا بالخير موصوفين ، ولاتجعلنا له ـ فَحسب ـ وَصَّافين ، واشفنا من النوم باليسير ، وارزقنا سهراً فى طاعتك ومناجاتك ، وأعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وصل اللهم على عبدك ، ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

محمد أحمد إسماعيل

الإسكندرية فى
الأحد ٢١ رجب ١٤٠٩هـ .
٢٦ فبراير ١٩٨٩م .

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يا من أشرقت بنور وجهه السموات والأرض ولك الشكر يا من ينزل للأوليائه في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا،
والصلاة والسلام على من أحيا الليل بمناجاة المحبين، وضوّع السحر بأنين المذنبين وعلى العبّاد والنسّاك والمجاهدين، ومن لزم المحجة وحمل الحجة حتى يلقى الله رب العالمين:

قلت لليل هل بجوفك سرٌّ عامر بالحديث والأسرار
قال لم ألق في حياتي حديثاً كحديث الأحباب في الأسحار

بين يدي هتّان خالد وفيض وارد دبّجه أخ مبارك نحسبه كذلك هو حبيبنا في الله الشيخ سيد حسين العفاني - وقد طالعت ما كتب في هذا السِّفر الحافل "رهبان الليل" فلفت نظري وأمتع بصري واستوقفني طويلاً طويلاً وقلت: كل الصيد في جوف الفرا، فما بين آية محكمة وحديث ثابت وقصة شائقة وسيرة عطرة وبيت خلّاب،
فعلمت أن هذا الرجل المبارك قد غاص البحر ليصطاد بنات أفكاره ووقّع في رضاب الخرد العين لينعم بإذن الله في جوار رب العالمين.
عسى الله أن يكتب له أجراً موفوراً وأن يجعل سعيه مشكوراً ويجعله سروراً وليتقبّل [illegible] مني سلامي وتحياتي وأشواقي وصلى الله على الهادي البشير وآله وصحبه وسلم

كتبته: عائشة عبد الله القرني
٢/١

٢٢/١١/١٤١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يا من أشرقت بنور وجهه السموات والأرض ولك الشكر يا من ينزل لأوليائه في الثلث الأخير من الليل إلى سماء الدنيا .

والصلاة والسلام على من أحيا الليل بمناجاة المحبين وضوَّع السَحَر بأعذب الأنين وعلى العباد والنساك والمجاهدين ، ومن لزم المحجَّة وحمل الحجة حتى نلقى الله رب العالمين :

قلت لليل هل بجوفك سر عامــر بــالحديث والأسرار
قال لم ألق في حياتي حديثا لحديث الأحباب في الأسحار

بين يديَّ هتاف خالد وفيض وارد دبجه أخ مبارك وشهم مدره هو حبيبنا في الله السيد بن حسين العفاني ، وقد طالعت ما كتب في هذا السجل الحافل : « رهبان الليل » فلفت نظري وأمتع بصري واستوقفني طويلا طويلا وقلت : « كل الصيد في جوف الفرا » فما بين آية محكمة وحديث ثابت وقصة شائقة وسيرة عطرة وبيت خلاب .

فعلمت أن هذا الرجل المبارك هرق كأس الكرى ليصطاد بنات أفكاره وودّع رضاب الخرد العين لينعم بإذن الله في جوار رب العالمين .

عسى الله أن يكتب له أجره موفورا وأن يجعل سعيه مشكورا وعمله مبرورا وليتقبل مني سلامي وتحياتي وأشواقي .

وصلى الله على الهادي الأمين وآله وصحبه وسلم .

كتبــــه

عائض بن عبد الله القرني

أبهــا

١٤١٢/١١/٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ أبي إسحاق الحويني

إنَّ الحمد لله تعالى نحمده ، ونستعين به ، ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهد الله تعالى فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

● **أما بعدُ**

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأحسن الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعة ، وكل بدعةٍ ضلالة ، وكل ضلالةٍ في النار .

فإن قيام الليل من أفضل الطاعات، وأجلِّ القربات، بعد الصلوات المفروضات، كما قال الصادق المصدوق - بأبي هو وأمي - فيما أخرجه مسلم (٢٠٣/١١٦٣) عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الصلاة بعد المكتوبة ؟ فقال : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة ، الصلاةُ في جوف الليل » .

ومن أعذب الأحاديث في ذلك ما أخرجه النسائيُّ (٣/ ٢٠٧،٢٠٨) ، وصححه الترمذيُّ (٢٥٦٨) ، وابن خزيمة (٢٤٥٦) ، وابن حبان (٣٣٤٩ ، ٣٣٥٠ ، ٤٧٧١) ، والحاكم (٢ / ١١٣) عن أبي ذر رضي اللهُ عنه مرفوعًا : « ثلاثة يحبهم الله عز وجل ... » فذكر منهم : « ... وقومٌ ساروا ليلتهم ، حتى إذا كان النوم أحبَّ إليهم مما يُعدل به ، نزلوا ، فوضعوا رؤوسهم ، فقام يتملقني

ويتلو آياتي » . وسنده مقاربٌ . وله طريق آخر صحيحٌ عن أبي ذرٍ أخرجه أحمد (٥ / ١٧٦) ، والطيالسي (٤٦٨) ، والطبرانيُّ في « الكبير » (ج ٢ / رقم ١٦٣٧) ، والبيهقيُّ (٩ / ١٦٠) وفيه : « ... ورجلٌ سافر مع قوم ، فارتحلوا حتى إذا كان من آخر الليل وقع عليهم الكرى- أو النعاس -فنزلوا ، فضربوا برؤوسهم ، ثُمَّ قام فتطهر ، وصلى رغبةً لله عز وجلَّ ، ورغبةً فيما عنده » .

وفضل هذه الصلاة معلومٌ ، وتجدُهُ مع شواهد كثيرة في هذا المجموع الحافل، وسرُّ المسألة أن هذه الصلاة لا يقدر عليها إلا متجردٌ، عظيم الإخلاص، ولله درُّ قتادة بن دعامة إذ قال فيما رواه أبو نعيم في « الحلية » (٢ / ٣٣٨) بسندٍ صحيحٍ: كان يقال : قلما سهر الليل منافق.ولو قال: ما سهر لما أبعد، ولعله احترز .

وهذا قولٌ صحيحٌ ؛ لأن هذه الصلاة لا تتم للعبد إلا بتجريد الإخلاص، وإذا كان شهود العشاء ثقيلًا على المنافقين – كما في الحديث الصحيح – فما بالُك بجوفَ الليل الآخر ؟!

ولكم هزَّني ما قرأتُهُ منذ سنوات في « ثقات العجلي » (٢٨٠ – ترتيب الهيثمي) في ترْجمة حسن بن صالح بن حُيّي أنه باع جاريةً ، فلما صارت عند الذي اشتراها قامت في جوْف الليل ، فقالت : يأيتها الدار ، الصلاة الصلاة ! قالوا : طلع الفجرُ ؟! قالت : وليس تُصلون إلا المكتوبة ؟! قالوا : نعم ، ليس نصلي إلا المكتوبة. فرجعت إلى الحسن وقالت: بعتني إلى قوم سوءٍ ليس يصلون باللَّيْل ، فردني . فردها .

ولكم كنت في رغبة أن أرى مجموعاً في هذا المعنى ، حتى أقرَّ عيني ، وعين كل سُنّي – إن شاء الله – صاحبنا الشيخ سيد بن حسين العفاني بهذا الكتاب فجزاه الله خيرًا .

إن جيلنا – الذي أوتي من الضعف والهوان أضعاف ما أوتي أسلافنا من الجد والقوة – في أمسِّ الحاجة إلى من يشحذ هممهم بعد أن استكانوا واجتمع عليهم أعداؤهم من كل صوبٍ ، وليعلموا أن ما كان عند أسلافنا من العلم إنما وفقوا إليه بجدهم وإخلاصهم دينهم لله تعالىٰ ، وإني لأعرف رجلًا من أكابرهم، ممن يشار إليه بالبنان في العلوم الشرعية إذا أعيته مسألةٌ ، أو ندَّ عنه معنًى يريده يقول كما يخبرُ عن نفسه : حينئذٍ أقوم فأعدُّ لنفسي كوبًا من الشاي ، أو أتلمَّسُ نسمة هواءٍ وأعلل نفسي بأنني متى روحت عنها استعاد الذهنُ نشاطه ، فيمكنه أن يحصل بغيته بعد قليل ، وإن عجز بعد كل ذلك ترك الموضوع إلى حين ميسرة، أين هذا مما حكاه لنا ابن القيم – رحمه الله – عن شيخه وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية – رحمه الله – أنه قال : ربما استغلقت عليَّ المسألةُ فأستغفر الله ألف مرة أو يزيد حتى يفتح لي ، قال : وربما ذهبت إلى الخلوات أمرغ خدي في التراب وأقولُ : يا معلم إبراهيم ، علمني !!

إن هذا المجموع الذي بين يديك – أيها المسلم – مجموعٌ حافلٌ في بابه ، فاحفل به ، ولقد أعلم أنه عانى عليه صاحبه كثيرًا في جمع الأقوال من بطون الكتب وتوثيقها وترتيبها – فلله دره – ولا يُقَدِّرُ ما قلتُهُ إلا من كابد التأليف الجاد. ومن رحمة الله بعباده، ولطفه بهم سبحانه أنه لم يخص بالعلم قومًا دون قومٍ ، ولا وقفه على زمن دون زمن ، بل جعله مشتركًا مقسومًا بين عباده ، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول وينبه المقِلَّ منه على ما أعقل عنه المكثر ، ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدِّمٍ ، وتالٍ يعترضُ على ماضٍ ، وإن كان ما عندنا من العلم بالنسبة لمن مضى من أسلافنا، كقطرة في بحر خضم. أو كما قال الأول: فضلُ بُزاق.

وأنا في غنًى عن مدح هذا الكتاب ، فهو ينطق بذلك ، وقد سبقني في التعريف به والثناء عليه صاحبنا الحبيب الشيخ أبو الفرج محمد بن إسماعيل، حفظه الله.

والله أسأل أن ينفع به كما نفع بصاحبه ، وأن يهبه غنمه ، وأن يتجاوز له برحمته

عن غرمه ، وأنْ يعيننا على شكره وذكره وحسن عبادته .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

وكتبه

راجي عفو ربه الغفور

أبو إسحاق الحويني الأثري

حامدًا الله تعالى ، ومصليًا على نبينا

محمدٍ وآله وصحبه

آخر شهر صفر / ١٤١٤ هـ

مقدمة بقلم فضيلة الشيخ صفوت نور الدين
الرئيس العام لجماعة أنصار السنة بمصر

الحمد لله رب العالمين وخالقهم ومبدعهم ، أنزل شرعه وخلق كونه ، وبعث رسله إلى الناس جميعًا ليخرجوا الناس من الكفر إلى الإيمان ، والظلمة إلى النور، ومن الجهالة إلى العلم، فجعل العلم النافع نورا يستضيء به المتعلم ويستضيء به كل الذين يقتدون بعلمه .

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وقدوة للأنام أجمعين ، إمام المجاهدين وأسوة العابدين ، وعلى صحبه الكرام والتابعين من بعدهم الذين اتبعوا نبيهم ونصروه، فنصرهم الله سبحانه، فانتصروا على شهواتهم وشيطانهم ، فقطعوا نهارهم في الجهاد فرسانا ، والليل في الجهاد رهبانا ، فكان أُنسهم بربهم في ليلهم إذا هجعت الأصوات والتف الناس نياما في البيوت ، صاروا هم لله قائمين يأنسون بصحبته ومناجاته ، القرآن الكريم وِرْدُهم ، والصلاة بالليل شغلهم ، والبكاء متذكرين القيامة والحساب والدعاء خائفين من يوم اللقاء، كل ذلك هو حالهم ، فإذا أصبح عليهم النهار خرجوا من ديارهم يأخذون من الدنيا بقدر المتزود في سفره ، إن كانوا في شغلها كانوا مع الشرع دائرين ، ولما أحل الله ملازمين ، وعن الحرام بل كل الشبهات متباعدين ، يخافون من أن يلوثوا صفحة بيضوها في ليلهم بالطاعات، فيخافون من نظرة أو طرفة، ويخافون من كلمة أو خطرة ، فإذا وقع منهم شيء من ذلك أسرعوا قائلين: رب قد أذنبت فاغفر لي. فإذا دعا داعي الجهاد بالسيف والقتال فهم في الجهاد وحلقاته ، خرجوا مسرعين يريدون ملاقاة رب أنسوا به الليل كله، وحرصوا على العمل في مرضاته وشرعه النهار كله.

الأخ القارىء الكريم حول هذه المعاني وغيرها وتفاصيلها ، وبيانها بأسماء

رجالها، وتوضيح أصنافها وأعمالها وغيرها وغيرها، تعال معي نسير في دروب كتاب طيب وسفر جليل، صنفه الأخ الداعية الكريم الدكتور سيد حسين عفاني، جزاه الله خير الجزاء. تعال معي نتعرف على رجال وأعمال لعلنا أن ننال بذلك للصالحين من العابدين محبة، وللصالحات من الأعمال شوقا والتماسا للاقتداء والاستمرار، ولعلنا أن نفوز بوعد كريم من رسول رب العالمين، الذي بلغنا فقال: «المرء مع من أحب» فإن صدقنا في محبتهم، لا نحرم يوم القيامة وفي الآخرة من رفقتهم.

والله سبحانه أدعو لأخي الكريم أن يوفقه في القول والعمل، وأن يسدد خطاه، وأن يجزيه خير الجزاء، وأن يوفق قارئه، ويثيب ناشره والداعية به وإليه، والله من وراء القصد.

وكتبه الفقير الضعيف لله الغني القوي

محمد صفوت نور الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾(١)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾(٢) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا . يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾(٣) (٤)

أما بعـــــد : ـ

فى زمن اقشعرت الأرض فيه ، وأظلمت السماء ، وظهر الفساد فى البر والبحر من ظلم الفجرة ، وذهبت البركات ، وقلت الخيرات ، وهزلت الوحوش ، وتكدرت الحياة من فسق الظلمة ، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة ، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش ، وغلبة المنكرات والقبائح ، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ومؤذن بليل بلاء قد أدلهم ظلامه(٥) .

---

(١) آل عمران الآية رقم ١٠٢ .

(٢) النساء الآية رقم (١) .

(٣) الأحزاب الآيتان رقم ٧٠ ، ٧١ .

(٤) خطبة الحاجة وهى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدأ بها خطبة وقد جمع طرق أحاديثها محدث ديار الشام الشيخ الألبانى فى رسالة قصيرة .

(٥) الفوائد لابن قيم الجوزية .

يا لهفتا على زمان يلتمس فيه الصالحون فلا يوجد منهم أحد إلا كالسنبلة إثر الحاصد(١)

قال رسول الله ﷺ : « **إنما الناس كإبل مائة ، لا تكاد تجد فيها راحلة** »(٢) .

زماننا لاح للعاقل تغيره ولاح للبيب تبدله ، يبس ضرعه بعد الغزارة ، وذبل فرعه بعد النضارة ، ونحل عوده بعد الرطوبة ، وبشع مذاقه بعد العذوبة(٣) .

ولما عز الناصح ، وأصبح الناس شوكا لا ثمر فيه ، وخلت الديار ـ أو كادت ـ من العلماء ولا يكون العيش إلا معهم .. تشبهنا بالغرباء ـ ولسنا منهم ـ وسمعنا كلام الملك العلاّم ـ وكلام الملوك ملوك الكلام

﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾(٤) .

ولاح لنا الزاد .

نورانى المخبر ، من درب هو ينبوع الشعاع ، هو المنهل العذب الروى الذى لا تكدره الدلاء .. منهل السلف ـ ويا بُعد ما بيننا وبينهم

وأصبح أهل زماننا وقد حجبوا عن معرفة مقادير السلف وعمق علومهم وقلة تكلفهم وكمال بصائرهم . وأنّى لهم معرفة الرعيل الأول وقد كانت هممهم مشمرة إلى المطالب العالية فى كل شيء ، فالمتأخرون فى شأن ، والقوم فى شأن

---

(١) من كلام أبى حازم الأعرج .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة وأحمد فى مسنده . انظر صحيح الجامع الصغير رقم ٢٣٢٨ جـ ٢ ص ٢٨١ للشيخ الألبانى طبع المكتب الإسلامى .

(٣) « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء » .

(٤) هود الآية رقم ١١٦ .

آخر ، وقد جعل الله لكل شيء قدرا[١]

أنّى لنا بلحاق قوم لسان حالهم يقول :-

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن أين يدرى الناس أين توجهنا ؟

وحسبنا أن نكون على جادتهم ، وإن أبطأ بنا السير فإن أمير القوم يرعى القافلة .

وتطفلا منا على مائدة كرمهم سلكنا طريق السلف فى عباراتهم ونسجنا على منوالهم لعلى أن أنظم فى سلكهم ، وأدخل فى عدادهم ، وأحشر فى زمرتهم ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وبالسلفية إعجابنا إذا قلّ بالسلف المعجب

أكثرنا فى نقل تراجمهم كما سيتضح لك فى جمعنا هذا وذكر كلامهم لماذا ؟

لأن رجال السلف كانوا سادة الدنيا وملوك الآخرة ..

ملكوا الدنيا بصدقهم وإخلاصهم وعلوّ همتهم وعبادتهم

شعلة الماء التى من زمزم قيصر يعنو لها كالخدم
هى تسمو للثريا بالثرى وتعى القطرة منها أبحرا[٢]

كانوا جبالا فى العلم والعمل لسان حالهم لمن بعدهم يقول :

كنا جبالا فى الجبال وربما سرنا على موج البحار بحارا

هم الرجال ولا رجال غيرهم طابت بهم الدنيا

حدّث عن القوم فالألفاظ ساجدة
خلف المحاريب والأوزان تبتهلُ

---

(١) شرح الطحاوية .

(٢) ديوان « الأسرار والرموز » للشاعر محمد إقبال ص ٨ .

لسان حالهم يصوت بنا :

أنت تـــدرى أيها الحيران عـــنّـــا
كـيف فوق الشـمس أزمـانا حللنا[1]

لقد بذلوا المجهود من أنفسهم وحفظوا دين الله ، حملوه ملء الحنايا .. فلم نقدره حق قدره لسان حالهم يقول :

غـزلت لهم غـزلا دقـيـقـا فـلم أجـد
لـغـزلى نسّـاجـا فكسرت مـغـزلى

وضعنا منذ أن بعدنا عنهم

وكـنـا عـظـاما ، فصرنا عظاما وكـنـا نـقـوتُ فـهـا نحن قوتْ

والشرف كل الشرف السير فى ركابهم .. اقصد البحر وخلّ القنوات

أيها الساعى لكحل المقل غافلا عمّا به من كحل[2]

إليهم فقد صوّت حاديهم بنا ... « منازل من تهوى رويدك فانزلِ » لم البعد عن طريقهم وقد عرفت ما فى البعد

صرت يـا إكسير تربا سافلا يا وليد النور صرت الباطلا[3]

نعم كانوا زينة الدنيا وبهجتها

أزاهيرهـم مؤمـنـات الـتعبير وأطـيـارهـم قـانـتـات الـزجـلْ
وأنهارهـم مـن ضـفاف المتاب تحدّرْنَ بـالـنـدم المشتعلْ[4]

واشوقاه إليهم :

---

(١) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ١٣٩ طبع مؤسسة الرسالة .
(٢ ، ٣) ديوان « الأسرار والرموز » .
(٤) ديوان « قاب قوسين » للشاعر محمود حسن إسماعيل .

محت بعدكم تلك العيون دموعها فهل من عيون بعدها نستعيرها
رحلنا وفى سر الفؤاد ضمائر إذا هبّ نجدىّ الصبا يستثيرها
أتنسى رياض الغور بعد فراقها وقد أخذ الميثاق منك غديرها
أعد ذكرهم فهو الشفاء وربما شفى النفس أمر ثم عاد يضيرها
سقى الله أياما مضت ولياليا تضوّع ريّاها وفاح عبيرها

أما كلامهم :

كلام السلف قليل كثير البركة وكلام غيرهم كثير قليل البركة

قليل منك يكفينى ولكن قليلك لا يقال له قليل

إن للكلمات التى تنفرج عنها شفاههم مذاقا فريدا سلاسة وألقا وإشراقا وتجربة مفعمة

إن كانوا فى صمتهم أبين ممّن نطقوا فكيف بنطقهم ؟ ! !

قطرات ندى وعبير لا يفنيه مدى

كلمات تهب النبع لصادٍ وردا

ورحاب حملتها الكلمات الحسنى .. بجناح من نور أسنى تصل الخلد .. تضىء الروح .. تمد يدا

يصدق فيها قول الشاعر :

أتاك حديث لا يمل سماعه شهى إلينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النفس زال عناؤها وزال عن القلب المعنّى ظلامه

وقولهم يهتف بنا « نحن أولى بالرقائق من غيرنا هذى بضاعتنا رُدَّتْ إلينا » :

فاسمع هُديتُ علومنا عز سالكها
على البيان ولا يغررك ذو لسن
قصد إلى الحق لا تخفى شواهدها

قـامت حـقـائـقـهـا بـالأصـل والـفـتـنِ

قال يحيى بن معاذ « أحسن شيء : كلام رقيق ، يستخرج من بحر عميق على لسان رجل رفيق »(١)

وستعلم كم من الرفق كانت تحمله قلوب سلفنا فخلدت كلماتهم معلنة عمالها من الإتصال بسند الحق .

ولن تخلد الكلمة على الأجيال إلا إن اتصلت بالحق والخير وكان لها من قوانين الله فى خلقه سند ، ومن إلهامه لعباده مدد »(٢) سيماهم فى كلامهم ... مثلما هى فى وجوههم ولذا جمعت من مواعظ السلف الذين تبتلوا لله ما هو « محرك للقلوب إلى أجل مطلوب ، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس ، وحقيق على فوائده أن يعض عليها بالنواجذ وتثني عليها الخناصر وهو ممتع لقاريه ، مشوق للنظر فيه »(٣) ولأن من بركة الكلام عزوه إلى قائله .. فقد نسبناه قدر الطاقة إلى مصدره وصاحبه من رجال سلفنا ولقد أضفت إلى كلمات سلفنا كلمات لفقيد الإسلام الشيخ سيد قطب تقبله الله عنده فى عداد الشهداء فإنه كما وصفه الأستاذ الندوى ـ (من فتوح الإسلام الجديدة)(٤) وأضيف إليها من كلام القشيرى صاحب الرسالة القشيرية(٥) ما هو موافق للكتاب والسنة فإن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها التقطها .. وكما يقول ابن القيم رحمه الله « البصير الصادق يضرب من كل غنيمة بسهم ويعاشر كل طائفة على أحسن ما معها »(٦)

---

(١) تاريخ بغداد ٢٠٩/١٤ .

(٢) الشوارد لعبد الوهاب عزام ص ٣٤٠ .

(٣) من كلام ابن القيم فى مقدمة « حادى الأرواح » .

(٤) مذكرات سائح فى العالم العربى ص ٩٠ .

(٥) عبد الكريم القشيرى : علم من أعلام التصوف ، أشعرى العقيدة وله « الرسالة القشيرية » وهى من كتب التصوف الشهيرة واحتوت على كثير من الغث وقلّ جيد الكلام فيها .

(٦) مدارج السالكين ٣٩/٢ ، ٣٧٠ .

وأكثرت من ذكر الشعر ـ والحمد لله أنّ لنا سلف فى ذلك ـ ليرسخ المعنى ويطول تأمله وتذكره وربّ شعر يرتاع منه الكلام..

طائر أنت على دوحتنا شدوه واللحن من نغمتنا
إن تكن ذا نغمة لا تُفرد بسوى بستاننا لا تُغرد[1]

ولقد اقتصرت على الصحيح والحسن من الأحاديث التى صححها السابقون من الحفاظ أو رجال الحديث فى عصرنا كالشيخ الألبانى حفظه الله وأكثرت فى نقل تخريجه بارك الله فيه وأفسح الله فى عمره.

فيا أيها الناظر فى جمعى هذا لك غنمه وعلىّ غرمه، لك صفوه وعلىّ كدره.

اللهم اجعله خالصا لوجهك الكريم فما كان لك يا مولاى سيبقى وما كان لغيرك يضمحل ويفنى

لا كان من لسواك منه قلبه
ولك اللسان مع الوداد الكاذبِ

وأختم مقدمتى بقول ابن الجوزى رحمه الله «إلهى لا تعذب لسانا يخبر عنك، ولا عينا تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدما تمشى فى خدمتك، ولا يدًا تكتب حديث رسولك ﷺ، فبعزتك لا تدخلنى النار فقد علم أهلُها أنى كنت أذب عن دينك. اللهم بلغنى آمالى من العلم والعمل وأطل عمرى لأبلغ «ما» أحب من ذلك.».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى رحمة ربه

أبو التراب : السيد بن حسين بن عبد الله العفانى

بنى عفان ـ بنى سويف ـ مصر

---

(١) الأسرار والرموز.

لمـــاذا

قيـــام الليـــل ؟

لقد جمعت كتابي هذا للسائرين على الدرب وحملة النور من شباب هذه الأمة واستخرت الله العظيم وجمعت ما جمعت في قيام الليل وأحوال القانتين في ليلهم من تهجد وبكاء ومناجاة وتلاوة واستغفار لعدة معان هي روح الحركة الإسلامية فبها قوامها .

(١) كونه صلاة .. والصلاة خير موضوع

وقد قال الرسول ﷺ :

« **الصلاة خير موضوع لمن استطاع أن يستكثر فليستكثر** »(١) « لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان ، ومن كان أقواهم إيمانا كان أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتا وإيقانا كما قال المناوى رحمه الله »(٢)

« وأي دعوة تريد أن تستقيم إلى الله فعليها أن تدلف من باب الاستقامة وبابها المحراب »(٣)

« وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة : سيماء يحتكرها المؤمنون .. ولئن توهم الدنيوى جناته في الدينار ، والنساء والقصر المنيف فإن : جنة المؤمن في محرابه »(٤)

وقيام الليل صلاة فيها كل مافي الصلاة من معان ترتفع بالإنسان بعيداً عن

---

(١) حسن : رواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة كما أشار إلى ذلك السيوطي والألباني . وقال المناوى : « ظاهر كلام المؤلف ، يعني السيوطي ، أنه لم يره مخرجا لأعلى من الطبراني ولا أحق بالعزو إليه وليس كذلك فقد رواه أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحه عن أبي ذر ، وأشار السيوطي إلى ضعفه وقال الهيثمي فيه عبد المنعم بن بشير ، وحسّن الحديث الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٧٦٤ .

(٢) أنظر فيض القدير للمناوى جـ ٤ ص ٢٤٧ طبع المكتبة التجارية الكبرى .

(٣) الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ١٥ .

(٤) الرقائق ص ٢٧ .

هجير الحياة ولذا كان رسولنا ﷺ يقول : « **يا بلال أقم الصلاة ، أرحنا بها** »(١)

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله :

« حين يطول الأمد ، ويشق الجهد قد يضعف الصبر - الصبر على الطاعات ، والصبر على بطء النصر ، والصبر على بعد الشقة ، والصبر على انتفاش الباطل ، والصبر على قلة الناصر ، الصبر على طول الطريق الشائك ، والصبر على التواء النفوس ، وضلال القلوب ، وثقلة العناد ، ومضاضة الإعراض - أو ينفد إذا لم يكن هناك زاد ومدد - ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر فهى المعين الذى لا ينضب ، والزاد الذى لا ينفد

المعين الذى يجدد الطاقة ، والزاد الذى يزود القلب ، فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع ، ثم يضيف إلى الصبر الرضى والبشاشة والطمأنينة والثقة واليقين .

إنه لا بد للإنسان الفانى الضعيف المحدود أن يتصل بالله حين يتجاوز الجهد قواه المحدودة ، حينما تواجهه قوى الشر الظاهرة والباطنة ، حينما يثقل عليه جهد الإستقامة على الطريق بين دفع الشهوات وإغراء المطامع ، وحينما تثقل عليه مجاهده الطغيان وهى عنيفة ، خينما يطول به الطريق ، وتبعد به الشقة فى عمره المحدود ، ثم ينظر فإذا هو لم يبلغ شيئا ، وقد أوشك المغيب ، ولم ينل شيئا وشمس العمر تميل للغروب ، حينما يجد الشر نافشا والخير ضاويا ولا شعاع فى الأفق ولا معلم فى الطريق هنا تبدو قيمة الصلاة .

إنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفانى ومولاه الباقى .

إنها الموعد المختار للالتقاء بالنبع الذى لا يغيض .

إنها مفتاح الكنز الذى يغنى ويقنى ويفيض .

---

(١) صحيح : رواه أحمد فى مسنده وأبو داود عن رجل من خزاعة وصححه الألبانى انظر صحيح الجامع رقم ٧٧٦٩ ومشكاة المصابيح حديث رقم ١٢٥٣ .

إنها الانطلاقة من حدود الواقع الأرضى الصغير إلى مجال الواقع الكونى الكبير

إنها الروح والندى والظلال فى الهاجرة

إنها اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود .

إنها زاد الطريق ومدد الروح وجلاء القلب .

إن الله سبحانه حينما انتدب محمدا ﷺ للدور الكبير الشاق الثقيل قال له ﴿ **يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾[1] فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن ، إنها العبادة التى تفتح القلب ، وتوثق الصلة ، وتيسر الأمر ، وتشرق بالنور ، وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والإطمئنان .

ومن ثمَّ يوجه الله المؤمنين هنا وهم على أبواب المشقات العظام إلى الصبر والصلاة »[2] أ هـ

قال تعالى ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾[3]

وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، إن الله مع الصابرين** ﴾[4] .

(٢) مدرسة الليل مدرسة الإخلاص

ويأتيك صوت قتادة « كان يُقال ما سهر الليل منافق »[5] وهل تجد الصبر

---

(١) المزمل .

(٢) « الظلال » للشيخ سيد قطب

(٣) سورة البقرة آية رقم ٤٥ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ١٥٣ .

(٥) حلية الأولياء جـ٢ ص ٣٣٨ .

والصلاة وعلو الهمة وعمل السر إلا فى قيام الليل ربّى الله الرعيل الأول من الصحابة عليها فى بدء الدعوة اثنا عشر شهرا كاملا على عبادة عنوانها الإخلاص وقوامها الصبر ، حين يترك الإنسان المتهجد دفء الفراش ويصف قدميه فى محرابه بين يدىْ مولاه ، ولو استطاع أن يُخفى عمله هذا عن الحفظة لأخفاه ، لسان حاله يناجى مولاه .

ومعقود اللسان من الدعاة يصبح بالنية ناثرا من فيه جواهر البلاغة الآسرة للناس ، كما ينص على ذلك طب عبد القادر الجيلانى فى قوله : «كن صحيحا فى السر : تكن فصيحا فى العلانية » وأما المخلط فى نيته فيخلط عليه فى أموره وسيرته كان ذلك فى التاريخ على أهل التخليط حتما مقضيا وهو المعنى الذى كشفه التابعى الجليل مطرف بن عبد الله بن الشخير فى قوله : « صلاح العمل بصلاح القلب ، وصلاح القلب بصلاح النية ، ومن صفا : صُفّى له . ومن خلط : خُلِّط عليه »

و « إن الخطأ الأكبر أن تنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى فى قلبك » كما يقول مصطفى صادق الرافعى »[1] .

إن تعلم « الإخلاص » ، وفضح الأمل الكاذب الدنيوى أحلى أعطيات مدرسة الليل كما يقول وليد ـ الأعظمى ـ وذلك ما توجب تربيتنا تركيزه وتعميقه فى النفوس .

سيبدو لكم فى مضمر القلب والحشا سريرة حب يوم تبدو السرائر .

ولا تنتصر الدعوة إلا حين لا يكون فى عقود الدعاة معها ومع ربها للشيطان نصيب .. لسان حالها يقول « لأعقدن عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب فرب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية » .

قال ، والحق ما قال :

---

(١) الرقائق ص ٤٤ ، ٤٥ ـ وحى القلم ٤٤/٢ .

يا ليل قيامك مدرسة فيها القرآن يدرسني
معنى الإخلاص فألزمه نهجا بالجنة يجلسني
ويُبَصرني كيف الدنيا بالأمل الكاذب تغمسني
مثل الحرباء تلونها بالإثم تحاول تطمسني
فأباعدها وأعاندها وأراقبها تتهجسني
فأشد القلب بخالقه والذكر الدائم يحرسني[1]

عنوان القيام ترك الأماني ... وعلو الهمة

وكيف يكون فى القيام وترك دفء الفراش توانى أو أمانى قال يحيي بن معاذ «لا يزال العبد مقرونا بالتوانى . مادام مقيما على وعد الأمانى .

وما اختار أحد الأمانى تقوده إلا كان أثقل ما يكون خطوا ؛ ووجد ثَمّ السراب الخادع ، وعَدِم الماءَ وقت العطش ، وأما المضىء النفس . ومنْ لا أُمنية له من الدعاة ، فإنك تجده سبّاقا إلى الخير إلى كل خير أبدا . وتجده على ري دوما ، فإنه إن كان ذا قوة: استسقى لنفسه أو استسقى لغيره، فيجيبه الله بهطل من السماء ، وإن كان مستضعفا : وجد وريثا لموسى عليه السلام . يسقى له ويزاحم الرعاع »[2] .

وفى قيام الليل علو الهمة وكم فيها من صلاح للدعوة وحياة الأمم والدعاة .

استمع إلى صوت الجيلانى يهدر

« سيروا مع الهمم العالية »[3] ولازال هذا الطريق هو الطريق المعبد الوحيد فى خارطتنا . أما الجبن والانزواء والتأوه فصحارى مهلكة »[4] .

---

(١) الرقائق ص ٣٣ ـ ٣٤ ـ أغانى المعركة (٣٨) .
(٢) الرقائق ص ٤٥ ـ ٤٦ .
(٣) الفتح الربانى للجيلانى ص ٢٩٨ .
(٤) الرقائق ص ١٤٠ .

أفتكون يا أخي من أصحاب الأماني المتأوهين « تكون عالما بها ولا تنهض همتك إليها ، فلا تزال في حضيض طبعك محبوسا ، وقلبك عن كمالك الذي خلقت له مصدودا منكوسا ، قد أسمت نفسك مع الأنعام ، راعيا مع الهمل ، واستطبت لقيمات الراحة والبطالة ، واستلنت فراش العجز والكسل ، لا كمن رفع له علم فشمر إليه . وبورك له في تفرده في طريق طلبه فلزمه واستقام عليه ، قد أبت غلبات شوقه إلا الهجرة إلى الله ورسوله ، ومقتت نفسه الرفقاء إلا ابن سبيل يرافقه في سيره »(١)

إن حياة النفس في السمو ، ونجاتها في العلو ، بل نجاة الأمم

همم الأحرار تحيي الرمما نفحة الأبرار تحيي الأمما

همتك احفظها بقيام الليل ، فإن الهمة مقدمة الأشياء فمن صلحت له همته وصدق فيها ، صلح له ما وراء ذلك من الأعمال ويمثل لها ابن القيم بمثل لطيف فيقول :

« مثل القلب مثل الطائر ، كلما علا : بعد عن الآفات ، وكلما نزل : احتوشته الآفات »(٢) .

فكما أن الاستعلاء بالهمة يبقى القلب نظيفا بريئا من المعنى الخسيس مشغولاً بالعظام ، فإنه يقي القلب من الآفات والأمراض وسهام الشيطان كما تقي نهضة الجناحين الطائر سهام الصياد ومهمة المربي المسلم : أن يعلم الناشىء هذه النهضة العالية في مبادىء محاولاته .

ونهضة الجناحين هي بدورها كناية عن النفس التي احتوت تصميما على حمل أثقال الدعوة إلى الله . فإن الجديد في سلك الدعوة إن فهم الدعوة في الأول

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم جـ ١ ص ٤٦ .
(٢) الجواب الكافي ص ٧٠ .

مجرد تزكية نفس ، وصحبة أخيار ، وبث أشواق فإنه يحجم عن إنكار المنكر على المظالم ، ويرجع عن الزحف وقائمة أعذاره تحت أحد إبطيه ، أولها : إنه لم ينذر بمثل هذا من قبل ، ولا يحتوى هذا الشرط عقده .

ولذلك حرص رجال التربية على أن تكون « أول خطوة للسالك خطوة هول »[1] وسلفهم فى هذا رسولهم ﷺ وأصحابه فقد قاموا الليل فى بدء الدعوة اثنا عشر شهرا كاملا حتى انتفخت أسواقهم وأوداجهم .. صدقوا الله فصدقهم .

إن انتصار الدعوة لا يكمن فى كثرة الرق المنشور ، بل برجعة نصوح إلى العرف الأول ، ومتى ما صفت القلوب بتوبة ، ووعت هذا الكلام أذن واعية ، كانت تحلة الورطة الحاضرة التى سببتها الغفلة المتواصلة ذلك شرط لا بد منه .

وكأن النصر حجب عنا لأننا نادينا من وراء الحجرات ، وجهرنا رافعين أصواتنا نوجب على الله لنا هذا النصر بإدلال ، نبيعه ونرى لنا حقا عاجلا فى الثمن من دون أن نقدم بين يدى بيعنا همسا فى الأسحار ولا الدمع المدرار وإنما النصر هبة محضة ، يقرّ الله بها عين من يشاء من رجال مدرسة الليل فى الحياة الدنيا ، ولا يلت الآخرين المحصرين من ثمنهم فى الآخرة شيئا ، ويوقع أجرهم عليهم .

إن دعوة الإسلام اليوم لا تعتلى حتى يذكى دعاتها شعلهم بليل ، ولا تشرق أنوارها فتبدد ظلمات جاهلية القرن العشرين مالم تلهج ـ بالذكر ـ .

قال الشيخ حسن البنا رحمه الله :

« **دقائق الليل غالية ، فلا ترخصوها بالغفلة** »

أفعيينا أن نعيد السمت الأول ، أم غرّنا اجتهاد فى التساهل والتسيب والكسل جديد .

---

(١) الرقائق ص ٤٦ ، ٤٧ .

إن القول لدى الله لا يبدل . ولكنا أرخصنا الدقائق الغالية بالغفلة فثقل المغرم . ولم يجعل الله لنا من أمرنا يسرا »[1]

(٤) قيام الليل باب التزكية الأعظم

قال تعالى ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾[2]

لقد أقسم الله بأحد عشر قسما متتاليا ما وردت فى القرآن إلا فى غير هذا المكان أن الفلاح فى تزكية النفوس .

هذه هى « التزكية النبوية التى نطق بها الرسول ﷺ و « الربانية » التى طولب بها العلماء .. ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »[3]

إن من يتخرج فى مدرسة الليل يؤثر فى الأجيال التى بعده إلى ما شاء الله ، والمتخلف عنها يابس ؛ قاس تقسو قلوب الناظرين إليه ، والدليل عند بشر بن الحارث الحافى منذ القديم ، شاهده ، وأرشدك إليه فقال :

« بحسبك أن قوما موتى تحيا القلوب بذكرهم ، وأن قوما أحياء تقسو القلوب برؤيتهم »[4] بل تموت القلوب برؤيتهم فلم كان ذلك إن لم يكن ليل الأولين يقظة وليل غيرهم نوما ، ونهار الأولين جدا ونهار الآخرين شهوة »

يقول الشيخ أبو الحسن الندوى :

« إن تزكية النفوس والدعوة إلى الإحسان وفقه الباطن شعبة من أهم شعب النبوة »[5] .

---

(١) الرقائق ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) الشمس آية رقم ٩ .

(٣) « ربانية لا رهبانية » للشيخ أبى الحسن الندوى ص ١٥ طبع مؤسسة الرسالة .

(٤) الرقائق ص ٣٤ .

(٥) « ربانية لا رهبانية » ص ١٤ .

ويذهب رحمه الله إلى « أن إحياء الإخلاص والأخلاق وتجديدهما أكبر واجبات ومهمات هذا العصر وفريضة الداعي »[1]

ويقول رحمه الله « إذا تأملنا القرآن وجدناه ينوّه بشعبة من شعب الدين ، ومهمة من مهمات النبوة يعبر عنها بلفظ « التزكية » ويذكرها كركن من الأركان الأربعة التي بعث الرسول الأعظم ﷺ لتحقيقها وتكميلها ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ وهي تزكية النفوس وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل .

ولا بد أن نملأ هذا الفراغ الواقع في حياتنا ومجتمعنا ونسد هذا المكان الذي كان يشغله الدعاة إلى الله والربانية والمشتغلون بتربية النفوس وتزكيتها .

أَقِلّوا عليهم لا أبا لأبيكم
مِن اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سدّوا[2]

ثم يتكلم الشيخ الندوي عن دور الربانيين في إخضاع التتار الفاتحين لدين أمة مفتوحة فيقول رحمه الله :

« لمّا فتح التتار العالم الإسلامي في القرن السابع الهجري ، وأثخنوه جراحا وقتلا ، ولم يتركوا فيه إلا روحا ضعيفة ونفسا خافتا ، وفُلّ سيف الجهاد والمقاومة فأصبح لا يؤثر ولا يعمل ، وأغمده المسلمون يأسا وقنوطا ، وآمن الناس بأن التتار لا يمكن إخضاعهم وأن العالم الإسلامي قد كتب عليه أن يعيش تحت حكم هؤلاء الهمج ، وأن الإسلام لا مستقبل له ، قام هؤلاء الدعاة المخلصون الذين لا يزال تاريخ الدعوة والإصلاح ــ على إحصائه واستقصائه ــ يجهل أسماء

---

(١) « ربانية لا رهبانية » ص ٤٠ .

(٢) ربانية لا رهبانية ص ١٥ .

كثير منهم ، يتسربون فى هؤلاء الغلاظ الشداد ، يفتحون قلوبهم للإسلام ، حتى تفتحت له وأحبته ، وصاروا يدخلون فى دين الله أفواجا .

وهكذا أخضعوا للإسلام من أخضع العالم الإسلامى بالأمس من شرقه إلى غربه ، وأدخلوا أمة قهرت الأمم كلها فى عصرها فى دين لا يحميه سيف . ولا يدافع عنه جيش وقد كانوا ثلاث ديانات ـ هى أعظم ديانات العالم ـ تتنافس فى اكتساب هذه القوة القاهرة للعالم : « البوذية » و « المسيحية » و « الإسلام » ، وكانت البوذية أقرب إلى فطرتها وبيئتها ، وكانت النصرانية أرفع مكانة وأقرب زلفى فى مجالس سلاطينها ، ولكن الإسلام ـ بفضل دعاته المخلصين ـ انتصر على منافستيه ـ البوذية والنصرانية ـ وأسلم التتار أمة وجنسا . وكونوا دولا إسلامية كان لكثير منها مآثر إسلامية يتجمل بها تاريخ الإسلام . وكان انتصار الإسلام على الديانتين المنافستين حادثة غريبة لا تعلل إلا بمشيئة الله تعالى وتأييده ، وتفوق دعاة الإسلام فى الإخلاص والروحانية على دعاة البوذية والنصرانية .

يقول أرنلد

« لقد كان منافسة هذه الديانات العظمى فى إخضاع القوة القاهرة لعقيدتها صراعا عجيبا ينظر إليه التاريخ ، وينظر إليه العالم بدهشة واستغراب ، كل يحاول أن يخضع هؤلاء الوحوش القساة الذين داسوا هذه الديانات وحطموها .

لم يكن أحد يتوقع أن الإسلام سينتصر فى هذه المعركة ويهزم البوذية والنصرانية ويستأثر بالتتار ، فقد كانت عاصفة هجومهم وغارتهم أشد على المسلمين منها على غيرهم ، وكانت خسارتهم فى ذلك أعظم من خسارة أية أمة ودولة وديانة . وقتل التتار علماء المسلمين وفقهاءهم وأسروهم واستعبدوهم ، وقد كان ملوك التتار وأمراؤهم يعطفون على كل ديانة سوى الإسلام .

ولكن رغم هذه المصاعب دان المغول والأمم الوحشية التى جاءت بعدهم

بديانة أمة داستها بأقدامها واعتنقت الإسلام »

ولا شك أن الفضل فى ذلك ـ كما صرح به « أرنلد » وغيره من المؤرخين الإسلاميين يرجع إلى هؤلاء الدعاة المخلصين وربانيتهم ، وحرصهم على إرشاد هؤلاء الظالمين الذين سفكوا دماء المسلمين.

وقد نقل « أرنلد » قصة طريفة تدل على أسلوب دعوتهم ، ورقة موعظتهم وتجردهم من الأنانية والكبرياء ، وكم لها من أمثال فاتت التاريخ ، وأفلتت من أعين المراقبين وأقلام المسجلين.

أسلم سلطان (كاشغر) الذى كان يسمى « تغلق تيمور خان (١٣٤٧ م ـ ١٣٦٣ م) على يد الشيخ « جمال الدين » الذى جاء من بخارى ، وكان من خبره ، أنه كان مع رفقة له فى رحلته ؛ فمروا بأرض السلطان التى كان قد حماها للصيد وهم لا يشعرون وأمر بهم الملك ؛ فأوثقوا ، وعرضوا عليه ، وقال ـ وقد استشاط غضبا : كيف دخلتم فى حماى من غير إذن ؟

قال الشيخ : نحن غرباء ، ولم نشعر بأننا نمشى على أرض ممنوعة . ولما علم الملك أنهم إيرانيون ، قال فى احتقار وسخرية : حتى الكلب أفضل من الإيرانيين.

قال الشيخ : صدق الملك ، لولا أن الله أكرمنا بالدين الحق لكنّا أذل من الكلاب . وتحير الملك ومضى للصيد ، وبقيت الكلمة تشغل فكره ، وأمر بعرضهم عليه بعد الصيد ، ولما رجع خلا بالشيخ وقال : فسِّره لى ما قلت ، وأخبرنى ما تعنى بالدين الحق ؟

وفسّر الشيخ الإسلام فى حماسة وقوة تفسيرا رقّ له قلب السلطان ، وصوّر الكفر تصويرا بشعا هائلا فزع منه السلطان وأيقن أنه على ضلال وخطر.

ولكن السلطان رأى أنه لو أعلن الإسلام لما استطاع أن يدخل قومه فى

الإسلام ورجا الشيخ أن ينتظر حتى إذا سمع أنه ولى الملك ، وجلس على أريكة الحكم ، زاره ، وكانت المملكة « الجغتائية » قد توزعت فى إمارات متعددة ، واستطاع « تغلق تيمور » أن يجمعها ، ويكوّن منها مملكة صغيرة ، ورجع الشيخ « جمال الدين » إلى بلاده ، ومرض مرضا شديدا . ولما حضرته الوفاة ، دعا ولده « رشيد الدين » وقال له : إن « تغلق تيمور » سيكون فى يوم من الأيام ملكا عظيما ، فإذا سمعت بذلك تزوره ، وتقرئه منى السلام ، وتذكره بما وعدنى به « من اعتناق الإسلام » وكان كذلك ، فقد بويع « تغلق تيمور » بالملك ، وجلس مكان أبيه ، ودخل الشيخ « رشيد الدين » فى المعسكر لينفذ وصية أبيه ، ولكنه لم يخلص إلى الملك ، فاحتال ، وبدأ يوما يؤذن بصوت عال عند خيمة السلطان فى الصباح الباكر ، فطار نوم السلطان وغضب وطلب الشيخ « رشيد الدين » وحضر الشيخ ، وبلّغ السلطان تحية والده ، وكان السلطان على ذكر منه ، فنطق بالشهادتين وأسلم ثم نشر الإسلام فى رعيته ، وأصبح الإسلام ديانة الأقطار التى كانت تحت سيطرة أولاد جغتاى بن جنكيز خان [1] .

(٥) الجهاد يُسقى بدمع التهجد :

إن الذنب لا يُسقى إلا بدمع ، والشجاعة تسقى بدموع الليل ، وما عرف الإسلام رجاله إلا كذلك ، ولم يقل ابن القيم باطلا فى وصفه لهم بأنهم :

فى الليل رهبان وعند جهادهم
لعدوهم من أشجع الشجعانِ

أخى : ما بغير البذل ينطق قاموسنا .. ولأجله كتبت وجمعت جمعى وهذه كتائب الحق قد دنت أو أوشكت أن تدنو فأين زادك من قيام الليل .

يقول الشيخ الندوى :

(١) « ربانية لا رهبانية » من ص ٣١ – ٣٥ – كتاب الدعوة إلى الإسلام لأرنلد ص ٢٥٦

« مما يجدر بالذكر ويسترعى الإنتباه أن تلك القوة المعنوية والروحية ، والشخصية القوة الفذة ، والإخلاص والربانية والحنان والعاطفة والإقدام والشهامة التى نحتاج إليها للتضحية والفداء وبذل المهج والأرواح ، والجهاد والكفاح ، والتجديد والإصلاح ، والفتح والتسخير ، لا تنشأ ولا تظهر فى أكثر الأحيان إلا بعد صفاء الروح وتهذيب النفس والرياضة والعبادة .

ولذلك نرى أن أكثر من قاموا بدور التجديد والجهاد فى تاريخ الإسلام كانوا يتمتعون بمكانة روحية سامية »

ثم يقول رحمه الله :

« والحقيقة أن هذه المجاهدات والرياضات وتزكية النفس والصلة بالله تنشىء فى الإنسان حالة عجيبة من الشوق والوجد والحب والحنان تتغلغل فى أحشائه ، وتستقر فى أعماقه حتى تراه ، ينشد بلسان حاله ويقول « إنى لا أملك شيئا أفديك به إلا هذه الحياة التى أعرتنى إياها فهى منك ولك ، ومن فيضك وفضلك ، فنهاية المطاف فى هذه الرحلة الروحية والسلوك الطويل هى حب الشهادة والغاية الأخيرة من هذه المجاهدة والرياضة هى الجهاد .

إن اليقين والحب هما جناحان لصقر الجهاد والإجتهاد يحلق بهما فى السماء .

وذلك هو السر فى ما نرى من وجود شخصية فذة قوية على رأس كل حركة للجهاد والكفاح ، نفخت فى المجاهدين روح الحماسة واليقين ، وحملت هذه الشرارة إلى صدور المؤمنين الآخرين حتى شقّت عليهم حياة الهدوء والنعيم والترف وأصبحوا لا يطيقونها »(١)

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

---

(١) ربانية لا رهبانية ص ١١٣ وما بعدها .

سرِّح طرفك فى القرون : ـ

مضوا يحفرون بدمع القيام وبذل الدماء طريق الإياب

- فى عبّاد بن بشر وقيامه الليل وجهاده واستشهاده
- فى سالم مولى أبى حذيفة
- فى صلة بن أشيم وتهجده وحبه للغزو
- فى عمرو بن عتبة وفى عتبة الغلام
- فى هارون الرشيد وغزوه عاما وحجه عاما
- فى ابن المبارك
- فى ابن تيمية وجهاده للتتار
- فى قاهر الصليبيين نور الدين محمود زنكى
- فى بطل حطين صلاح الدين الأيوبى
- فى «محمد الفاتح» وفتحه للقسطنطينية
- فى عبد القادر الجزائرى والشيخ حسن البنا

ليست دعوتنا لقيام الليل دعوة سلبية ، وإنما هى دعوة تدندن حول البذل وعودة مجد الإسلام تنادى

هل من صلاح يعيد السيف فى يدنا أو تبتروها فقد شلت أيادينا

وسطورى هذه التى سأكتبها عبيرها من نسيم السحر ، وأريجها من أنفاس المتهجدين الركع السجود

قوم كرام السجايا أينما جلسوا
يبقى المكان على آثارهم عطرا

يصدق فيهم قول الشاعر :

مقامات أعلام ترى الشهب دونها
بنوها بياقوت المواهب والدّر

تضيء الـــديـــاجى من بهاء جمالهـــا
بها يهتـــدى من لـــلـعلا نحوهـــا يسر

فسبحان من أيقظ المتهجدين والناس نيام ، وجعل خلواتهم معه أنسهم وميدانهم ، والمناجاة روائحهم وريحانهم ، وذكره نزهتهم وبستانهم ، وتلاوة القرآن نعيمهم وعنوانهم وشوقهم دوما لقناديل علقت بالعرش فى دارهم وأوطانهم .

- فهيا يـا أخى : أغلق باب الراحة ، وافتح باب الجهد
اغلق باب النوم وافتح باب السهر

وخلّ الهوينا للضعيف ولا تكن نـؤوما فـان الحزم ليس بنائم

- لا تكن من قوم قال فيهم أحد الصالحين :

« إنكم تلبسون ثياب الفراغ والراحة قبل أن تعملوا »

- هيا يا أخى إلى نداء ثابت البنانى رحمه الله :

« كابدت الصلاة عشرين سنة واستمتعت بها عشرين سنة »

- هيا إلى صحبة الساهرين مع النجوم ، الآنفين من الهجود
- هيا يا أخى إلى الآخرة ودع الدنيا وليكن نشيدك قول شميط بن عجلان رحمه الله يسرى فى حياتك مسرى الدم فى العروق خلال هجير زماننا

« **صبرًا على لأوائها والموعد الله** »

وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

قال الله تعالى : ﴿ فاستبقوا الخيرات ﴾[1]

وقال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾[2]

وقال تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾[3]

وقال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين ﴾[4]

وقال رسول الله ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ »[5]

وقال رسول الله ﷺ : « بادروا بالأعمال الصالحة ، فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا »[6]

وقال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل : قدّر الله وما شاء فعل فإنّ لو تفتح عمل الشيطان »[7] .

- وفى الحديث القدسى « يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها »

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٤٨ .
(٢) آل عمران آية رقم ١٢٣ .
(٣) المزمل آية رقم (٨) .
(٤) الآية رقم ٦٩ من سورة العنكبوت .
(٥) رواه البخارى عن ابن عباس .
(٦) رواه مسلم عن أبى هريرة .
(٧) رواه مسلم عن أبى هريرة .

لله در القائل :

إن لم تكن للحق أنت فمن يكون
والناس فى محراب لذات الدنايا عاكفون

• قال العلامة ابن رجب الحنبلى فى كتابه « لطائف المعارف » :

« لمّا سمع القوم قول الله عز وجل ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ وقوله ﴿ **وسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض** ﴾ فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة ، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية ، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل عملا يعجز عنه خشى أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه ، فكان تنافسهم فى درجات الآخرة واستباقهم إليها ، ثم جاء من بعدهم قوم فعكسوا الأمر فصار تنافسهم فى الدنيا الدنيئة وحظوظها القانية »

• قال الحسن : «إذا رأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة »

وقال رحمه الله « من نافسك فى دينك فنافسه ، ومَنْ نافسك فى دنياك فألقها فى نحره »

• وقال وهيب بن الورد : « إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل».

• وقال بعض السلف : « لو أن رجلا سمع برجل أطوع لله منه ، فانصدع قلبه فمات لم يكن ذلك بعجب » .

• وقال أحدهم : « لو أن رجلا سمع برجل أطوع منه لله كان ينبغى أن يحزنه ذلك » .

• وقال رجل لمالك بن دينار : « رأيت فيما يرى النائم مناديا ينادى : الرحيل الرحيل ، فما رأيت أحدا يرتحل إلا محمد بن واسع فصاح مالك وغشى عليه ... ﴿ **والسابقون السابقون أولئك المقربون** ﴾ .

قيل لبعض المجتهدين فى الطاعات : لم تُعذّب هذا الجسد ؟
قال : كرامته أريد

وإذا كانت النفوس كبارا　تعبت فى مرادها الأجسامُ

صاحب الهمة العلية ، والنفس الشريفة التوّاقة لا يرضى بالأشياء الدنيئة الفانية ، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية .

قال عمر بن عبد العزيز : « إن لى نفساً توّاقة ، ما نالت شيئا إلا تاقت إلى ماهو أفضل منه ، وإنها لما نالت هذه المنزلة ـ يعنى الخلافة ـ وليس فى الدنيا منزلة أعلى منها ، تاقت إلى ما هو أعلى منها ـ يعنى الآخرة ـ

على قدر أهل العزائم تأتى العزائم

وجاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز فقصت أنها رأت فى المنام كأن الصراط قد نصب على جهنم وهى تزفر على أهلها ، وذكرت أنها رأت رجالا مروا على الصراط فأخذتهم النار ، قالت : ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جىء بك فوقع مغشيا عليه ، وبقى زمانا يضطرب وهى تصيح فى أذنه : رأيتك والله قد نجوت »(1)

أخى : « لمّا علم الصالحون قصر العمر ، وحثهم حادى « وسارعوا » طووا مراحل الليل مع النهار انتهابا للأوقات . اصغ سمعك لنداء ربك ﴿ **ففروا إلى الله** ﴾ وبادر طىّ صحيفتك ، واحسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رقدة الموتى ، وشمّر للسباق غدا ، فإن الدنيا ميدان المتسابقين . واعلم أنما خلقنا لنحيا مع الخالق ، ونافس فى الفردوس فإن الرحمن جل جلاله قد غرس غراسه بيده .

يا إخوتاه : سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً .

---

(1) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى ص ٢٦٠ ، ٢٦١ طبع دار الفتح .

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا
ونحن قعود ما الذى أنت صانع
أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم
صريع الأمانى والغرام ينازع
على نفسه فليبك من كان باكيا
أيذهب وقت وهو باللهو ضائع

• كن بقلبك بل بكلّك مع القوم الذين قال عنهم شيخنا ابن القيم « حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح » :

« رفع لهم علم الجنة فشمروا إليه ، ووضح لهم صراطها المستقيم فاستقاموا عليه ، ورأوا من أعظم الغبن بيع.مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فى أبد لا يزول ولا ينفد ، بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام ، أو كطيف زار فى المنام ، مشوب بالنغص ، ممزوج بالغصص ، إن أضحك قليلا أبكى كثيرًا ، وإنْ سر يومًا أحزن شهورًا ، آلامه تزيد على لذاته ، وأحزانه أضعاف أضعاف مسرّاته أوله مخاوف ، وآخره متالف .

فيا عجبا من سفيه فى صورة حليم ، ومعتوه فى مسلاخ عاقل ، آثر الحظ الفانى الخسيس على الحظ الباقى النفيس . وباع جنة عرضها الأرض والسموات ، بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات .

• ومساكن طيبة فى جنّات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، بأعطان ضيّقة آخرها الخراب والبوار .

• وأبكارا عربا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان ، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان . وحورا مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام . وأنهارا من خمر لذة للشاربين ، بشراب نجس مذهب للعقل ، مفسد للدنيا والدين .

ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم .

وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان .

والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد فى يوم المزيد ، بالجلوس فى الطرقات مع كل شيطان مريد .

فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإنعام وادّخر لهم من الفضل والإكرام ، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر ، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، لعلم أى بضاعة أضاع ، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع .

فيا عجبا لها كيف نام طالبها ، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ، وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها ، وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ، وكيف قرّت دونها أعين المشتاقين ، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين ، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين ، وبأى شيء تعوّضت عنها نفوس المعرضين »(1) .

لقد حرّك الداعى إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبيّة ، والهمم العالية ، وأسمع منادى الإيمان من كانت له أذن واعية ، وأسمع الله من كان حيًا فهزّه السماع إلى منازل الأبرار ، وحدا به فى طريق سيره فما حطّت به رحاله إلا بدار القرار .

فحيهلا إن كنت ذا همّة فقد
حدى بك حادى الشوق فاطو المراحلا
وقبل لمنادى حبهم ورضاهم
إذا ما دعا لبيّك ألفا كواملا
ولا تنظر الأطلال من دونهم فإنْ
نظرت إلى الأطلال عدن حوائلا

---

(1) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ابن قيم الجوزية ص ٦ - ٧ .

فلا تنتظر بالسير رفقة قاعد
ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهم زادا إليهم وسر على
طريق الهدى والحب تصبح واصلا
وأحى بذكراهم سراك إذا دنت
ركابك ، فالذكرى تعيدك عاملا
وإما تخافن الكلال فقل لها
أمامك ورد الوصل فابغ المناهلا
وخذ قبسا من نورهم ثم سر به
فنورهم يهديك ، ليس المشاعلا[1]

﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾

هو مطلب يستحق المنافسة ، وهو أفق يستحق السباق وهو غاية تستحق الغلاب .

والذين يتنافسون على شىء من أشياء الأرض مهما كبر وجل وارتفع وعظم ، إنما يتنافسون فى حقير قليل فانٍ قريب . والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة . ولكن الآخرة ثقيلة فى ميزانه ، فهى إذن حقيقة تستحق المنافسة فيها والمسابقة »[2]

- واعلم رحمك الله أن « قيمة كل امرىء ما يطلب »[3] .

فهناك همة تدور حول الأنتان والحش : ذكر الله حسب صاحبها وموته ، وذكر الناس فاكهته وقوته ، ينادى إلى الله عز وجل والدار الآخرة من مكان

---

(١) زاد المعاد لابن قيم الجوزية
(٢) « فى ظلال القرآن » للشيخ سيد قطب جـ ٦ ص ٣٨٦٠ طبع دار الشروق .
(٣) « مدارج السالكين » لابن قيم الجوزية

قريب فلا يجيب النداء ، الدنيا تصمّه عما سوى الباطل وتعميه[1]

فاستأنس بغيبته ما أمكنك ، فإنه لا يوحشك إلا حضوره عندك ، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك ، وترَحّل عنه بقلبك ، وفارقه بسرك ، ولا تشغل نفسك إلا بما هو أولى بك .

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل ، وانقطاعك عنه ، وضياع وقتك عليك ، وضعف عزيمتك وتفرق همك . وإياك وقاطع الطريق ولو كان من كان ، فانج بقلبك ، وضنّ بيومك وليلتك ، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة فتؤخذ »[2] ولا تدرك أحبابا أنّى لك بلحاقهم .

●● وهمة أخرى : ارتبطت بمن فوق العرش جل وعلا إرادة وطلبا وشوقا ومحبة وإخباتا وإنابة ، لا مستراح لها إلا تحت شجرة طوبى ، ولا قرار لها إلا فى يوم المزيد ، كلما طال عليها الطريق تلمحت المقصد ، وكلما أمرت الحياة حلى تذكرت ﴿ **هذا يومكم الذى كنتم توعدون** ﴾[3]

أخي : قَدْ هيّأوكَ لأمرٍ لو فطنت له
فاربأْ بنفسِك أن تَرْعَى مع الهملِ

● صوّب إلى الرحيل ﴿ **يا ليت قومى يعلمون** ﴾ تلمّح القوم الوجود ، ففهموا المقصود ، فأجمعوا الرحيل قبل الرحيل وشمّروا للسير فى سواء السبيل[4] .

---

(١) « إغاثة اللهفان » لابن قيم الجوزية

(٢) الوابل الصيب لابن قيم الجوزية — طبع السلفية

(٣) الفوائد لابن قيم الجوزية

(٤) الفوائد

• إذا طلع نجم الهمة فى ظلام ليل البطالة وردفه قمر العزيمة أشرقت الأرض بنور ربها(١) .

• من أراد من العمّال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل وبأى شغل يشغله .

• دع الدنيا فإنها جيفة والأُسْدُ لا تقع على الجيف ، هى لا تساوى نقل أقدامك إليها فكيف تعدو خلفها(٢) .

فدعها رسوما دارسات فما بها
مقيل فجاوزها فليست منازلا
رسوما عفت ينتابها الخلق كما بها
قتيل وكم فيها لذا الخلق قاتلا
وخذ يمنة منها على المنهج الذى
عليه سرى وفد الأحبة آهلا
وقل ساعدى يا نفس بالصبر ساعة
فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا
فما هى إلا ساعة ثم تنقضى
ويصبح ذا الأحزان فرحان جاذلا

لا تضع عصا السير عن عاتقك حتى تبدو لك أعلام دارك وخيامها وواصل السير ليل نهار فعند الصباح يحمد القوم السرى .

• كيف لا يتسارع فى يومه وغده ، سير من قطع به أمسه مرحلة نحو غايته ، ومن أيقن أنه يتبع رسولا من أولى العزم ﷺ فكيف لا يستمد منه عزمه »(٣)

(١) الفوائد
(٢) الفوائد .
(٣) الرقائق ص ٤١

• النية الصالحة والهمة العلية نفس تضيء وهمّة تتوقد .

وبَعْدُ يا داعية الإسلام :

إن من جَدّ وجد ، وليس من سهر كمن رقد

هذا دبيب الليالى يُسارق نفسك ساعاتها ، وإن سلع المعالى غاليات الثمن ، وإنما ثمنها اتباع مدارس السلف ، فانظر لنفسك واغتنم وقتك « فإن الثواء قليل والرحيل قريب والطريق مخوف ، والاغترار غالب ، والخطر عظيم ، والناقد بصير »(١) .

أخى : اثت الديار البكر ، وارتد كل يوم منزل فضل لم يعرف لأحد فى عصرك ، وائت فى التنافس بجديد كأنك طليعة جيش حتى يصدق فيك قول القائل :

عــجــبــا بــأنك ســالم من وحشــة
فى غـــايــة مـــازلت فيهــا مـــفــردا

لو قالك لك البطّالون من الكسالى « لو تفرغت لنا » فاقرع أسماعهم بصوت عمر بن عبد العزيز

وأين الفراغ ؟ ذهب الفراغ ، فلا فراغ إلاّ عند الله لا مستراح للعابد إلا تحت شجرة طوبى .

كن ممن قال فيهم البنا رحمه الله :

« قد سهرت عيونهم والناس نيام ، وشغلت نفوسهم والخليُّون هجّع »(٢)

مـن هشيم فــيك أذكِ الـــلــهـــبـــا

---

(١) الرقائق ص ١٣٧ .

(٢) إلى أى شيء ندعو الناس للشيخ حسن البنا المجموعة ٢٩١ .

من تـراب فـيك أطـلـع شـهـبـا

من لهيب الـقـلب عِـلـمُ الـكـامِـل

مـقصـد الإسلام تـرك الآفـل

صـد إبـراهيم عما يـأفـل

فـحوتـه كـالجنـان الشـعـل[1]

● قيل لبعض العباد ارفق بنفسك. قال: الرفق أطلب أو: من الرفق أتيت[2].

● لما عرف الصالحون قدر الحياة أماتوا فيها الهوى فعاشوا، انتهبوا بأكف الجد، ما قد نثرته أيدى البطالين، ثم تخايلوا القيامة، فاحتقروا الأعمال فماتت قلوبهم بالمخافة، فاشتاقت إليهم الجوامد، فالجذع يحنّ إلى الرسول ﷺ و «**إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: على وعمّار وسلمان**»[3] أنفوا من مزاحمة الخلق فى أسواق الهوى، وقوى شوقهم فلم يحتملوا حصر الديار. فخرجوا إلى فضاء العز فى صحراء التقوى، وضربوا مخيم الجد فى ساحة المجد.

ليكن نشيدك: لا لا يا قيود الأرض

أأقنع بروضة على مزبلة والملك يدعونى إلى فردوسه الأعلى

أأرضى بخرابات البلى عن الفردوس الأعلى يالها صفقة غبن.

أأقنع بخسائس الحشائش والرياض معشبة بين يدىّ

● لا يحصل خطير إلا بخطر، فالدر فى عقر اليم.

● من لم تبك الدنيا عليه، لم تضحك الآخرة إليه

---

(١) الأسرار والرموز.

(٢) اللطف فى الوعظ لابن الجوزى ص ١٥.

(٣) حديث حسن: رواه الترمذى والحاكم فى المستدرك عن أنس وقد حسنه الترمذى والألبانى فى صحيح الجامع رقم ١٥٩٤ ولكنه قال فى المشكاة حديث رقم ٦٢٢٥. وإسناده ضعيف وإن حسنه الترمذى فإن فيه الحسن البصرى وقد عنعنه وفيه أبو ربيعة الأيادى.

لو قُرب الدر على جلابه ما لجّ الغائص فى طلابه
ولو أقام لزما أصدافه لم تكن التيجان فى حسابه
ما لؤلؤ البحر ولا مرجانه إلا وراء الهول من عبابه
من يعشق العليا يلق عندها ما لقى المحب من أحبابه[1]

● وقت العارف جدّ كله لعلمه بشرف الزمان ، لا وجه للراحة ، لمّا عاينت أبصار البصائر يوسف العواقب ، قطعت أيدى الهوى بسكين الشوق ، فإذا حان حين الحين فرح سائر الليل بقطع المنزل ، وصاحت ألسنة الجد بالعاذلين « فذلكنّ الذى لمتنى فيه »

● قلوب أبت أن تعرف الصبر عنه « ما بأحشائهم عشقت فأسلو أثمان المعالى غالية فكيف يستامها مفلس ؟ »

● وكيف يُنال المجد والجسم وادع
وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

● كلما تعاظمت الهمم ، تصاغرت الجثث

ولست ترى الأجسام وهى ضئيلة
نواحل إلا والنفوس كبار[2]

لسان حاله : إذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم
جعلت اشتغالى فيك يا منتهى شغلى

لسان حاله يقول :

قلبه تحت سماء لا يقر هو فوق الزهر ما إن يستقر
طائر ينقر نجم الحبك طائرا فيما وراء الفلك[3]

---

(١) « اللطف فى الوعظ » لابن الجوزى ص ٥١١ .
(٢) اللطف فى الوعظ ص ٦٦ ، ٦٧ .
(٣) الأسرار والرموز .

« الكيس يقطع من المسافة بصحة العزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد وصحة النية مع العمل القليل أضعاف أضعاف ما يقطعه الفارغ من ذلك ، مع التعب الكثير والسفر الشاق ، فإن العزيمة والمحبة تذهب المشقة وتطيب السير ، والتقدم والسبق إلى الله إنما هو بالهمم وصدق الرغبة والعزيمة فيتقدم صاحب الهمة مع سكونه صاحب العمل الكثير بمراحل »[1]

مَنْ لى بمثل سيرك المدلل ... تمشى رويدا وتجى فى الأوّل

أخى : استجلب نور القلب بدوام الجد إنه استعلاء ثمنه التعب ، ليكن شعارك الصبر وراحتك التعب .

- إن الداعية المسلم لا يملك نفسه حتى يسوغ له أن يمنح نفسه أجازة ، وإنما هو « وقف لله تعالى »

- اعلم يا أخى « أن الراحة للرجال غفلة » كما يقول الفاروق رضى الله عنه وأتعب الناس من جلّت مطالبه .

- قال شعبة : « لا تقعدوا فراغا فإن الموت يطلبكم »

- سأل سائل ابن الجوزى « أيجوز أن أفسح لنفسى فى مباح الملاهى ؟ فقال له : « عند نفسك من الغفلة ما يكفيها »

- يقول ابن القيم « لا بد من سنة الغفلة ورقاد الغفلة ولكن كن خفيف النوم »

وانتبه من رقدة الغفلة ... فالعمر قليل
واطّرح سوف وحتى ... فهما داء دخيل

فاخلع الراحة يا أخى وليكن شعارك قول معلم الخير أحمد بن حنبل لابنه : « يا بنىّ لقد أعطيتُ المجهود من نفسى »

---

(١) الفوائد ص ١٤٠ .

رحمك الله يا ابن حنبل نفس لَهوُها التعب

إستمع إليه حين يسئل : متى يجد العبد طعم الراحة فيقول « عند أول قدم تضعها فى الجنة » .

● الطالب الصادق كلما ناله هم أو حزن جعله فى أفراح الآخرة و « من لمع فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف » كما يقول ابن الجوزي ولعمر الله ما هو بظلام ولكنها لغة اضطر إليها ليعقل مراده الراقدون[1]

ما فى الديار أخو وجد يريحك إن
بثثته بعض شأن الحب فاغترب
واسر فى ظلمات الليل مهتديا
بنفحة الطيب لا بالعود والحطب
وخذ لنفسك نورا تستضىء به
يوم اقتسام الورى الأنوار بالرُتَّب

أخى :

متى اشتد عطشك إلى ما تهوى من الدنيا ، فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الريّ الكامل ،

وقل : قد عيل صبر الطبع فى سنيّه العجاف ، فعجّل لى العام الذى فيه أغاث وأعصر.

طوبى لمن أظما نفسه ليوم الرى الكامل
طوبى لمنّ جوّع نفسه ليوم الشبع الأكبر
طوبى لمن ترك شهوات حياة عاجلة
إلى نعيم حياة آجلة وموعد غيب لم يره .

---

(١) الرقائق ص ٤٩ ـ ٦٢ .

الترغيب فى قيام الليل من القرآن الكريم

الترغيب فى قيام الليل
فى القرآن الكريم

وأقوال السادة أئمة التفسير فى شرح الآيات المرغبة فيه

الآية الأولى :

قال تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون** ﴾ (1)

قال ابن جرير الطبرى رحمه الله فى بيان معنى الآيتين :

[تتنحىَّ جنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله الذين وصفت صفتهم وترتفع عن مضاجعهم التى يضطجعون لمنامهم ولا ينامون ﴿ **يدعون ربهم خوفا وطمعا** ﴾ فى عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ فى سبيل الله ويؤدون من حقوق الله التى أوجبها عليهم فيه .

و ﴿ **تتجافى** ﴾ : تتفاعل ، من الجفاء ، والجفاء هو النُّبُوّ كما قال فى الرجز :

وصَـــــاحبى ذاتُ هِـــبَـــابٍ دَمْشَقُ
وابنُ ملاطٍ مـــتـــجـــافٍ أرفقُ (2)

يعنى أن كرمها سجية عن ابن ملاط

وإنما وصفهم الله تعالى ذكره بتجافى جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلا بالصلاة .

---

(1) السجدة الآيتان رقم ١٦ ، ١٧ .

(2) البيت للزفيان ، ابنا ملاطى البعير : هما العضدان وقيل كتفاه . (الشيخ محمود شاكر)

قال أبو عبيدة فى « مجاز القرآن » : أى ترتفع عنها وتتنحى لأنه يصلون بالليل[1] [2] .

قال القرطبى رحمه الله :

[« المضاجع جمع مضجع وهى مواضع النوم ، ويحتمل عن وقت الاضطجاع ولكنه مجاز والحقيقة أولى .

قال الزجاج والرُّمانىّ : التجافى : التنحى إلى جهة فوق ، وكذلك هو فى الصفح عن المخطىء فى سبّ ونحوه والجنوب جمع جنب][3]

« واختلف أهل التأويل فى الصلاة التى وصفهم الله جل ثناؤه أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع .

فقال أنس وقتادة وعكرمة وأبو حازم ومحمد بن المنكدر : هى الصلاة بين المغرب والعشاء »[4] .

● قال القرطبى : « جاءت آثار حسان فى فضل الصلاة بين المغرب والعشاء وقيام الليل .

● وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « صلاة الأوّابين الخلوة التى بين المغرب والعشاء حتى تثوب الناس إلى الصلاة » وإن من الدعاء المستجاب الذى لا يرد الدعاء بين المغرب والعشاء »[5] أ هـ

● وقال عطاء وأبو سلمة والحسن : عنى بها صلاة العتمة .

● وقال آخرون : لانتظار العتمة

---

(١) (الورقة ١٩٥ ـ ب) .

(٢) تفسير الطبرى جـ ٢١ ص ٩٩ ـ ١٠٧ .

(٣) تفسير القرطبى ص ٥١٨١ ـ ٥١٨٢ كتاب الشعب .

(٤) إرشاد العقل السليم المسمى « تفسير أبى السعود » جـ ٤ ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٥) القرطبى ص ٥١٨٣ ـ ٥١٨٤ .

عن أنس بن مالك عن هذه الآية ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة »[1] .

● وقال آخرون : عُنى بها قيام الليل قاله الجمهور[2] من المفسرين وعليه أكثر الناس وهو الذى فيه المدح

وهو قول مجاهد والأوزاعى ومالك بن أنس والحسن بن أبى الحسن وأبى العالية ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ لأنهم جوزوا على ما أخفوا بما خفى

● فعن الحسن فى هذه الآية ﴿ تتجافى ... ﴾ قال : قيام الليل .

● وقال ابن زيد : هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل .

وقال مجاهد : قوم يصلون بالليل أورد ذلك الطبرى[3]

● وقال آخرون : إنما هذه صفة قوم لا تخلوا ألسنتهم عن ذكر الله إما فى صلاة وإما فى غير صلاة قاله ابن عباس والضحّاك[4] .

● وقال آخرون : تجافى الجُنب هو أن يصلى الرجل العشاء والصبح فى جماعة وهم الضحاك وأبو الدرداء وعبادة[4] .

● قال الإمام القرطبى عن القول الأخير :

« وهذا قول حسن وهو يجمع الأقوال بالمعنى وذلك أن منتظر العشاء إلى أن يصليها فى صلاة وذكر لله عز وجل كما قال النبى ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الترمذى جـ ٤ ص ١٦١ وقال حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال الحافظ ابن كثير فى تفسيره « سنده جيد » انظر الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعى ص ١١٩ .

(٢) تفسير القرطبى ص ٥١٨٢ .

(٣) انظر الطبرى جـ ٢١ ص ٩٩ ـ ١٠٧ ، القرطبى ص ٥١٨٢ .

(٤) ، (٤) القرطبى ص ٥١٨٢ ، ٥١٨٣ .

يؤخر صلاة العشاء الآخرة إلى نحو ثلث الليل ، قال ابن عطية : وكانت الجاهلية ينامون من أول الغروب ومن أى وقت شاء الإنسان فجاء انتظار وقت شاقا غريبا ، ومصلى الصبح جماعة لا سيما فى أول الوقت كما كان عليه السلام يصليها ، والعادة أن من حافظ على هذه الصلاة فى أول الوقت يقوم سحرا يتوضأ ويصلى ويذكر الله عز وجل إلى أن يطلع الفجر فقد حصل التجافى أول الليل وآخره » أ هـ(١) .

قال الإمام الطبرى جامعا بين الأقوال ومرغبا فى قيام الليل :

« والصواب من ذلك أن يقال :

إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم شغلا منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفا وطمعا وذلك بنبو جنوبهم عن المضاجع ليلا ، لأن المعروف من وصف الواصف رجلا بأن جنبه عن مضجعه ، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم فى وقت منام الناس المعروف ، وذلك الليل دون النهار ، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك يدل على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصارى فى صفة نبى الله ﷺ :

يبيتُ يجافى جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص فى وصفه هؤلاء القوم بالذى وصفهم به ، من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالا ووقتا دون وقت ، كان واجبا أن يكون ذلك على كلّ آناء الليل وأوقاته ، وإذا كان كذلك كان من صلّى ما بين المغرب والعشاء أو انتظر العشاء الآخرة أو قام الليل أو بعض أو ذكر الله فى ساعات الليل ، أو صلى العتمة ممن دخل فى ظاهر قوله ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه فى

---

(١) القرطبى ص٥١٨٣ .

الحال التى قام فيها للصلاة قائما صلى أو ذكر الله أو قاعدا بعد أن لا يكون مضطجعا وهو على القيام أو القعود قادر.

غير أن الأمر وإن كان كذلك فإن توجيه الكلام إلى أنه معنى به قيام الليل أعجب إلىّ لأن ذلك أظهر معانيه ، والأغلب على ظاهر الكلام » .

﴿ خوفا وطمعا ﴾

قال قتادة : خوفا من عذاب الله وطمعا فى رحمة الله ومما رزقناهم ينفقون فى طاعة الله وفى سبيله .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ وهو يقصص فى قصصه ـ وهو يذكر رسول الله ﷺ ـ إن أخاً لكم لا يقول الرَّفَث يعنى بذلك عبد الله بن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروفٌ من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أنّ ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه
إذاْ استثقلت بالمشركين المضاجع (١)

لطيفة للقشيرى : فى قوله ﴿ تتجافى جنوبهم ... ﴾

قال رحمه الله : « فى الظاهر : عن الفراش قياما بحق العبادة والجهد والتهجد

وفى الباطن : تتباعد قلوبهم عن مضاجعات الأحوال ورؤية قدر النفس وتوهم المقام ، فإن ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة وهو للعبد سم قاتل ، فلا

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التهجد ، باب فضل من تعار من الليل فصلى .

يساكنون أعمالهم ولا يلاحظون أحوالهم ، ويفارقون مألفهم ، ويهجرون فى الله معارفهم .

والليل زمان الأحباب ، قال تعالى ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ يعنى عن كلّ شغل وحديث سوى حديث محبوبكم ... والنهار زمان أهل الدنيا قال تعالى ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ أولئك قال لهم ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض ﴾ ، إذا ناجيتمونا فى ركعتين فى الجمعة فعودوا إلى متجركم واشتغلوا بحرفتكم

وأما الأحباب فالليل لهم ، إن كانوا فى أنس القربة فليلهم أقصر من لحظة كما قالوا

ليلة كاد يلتقى طرفاها قصرا وهى ليلة الميعاد

﴿ ويدعون ربهم خوفا وطمعا ﴾ خوفاً من العذاب وطمعا فى الثواب ، خوفا من الحجاب عن الله فى الآخرة وطمعا فى النظر إلى وجهه الكريم ، خوفا من المكر وطمعا فى عفو الله .

﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قال القشيرى : فالعبد إنما يتجر فى البضاعة التى يودعها لديه سيده »[1] .

قوله تعالى : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾.

● قال الطبرى : رحمه الله :

« فلا تعلم نفس ذى نفس[2] ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جل ثناؤه صفتهم فى هاتين الآيتين ، مما تقربه أعينهم فى جنانه يوم القيامة ثوابا لهم على

---

(١) لطائف الإشارات لعبد الكريم القشيرى جـ ٥ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ . طبع دار الكاتب العربى .
(٢) قال القاسمى فى محاسن التأويل جـ ٧ ص ١٣٢ : ﴿ فلا تعلم نفس ﴾ أى كل نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عمن عداهم فإن الفكرة فى سياق النفى تعم ، والفاء سببيه » .

أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون »

● قال القرطبي :

« وفي معنى هذه الآية قال النبي ﷺ : « **قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** » ثم قرأ هذه الآية ﴿ **تتجافى جنوبهم ...** ﴾ إلى قوله ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾(١)

قال ابن عباس : الأمر في هذا أجل وأعظم من أن يعرف تفسيره .

قال القرطبي : « قلت : وهذه الكرامة إنما هي لأعلى أهل الجنة منزلا كما جاء مبينا في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة رفعه إلى رسول الله ﷺ

قال « سأل موسى عليه السلام ربه فقال يارب : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ قال هو رجل يجيء بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له : ادخل الجنة ، فيقول أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب ، فيقول : لك ومثله ومثله ومثله ومثله ، فقال في الخامسة : رضيت ربِّ فيقول : لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول : رضيت رب

قال : رب فأعلاهم منزلة ؟ قال : أولئك الذين أردت غرس كرامتهم بيدى ، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر »(٢) ـ قال ـ ومصداقه من كتاب الله قوله تعالى ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ وقال رسول الله ﷺ : « **يقول الله تبارك وتعالى : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على**

---

(١) القرطبي ص ٥١٨٦ ـ ٥١٨٧ مخرج في الصحيحين من حديث سهل بن سعد الساعدى .
(٢) رواه الإمام مسلم والترمذى وأحمد في مسنده عن المغيرة بن شعبة .

قلب بشر ذُخرًا بَلْهَ[1] ما أطلعكم عليه - ثم قرأ - ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ﴾

وقال ابن سيرين : المراد به النظر إلى الله تعالى .

وقال الحسن : أخفى القوم أعمالا فأخفى الله تعالى لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت

قال محمد بن كعب القرظي : أخفوا لله عملا وأخفى لهم ثوابا فلو كانوا قدموا عليه قد قرت تلك الأعين .

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله :

[تأمل كيف قَابَلَ ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس ، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم ، حين يقوموا إلى صلاة الليل بقُرَّة الأعين فى الجنة][2]

لطيفة للقشيري :

قال القشيري فى قوله تعالى ﴿ **فلا تعلم نفس ...** ﴾

« إنما تقر عينك برؤية من تحبه ، أو ما تحبه ، فطالب قلبك وراع حالك ؛ فيحصل اليوم سرورك وكذلك غدا ، وعلى ذلك تحشر ، فمن كان بحالةٍ لقى الله بها

السباق السباق قولا وفعلا
حذروا النفس حسرة المسبوقِ

(١) بَلْهَ من أسماء الأفعال وهى مبنية على الفتح مثل كيف ، ومعناها « دع عنكم ما أعلمكم عليه فالذى لم يطلعكم عليه أعظم وكأنه أضرب عنه استقلالا له فى جنب مالم يطلع عليه شرح النووى .

(٢) حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص ٢٧٨ مطبعة المدنى .

ثم قال رحمه الله فى قوله تعالى ﴿ **أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون** ﴾ : أفمن كان فى حال الوصال يجر أذياله كمن هو فى مذلة الفراق يقاس وباله

أفمن كان فى رَوْح القربة ونسيم الزلفة كمن هو فى هول العقوبة يعانى مشقة الكلفة .

أفمن هو فى رَوْح إقبالنا عليه كمن هو فى محنة إعراضنا عنه ؟

أفمن بقى معنا كمن بقى عنّا ؟

أفمن هو فى نهار العرفان وضياء الإحسان كمن هو فى ليالى الكفران ووحشة العصيان

أفمن أُيِّدَ بنور البرهان وطلعت عليه شموس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان .. لا يستويان ولا يلتقيان .. هذا فى أعلى الفضائل . وهذا فى سوء الرذائل »[٢] أ هـ .

قال الشيخ سيد قطب فى الظلال :

فى قوله تعالى : ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ... ﴾

مشهدهم المصور لهيئتهم الجسدية ومشاعرهم القلبية فى لمحة واحدة فى التعبير العجيب الذى يكاد يجسم حركة الأجسام والقلوب ، إنهم يقومون لصلاة الليل .. صلاة العشاء الآخرة ـ الوتر ويتهجدون بالصلاة ، ودعاء الله ، ولكن التعبير القرآنى يعبر عن هذا القيام بطريقة أخرى ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ فيرسم صورة المضاجع فى الليل تدعو الجنوب إلى الرقاد والراحة والتذاذ المنام ولكن هذه الجنوب لا تستجيب ، وإن كانت تبذل جهدا فى مقاومة دعوة المضاجع المشتهاة ، لأن لها شغلا عن المضاجع اللينة ، والرقاد اللذيذ ، شغلا بربها ، شغلا بالوقوف فى حضرته ، وبالتوجه إليه فى خشية ، وفى

---

(١) لطائف الإشارات ص ١٤٤ ، ١٧١ .

طمع ، ينازعها الخوف والرجاء .. الخوف من عذاب الله والرجاء فى رحمته ، الخوف من غضبه والطمع فى رضاه ، والخوف من معصيته والطمع فى توفيقه .

والتعبير يصور هذه المشاعر المرتجفة فى الضمير بلمسة واحدة حتى لكأنها مجسمة ملموسة ﴿ **يدعون ربهم خوفا وطمعا** ﴾ وهُمْ إلى جانب هذه الحساسية المرهفة والصلاة الخاشعة والدعاء الحار يؤدون واجبهم للجماعة المسلمة طاعة لله وزكاة .. ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾

هذه الصورة المشرقة الوضيئة الشفيفة ترافقها صورة للجزاء الرفيع الخاص الفريد ... الجزاء الذى تتجلى فيه ظلال الرعاية الخاصة ، والإعزاز الذاتى والإكرام الإلهى والحفاوة الربانية بهذه النفوس » أ هـ[1] .

ثم قال رحمه الله تحت قوله ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى من قرة أعين ...** ﴾ :

تعبير عجيب يشى بحفاوة الله سبحانه بالقوم ، وتوليه بذاته العلية إعداد المذخور الذى لا يطلع عليه أحد سواه ، والذى يظل عنده خاصة مستورا حتى يكشف لأصحابه عنه يوم لقائه عند لقياه ، وإنها لصورة وضيئة لهذا اللقاء الحبيب الكريم فى حضرة الله .

يالله .. كم ذا يفيض الله على عباده من كرمه ، وكم ذا يغمرهم سبحانه بفضله .

ومَنْ هُمْ ــ كائنا ماكان عملهم وعبادتهم وطاعتهم وتطلعهم حتى يتولى الله جل جلاله إعداد ما يدّخره لهم من جزاء فى عناية ورعاية وود واحتفال لولا أنه فضل الله الكريم المنّان[2]

---

(١) فى ظلال القرآن ص ١٠٦ ، ١٠٧ ..

(٢) الظلال ص ١٠٧ .

الآيــة الثانيــة

قال تعالى :

﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون﴾[1] .

● قال الحافظ ابن حجر : « قال الخليل : هجع يهجع هجوعا وهو النوم بالليل دون النهار »[2] .

● وقال القرطبي : « الهجوع : النوم ليلا ، والتّهجاع : النومة الخفيفة قال أبو قيس بن الأَسْلَتْ :

قد حَصَّتِ البيضةُ رأسى فما أطعم نوما غير تهجاع

وقال عمرو بن معدى كرب يتشوق إلى أخته وكان أسرها الصِّمَّة أبو دُرَيد بن الصمة :

أمِنْ رَيْحَانَةَ الداعى السميع

يؤرقنى وأصحابى هجوع

قال الجوهرى : هجع يَهْجَع هُجوعا ، وهَبَغَ يَهْبَغُ هُبوغا بالعين المعجمة إذا نام .

● واختُلِف فى « ما »

● فقيل « ما » صلة زائدة قاله إبراهيم النخعى[3]

والتقدير : كانوا قليلا من الليل يهجعون ، أى ينامون قليلا من الليل ويصلون أكثره .

● وقيل « ما » للنفى وهو نفى النوم عنهم البتة

---

(١) الذاريات الآيات ١٧ ، ١٨ .

(٢) فتح البارى – كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل جـ ٣ ص ٣٦ .

(٣) القرطبى ص ٦٢٠٥ – ٦٢٠٦ .

« ولا مساغ لجعل ما نافية لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدًا لم أضرب ولا تقول زيدًا ما ضربت[1] .

● قال الأحنف بن قيس : «كانوا لا يناموون إلا قليلا ـ لست من أهل هذه الآية »

وقال أيضاً رحمه الله « عرضت عملى على أعمال أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بونا بعيدا لا نبلغ أعمالهم ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾[2] .

● روى محمد بن نصر المروزى رحمه الله عن أنس أن قوله تعالى ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ نزلت فيمن كان يصلى بين المغرب والعشاء »[3] وقال : ممن كان يصلى ما بين المغرب والعشاء من الصحابة : ابن مسعود وابن عمرو وسلمان الفارسى وابن عمر وأنس فى ناس من الأنصار » أ هـ .

● وروى ابن جرير عن أنس القول السابق .

● وعن مطرف : قلّ ليلة أتت عليهم ، إلا صلوا فيها من أولها أو من وسطها .

● وعن الحسن قال : لا ينامون من الليل إلا أقله كابدوا قيام الليل .

● وعن الضحّاك : أن الوقف على قوله تعالى ﴿كانوا قليلا﴾ أى أن المحسنين كانوا قليلا ، ثم ابتدىء فقيل ﴿من الليل ما يهجعون﴾ و « ما » نافية أى لا يهجعون .

● قال ابن كثير رحمه الله : هذا القول فيه تعسف .

● قال ابن جرير رحمه الله : « وأّولى الأقوال بالصحة فى تأويل ﴿كانوا قليلا ...﴾ قول من قال كانوا قليلا من الليل هجوعهم ، لأن الله وصفهم بذلك مدحا لهم وأثنى عليهم به ، فوصفهم بكثرة العمل وسهر الليل ومكابدته

---

(١) انظر الكشاف وتفسير أبي السعود جـ ٥ ص ١٠١ .

(٢) القرطبى ص ٦٢٠٨ .

(٣) سنده صحيح قال ذلك العراق أنظر عون المعبود ٢٠٤/٤ طبع السلفية بالمدينة المنورة .

فيما يقربهم منه ، ويرضيه عنهم أولى وأشبه ممّن وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم مع أن الذى ذكرنا هو أغلب المعانى على ظاهر التنزيل »

والقول الذى رجحه الطبرى هو قول الحسن والأحنف وإبراهيم النخعى .

● « قال ابن التين : وعلى هذا تكون « ما » زائدة أو مصدرية وهو أبين الأقوال وأقعدها بكلام أهل اللغة »(١)

● قال أبو السعود رحمه الله : ﴿**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون**﴾

« وفيه مبالغات مع تقليل نومهم واستراحتهم ، ذكر القليل من الليل الذى هو وقت الراحة ، والهجوع الذى هو الفرار من النوم »(٢) .

● قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : قال رجل من بنى تميم لأبى : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ، ذكر الله قوما فقال ﴿**كانوا قليلا من الليل ما يهجعون**﴾ ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم .

فقال له أبى : طوبى لمن رقد إذا نعس واتقى الله إذا استيقظ

وكـيـف تـنـام الـعين وهى قـريـرة
ولم تـدر فى أىّ المجالس تـنـزل ؟

قوله تعالى : ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ .

قال ابن زيد : السحر هو السدس الأخير من الليل .

وذكر بعض أهل العلم أن الساعة التى تفتح فيها أبواب الجنة : السحر .

لطيفـــة :

قال القاسمى : « قال الزمخشرى فى « أساس البلاغة » إنما سمى « السحر »

---

(١) فتح البارى كتاب التهجد جـ ٣ ص ٣٦ .

(٢) أبو السعود جـ ٥ ص ١٠١ .

استعارة لأنه وقت إدبار الليل وإقبال النهار ، فهو متنفس الصبح »[1] أ هـ .

• قال بعض أهل العلم : إن يعقوب أخر الاستغفار لبنيه إلى وقت السحر .

• قال أبو السعود : في قوله تعالى ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ :

« أي هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار في الأسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم .

وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه »[2] .

• قال القشيري : « ينزلون أنفسهم في الأسحار منزلة العاصين فيستغفرون استصغارا لقدرهم واستحقارًا لفعلهم »[3] .

لطيفـــة :

قال القاسمي رحمه الله : « في هذه الجملة الكريمة مبالغات في وصف هؤلاء بقلة النوم وترك الإستراحة ، ولذلك ذكر القليل من الليل الذي هو وقت النوم ، والهجوع الذي هو الخفيف من النوم .

وزيادة « ما » لا تدل على القلة .

وبالجملة فني الآية استحباب قيام الليل وذم نومه كله .

قال الرازي : في الآية إشارة إلى أنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون ثم يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه فيستغفرون من التقصير ، وهذا سيرة الكريم : يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير ، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمنّ به .

• وفيه وجه آخر ألطف منه : وهو أنّه تعالى لمّا بيّن أنهم يهجعون قليلا ،

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي ص ٥٥٢٨ .

(٢) تفسير أبي السعود جـ ٥ ص ١٠١ .

(٣) لطائف الإشارات جـ ٦ ص ٣١ .

والهجوع مقتضى الطبع ، قال ﴿ **يستغفرون** ﴾ أى من ذلك القدر من النوم القليل .

● وفيه لطيفة أخرى نبيّنها فى جواب سؤال :

وهو أنه تعالى مدحهم بقلة الهجوع ، ولم يمدحهم بكثرة السهر ، وما قال : كانوا قليلا من الليل ما يسهرون فما الحكمة فيه ؟ مع أن السهر هو الكلفة والاجتهاد ، لا الهجوع ؟ نقول : إشارة إلى أن نومهم عبادة ، حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلا ، وذلك الهجوع أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى ، وهو الإستغفار فى وجوه الأسحار ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم والاستكبار .

ثم قال القاسمى أيضاً رحمه الله :

« والاستغفار يحتمل طلب المغفرة بالذكر بقولهم : ربنا اغفر لنا ، وطلب المغفرة بالفعل أى بالأسحار يأتون بفعل آخر طلبا للغفران وهو الصلاة والأول أظهر والثانى عند المفسرين أشهر »

« ويؤيد الثانى : الإشارة إلى الزكاة فى الآية بعدها ، والزكاة قرينة الصلاة فى كثير من الآيات .

وسر التعبير عن الصلاة بالاستغفار الإشارة إلى أنه ركنها المهم فى التهجد بل وفى غيره ، فيكون من إطلاق الجزء على الكل .

وقد ذكر فى أذكار الصلاة الاستغفار فى مواضع منها كالركوع والسجود وكان ﷺ يطيل الركوع والسجود فى التهجد لذلك »[1] أ هـ .

ملحوظة : سنتكلم عن المقصود بالاستغفار بالأسحار فيما بعد .

● قال الشيخ سيد قطب فى ظلال هاتين الآيتين : ﴿ **كانوا قليلا من ..** ﴾

« على هذه الضفة يرتسم مشهد لفريق مستيقن لا يخرص ، تقى لا يتبجح ،

---

(١) محاسن التأويل ص ٥٥٢٧ .

مستيقظ يعبد ويستغفر ، ولا يقضى العمر فى غمرة وذهول ، هذا الفريق فريق المتقين الأيقاظ .. الشديدى الحساسية برقابة الله لهم .. ورقابتهم لأنفسهم .

يصور إحساناتهم صورة خاشعة رفافة حساسة ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون﴾ فهم الأيقاظ فى جنح الليل والناس نيام .. المتوجهون إلى ربهم بالاستغفار والاسترحام ، لا يطعمون الكرى إلا قليلا ، ولا يهجعون فى ليلهم إلا يسيرا ، يأنسون بربهم فى جوف الليل فتتجافى جنوبهم عن المضاجع ، ويخف بهم التطلع فلا يثقلهم المنام ، فهى حال يتطلع إليها رجال من التابعين ذوى المكانة فى الإيمان واليقين ، ويجدون أنفسهم دونها .. اختص بها ناس ممن اختارهم الله ، ووفقهم إلى القيام بحقها ، وكتبهم بها عنده من المحسنين »[1] اهـ .

---

(1) الظلال ص ١١ ، ١٣ .

الآيــة الثالثــة

قال تعالى :

﴿ والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيامًا ﴾[1] .

• قال القرطبي رحمه الله :

« قال الزجاج : بات الرجل يبيت إذا أدركه الليل ، نام أو لم ينم .

قال زهير :

فبتنا قياما عند رأس جوادنا
يزاولنا عن نفسه ونزاوله

ونسب إلى ابن عباس : « من صلى ركعتين أو أكثر بعد صلاة العشاء فقد بات لله ساجدا وقائمًا » .

وقال الكلبي : من أقام ركعتين بعد المغرب وأربعا بعد العشاء فقد بات ساجدا وقائما .

وأنشدوا فى صفة الأولياء :

امنع جفونك أن تذوق مناما
واذر الدموع على الخدود سجاما
واعلم بأنك ميت ومحاسب
يا من على سخط الجليل أقاما
لله قوم أخلصوا فى حبه
فرضى بهم واختصّهم خدّاما
قوم إذا جنّ الظلام عليهمُ

---

(1) الفرقان الآية ٦٤ .

باتوا هنالك سجدا وقياما
خمص البطون من التعفف ضمرا
لا يعرفون سوى الحلال طعاما

ثم أضاف القرطبي في قوله تعالى ﴿ **والذين يقولون ربنا اصرف عنّا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما** ﴾ قال « أي هم مع طاعتهم مشفقون وجلون من عذاب الله » .

قال ابن عباس : يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم »[1] .

قال الزمخشري في « الكشّاف » :

[« البيتوتة » خلاف الظلول ، وهو أن يدركك الليل نمت أو لم تنم .
وقالوا : من قرأ شيئا في صلاته وإن قلّ فقد بات ساجدا وقائما

- وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء

والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائما ويبيت قائما ، وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه إيذانا بأنهم مع اجتهادهم خائفون مبتهلون إلى الله في صرف العذاب عنهم كقوله تعالى ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ....** ﴾ الآية][2] أ هـ .

- قال أبو السعود رحمه الله :

﴿ **والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** ﴾ تقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل »[3] .

- **لطيفة للقشيري :**

قال رحمه الله :

---

(۱) القرطبي جـ ٧ ص ٤٧٨٧ ـ ٤٧٨٨ .
(۲) الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٩٩ .
(۳) إرشاد العقل السليم جـ ٤ ص ٩٨ .

« يبيتون لربهم ساجدين ، ويصبحون واجدين ، فوجد صباحهم ثمرات وجود أرواحهم ، وأحسن الأشياء ظاهر بالسجود مُحَسَّن ، وباطن بالوجود مزين ، ويقال متصفين بالسجود قياما بآداب الوجود .

﴿ والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنّم ﴾ : يجتهدون غاية الإجتهاد ويستفرغون نهاية الوسع ، وعند السؤال ينزلون منزلة العصاة ، ويقفون موقف أهل الاعتذار ، ويخاطبون بلسان التنصل :

وما رمت الدخول عليه حتى
حللت محلة العبد الذليل

سجدوا بظواهرهم فى المحراب ، وفى سرائرهم على تراب الخضوع وبساط الخشوع إبنعت الذبول وحكم الخمود »[1] أ هـ .

● قال القاسمى رحمه الله :

﴿ والذين يبيتون لربهم ﴾ إشارة إلى الإخلاص فى أدائها وابتغاء وجهه الكريم لما أن ذلك هو الذى يستتبع أثرها من العمل الصالح وفعل الخير وحفظ حدود الله »[2] .

● قال الشيخ سيد قطب رحمه الله :

« يبرز الله عز وجل عباده ، عباد الرحمن بصفاتهم المميزة ومقوماتهم الخاصة ، وكأنهم خلاصة البشرية فى نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال ، بين البشرية الجاحدة المشاقة ، والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية ، وكأنما هم الثمرة الجَنية لذلك الجهاد الشاق الطويل والعزاء المريح لحملة الهدى فيما لاقوه من جحود وصلادة وإعراض .

﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾ :

---

(١) لطائف الإشارات جـ ٤ ص ٣٢١ .
(٢) محاسن التأويل للقاسمى جـ ١٢ ص ٤٥٨٩ طبع عيسى الحلبى .

والتعبير يبرز من الصلاة السجود والقيام لتصوير حركة عباد الرحمن فى جنح الليل والناس نيام ... فهؤلاء قوم يبيتون لربهم سجدا وقياما ، يتوجهون لربهم وحده ، ويقومون له وحده ، ويسجدون له وحده .

هؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع ، مشغولون بالتوجه إلى ربهم ، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به ، ينام الناس وهم قائمون ساجدون ويخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن ذى الجلال والإكرام ، وهم فى قيامهم وسجودهم وتطلعهم وتعلقهم تمتلىء قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم يقولون ﴿ **ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما** ﴾ وما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها ، وتمثلوا صورتها مما جاءهم فى القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله الكريم ، فهذا الخوف النبيل ، إنما هو ثمرة الإيمان العميق وثمرة التصديق ، وهم يتوجهون إلى ربهم فى ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجدا وقياما ، فهم لِمَا يخالجُ قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم ولا يرون فيها ضمانا ولا أمانا من النار إن لم يتداركهم فضل الله وسماحته وعفوه ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم »[1] .

الآيـــة الرابعـــة

قال تعالى :

﴿ يا أيها المزمل . قم الليل إلا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا . إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا . إن لك فى النهار سبحا طويلا . واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴾[2] .

(١) الظلال جـ٣ ص ٥٥ .

(٢) سورة المزمل الآيات من ١ ــ ٨ .

• قال ابن جرير الطبرى رحمه الله :

يعنى بقوله ﴿ يا أيها المزمّل ﴾ هو الملتف بثيابه وإنما عنى به نبى الله ﷺ ، واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله به نبيه فى هذه الآية من التزمل :

• فقال بعضهم : وصفه بأنه متزمل فى ثيابه .. متأهب للصلاة . عن قتادة : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ أى المتزمل فى ثيابه .

• وقال آخرون : وصفه بأنه متزمل النبوة والرسالة . عن عكرمة قال : زُمِّلتَ هذا الأمر فقم به .

• قال أبو جعفر : والذى هو أولى القولين بتأويل ذلك ، ما قاله قتادة لأنه قد عقبه بقوله ﴿ قم الليل ﴾ فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمل بالثياب للصلاة وأن ذلك أظهر معنييه »[1] .

• قال القرطبى رحمه الله :

« قوله تعالى : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ قال الأخفش وسعيد : « المزمل » أصله المتزمّل فأدغمت التاى فى الزاى ، وكذلك « المدثر » وقرأ أبىّ بن كعب على الأصل « المتزمل » و « المتدثر » وسعيد « المزمّل »

وفى أصل « المزمّل » قولان :

أحدهما : أنه المتحمل ، يقال : زَمَل الشىء إذا حمله ، ومنه الزّاملة لأنها تحمل القُمَاش[2]

الثانى : أن المزّمل : هو المتلّفف : يقال تزمّل وتدثّر بثوبه إذا تغطّى ، وزمّل غيره إذا غطّاه ، وكل شىء لُفّف فقد زُمِّل ودُثّر ، قال امرؤ القيس :

كـــأن أبــانــا فى أفـــانين ودقــه
كـبـيــرُ أنــاسٍ فى بِــجَــادٍ مُــزَمَّــلِ

(١) الطبرى جـ ٢٩ ص ١٢٤ .

(٢) قماش البيت : متاعه .

ثم أضاف القرطبي :

قوله تعالى : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ وفيه ثلاثة أقوال :

الأول : قول عكرمة ﴿ يا أيها المزمل ﴾ بالنبوة والملتزم بالرسالة ، وعنه أيضا يا أيها الذى زُمِّل هذا الأمر أى حُمِّله ثم فتر وكان يقرأ ﴿ يا أيها المُزَمَّل ﴾ بتخفيف الزاى وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول ، وكذلك « المُدَثَّر » والمعنى المزمِّل نفسه والمدثِّر نفسه ، أو الذى زَمّله غيره .

والثانى : ﴿ يا أيها المزمل ﴾ بالقرآن قاله ابن عباس[1]

الثالث : المزمل بثيابه قاله قتادة وغيره .

قال النخعى : كان متزملا بقطيفة

وقال الضحاك : تزمل بثيابه لمنامه

وقالت الحكماء : إنما خاطبه بالمزمّل والمدثّر فى أول الأمر لأنه لم يكن بعد ادثر شيئا من تبليغ الرسالة .

قال ابن العربى : « واختلف فى تأويل يا أيها المزمل » فنهم من حمله على حقيقته فقيل له « يا من تلفق فى ثيابه أو فى قطيفته قم ، قاله إبراهيم وقتادة . ومنهم من حمله على المجاز كأنه قيل له : يا من تزمل بالنبوة ، قاله عكرمة وإنما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذى لم يسم فاعله ، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل »

قلت ـ القرطبي ـ وقد بينا أنها على حذف المفعول ، وقد قرىء بها فهى صحيحة المعنى . قال : وأما من قال إنه زمل القرآن فهو صحيح فى المجاز لكنه قد قدمنا أنه لا يحتاج إليه .

---

(١) قال ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى : عن ابن عباس قال ﴿ يا أيها المزمل ﴾ أى يا محمد قد زملت القرآن فكأن الأصل يا أيها المتزمل .

وأضاف القرطبي :

قال السهيلي : ليس المزمّل باسم من أسماء النبي ﷺ ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدّوه في أسمائه ، وإنما المزمّل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب ، وكذلك المدثّر ، وفي خطابه بهذا الإسم فائدتان :

إحداهما : الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب وقال له: « قم يا أبا التراب إشعارًا له أنه غير عاتب عليه وملاطفة له ، وكذلك قول النبي عليه السلام لحذيفة « قم يانومان » وكان نائمًا ملاطفة له وإشعارًا الترك بالعتب والتأنيب فقول الله تعالى لمحمد ﷺ ﴿ **يا أيها المزمل قم** ﴾ فيه تأنيس وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه .

والفائدة الثانية : التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه ، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة »[1] أ هـ .

- قال أبو السعود :

فالتعرض للوصف حينئذ للإشعار بعليته للقيام أو للأمر به فإن تحميله عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الإجتهاد في العبادة »[2] .

- قال القاسمي رحمه الله في تفسيره : « خوطب عليه الصلاة والسلام بحكاية

(١) القرطبي جـ١٠ ص ٦٨٢٣ ـ ٦٨٢٥ . (٢) إرشاد العقل السليم جـ ٥ ص ٢٠٤ .

(٣) محاسن التأويل ٥٩٥٨/١٦ .

حاله وقت نزول الوحى ، ملاطفة وتأنيسا وتنشيطا للتشمير لقيام الليل ، وقيل معناه المتحمل أعباء النبوة ، من تزمل الزِّمْل إذا تحمل الحمل ففيه استعارة شبه إجراء التبليغ بتحمل الحمل الثقيل بجامع المشقة .

قال الشهاب : وأورد عليه أنه مع صحة المعنى الحقيقى واعتضاده بالأحاديث الصحيحة لا وجه لادعاء التجوز فيه ، وقد يجاب بأن الأحاديث رويت فى نزول سورة « المدثر » لا فى هذه السورة ، إلا أن يقال : هما بمعنى واحد »[٣] .

قوله تعالى ﴿ قم الليل إلا قليلا ﴾ إلى قوله ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ .

● قال ابن جرير الطبرى فى تفسيره :

[« وقوله » ﴿ **قم الليل إلا قليلا** ﴾ يقول تعالى لنبيه ﷺ قم الليل يا محمد كله إلا قليلا منه

(نصفه) يقول : قم نصف الليل

(أو انقص منه قليلا أو زد عليه) يقول : أو زد عليه ، خيّره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أىّ ذلك شاء فعل ، فكان رسول الله ﷺ وأصحابه فيما ذكر يقومون الليل نحو قيامهم فى شهر رمضان ، فيما ذكر حتى خفف ذلك عنهم .

قال المروزى : قال ابن عباس : لما نزلت أول المزمل ، كانوا يقومون نحوا

من قيامهم فى شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها سنة »](١،٢)

• وعن الحسن : « إن الله لما أنزل هذه السورة وكان بين أولها وآخرها سنة ﴿ **يا أيها المزمل** ﴾ حتى بلغ ﴿ **لمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا** ﴾ ، ثم أنزل الله بعد سنة ﴿ **إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك** ﴾ قال : لا والله ما كل القوم قام بها قال ﴿ **والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم** ﴾ فبكى الحسن عند ذلك وقال : الحمد لله الذى جعل قيام الليل تطوعا بعد فريضة ، ﴿ **علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله**﴾ حتى بلغ ﴿**فاقرءوا ما تيسر منه**﴾ قال: ولا بد من قيام الليل . قال ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ قال : فريضتان لا صلاح للأعمال إلا بهما » .

• وعن أبى عبد الرحمن السلمى : لما نزلت ﴿ **يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا** ﴾ قام رسول الله ﷺ وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت ﴿**إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**﴾ حتى بلغ ﴿ **فاقرءوا ما تيسر من القرآن** ﴾(٣).

• وعن قتادة : « افترض الله قيام الليل فى أول هذه السورة فقام رسول الله

---

(١) تفسير الطبرى .

(٢) قال مقبل بن هادى الوادعى فى أسباب النزول ص ١٦٦ « الحديث رجاله رجال الصحيح إلا أحمد بن محمد المروزى أبو الحسن بن شبرية وهو ثقات وأخرجه ابن جرير ورجاله رجال الصحيح وأخرجه ابن أبى حاتم ، كما فى تفسير ابن كثير ٤/٤٣٦ ورجاله رجال الصحيح » أ هـ .

(٣) مختصر قيام الليل للمقريزى وأصل قيام الليل لمحمد بن نصر المروزى قال ابن حجر فى الفتح « وكذا أخرج المروزى عن أبى عبد الرحمن السلمى والحسن وعكرمة وقتادة بأسانيد صحيحة عنهم » فتح البارى جـ ٣ التهجد ص ٢٨ ، طبعة السلفية .

ﷺ وأصحابه حولا ، فأمسك الله خاتمتها فى السماء اثنى عشر شهرا ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضة قال ﴿ عَلِم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله ﴾. الآية فنسخت هذه الآية ماكان قبلها .

● وعن عكرمة قال : « لبثوا بذلك سنة فشق عليهم وتورمت أقدامهم ثم نسختها آخر السورة قوله ﴿ فاقرءوا ما تيسر منه ﴾ .اهـ .

● قال القرطبى رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ قم الليل ﴾ قراءة العامة بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرأ أبو السَّمَّال بضم الميم إتباعا لضمة القاف ، وحكى الفتح لخفته .

قال عثمان بن جنى : الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هربا من التقاء الساكنين فبأى حركة تحركت فقد وقع الغرض . وهو من الأفعال القاصرة غير المتعدية إلى المفعول ، فأما ظرف الزمان والمكان فسائغ فيه إلا أن ظرف المكان لا يتعدى إليه إلا بواسطة ، لا تقول قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار .

وقد قيل أن « قم » هنا معناه صَلِّ ، عبر به عنه واستعير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال .

قال القرطبى : « الليل » حد الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .

● واختلف هل كان قيامه فرضا وحتما ، أو كان ندبا وحضّا ، والدلائل تقوى أن قيامه كان حتما وفرضا ، وذلك أن الندب والحضّ لا يقع على بعض الليل دون بعض ، لأن قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون وقت ، وأيضا فقد جاء التوقيت بذلك عن عائشة وغيرها .

● واختلف أيضا : هل كان فرضا على النبى ﷺ وحده ، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء ، أو عليه وعلى أمته ، ثلاثة أقوال :

الأول : قول سعيد بن جبير ، لتوجه الخطاب إليه خاصة .

الثانى : قول ابن عباس كان قيام الليل فريضة على النبي ﷺ الأنبياء قبله .

الثالث : قول عائشة وابن عباس وهو الصحيح ، كما فى صحيح مسلم عن زرارة بن أوفى أن سعد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو فى سبيل الله ... الحديث ، وفيه فقلت لعائشة : أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ ؟ فقالت : ألست تقرأ ﴿ يا أيها المزمل ﴾ قلت : بلى ؛ قالت فإن الله عز وجل افترض قيام الليل فى أول هذه السورة فقام ﷺ وأصحابه حولا ، وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء حتى أنزل الله عز وجل فى آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة ، وذكر الحديث .

ثم أضاف رحمه الله :

قوله تعالى ﴿ إلا قليلا ﴾ استثناء من الليل ، أى صلّ الليل كله إلا يسيرا منه لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن ، فاستثنى منه القليل لراحة الجسد . والقليل من الشيء ما دون النصف ثم قال تعالى : ﴿ نصفه أو انقص منه قليلا ﴾ فكان ذلك تخفيفا . إذ لم يكن زمان القيام محدودا ، فقام الناس حتى ورمت أقدامهم ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾ . وقال الأخفش : « نصفه » أى أو نصفه ؛ يقال : أعطه درهما درهمين ثلاثة يريد أو درهمين أو ثلاثة .

وقال الزجاج : « نصفه » بدل من الليل ، و « إلا قليلا » استثناء من

النصف . والضمير فى « منه » و « عليه » للنصف ، والمعنى : « قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث ، أو زد عليه قليلا إلى الثلثين ؛ فكأنه قال : قم ثلثى الليل أو نصفه أو ثلثه . وقيل : إن « نصفه » بدل من قوله « قليلا »[1] وكان مخيّرا بين ثلاث : بين قيام النصف بتمامه ، وبين الناقص منه ، وبين قيام الزائد عليه كأن تقدير الكلام : قم الليل إلا نصفه ، أو أقل من نصفه أو أكثر من نصفه .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك أنا الملك ، من ذا الذى يدعونى فاستجيب له ، من ذا الذى يسألنى فأعطيه ، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر » ونحوه عن أبى هريرة وأبى سعيد جميعا وهو يدل على ترغيب قيام ثلثى الليل .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « **إذا مضى شطر الليل ــ أو ثلثاه ــ ينزل الله** » الحديث رواه من طريقين عن أبى هريرة هكذا على الشك .

قال علماؤنا : « وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقرآن فإنهما يبصران من مشكاة واحدة »[2] أ هـ .

---

(١) بهذا القول جزم الطبرى كما قال ابن حجر فى الفتح ١٩/٣ .

(٢) القرطبى جـ ١٠ ص ٦٨٢٣ ــ ٦٨٢٥ .

● قال أبو السعود رحمه الله :

« التعبير عن النصف المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام ، والإيذان بفضله ، وكون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة إلى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر »[1] .

● قال القاسمى رحمه الله :

« قم الليل : أى فيه للصلاة ودع التزمل للهجوع ﴿ إلا قليلا ﴾ بحكم الضرورة للإستراحة ومصالح البدن ومهماته التى لا يمكن بقاؤه بدونها ، ثم قال : ولا يقال : كيف يكون النصف قليلا وهو مساوٍ للنصف الآخر؟ لأن القلة بالنسبة إلى الكل ، لا إلى عديله »[2] .

● جاء فى « تتمة أضواء البيان » :

« هذه الآية الكريمة وما بعدها بيان لمجمل قوله تعالى ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ الآية ، وفيها بيان لكيفية القيام وهو بترتيل القرآن »[3]

﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ :

● قال محمد بن نصر المروزى :

---

(١) إرشاد العقل السليم لأبى مسعود جـ ٥ ص ٢٠٤ .

(٢) محاسن التأويل للقاسمى جـ ١٦ ص ٥٩٥٨ .

(٣) أضواء البيان للشنقيطى ـ تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم تلميذ الشنقيطى جـ ٨ ص ٩ .

«عن ابن عباس قال بينه تبيينا .

وقرأ علقمة على عبد الله وكان حسن الصوت فقال : رتل فداك أبي وأمي فإنه زين القرآن .

وعن مجاهد : «ورتل القرآن ترتيلا : ترسل فيه ترسيلا »(١)

● قال القرطبي رحمه الله : قوله تعالى ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ أي لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه فى مهل وبيان مع تدبر المعانى .

وقال الضحاك : اقرأه حرفا حرفا . وقال مجاهد : أحبّ الناس فى القراءة إلى الله أعقلهم عنه .

والترتيل : التنضيد والتنسيق وحسن النظام ، ومنه ثغر رَتل ورَتِل بكسر العين وفتحها إذا كان حسن التنضيد وقال أبو بكر بن طاهر : تدبر فى لطائف خطابه ، وطالب نفسك بالقيام بأحكامه ، وقلبك بفهم معانيه ، وسرك بالإقبال عليه »(٢)

● قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ أي اقرأه مترسلا بتبيين الحروف وإشباع الحركات ، وروى مسلم من حديث حفصة « أن النبى ﷺ كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها »(٣)

● قال القاسمى رحمه الله : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ أي بيّنه تبيينا وترسّل فيه ترسلا

قال الزمخشرى : تبيين القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلوّ منه شبيها بالثغر المرتل ، وهو المفلج المشبه بنور

---

(١) مختصر قيام الليل للمقريزى،ص ١٠ .

(٢) القرطبى ص ٦٨٢٩ .

(٣) فتح البارى ـ كتاب التهجد جـ٣ ص ٢٨ .

الأقحوان ، وأن لا يهذه هذا ، ولا يسرده سردا .

تنبيه :

قال السيوطى : فى الآية استحباب ترتيل القراءة وأنه أفضل من الهذّبه وهو وانسح .

وقد ثبت فى السنة أنه ﷺ كان يقطع قراءته حرفا حرفا ، وأنها كانت مفسرة حرفا حرفا وأنه كان يقف على رؤوس الآى .

واستدل بالآية على أن الترتيل والتدبر ، مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها ، لأن المقصود من القرآن فهمه وتدبره والفقه فيه والعمل به .

قال ابن مسعود : « لا تهذّوا القرآن هذّ الشعر ، ولا تنثروه نثر الدقل ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة »(1)

● قال الشيخ عطية سالم فى « تتمة أضواء البيان » :

المسألة الثانية : « ما يذكره الفقهاء فى كيفية قيام الليل عامة هل الأفضل كثرة الركعات لكثرة السجود ، وحيث أن أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد ، أم طول القيام للقراءة ، حيث أن للقارىء بكل حرف عشر حسنات ، فهنا قوله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ نص على أن العبرة بترتيل القرآن ترتيلا ، وأكد بالمصدر تأكيد الإرادة هذا المعنى .

وفى الصحيح عن أنس : سئل عن قراءة رسول الله ﷺ قال : كانت مُدًّا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، يمد بسم الله ويمد الرحمن ، ويمد الرحيم .

ثم قال رحمه الله « إن للمد حدودا معلومة فى التجويد حسب تلقى القرآء رحمهم الله فما زاد عنها فهو تلاعب ، وما قلّ عنها فهو تقصير فى حق التلاوة .

وهذا الوصف هو الذى يتأتى منه الغرض من التلاوة وهو التدبر والتأمل ، كما

---

(1) محاسن التأويل جـ ١٦ ص ٥٩٥٩ .

فى قوله تعالى ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ ، كما أنه هو الوصف الذى يتأتى معه الغرض من تخشع القلب كما فى قوله تعالى : ﴿ الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾

ولا تتأثر به القلوب والجلود إلا إذا كان مرتلا ، فإذا كان هذا كالشعر أو الكلام العادى لما فهم ، وإذا كان مطربا كالأغانى لما أثر ، فوجب الترتيل كما بين ﷺ [1] .

قوله تعالى ﴿ إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾

● قال محمد بن نصر المروزى رحمه الله :

« قال الحسن : العمل به ، وفى رواية قال : ثقيلا فى الميزان يوم القيامة .

وقال قتادة : تثقل والله فرائضه وحدوده

وفى رواية : ليس يعنى قراءته ولكن فرائضه ، وسننه .

وقد تأول بعضهم أنه أراد ثقل الوحى على النبى ﷺ حين كان ينزل عليه »[2]

● وقال القرطبى : قوله تعالى ﴿ إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ هو متصل بما فرض من قيام الليل أى سنلقى عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا » يثقل حمله لأن الليل للمنام ، فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيأ له ذلك إلا بحمل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان ، فهو أمر يثقل على العبد ، وقيل : إنا سنوحى إليك القرآن وهو قول ثقيل يثقل العمل بشرائعه .

وقال مجاهد : حلاله وحرامه :

---

(١) تتمة أضواء البيان جـ ٨ ص ٦١٠ ، ٦١١ .

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٠ .

أبو العالية : ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام ، محمد بن كعب : ثقيلا على المنافقين ، وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسبّ آلهتهم والكشف عما حرفه أهل الكتاب .

السدى : ثقيل بمعنى كريم ، مأخوذ من قولهم : فلان ثقيل علىّ أى يكرم علىّ

الفرّاء : « ثقيلا » رزينا ليس بالخفيف السّفساف لأنه كلام ربنا ، وقال الحسين بن الفضيل : ثقيلا لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ، ونفس مزينة بالتوحيد .

وقال ابن زيد : هو والله ثقيل مبارك كما ثقل فى الدنيا يثقل فى الميزان يوم القيامة .

وقيل ثقيلا : أى ثابتا كثبوت الثقيل فى محله ، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبدا . وقيل هو القرآن نفسه

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا

قال ابن العربى : « وهذا أولى ، لأنه الحقيقة ، وقد جاء ﴿ **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « **بُعثت بالحنيفية السمحة** »[1]

● قال القشيرى رحمه الله : « ثقيلا سماعة على من جهده ، ويقال « ثقيلا بعبئه إلا على من أيد بقوة سماوية ورُقِىٌّ فى حجر التقريب »[2]

● قال القاسمى رحمه الله[3]: ﴿ **إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾ أى رصينا ،

---

(1) القرطبى ص ٦٨٣٠ ـ ٦٨٣١ .

(2) لطائف الإشارات جـ ٦ ص ٢٠٢ .

(3) محاسن التأويل ص ٥٩ .

لرزانة لفظه ، ومتانة معناه ، ورجحانه فيهما على ما عداه ، ولما كان الراجح من شأنه ذلك ، تجوّز بالثقيل عنه أو ثقيلا على المتأمّل فيه ، لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيلا تلقيه . وعلى كل فالجملة معللة للأمر بالترتيل وإن ثقله مما يستدعيه .

● جاء فى « تتمة أضواء البيان » :

[قد بيّن الله تعالى أن هذا الثقل قد يخففه الله على المؤمنين فى الصلاة فى قوله ﴿ **وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ وكذلك القرآن ثقيل على الكفار خفيف على المؤمنين محبب إليهم . وقد جاء فى الآثار أن بعض السلف كان يقوم الليل كله بسورة من سور القرآن تلذذا وارتياحا كما قال تعالى ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر** ﴾ فهو ثقيل فى وزنه ، ثقيل فى تكاليفه ، ولكن يخففه الله وييسره لمن هداه ووفقه إليه »]

قوله تعالى : ﴿ **إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا** ﴾

● قال ابن جرير : « يعنى جل وعز بقوله إن ناشئة الليل : إن ساعات الليل ، وكلّ ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل .

وقد اختلف أهل التأويل فى ذلك :

● قال ابن عباس : إن الليل كله ناشئة ، وقال مثله ابن الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ﴿ **إن ناشئة الليل** ﴾ قال بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا نشأ .

● عن أبى ميسرة : « نشأ » : قام ، وعن ابن أبى نجيح قال : إذا قام الرجل من الليل فهو ناشئة الليل .

● عن عكرمة فى قوله ﴿ **إن ناشئة الليل** ﴾ قال هو الليل كله .

● عن مجاهد قال : إذا قمت الليل فهو ناشئة .

● قال ابن زيد : « إن ناشئة الليل » قال قيام الليل ، قال : وأى ساعة من الليل قام فقد نشأ .

● عن مجاهد قال : أى الليل قمت فهو ناشئة

● قال الضحّاك : « إن ناشئة الليل » يعنى الليل كله ، وقال ابن عباس : الليل كله .

وقال آخرون : بل ذلك ماكان بعد العشاء ، فأما ماكان قبل العشاء فليس بناشئة .

● عن أبى مجلز فى قوله : « إن ناشئة الليل » قال : ما بعد العشاء ناشئة .

● قال أبو رجاء : ما بعد العشاء الآخرة .

● عن قتادة : ماكان بعد العشاء فهو ناشئة »

● قال محمد بن نصر المروزى :

● [عن معاوية بن قرة : إن ناشئة الليل : قيام الليل .

● وعن ثابت كان أنس يصلى ما بين المغرب والعشاء فقيل له ما هذه الصلاة قال : أما سمعتم قول الله : إنّ ناشئة الليل هذه ناشئة الليل .

● وعن علىّ بن الحسين : ناشئة الليل ما بين المغرب والعشاء .

● وعن ابن المنكدر وأبى حازم : ناشئة الليل ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء][1]

● قال محمد بن نصر : « وقد أنكر بعض أهل العلم بالعربية أن تكون الناشئة بلسان الحبشة لقول الله ﴿ **إنا جعلناه قرآنا عربيا** ﴾ وقال هى بلسان العرب ، وهى مأخوذة من قوله ﴿ **أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فى الحلية** ﴾ ومن قوله ﴿ **إنّا أنشأناهنّ**

(١) مختصر قيام الليل ص ١٤ ، ١٥ .

إنشاء ﴾ أى ابتدأناهنّ . ويقال : نشأت تنشأ نشأ أى ابتدأت وأقبلت شيئا بعد شىء ، وأنشأها الله فنشأت وانشأت فكأنه قال إن ساعات الليل الناشئة ، ومنه قوله ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى ﴾ يريد ابتداء خلقهم »

● قال القرطبي : [« قال العلماء : ناشئة الليل أى أوقاته وساعاته لأن أوقاته تنشأ أولا فأولا ، يقال : نشأ الشىء ينشأ إذا ابتدأ وأقبل شيئا بعد شىء فهو ناشىء وأنشأه الله فنشأ ، والمراد إن ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الإسم فالتأنيث للفظ ساعة ، لأن كل ساعة تحدث »

● وحول القول بأن نشأ بالحبشة ولسانها قام قال القرطبي :

« لعله أراد أن الكلمة عربية ولكنها شائعة فى كلام الحبشة غالبة عليهم ، وإلا فليس فى القرآن ما ليس فى لغة العرب » .

قال القرطبي : -

« المسألة الثانية : بيّن تعالى فى هذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار ، وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب للثواب . واختلف العلماء فى المراد بناشئة الليل .

● فقال ابن عمر وأنس بن مالك : هو ما بين المغرب والعشاء تمسكا بأن لفظ نشأ يعطى الإبتداء فكان بالأولية أحق ومنه قول الشاعر :

ولولا أنْ يُقالَ صَبَا نُصَيبٌ
لَقلتُ بِنَفْسِيَ النَّشْأُ الصِّغَارُ

وكان على بن الحسين يصلى بين المغرب والعشاء ويقول : هذه ناشئة الليل .

وقال عطاء وعكرمة : إنه بدء الليل .

وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : هى الليل كله ، لأنه ينشأ بعد النهار ، وهو الذى اختاره مالك بن أنس .

قال ابن العربى : وهو الذى يعطيه اللفظ وتقتضيه اللغة .

وقالت عائشة وابن عباس ومجاهد : إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ، ومن قام أول الليل قبل النوم فما قام ناشئة .

قال يمان وابن كيسان : هو القيام من آخر الليل .

وقال ابن عباس : كانت صلاتهم أول الليل ، وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدرى متى يستيقظ .

وفى الصحاح : ناشئة الليل أول ساعاته .

- وعن الحسن ومجاهد : هى ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح .

وعن الحسن أيضاً : ماكان بعد العشاء فهو ناشئة .

- ويقال : ما ينشأ فى الليل من الطاعات حكاه الجوهرى][1] أ هـ .

- قال الزمخشرى فى « الكشاف »

« النفس الناشئة بالليل التى تنشأ من مضجعها إلى العبادة أى تنهض وترتفع من نشأت السحابة إذا ارتفعت ، ونشأ من مكانه إذا نهض قال :

نشأنا إلى خوض يرى فيها السرى
وألصق منها مشرفات القماصر »[2]

- قال البخارى رحمه الله فى صحيحه :

« قال أبو عبد الله قال ابن عباس رضى الله عنهما : نشأ قام بالحبشية »[3]

قال الحافظ فى الفتح :ـ

[قال ابن عباس نشأ قام بالحبشية ، فيكون معنى قوله تعالى ﴿ **ناشئة**

---

(١) القرطبى ص ٦٨٣١ ـ ٦٨٣٢ .

(٢) الكشاف للزمخشرى جـ ٥ ص ١٧٦ .

(٣) البخارى ـ كتاب التهجد باب قيام النبى ﷺ من نومه وما نسخ من قيام الليل ٣/٢٧ .

الليل ﴾ أى قيام الليل ، وهذا التعليق وصله عبد بن حميد بإسناد صحيح عن سعيد بن جبير عنه أنه قال : إن ناشئة الليل هو كلام الحبشة نشأ قام .

وذهب الجمهور إلى أنه ليس فى القرآن شىء بغير العربية ، وقالوا : ما ورد من ذلك فهو من توافق اللغتين ، وعلى هذا فناشئة الليل مصدر بوزن فاعلة من نشأ إذا قام ، أو اسم فاعل أى النفس الناشئة بالليل أى التى تنشأ من مضجعها إلى العبادة أى تنهض .

وحكى أبو عبيد فى « الغريبين » أن كل ما حدث بالليل وبدا فهو ناشىء وقد نشأ .

وفى « المجاز » لأبى عبيدة : ناشئة الليل آناء الليل ناشئة بعد ناشئة .

قال ابن التين : والمعنى أن الساعات الناشئة من الليل ـ أى المقبلة بعضها فى أثر بعض ـ هى أشد](1)

قال القاسمى : « إن ناشئة الليل » أى نشأته وطبيعة خلقه ومظهره »

قوله تعالى : ﴿ **هى أشد وطئاً وأقوم قيلا** ﴾ .

قال ابن جرير :

« هى أشد وطئا : ناشئة الليل أشد ثباتا من النهار ، وأثبت فى القلب ، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار وحُكى عن العرب وَطِئنا الليل وَطْئا : إذا ساروا فيه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال من قال من أهل التأويل : ـ

- عن قتادة ﴿ **هى أشد وطئا** ﴾ : أى أثبت فى الخير ، وأبلغ فى الحفظ .
- عن ابن عباس : « ناشئة الليل » كانت صلاتهم أول الليل ، هى أشد وطئا : يقول هو أجدر أن تُحصوا ما فرض الله عليكم من القيام ، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ .

---

(1) فتح البارى ص ٢٩ جـ ٣ .

● قال ابن زيد فى قوله « هى أشد وطئا » :

[إن مصلى الليل القائم بالليل هى أشد وطئا : طمأنينة وأفرغ له قلبا ، وذلك أنه لا يعرض له حوائج ولا شىء .

وقالوا مواطأة للقول وفراغا للقلب .

وأقوم قيلا : وأصوب قراءة .

وقال ابن عباس : أدنى من أن تفقهوا القرآن .

قال ابن زيد : أقوم قراءة لفراغه من الدنيا » .

قال ابن جرير : إن قراءة الأكثر وَطئا بفتح الواو وسكون الطاء .

● قال محمد بن نصر المروزى :

عن الحسن قال : أثبت فى القراءة وأقوى على القراءة .

وعن مجاهد قال : مواطأة للقول وأفرغ للقلب .

● وعن الضحاك : قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار وأشد مواطأة بالليل منه بالنهار .

قال محمد بن نصر : —

« وأما قوله هى أشد وطئا فإن القرّاء اختلفوا فى قراءة هذا الحرف فقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وابن كثير وعاصم والأعمش وحمزة والكسائى وَطئا بفتح الواو مقصورة ، وكان ابن عامر وابن محيصن وأبو عمرو يقرؤها وِطاء مكسورة الواو ممدودة .

قال أبو عبيد : وهذه أحب إلىّ لأن التفسير يُصدّقها ، وإنما هى مواطأة السمع والبصر إيّاه إذا قام يصلى فى ظلمة الليل .

● وقال غير أبى عبيد من قرأها وطئا « أراد شدة الوطىء أى أن الصلاة فى ساعات الليل أشد وأثقل على المصلى من الصلاة فى ساعات النهار وهو من

قولهم » اشتدت على القوم وطأة سلطانهم « إذا ثقل عليهم ما يلزمهم به ويأخذهم به فأعلم الله نبيه ﷺ أن الثواب فى قيام الليل على قدر شدة الوطأة وثقلها ، ومن قرأ وطأ فهو مصدر لوطأت فلان على كذا وكذا مواطأة ووطأً .

وأقوم قيلا : أى أخلص للقول لأن الليل تهدأ عنه الأصوات وتنقطع فيه الحركات فيخلص القول ولا يكون دون تسمُّعه وتفهُّمه حائلٌ »](1)

● قال القرطبى :

[وطاءً بكسر الواو وفتح الطاء والمد ، واختاره أبو عبيد وَطْئًا : بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة ، واختاره أبو حاتم .

والمعنى أنها أثقل على المصلى من ساعات النهار وذلك أن الليل وقت منام وتودّع وإجمام ، فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة .
ومَنْ مدّ فهو مصدر : وأطأت وطاء ومواطأة أى وافقته .

● قال ابن زيد : واطأته الأمر مواطأة إذا وافقته من الوفاق ، وفلان يواطىء إسمه على إسمى ، وتواطئوا عليه أى توافقوا فالمعنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات قاله مجاهد وابن أبى مليكة وغيرهما .

وقال ابن عباس بمعناه : أى يواطىء السمع القلب ، قال الله تعالى : ﴿ **ليواطئوا عدة ما حرّم الله** ﴾ أى ليوافقوا .

وقيل : المعنى أشد مِهادا للتصرف فى التفكر والتدبر والوِطاء خلاف الغِطاء .
وقيل : « أشد وَطأً » بسكون الطاء وفتح الواو : أى أشد ثباتا من النهار فإن الليل يخلو فيه الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وألتى لما يلهى ويشغل

---

(١) محمد بن نصر المروزى ـ مختصر قيام الليل للمقريزى ص ١٤ ـ ١٥ .

القلب . والوطء الثبات تقول وطئت الأرض بقدمى .

وقال الأخفش : أشد قياما

وقال الفرّاء : أثبت قراءة وقياما ، وعنه : أثبت للعمل وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة ، والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع .

وقال الكلبى : أشد نشاطا للمصلى لأنه فى زمان راحته .

ثم أضاف القرطبى :

قوله تعالى ﴿ وأقوم قيلا ﴾ : أى القراءة بالليل أقوم منها بالنهار ، أى أشد استقامة واستمرارا على الصواب ، لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة ، فلا يضطرب على المصلى ما يقرؤه .

قال قتادة ومجاهد : أصوب للقراءة وأثبت للقول ، لأنه زمان التفهم .

وقال أبو على : « أقوم قيلا » أى أشد استقامة لفراغ البال بالليل . وقيل : أعجل إجابة للدعاة حكاه ابن شجرة .

وقال عكرمة : عبادة الليل أشد نشاطا ، وأتم إخلاصا ، وأكثر بركة .

وعن زيد بن أسلم : أجدر أن يتفقه فى القرآن][1] أ هـ .

● قال البخارى : (وِطاءً قال : مُواطأةً للقرآن أشد موافقة كسمعه وبصره وقلبه لِيُواطئوا : ليوافقوا .

قال الحافظ فى الفتح : قوله وطاء قال مواطأة للقرآن ... وقلبه وهذا وصله عبد بن حميد من طريق مجاهد . ﴿ وأقوم قيلا ﴾ : أبلغ فى الحفظ[2] .

● قال القاسمى رحمه الله :

---

(١) القرطبى ص ٦٨٣٢ ـ ٦٨٣٣ .

(٢) فتح البارى ٣ ، ٢٩٢٢٧ .

[« أشد وطئا » أى موافقة لما يراد منها من جمع الهم وهدوء البال . و « أقوم قيلا » أى أشد مقالا وأصوبه .

قال ابن قتيبة : لأن الليل تهدأ فيه الأصوات وتنقطع فيه الحركات ويخلص القول ولا يكون دون سمعه وتفهمه حائل .

ـ ونقل السيوطى عن الجاحظ قال : ناشئة الليل هى المعانى المستنبطة من القرآن بالليل .

أشد وطئا : أبين أثرا . وأقوم قيلا : أصحّ مما تخرجه الأفكار بالنهار ، لخلوّ السمع والبصر عن الاشتغال](1) .

● قال الشيخ عطية محمد سالم فى « تتمة أضواء البيان للشنقيطى » :

[إن ما تنشأه من قيام الليل أشد مواطأة للقلب ، وأقوم قيلا فى التلاوة والتدبر والتأمل وبالتالى والتأثر ، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى عليه من القول ، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة :

وقد سمعت من الشيخ رحمه الله تعالى علينا وعليه ـ يعنى الشيخ الشنقيطى رحمه الله ـ قوله : لا يثبت القرآن فى الصدر ، ولا يسهل حفظه ، وييسر فهمه إلا القيام به من جوف الليل ، وقد كان رحمه الله تعالى لا يترك ورده من الليل صيفا أو شتاء ، وقد أفاد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ فكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وهكذا هنا فإن ناشئة الليل كانت عونا له ﷺ على ما سيلقى عليه من ثقل القول](2) أ هـ .

---

(1) محاسن التأويل ص ٥٩٦٠ .

(2) تتمة أضواء البيان ص ٦١٣ ، ٦١٤ .

قوله تعالى : ﴿ إن لك فى النهار سبحا طويلا ﴾

• قال محمد بن نصر المروزى :

[قوله تعالى : ﴿ إن لك فى النهار سبحا طويلا ﴾ قال ابن عباس : النوم والفراغ .

وقال الضحاك ومجاهد والربيع بن أنس وقتادة : فراغا طويلا] (١)

• قال الطبرى رحمه الله :

[قوله تعالى ﴿ إن لك فى النهار سبحا طويلا ﴾ قال ابن زيد : لحوائجك فاجعل لدينك الليل]

• قال القرطبى : [سبحا : قراءة العامة بالحاء غير معجمة أى تصرفا فى حوائجك وإقبالا وإدبارا وذهابا ومجيئا .

والسبح : الجرى والدوران ، ومنه : السابح فى الماء ، لتقلبه بيديه ورجليه ، وفرس سابح شديد الجرى قال امرؤ القيس :

مِسَحٌ إذا ما السَّابِحاتُ على الوَنَى
أثرْن الغُبار بالكدِيدِ المُرَكَّلِ (٢)

ـ وقيل : السبح الفراغ ، أى إن لك فراغا للحاجات بالنهار .

ـ وذكر الخليل ﴿ إن لك ... سبحا ﴾ نوما والتسبح : التمدد وقرأ يحيى بن يَعْمُر وأبو وائل « سَبْخًا » بالخاء المعجمة .

قال المهدوى : ومعناه النوم روى ذلك عن القارئين بهذه القراءة ، وقيل معناه : الخفة والسعة والاستراحة . قال الشاعر :

---

(١) مختصر قيام الليل ص ١٥ .

(٢) مسح : معناه نصب الجرى نصبا ، الونى : الفتور ، الكديد : الموضع الغليظ ، المركل : الذى يركل بالأرجل ، والمعنى أن الخيل المسرعة إذا فترت فأثارت الغبار بأرجلها جرى هذا الفرس جريا سهلا كما يسح السحاب المطر .

فَسَبِّخْ عليك الهَمَّ واعلم بأنه
إذا قدَّر الرحمن شيئا فكائنُ

الأصمعى : يقال سبَّخ الله عنك الحمّى أى خففها
وسبخ الحرُّ : فتر وخفّ ، والتسبيخ : النوم الشديد .

● وأيضاً : التسبيخ : توسيع القطن والكتان والصوف وتنفيشها .
وقال ثعلب : السبخ بالخاء التردد والاضطراب ، والسبخ أيضا السكون .
وقال أبو عمرو : السبخ النوم والفراغ .
قلت : فعلى هذا يكون من الأضداد وتكون بمعنى السبح بالحاء غير المعجمة][1]

● قال أبو السعود : [إن لك فى النهار : سبحا طويلا : أى تقلبا وتصرفا فى مهاتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل ... وهذا بيان للداعى الخارجى إلى قيام الليل .

وقرىء سبخا : أى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه][2]

● قال الحافظ فى الفتح : [قوله ﴿ سبحا طويلا ﴾ أى فراغا : وصله ابن أبى حاتم عن ابن عباس وأبى العالية ومجاهد وغيرهم .
وعن السدى : سبحا طويلا أى تطوعا كثيرا كأنه جعله من السبحة وهى النافلة][3]

---

(١) القرطبى ص ٦٨٣٤ .
(٢) أبو السعود جـ ٥ ص ٢٠٥ .
(٣) فتح البارى جـ ٣ ص ٢٩ . يقال للمرأة : سبِّخى قطنك ، والسّبيخ من القطن ما يسبخ بعد الندْف أى يُلف لتغزله المرأة والقطعة منه سبيخة وكذلك من الصوف والوبر ، ويقال القطع القطن . سبائخ . قال الأخطل يصف القناص والكلاب :
فأرسلوهنّ يذرين التراب كما   يذرى سبائخ قطن ندْفُ أوتار

• قال القاسمي : [﴿ **إن لك فى النهار سبحا طويلاً** ﴾ أى تقلبا فى مهماتك واشتغالا بها فلهذا أمرت بقيام الليل. ﴿ **واذكر اسم ربك** ﴾ أى دُمْ على ذكره ليلا ونهارا .

قال الزمخشري : وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب : تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم مما كان رسول الله ﷺ يستغرق به ساعات ليله ونهاره][1] .

لطيفة للقشيرى : فى قوله تعالى ﴿ **يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا** ﴾

[يا أيها المتزمل بأعباء النبوة قم الليل ، يا أيها الذى يُخفى ما خصصناه به قم فأنذر فإنا نصرناك .

ويقال : قم بنا .. يا من جعلنا الليل ليسكن فيه كل الناس .. قم أنت فليسكن الكل ولتقم أنت .

ويُقال لمّا فرض عليه القيام أخبر عن نفسه لأجل أمته وإكراماً لشأنه وقدره .

ورتّل القرآن ترتيلا : ارتع بسرّك فى فهمه وتأنّ بلسانك فى قراءتك .

« إن ناشئة الليل .. هى أشد مواطأة للقلب وأقوم قيلا لأنها أبعد من الرياء ويكون فيها حضور القلب أتم وسكون السر أبلغ][2] .

كلمات للحياة : ـ

قال الشيخ سيد قطب حول آيات القيام فى سورة المزمل : كلمات أريجها أطيب من شذى الورود :

قال رحمه الله :

---

(١) محاسن التأويل ص ٥٩٦٠ .

(٢) لطائف الإشارات جـ٦ ص ٢٠٩ ، ٢١١ .

[« قيل لرسول الله ﷺ « قم » فقام .. وظل قائما بعدها أكثر من عشرين عاما لم يسترح .. ولم يسكن ولم يعش لنفسه ولا لأهله ... قام وظل قائما على دعوة الله .

﴿ يا أيها المزمل : قم ﴾ ...

إنها دعوة السماء .. وصوت الكبير المتعال . قم للأمر العظيم الذى ينتظرك والعبء الثقيل المهيأ لك .. قم للجهد والتعب والكد والتعبد . قم فقد مضى عهد النوم والراحة .. قم فتهيأ للأمر واستعد ..

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش فى البيت الهادىء والحضن الدافىء .. لتدفع به فى الخضم .. بين الزعازع والأنواء .. وبين الشد والجذب فى ضمائر الناس وفى واقع الحياة سواء .

إن الذى يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا ولكنه يعيش صغيراً ويموت صغيراً ..... فأما الكبير الذى يحمل هذا العبء الكبير فماله والنوم ؟ وماله والراحة ؟ وماله والفراش الدافىء ؟ والعيش الهادىء ؟ والمتاع المريح ؟ ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدّره فقال لخديجة رضى الله عنها وهى تدعوه أن يطمئن وينام « **مضى عهد النوم يا خديجة** »

﴿ **يا أيها المزمل قم الليل** ﴾

إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة .. قيام الليل .. أكثر... أكثر من نصف الليل ودون ثلثيه .. وأقله ثلث الليل وكان هذا الإعداد للقول الثقيل الذى سينزله الله عليه ...

﴿ **إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾

هو هذا القرآن وما وراءه من التكاليف ... والقرآن فى مبناه ليس ثقيلا فهو ميسر للذكر ولكنه ثقيل فى ميزان الحق ، ثقيل فى أثره فى القلب ﴿ **لو أنزلنا هذا**

القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ﴾ فأنزله الله على قلب أثبت من الجبل يتلقاه.

وإن تلقى هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل..

وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقيل يحتاج إلى إستعداد طويل، وإن الإتصال بالملأ الأعلى وبروح الوجود وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذى تهيأ لرسول الله ﷺ لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الإستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا إرتياب ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية... والاتصال بالله وتلقى فيضه ونوره.. والأنس بالوحدة معه.. والخلوة إليه.. وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتنزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود فى لحظة الترتيل بلا لفظ بشرى ولا عبارة، واستقبال اشعاعاته وإيحاءاته، وإيقاعاته فى الليل الساجى.

إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذى ينتظر الرسول ﷺ، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة فى كل جيل، وينير القلب فى الطريق الشاق الطويل ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه فى الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير.

إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا:

إن مغالبة هواتف النوم، وجاذبية الفراش بعد كد النهار، أشد وطئا وأجهد للبدن ولكنه إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة الله، وإيثارا للأنس به، ومن ثمّ فإنها أقوم قيلا، لأن للذكر فيها حلاوته، وللصلاة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها، وإنها لتسكب فى القلب أنسا وراحة وشفافية ونورا،

قد لا يجدها فى صلاة النهار وذكره ، والله الذى خلق القلب يعلم مداخله وأوتاره ، ويعلم ما يتسرب إليه ، وما يوقع عليه ، وأى الأوقات فيها أكثر تفتحا واستعدادا وتهيؤا ، وأى الأسباب أعلق به وأشد تأثيرا فيه . والله سبحانه وتعالى وهو يعد عبده ورسوله محمدا ﷺ ليتلقى القول الثقيل وينهض بالعبء الجسيم اختار له قيام الليل .

﴿ إن لك فى النهار سبحا طويلا ﴾ : ـ

فلينقض النهار فى هذا السبح والنشاط ، وليخلص لربه فى الليل .. يقوم له بالصلاة والذكر والتبتل والانقطاع الكلى عما عدا الله ، والاتجاه الكلى إليه والحضور معه بكامل الحسّ والمشاعر فليس هناك إلا الله يتجه إليه من يريد الاتجاه .

إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ... :

﴿ علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرأوا ما تيسر من القرآن ﴾ :

إنها لمسة التخفيف الندية تمسح على التعب والنصب والمشقة ، ودعوة التيسير الإلهى على النبى ﷺ والمؤمنين ، وقد علم الله منه ومنهم خلوصهم إليه ، وقد انتفخت أقدامهم من القيام الطويل للصلاة بقدر من القرآن كبير ، وما كان الله يريد لنبيه ﷺ أن يشق بهذا القرآن والقيام ... إنما كان يريد أن يعده للأمر العظيم الذى سيواجهه طوال ما بقى له فى الحياة .

وفى الحديث مودة وتطمين « إن ربك يعلم ... وطائفة من الذين معك ... » : إنه رآك .. قيامك وصلاتك ، أنت وطائفة من الذين معك قُبلت فى ميزان الله .. إن ربك يعلم أنك وهم تجافت جنوبكم عن المضاجع وتركت دفء الفراش فى الليلة القارسة ولم تسمع نداء المضاجع المغرى وسمعت نداء الله » أ هـ (١) .

---

(١) فى ظلال القرآن ص ١٦٨ ـ ١٧٧ .

الآيـــة الخامســـة

قوله تعالى : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾[(١)]

● قال الطبرى رحمه الله :

[يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : ومن الليل فاسهر به بعد نومة يا محمد بالقرآن نافلة لك خالصة دون أمتك »

والتهجد : التيقظ والسهر بعد نومة الليل .

أما الهجود نفسه فالنوم كما قال الشاعر

ألا طـــرقـــتـــنـــا والـــرفـــاق هـــجـود
فـــبـــاتـــت بـــعـلاّت الـــنـوال تجود

وقال الحطيئة :

ألا طـــرقـت هِـــنْـــد الهنودِ وصـــحـــبتى
بِـــحَـوْران حَـوْرَانِ الجنـود هـــجـودُ

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ثم ذكر رحمه الله من قال ذلك من السلف وهم :

علقمة والأسود وعبد الرحمن بن الأسود والحجاج بن عمرو[(٢)]

روعن الحسن : التهجد ماكان بعد العشاء الآخرة »][(٣)]

● قال القرطبى رحمه الله :

[« ومن الليل » من للتبعيض ، فتهجد أى قم فتهجد به : أى بالقرآن

---

(١) الإسراء آية ٧٩ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ١٥ ص ١٤١ ـ ١٤٤ مصطفى الحلبى ـ الطبعة الثانية .

(٣) حديث الحجاج بن عمرو فى سنده ابن لهيعة وفيه مقال [انظر حاشية ابن عابدين ص ٤٦٠] .

والتهجد من الهجود وهو من الأضداد يقال هجد نام ، وهجد سهر على الضد .

قال الشاعر :

ألا زارت وأهـــل منى هـــجود
ولـــيت خـــيـــالها بمنى يـــعود

وهجد وتهجّد بمعنًى ، وهجّدته أى أنمته ، وهجّدته أى أيقظته .

والتهجد : التيقظ بعد رقدة فصار اسما للصلاة لأنه ينتبه لها . قال الحجاج ابن عمرو صاحب النبى ﷺ : « أيحسب أحدكم إذا قام من الليل كله أنه قد تهجد ، إنما التهجد الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة ، كذلك كانت صلاة رسول الله ﷺ »[1]

● وقيل الهجود : النوم

يقال تهجد الرجل إذا سهر وألقى الهجود وهو النوم

وهذا الفعل جارٍ مجرى تحوّب وتأثم وتحنث وتقذّر وتنجسّ إذا ألقى ذلك عن نفسه .

ومثله قوله تعالى ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ معناه تندّمون أى تطرحون الفكاهة عن أنفسكم وهى انبساط النفس وسرورها ،

والمعنى فى الآية : ووقتا من الليل اسهر به فى صلاةٍ وقراءة .

● قال العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادى :

« تهجد به » الضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو

(١) إسناده حسن : حسنّه ابن حجر فى تلخيص الحبير جـ ٢ رقم « ٢٤ » ولفظه فى تلخيص الحبير : « يحسب أحدكم إذا قام من الليل يصلى حتى يصبح أنه قد تهجد ، إنما التهجد أن يصلى الصلاة بعد رقدة ، ثم الصلاة بعد رقدة ، وتلك كانت صلاة رسول الله ﷺ . رواه ابن أبى خيثمة من طريق الأعرج عن كثير بن العباس عن الحجاج بن عمرو وفيه أبو صالح كاتب الليث وفيه لين ، ورواه الطبرانى وفى إسناده ابن لهيعة وقد اعتضدت روايته بالتى قبله . وقال الهيثمى فى الزوائد : رواه فى الكبير بإسناد صحيح ورجاله رجال الصحيح » أهـ .

للبعض المفهوم من قوله تعالى ﴿ ومن الليل ﴾ أى فتهجد فى ذلك البعض على أنّ الباء بمعنى فى »

ونحى رحمه الله منحى القرطبي فى أن تهجد جاءت على صيغة التفعل التى تجىء للإزالة كالتحرج والتأثم .

● قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح : ـ

[« قوله عز وجل ﴿ ومن الليل فتهجد به ﴾ زاد أبو ذر فى روايته «اسهر به» وفى المجاز لأبى عبيدة « قوله » فتهجد به : أى اسهر بصلاة .

وتفسير التهجد بالسهر معروف فى اللغة وهو من الأضداد حكاه الجوهرى وغيره ، ومنهم من فرق بينهما فقال : هجدت : نمت ، وتهجدت : سهرت حكاه أبو عبيدة وصاحب العين .

وقال ابن فارس : المتهجد المصلى ليلا

وقال كراع : التهجد صلاة الليل خاصة »][1] أ هـ .

● قوله ﴿ نافلة لك ﴾

قال ابن جرير الطبرى :

[وأما قوله نافلة لك : فإنه يقول : نفلا لك ، عن فرائضك التى فرضتها عليك .

واختلف فى المعنى الذى من أجله خص بذلك رسول الله ﷺ مع كون صلاة كل مصل بعد هجوده ، إذا كان قبل هجوده قد أدى فرائضه نافلة نفلا ، إذ كانت غير واجبة عليه .

فقال بعضهم : معنى خصوصيته بذلك : هو أنها كانت فريضة عليه وهى لغيره تطوع .

(١) فتح البارى ـ كتاب التهجد ـ جـ ٣ ص ٥ ، ٦ طبعة السلفية ـ الطبعة الثانية .

وقيل : أقمناها نافلة لك أى فضلا لك ، من الفرائض التى فرضتها عليك عمّا فرضته على غيرك .

ثم روى رحمه الله عن ابن عباس « أن النافلة للنبى ﷺ خاصة أمر بقيام الليل وكتب عليه](١).

ثم قال رحمه الله [بل قيل ذلك له عليه الصلاة والسلام لأنه لم يكن فعله ذلك يكفر عنه شيئا من الذنوب لأن الله تعالى كان قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكان له نافلة فضل فأما غيره فهو له كفارة وليس هو له نافلة .

ثم روى عن مجاهد قوله :

« النافلة » للنبى ﷺ خاصّة من أجل أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهو نافلة من أجل أنه لا يعمل ذلك فى كفارة الذنوب ، فهو نوافل وزيادة والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم فى كفارتها فليست للناس نوافل ثم رجحّ ابن جرير القول الأول فقال :

« وأولى القولين بالصواب فى ذلك القول الذى ذكرنا عن ابن عباس وذلك أن رسول الله ﷺ كان الله تعالى قد خصه بما فرض عليه من قيام الليل دون سائر أمته ، فأما ما ذكر عن مجاهد فى ذلك فقول لا معنى له ، لأن رسول الله ﷺ فيما ذكر عنه ، أكثر ما كان استغفاراً لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ وذلك أن هذه السورة أنزلت عليه بعد منصرفه من الحديبية وأنزل عليه ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ... ﴾ فكان يعدّ له ﷺ فى المجلس الواحد استغفار مائة مرة ، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك فبيّنٌ إذن وجه فساد ما قاله مجاهد »] أ هـ ، اسند ابن جرير إلى قتادة ، نافلة لك : تطوعا وفضيلة لك .

(١) ضعّف ابن حجر هذا الإسناد كما سيأتى .

قال الإمام القرطبي فى تفسيره عن قوله تعالى ﴿ نافلة لك ﴾ : ـ

[أى كرامة لك : قاله مقاتل

واختلف العلماء فى تخصيص النبي ﷺ بالذكر دون أمته فقيل كانت صلاة الليل فريضة عليه لقوله ﴿ نافلة لك ﴾ أى فريضة زائدة على الفريضة الموظفة على الأمة .

قلت ـ أى القرطبي ـ وفى هذا التأويل بعد لوجهين : ـ

- أحدهما : تسمية الفرض بالنفل وذلك مجاز لا حقيقة .
- الثانى : قوله ﷺ « خمس صلوات فرضهن الله على العبد » وقوله تعالى ﴿ هن خمس وهن خمسون لا يبدّل القول لدىّ ﴾ وهذا نص فكيف يقال افترض عليه صلاة زائدة على الخمس هذا لا يصح » .

ثم قال رحمه الله : ـ

« وقيل كانت صلاة الليل تطوعا منه ، وكانت فى الابتداء واجبة على الكل ثم نسخ الوجوب فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة ، كما قالت عائشة رضى الله عنها ، وعلى هذا يكون الأمر بالتنفل من جهة الندب ويكون الخطاب للنبي ﷺ لأنه مغفور له ، فهو إذا تطوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك زيادة فى الدرجات ، وغيره من الأمة تطوعهم كفارات وتدارك لخلل يقع فى الفرض ، وقيل عطية لأن العبد لا ينال من السعادة عطاء أفضل من التوفيق فى العبادة][1] .

- قال العلامة أبو السعود :

[« نافلة لك » فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الأمة ولعله هو الوجه فى تأخير ذكرها عن صلاة الفجر مع تقدم وقتها على

(١) القرطبي ص ٣٩٢٤ ـ ٣٩٢٥ .

وقتها ، أو تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له ﷺ فى الدرجات كما قال مجاهد والسدى » .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح :

[والنافلة فى اللغة : الزيادة .

ـ ثم ساق قول الطبرى عن ابن عباس ومجاهد وقال :

إن رواية الطبرى عن ابن عباس إسنادها ضعيف »

ـ ثم تكلم عن رواية مجاهد التى ساقها الطبرى وابن أبى حاتم فقال الحافظ ـ إن اسنادها حسن » وعن قتادة كذلك .

ثم قال الحافظ ابن حجر « ورجّح الطبرى الأول [١] وليس الثانى [٢] ببيعد من الصواب »] [٣] .

قوله تعالى : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾

● قال ابن جرير : [« عسى من الله واجبة ثم قال : ـ

قال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام الذى يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم] أ هـ

وعزاه رحمه الله إلى ابن عباس وحذيفة والحسن ومجاهد وسلمان وقتادة .

● قال القرطبى رحمه الله [اختلف العلماء فى كون القيام بالليل سببا للمقام المحمود على قولين : ـ

أحدهما : أن البارىء تعالى يجعل من شاء من فعله سببا لفضله من غير معرفة بوجه الحكمة فيه أو بمعرفة وجه الحكمة .

---

(١) رواية ابن عباس .

(٢) رواية مجاهد وقتادة .

(٣) فتح البارى جـ ٣ ص ٦ .

(٤) تفسير القرطبى ٣٩٢٨ كتاب الشعب .

الثانى : أن قيام الليل فيه الخلوة مع البارىء والمناجاة دون الناس فأعطى الخلوة به ومناجاته فى قيامه ، ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم ، فأجلهم فيه درجة محمد ﷺ فإنه يعطى مالا يعطى أحد » .

● قال أبو السعود رحمه الله :

[﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ الذى يبلغك إلى كمالك اللائق بك من بعد الموت الأكبر كما انبعثت من النوم الذى هو الموت الأصغر بالصلاة والعبادة و « محمودا » عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل »]

● **لطيفة للقشيرى :**

قال القشيرى رحمه الله : ـ

« الليل لأحد أقوام : لطالبى النجاة وهم العاصون ، من جنح منهم إلى التوبة ، أو لأصحاب الدرجات وهم الذين يجدون فى الطاعات ويسارعون فى الخيرات ، أو لأصحاب المناجاة مع المحبوب عندما يكون الناس فيما هم فيه من الغفلة »(١)

« فأهل المعرفة لم يطلبوا مؤنسا سواه وما طلبوا شيئا غيره كما قيل : ـ

أنتم سرورى وأنتم مشتكى حزنى
وأنتمُ فى سواد الليل سمّارى
فإن تكلمت لم ألفظ بغيركم
وإن سكتُّ فأنتم عقد إضمارى(٢)

« ويقال الليل لأحد رجلين للمطيع والعاصى : هذا فى احتيال أعماله وهذا فى اعتذاره عن قبيح أفعاله »(٣)

---

(١) لطائف الإشارات .

(٢) التحبير فى التذكير ص ٦٨ دار الكاتب العربى .

(٣) لطائف الإشارات ٤/٣٦ .

• قال الشيخ سيد قطب : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ بهذه الصلاة وبهذا القرآن والتهجد به وبهذه الصلة الدائمة بالله فهذا هو الطريق المؤدى إلى المقام المحمود . وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر بالصلاة والتهجد والقرآن ليبعثه ربه المقام المحمود المأذون له به وهو المصطفى المختار فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به فى درجاتهم فهذا هو الطريق وهذا هو زاد الطريق »(1) .

الآيـــة السادســـة

قال تعالى :

﴿ **ليسوا سوآء . من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** ﴾(2)

سبب النزول :

• « عن ابن مسعود قال : أخّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة ... قال : « أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم قال : وأنزل الله هذه الآيات « **ليسوا سواء من أهل الكتاب ... حتى بلغ وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين** »(3)

• هذا وقد ورد للآية سبب آخر :

---

(1) فى ظلال القرآن جـ 15 ص 62 .

(2) سورة آل عمران آية رقم 113 .

(3) حديث حسن : قال مقبل بن هادى الوادعى فى الصحيح المسند من أسباب النزول ص 27 . 28 . أخرجه الإمام أحمد [جـ 2 ص 396 فى مسنده] وهو حسن كما قال الشوكانى جـ 1 ص 375 نقلا عن السيوطى لأن عاصما فى حفظه شىء . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ 1 ص 312 رجال أحمد ثقات ليس فيهم غير عاصم بن أبى النجود وهو مختلف فى الاحتجاج به ؛ وأخرجه ابن حبان فى صحيحه كما فى موارد الظمآن ص 91 وابن جرير جـ 4 ص 55 .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال « لمّا أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة ابن سَعْيَة وأسيد بن سعية وأسد بن عُبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا فى الإسلام قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ، ولوكانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره ، فأنزل الله فى ذلك من قوله « ليسوا سواء » إلى قوله « من الصالحين »(١) .

● [قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره

« واختار الإمام أبو جعفر ابن جرير الأول حيث قال بعد ذكره جملة من الأقوال :

غير أن الأولى بتأويل الآية قول من قال عنى بذلك تلاوة القرآن فى صلاة العشاء لأنها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد ﷺ بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله »(٢)

« وأقول لا مانع من نزول الآية فى الجميع أو أنه تعدد نزولها والله أعلم »(٣)

وقال بمثل قول ابن عباس قتادة فقد قال : ليس كل القوم هلك لقد كان لله فيهم بقية .

● وقال ابن جريج : « أمة قائمة » : عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سلام أخوه ، وسعية بن مبشر وأسيد وأسد ابنا كعب .

● قال ابن جرير الطبرى :

[« سواء » فى هذا الموضع بمعنى التام والاكتفاء ، وقد بينا أن أولى القولين بالصواب فى ذلك قول من قال : قد تمت القصة عند قوله « ليسوا سواء » عن

---

(١) فى مجمع الزوائد ٧٣٢/٦ رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

(٢) نقلا عن أسباب النزول لمقبل ابن هادى الوادعى وعزاه إلى ابن كثير فى تفسيره جـ ١ ص ٣٩٧ . وانظر أيضاً تفسير الطبرى جـ ٧ ص ١٢٩ طبعة دار المعارف .

(٣) أسباب النزول ص ٢٨ لمقبل بن هادى الوادعى .

إخبار الله بأمر مؤمني أهل الكتاب وأهل الكفر منهم ، وأن قوله « من أهل الكتاب أمة قائمة » خبر مبتدأ عن مدح مؤمنهم ووصفهم بصفتهم على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج »[1] .

قوله تعالى ﴿ أمة قائمة ﴾

عن ابن عباس : « أمة مهتدية قائمة على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيّعوه »

عن قتادة : « أمة قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده »

وعن . يع : « قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه »

وهذه أولى الأقوال عند ابن جرير .

وتأويل الكلام : من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ، ثابتة على العمل بما فيه وما سنّ لهم رسوله ﷺ .

قوله تعالى ﴿ **يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون** ﴾ .

قال ابن جرير الطبرى : [يعنى بقوله « يتلون آيات الله » يقرأون كتاب الله آناء الليل ويعنى بقوله « آيات الله » ما أنزل فى كتابه من العبر والمواعظ .

يتلون ذلك آناء الليل : فى ساعات الليل فيتدبرونه ويتفكرون فيه .

أما آناء الليل : فساعات الليل وواحدها « إنىْ » كما قال الشاعر :

حلو ومر كعطف القِدْحِ مِرَّتُهُ
فى كل إنْىٍ حذاه الليل ينتعل[2]

وقد قيل إن واحد الآناء « إنى » مقصور كما واحد الأمعاء « معى » فقال قتادة والربيع وعبد الله بن كثير : آناء الليل : ساعات الليل .

---

(١) تفسير الطبرى ٧/١٢٠ ، ١٢٢ .

(٢) الشاعر هو المتنخل الهذلى وقال ابن فارس : إنى وإنيان ١/٢٠٣١ والجمع آناء .

وقال السدى : جوف الليل .

وقال ابن مسعود : صلاة العتمة(١)

وقال منصور : فيما بين المغرب والعشاء .

قال ابن جرير : وهذه الأقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعانى ، وذلك أن الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بأنهم يتلون آيات الله فى ساعات الليل وهى آناؤه ، وقد يكون تاليها فى صلاة العشاء تاليا لها آناء الليل ، وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ، ومن تلاها جوف الليل فكلٌ تال له ساعات الليل .

أما قوله تعالى ﴿ **وهم يسجدون** ﴾ : فإن بعض أهل العربية زعم أن معنى السجود فى هذه الموضع اسم للصلاة لا للسجود ، لان التلاوة لا تكون فى السجود ولا فى الركوع فكان معنى الكلام عنده : يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون (٢) .

وليس المعنى على ما ذهب إليه ، وإنما معنى الكلام : من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فى صلاتهم وهم فى ذلك يسجدون فيها فالسجود هو السجود المعروف فى الصلاة »(٣) أ هـ .

قال القرطبي :

[من أهل الكتاب أمة قائمة

قال الأخفش : التقدير من أهل الكتاب ذو أمة أى ذو طريقة حسنة وأنشد « وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

و « يسجدون » يصلون عند الفراء والزجاج لأن التلاوة لا تكون فى الركوع

(١) وهو أيضا قول مجاهد ورد فى زاد المسير .

(٢) هذه مقالة الفرّاء فى معانى القرآن ٢٣١/١.

(٣) القرطبى ١٤١٨ ، ١٤١٩ .

والسجود نظير قوله « وله يسجدون » أى يصلون ، وفى الفرقان ﴿ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ﴾ وفى النجم ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾

وقيل يراد به السجود المعروف خاصة ، وسبب النزول يرده ، وأن المراد صلاة العتمة كما ذكرنا عن ابن مسعود ، فعبدة الأوثان ناموا حيث جن عليهم الليل ، والموحدون قيام بين يدى الله تعالى فى صلاة العشاء يتلون آيات الله ألا ترى لمّا ذكر قيامهم قال « وهم يسجدون » أى مع القيام أيضاً »] .

قال الزمخشرى فى الكشاف :

[أمة قائمة : مستقيمة عادلة من قوله : أقمت العود فقام بمعنى استقام . وعبّر عن تهجدهم بتلاوة القرآن فى ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم . وقيل عنى صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها .

وقوله « يتلون » و « يؤمنون » صفتان لأمة : أى أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ، ومن الإيمان بالله »][1] أ هـ .

الآيـــــة السابعـــــة

قال تعالى :

﴿ أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ﴾[2]

● « أمن » قرأها الحسن وأبو عمرو وعاصم والكسائى بالتشديد ، وقرأ نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة « أَمَنْ هو » بالتخفيف على معنى النداء كأنه قال : يا من هو قانت .

(١) الكشاف ٤٥٦/١ .طبع مصطفى الحلبى .

(٢) سورة الزمر الآية ٩ .

قال الفرّاء : الألف بمنزلة « يا » تقول يا زيد أقبل ، وأزيد أقبل .

وحكى ذلك سيبويه وجميع النحويين كما قال أوس بن جُحْر :

أَبنى لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيدٍ إلاّ يَدًا ليستْ لها عَضُدُ

وقال الآخر وهو ذو الرمة :

أَدارا بُحِزْوَى هجتِ للعينِ عَبْرَةً

فماء الهوى ينفضّ أو يترقرق

فالتقدير عَلى هذا « قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار » يا من هو قانت ، إنك من أصحاب الجنة . كما يقال فى الكلام : فلان لا يصلى ولا يصوم فيا من يصلى ويصوم أبشر فحذف لدلالة الكلام عليه .

وقيل إن الألف فى « أمن » ألف استفهام أى « أَمَنْ هو قانت آناء الليل أفضل أمن جعل لله أنداداً ، والتقدير الذى هو قانت خير .

ومنْ شدّد « أَمَّنْ » فالمعنى : العاصون المتقدم ذكرهم أخير أَمَّنْ هو قانت » فالجملة التى عادلت أم محذوفة .

وقال النحاس : و « أم » بمعنى « بل » و « من » بمعنى « الذى » والتقدير بل الذى هو قانت أفضل ممن ذكر » .

● وفى قانت عدة أوجه

١ ـ أحدها أنه المطيع : قاله ابن مسعود وابن عباس والسدى والنحاس ونافع وقتادة .

٢ ـ والثانى : أنه الخاشع فى صلاته قاله ابن شهاب .

والثالث : القائم فى صلاته : قاله يحيى بن سلاّم

والرابع : أنه الداعى لربه .

والخامس : طول القيام قال ابن عمر كان إذا سئل عن القنوت قال

لا أعلم القنوت إلا قراءة القرآن وطول القيام »[1] وقرأ « أَمَّنْ هو قانت ... ساجدا وقائما : قال الحسن يريح رأسه بقدميه وقدميه برأسه[2] واختلف في تعيين القانت هاهنا

فقال ابن عمر : هو عثمان رضى الله عنه . وقال مقاتل : إنه عمار بن ياسر وقال يحيى بن سلام : إنه رسول الله ﷺ .

وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه : هو أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

وقال الكلبي : صهيب وأبو ذر وابن مسعود . وقيل أبو حذيفة بن المغيرة المخزومي » .

● قال ابن عباس : من أحب أن يهوّن الله عليه طول الوقوف يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة .

● قوله « يحذر الآخرة » قال ابن عباس : يحذر عقاب الآخرة . قال سعيد ابن جبير : أي عذاب الآخرة .

« ويرجو رحمة ربه » عن ابن عباس : « يرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة »[3]

● قوله تعالى ﴿ **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾

قال الزجاج : أى كما لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، كذلك لا يستوى المطيع والعاصي .

وقال غيره : الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به فأما من لم ينتفع بعلمه ويعمل به فهو بمنزلة من لا يعلم .

● قال الزمخشري :

---

(١) ابن جرير جـ ٢٣ ص ٠٠

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٥

(٣) ابن جرير جـ ٢٣ ص ٢٠٠

« وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم ، وفيه ازدراء عظيم للذين يقتنون العلوم ويفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ، ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه »(١)

● قال العلاّمة أبو السعود :

« ساجدا وقائما » تقديم السجود على القيام لكونه أدخل فى معنى العبادة (٢)

● قال القاسمى فى « محاسن التأويل »

[« وفى الآية اشعار بأن الذين يعلمون هم العاملون بعلمهم إذ عبر عنهم أولا بالقانت ثم نفى المساواة بينه وبين غيره ليكون تأكيدا له وتصريحا بأن غير العامل كأنه ليس بعالم .

قال القاشانى : « وإنما كان المطيع هو العالم لأن العلم هو الذى رسخ فى القلب وتأصل بعروقه فى النفس بحيث لا يمكن صاحبه من مخالفته ، بل سيط باللحم والدم فظهر أثره على الأعضاء لا ينفك شىء منها عن مقتضاه ، وأما المرتسم فى حيز التخيل بحيث يمكن ذهول النفس عنه وعن مقتضاه فليس بعلم ، إنما هو أمر تصورى وتخيل عارض لا يلبث أن يزول سريعا لا يغذو القلب ولا يسمن ولا يغنى من جوع] »(٣)

● قال الشيخ سيد قطب فى « الظلال » « أمن هو قانت ...

[هى صورة مشرقة مرهفة ... فالقنوت والطاعة والتوجه وهو ساجد وقائم ، وهذه الحساسية المرهفة وهو يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، وهذا الصفاء وهذه الشفافية التى تفتح البصيرة ، وتمنح القلب نعمة الرؤية والالتقاط والتلقى ، هذه كلها ترسم صورة مشرقة وضيئة من البشر.

---

(١) الكشاف جـ٣ ص ٣٩٠ .
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ٣٠٣/٤ .
(٣) محاسن التأويل ص ٥١٣١ .

﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ... ﴾

قال رحمه الله « العلم الحق هو المعرفة .. هو إدراك الحق ، هو تفتح البصيرة .. هو الاتصال بالحقائق الثابتة فى هذا الوجود وليس العلم هو المعلومات المفردة المنقطعة التى تزحم الذهن ولا تؤدى إلى حقائق الكون الكبرى ولا تمتد وراء الظاهر المحسوس .

وهذا هو الطريق إلى العلم الحقيقى والمعرفة المستنيرة .. هذا هو القنوت لله .. وحساسية القلب .. واستشعار الحذر من الآخرة والتطلع إلى رحمة الله وفضله .. ومراقبة الله هذه المراقبة ألواجفة الخاشعة هذا هو الطريق .

ومن ثم يدرك اللب ويعرف ، وينتفع بما يرى وبما يسمع وبما يجرب ، وينتهى إلى الحقائق الكبرى الثابتة من وراء المشاهدات ، والتجارب الصغيرة ..

فأما الذين يقفون عند حدود التجارب المفردة والمشاهدات الظاهرة .. فهم جامعوا معلومات وليسوا بعلماء .. وإنما يعرف أصحاب القلوب الواعية المتفتحة المدركة لما وراء الظواهر من حقائق .. المتفعة بما ترى وتعلم .. التى تذكر الله فى كل شيء تراه وتلمسه ولا تنساه ولا تنسى يوم لقاه »][1]

الآيـــة الثامنـــة

قوله تعالى :

﴿سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ... ﴾[2]

قال القرطبى رحمه الله :

[« السيما » : العلامة أى لاحت علامات التهجد بالليل وأمارات السهر. قال شِمَر بن عطية : هو صفرة الوجه من قيام الليل .

---

(١) الظلال .

(٢) سورة الفتح الآية الأخيرة .

وقال الحسن : إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى .

وقال سفيان الثورى : يصلون بالليل فإذا أصبحوا رؤى ذلك فى وجوههم .

وقال الضحاك : أما إنه ليس بالنَّدْب فى وجوههم ولكنه الصفرة .

وقال الضحاك : هو السهوم(1) إذا سهر الرجل من الليل أصبح مصفرا](2) .

وقال عكرمة : هو السهر يرى فى وجوههم(3) .

الآيـــة التاسعـــة

قال تعالى :

﴿ ومن الليل فسبحه وأدبار السجود ﴾(4) .

- قال ابن العربى رحمه الله :

« الصلاة تسمى تسبيحا لما فيها من تسبيح ، ومنه سبحة الضحى »

- قال ابنْ جرير : [« هى الصلاة بالليل من أى وقت صلى .

وقال مجاهد « ومن الليل » من الليل كله .

ـ ثم ذكر أقوالا أخرى وقال بعدها : ـ

[« والقول الذى قاله مجاهد فى ذلك أقرب إلى الصواب وذلك أن الله جل ثناؤه قال ﴿ **ومن الليل فسبحه** ﴾ فلم يحدد وقتا من الليل دون وقت ، وإذا كان ذلك كذلك كان على جميع ساعات الليل »](5)

---

(1) هو تغير الوجه .
(2) القرطبى ص ٦١١٣ ، ٦١١٤ .
(3) مختصر قيام الليل ص ٢٠
(4) سورة ق الآية ٤٠ .
(5) تفسير الطبرى جـ ٢٦ ص ١٨٠ .

● قال سيد قطب : « اصبر وسبّح واسجد وأنت فى حالة انتظار وتوقع للأمر الهائل الجلل المتوقع فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار لا يغفل عنه إلا الغافلون وهو الأمر الذى تدور عليه السورة كلها وهو موضوعها الأصيل »(١)

الآيـــة العاشـــرة

قال تعالى :

﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾(٢) .

● قال الطبرى رحمه الله :

[« وسبّحه ليلا طويلا » يعنى الصلاة والتسبيح](٣)

● قال القرطبى رحمه الله :

[« وسبحه ليلا طويلا » : يعنى التطوع فى الليل قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان : كل تسبيح فى القرآن فهو صلاة .

وقيل : هو الذكر المطلق سواء فى الصلاة أو فى غيرها .

وقال ابن زيد : إن قوله « وسبحه ليلا طويلا » منسوخ بالصلوات الخمس ، وقيل هو ندب .

وقيل هو مخصوص بالصلوات الخمس .

وقول ابن حبيب حسن](٤)

● قال القاسمى رحمه الله :

---

(١) الظلال ص ١٦٩ .
(٢) الإنسان الآية ٢٦ .
(٣) الطبرى جـ ٢٩ ص ٢٢٥ .
(٤) القرطبى ص ٦٩٤١ .

[« ومن الليل فاسجد له » بالتهجد فيه ، « وسبحه ليلا طويلا » أى مقدارا طويلا نصفه أو زيادة عليه .

وفى هذه الأوامر ، مع الأمر فى أول « المزمل » وأمثالها ما يدل على العناية بقيام الليل والحرص عليه . والقصد حثه ﷺ على أن يستعين فى دعوة قومه والصدع بما أمر به ، بالصبر على أذاهم والصلاة والتسبيح كقوله ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة** ﴾ وقوله ﴿ **فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . ومن الليل فسبحه وأدبار السجود** ﴾ وأمثالها][1]

● قال الشيخ سيد قطب فى « الظلال » ﴿ **فاسجد له وسبحه ليلا طويلا** ﴾

هذا هو الزاد حيث يلتقى العبد بربه فى خلوة ، وفى نجاء وفى تطلع وفى أنس تفيض منه الراحة على التعب والضنى ، وتفيض منه القوة على الضعف والقلة ، وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل ، وترى عظمة التكليف وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت وما تلاقى من أشواك الطريق هو الزاد الحقيقى الصالح لهذه الرحلة المضنية فى ذلك الطريق الشائك .. هو زاد أصحاب الدعوة إلى الله فى كل أرض وفى كل جيل ، إنها حقيقة كبرى لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق ثم يقول رحمه الله عن قوله تعالى ﴿ **إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا** ﴾

[إن هؤلاء القريبى المطامح والاهتمامات ، الصغار المطالب والتصورات ، هؤلاء الصغار الزهيدين الذين يستغرقون فى العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ... ثقيلا بتبعاته ... ثقيلا بنتائجه ... ثقيلا بوزنه فى ميزان الحقيقة][2] .

---

(١) محاسن التأويل ص ٦٠١٦ .

(٢) الظلال ج ٦ ص ٢٣٠ .

الآيــة الحاديــة عشــر

قال تعالى :

﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم . ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم ﴾ (١)

● قال القرطبي : « قال أبو الجوزاء وحسان بن عطية : المعنى حين تقوم من منامك .. قال حسّان : ليكون مفتتحا لعمله بذكر الله »

وقال الكلبي : واذكر الله باللسان حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل الصلاة وهى صلاة الفجر . وذكره أيضاً القاسمي .

﴿ ومن الليل فسبحه ﴾

قال القاسمي : [أى اذكره واعبده بالتلاوة والصلاة بالليل](٢)

قال أبو السعود : [إفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد من الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل](٣) .

قال سيد قطب : [يلقى ظلا فريدا .. أرق وأشف من كل ظل .. ولا يملك التعبير البشرى أن يترجم هذا التعبير الخاص ... فحسبنا أن نشير إلى ظلاله وأن نعيش فى هذه الظلال .

ومع هذا الإيناس هداية إلى طريق الصلة الدائمة به « وسبح ... » فعلى مدار اليوم .. عند اليقظة من النوم ... وفى ثنايا الليل .. وعند إدبار النجوم فى الفجر ... هنالك مجال الاستمتاع بهذا الإيناس الحبيب ... والتسبيح زاد وأنس ومناجاة للقلوب فكيف بقلب المحب الحبيب القريب](٤)

---

(١) الطور .

(٢) محاسن التأويل ص ٥٥٥١ .

(٣) تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ١٠٩ .

(٤) فى ظلال القرآن .

الآيـــة الثانيـــة عشـــر

قال تعالى :

﴿ فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب ﴾[1]

قال محمد بن نصر رحمه الله : [قال عبد الله : إذا فرغت من المكتوبة فانصب فى قيام الليل وقيل فراغك بالليل][2]

وقال القرطبى : [قال ابن مسعود : إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل][3] .

الآيـــة الثالثـــة عشـــر

قال تعالى :

﴿ الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار ﴾[4]

- قال شيخ المفسرين الإمام أبو جعفر بن جرير الطبرى رحمه الله :

القانتين : المطيعين له ـ ثم نسب القول إلى قتادة ـ

ـ أما قوله « والمستغفرين بالأسحار » فقال أبو جعفر :

« اختلف أهل التأويل فى القوم الذين هذه الصفة صفتهم :

- فقال بعضهم : هم المصلون بالأسحار ـ وساقه بإسناده إلى قتادة .
- وقال آخرون : هم المستغفرون وذلك قول ابن مسعود وأسند رحمه الله إلى نافع أن ابن عمر كان يحيى الليل صلاة ثم يقول :

يا نافع هل أسحرنا ؟ فيقول لا ، فيعاود الصلاة ، فإذا قلت نعم ، قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح .

---

(١) سورة ألم نشرح الآيتان ٧ ، ٨ .

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٠ .

(٣) القرطبى ص ٧١٩٨ ـ ٧١٩٩ .

(٤) آل عمران الآية ١٧ .

وأسند إلى جعفر بن محمد رحمه الله « من صلى بالليل ثم استغفر فى آخر الليل سبعين مرة كُتب من المستغفرين بالأسحار »

● وقال آخرون : هم الذين يشهدون الصبح فى جماعة وهو قول زيد بن أسلم .

قال ابن جرير : [وأولى هذه الأقوال :

قول من قال : هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها وأظهر معانى ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء ، وقد يحتمل معناه تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء](1)

● قال الإمام القرطبى : [يقال سَحَر وسَحْر بفتح الحاء وسكونها .

وقال الزجّاج : من حين يدبر الليل إلى أن يطلع الفجر الثانى .

وقال ابن زيد : السحر هو سدس الليل الأخير .

ثم قال رحمه الله :

« واختلف فى معنى قوله ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾

فقال أنس بن مالك : هم السائلون المغفرة . وقال قتادة : المصلون .

ثم قال رحمه الله :

« الاستغفار مندوب إليه وقد أثنى الله على المستغفرين فى هذه الآية وغيرها فقال ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾

وقال رحمه الله « فهذا كله يدل عن أنه استغفار باللسان مع حضور القلب لا ما قال ابن زيد أن المراد بالمستغفرين الذين يصلون الصبح فى جماعة والله أعلم .

وقال لقمان لابنه : يا بنى لا يكون الديك أكيس منك ينادى بالأسحار

---

(1) تفسير الطبرى ٦/٢٦٤ ـ ٢٦٧ طبعة دار المعارف .

وأنت نائم » .. والمختار من لفظ الاستغفار ما رواه البخارى عن شداد بن أوس وليس له فى الجامع غيره عن النبى ﷺ قال : « **سيد الاستغفار أن تقول :**

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء لك بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ـ قال ـ ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمس فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات من ليله قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة »(١)](٢)

● قال العلامة أبو السعود محمد بن محمد العمادى فى تفسيره :

[قال مجاهد وقتادة والكلبى : أى المصلين بالأسحار

وقال الحسن رحمه الله : مدوا الصلاة إلى السحر ثم استغفروا .

وقال أيضا «كانوا يصلون فى أول الليل حتى إذا كان السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار »

وتخصيص الأسحار بالاستغفار لأن الدعاء فيها أقرب إلى الإجابة ، إذ العبادة حينئذ أشق ، والنفس أصفى ، والروح أجمع لا سيما للمتهجدين .

وتوسط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكما لهم فيها أو لتغاير الموصوفين بها](٣)

● قال الألوسى رحمه الله فى تفسيره :

---

(١) أخرجه البخارى والنسائى وأحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك انظر صحيح الجامع جـ٣ ص ٢١٩ حديث رقم ٣٥٦٨ طبع المكتب الإسلامى .

(٢) تفسير القرطبى ١٢٨٠/٢ ـ ١٢٨٢ .

(٣) ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم جـ١ ص ٢٢١ مطبعة محمد على صبيح .

[وقول أبي حيان : لا نعلم أن العطف فى الصفة بالواو يدل على الكمال ردّه الحلبى بأن علماء البيان علموه وهمُ همُ][1]

● قال ابن الجوزى فى تفسيره « زاد المسير »

[قال إبراهيم بن السرى : السحر : الوقت الذى قبل طلوع الفجر ، وهو أول إدبار الليل إلى طلوع الفجر .

ثم قال رحمه الله :

وصفهم الله بهذه الصفات « الطاعات » ثم وصفهم بأنهم لشدة خوفهم يستغفرون] [2]

رحمة الله على من كانت هذه صفاتهم أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم .

● قال الحافظ ابن حجر العسقلانى :

[إن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ويشهد له قوله تعالى ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ ، وإن الدعاء فى ذلك الوقت مجاب ، ولا يعترض على ذلك بتخلفه عن بعض الداعين لأن سبب التخلف وقوع الخلل فى شرط من شروط الدعاء كالاحتراز فى المطعم والمشرب والملبس أو الاستعجال أو بأن يكون الدعاء بإثم أو قطيعة رحم ، أو تحصل الإجابة ويتأخر وجود المطلوب لمصلحة العبد أو لأمر يريده الله][3]

فائـــدة لغوية :

قال أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطى فى تفسيره :

---

(١) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسي جـ ١ ص ١٠٣ طبعة دار الفكر .

(٢) زاد المسير لابن الجوزى ٣٦١/١ طبع المكتب الإسلامى .

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب التهجد جـ ٣ ص ٣٨ ، ٣٩ طبع السلفية ـ الطبعة الثانية .

[السَّحَر والسَّحْر بفتح الحاء وسكونها آخر الليل .

وقال الزجاج وغيره : وهو قبل طلوع الفجر . وهذا صحيح لأن ما بعد الفجر هو من اليوم لا من الليلة .

وقال بعض اللغويين : السحر من ثلث الليل الآخر إلى الفجر والحديث فى التنزل وهذه الآية فى الاستغفار يؤيدان هذا . وقد يجىء فى أشعار العرب ما يقتضى أن حكم السحر يستمر فيما بعد الفجر نحو قول إمرىء القيس :

يُعَلُّ بها بردُ أنيابها إذا طَرَّبَ الطائر المستحر(1)

ويقال أسحرواستحر إذا دخل فى السحر ، وكذلك قولهم : نسيم السحر يقع لما بعد الفجر وكذلك قول الشاعر :

تجد النساء حواسرا يندبنه

قد قمن قبل تبلج الأسحار(2)

فقد قضى أن السحر يتبلج بطلوع الفجر .

ولكن حقيقة السحر فى هذه الأحكام الشرعية من الاستغفار المحمود ومن سحور الصيام ، ومن يمين لو وقعت ، إنما هى من ثلث الليل الباقى إلى الفجر](3) .

قال القشيرى فى « لطائف الإشارات » ١ / ٢٢٤ - ٢٢٥ .

[القانتين : بنفوسهم بالاستقامة فى محبة الله .

والمستغفرين : عن جميع ما فعلوه لرؤية تقصيرهم فى الله . ويقال :

---

(٢) استحر الطائر : غرد بسحر ، يُعل به : أى يسقى به ، إذا طرّب : إذا صوّت الديك . أى هى طيبة ريح الفم فى الوقت الذى تتغير فيه الأفواه ، وإنما تتغير الأفواه بعد النوم ، ويروى « إذا صوّت » انظر الديوان ١٥٨ ، واللسان ١٤/٦ والبحر ٣٩٨/٢ .

(٢) البيت للربيع بن زياد فى مالك بن زهير العبسى أنظر ديوان الحماسة ٢٦/٣ .

(٣) المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢٦٢/٢ ـ ٢٦٣ تحقيق أحمد صادق الملاح طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

« الصابرين » بقلوبهم ، و « الصادقين » بأرواحهم ، و « القانتين » بنفوسهم ، و « المستغفرين » بألسنتهم .

ويقال :

« الصابرين » على صدق القصود ، و « الصادقين » في العهود ، و « القانتين » بحفظ الحدود ، و « المستغفرين » عن أعمالهم وأحوالهم .

ويقال :

« الصابرين » الذين صبروا على الطلب ، ولم يتعللوا بالهرب ، ولم يحتشموا من التعب ، وهجروا كل راحة وطلب ، صبروا على البلوى ، ورفضوا الشكوى حتى وصلوا إلى المولى ، ولم يقطعهم شيء من الدنيا .

و « الصادقين » الذين صدقوا فى الطلب فقصدوا ، ثم صدقوا حتى وردوا .

و « القانتين » الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ، الذين لازموا الباب ، وداموا على تجرع الاكتئاب ، وتركو المحاب .

و « المنفقين » الذين جادوا بنفوسهم من حيث الأعمال ، ثم جادوا بميسورهم من الأموال ، ثم جادوا بقلوبهم بصدق الأحوال ، ثم جادوا بترك كل حظ لهم فى العاجل »]

● قال الشيخ سيد قطب :

[والاستغفار بالأسحار بعد هذا كله يلقى ظلالا رفافة ندية عميقة ، ولفظة الأسحار فى ذاتها ترسم ظلال هذه الفترة من الليل قبيل الفجر ، الفترة التى يصفو فيها الجو ويرق ويسكن ، وتترقرق فيها خواطر النفس وخلجاتها الدفينة ، فإذا انضمت إليها صورة الاستغفار ألقت تلك الظلال المنسابة فى عالم النفس وفى ضمير الوجود سواء .

هؤلاء الصابرون الصادقون القانتون المنفقون المستغفرون بالأسحار لهم

رضوان من الله وهم أهل لهذا الرضوان ... ظله ومعناه »[1] .

الآيــة الرابعــة عشــر

قال تعالى :

﴿ وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة ﴾[2]

هذى وجوه المؤمنين من أهل الجنة فى الدنيا والآخرة .. وجوه ناضرة .

● قال القرطبى رحمه الله :

« وجوه يومئذ مسفرة » أى مشرقة مضيئة قد علمت مالها من الفوز والنعيم ، وهى وجوه المؤمنين

« ضاحكة مستبشرة » أى مسرورة فرحة .

« مستبشرة » أى بما آتاها الله من الكرامة .

وقال عطاء الخراسانى : « مسفرة » من طول ما اغبرّت فى سبيل الله جل ثناؤه ذكره أبو نعيم ، والضحاك : من آثار الوضوء .

ابن عباس : من قيام الليل ، لما روى فى الحديث « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » يقال أسفر الصبح إذا أضاء][3] .

الآيــة الخامســة عشــر

قوله تعالى :

﴿ وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ﴾[4]

(١) ظلال القرآن ٥٩/٣ عيسى الحلبى الطبعة الأولى .
(٢) القرطبى ٧٠١٦/١ ، ٧٠١٧ .
(٣) قال العقيلى : حديث باطل وقال العراقى لا أصل له .
(٤) الفرقان آية رقم ٦٢ .

قال القرطبي رحمه الله :

قوله تعالى : ﴿ خِلْفَةً ﴾

قال أبو عُبيدة : الخِلفة كل شيء بعد شيء ، وكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه .

ومن هذا المعنى قول زهير بن أبي سُلْمى :

بها العِينُ والآرامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً
وأَطْلاَؤُها يَنْهَضْنَ من كُلِّ مجثِمِ (١)

الرئم ولد الظبي وجمعه آرام ، يقول : إذا ذهب فوج جاء فوج .

قال مجاهد « خِلْفَةً » من الخلاف ، هذا أبيض وهذا أسود ، والأول أقوى وقيل : يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان . وقيل : هو من باب حذف المضاف ، أي جعل الليل والنهار ذوي خلفة أي اختلاف .

﴿ لمن أراد أن يَذَّكَّر ﴾ أي يتذكر ، فيعلم أن الله لم يجعله كذلك عبثا ، فيعتبر في مصنوعات الله ، ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم . وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن : معناه من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ، ومن فاته بالنهار أدركه بالليل .

• قال ابن العربي : سمعت ذا الشهيد الأكبر يقول : إن الله تعالى خلق العبد حيا عالما ، وبذلك كماله ، وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث ونقصان الخلقة ، إذ الكمال للأوّل الخالق ، فما أمكن الرجل من دفع النوم بقلة الأكل والسهر في طاعة الله فليفعل ، ومن الغبن العظيم أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب النصف من عمره لغوا ، وينام سدس النهار راحة فيذهب ثلثاه

---

(١) العين بكسر العين جمع أعين وعيناء وهي بقر الوحش سميت بذلك لسعة أعينها . والاطلاء جمع طلا وهو ولد البقرة وولد الظبية الصغير. المجثم : الموضع الذي يقام فيه .

يبقى له من العمر عشرون سنة . ومن الجهالة والسفاهة أن يتلف الرجل ثلثى عمره فى لذة فانية ، ولا يتلف عمره بسهر فى لذةٍ باقية عند الغنىّ الوفىّ الذى ليس بعديم ولا ظلوم .

المسألة الثالثة : الأشياء لا تتفاضل بأنفسها ، فإن الجواهر والأعراض من حيث الوجود متماثلة ، وإنما يقع التفاضل بالصفات . وقد اختلف أىّ الوقتين أفضل ، الليل أو النهار وفى الصوم غنية فى الدلالة ، والله أعلم ، قاله ابن العربى .

قلت : والليل عظيم قدره ، أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بقيامه. فقال: « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » وقال « قم الليل » ومدح المؤمنين على قيامه فقال « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » وقال عليه الصلاة والسلام « **والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار** » ، « وصلاة الرجل فى جوف الليل » وفيه ساعة يستجاب فيها الدعاء ، وفيه ينزل الرب تبارك وتعالى] .

الرابعة : قرأ حمزة وحده « يَذْكُر » بسكون الذال وضم الكاف ، وهى قراءة وثاب وطلحة والنخعىّ . وفي مصحف أبىّ « يتذكّر » بزيادة تاء . وقرأ الباقون « يَذَّكَّرُ » بتشديد الكاف . ويَذْكُر ويَذَّكر بمعنى واحد ، وقيل : معنى « يذْكُر » بالتخفيف أى يذكر ما نسيه فى أحد الوقتين فى الوقت الثانى ، أو ليذكر تنزيه الله وتسبيحه فيها »

« شكورا، هذا الشكور على أنه جعلهما قواما لمعاشهم. وكأنهم لمّا قالوا « وما الرحمن » قالوا : هو الذى يقدر على هذه الأشياء »] [1] أهـ كلام القرطبى .

وقال الإمام ابن رجب الحنبلى :

---

(١) القرطبى جـ ٧ ص ٤٧٨١ ـ ٤٧٨٣ .

[« روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن مالك بن دينار قال : كان عيسى عليه السلام يقول : إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما وكان يقول : اعملوا الليل لما خلق له ، واعملوا النهار لما خلق له .

وعن الحسن أنه كان يقول يا ابن آدم اليوم ضيفك ، والضيف مرتحل يحمدك أو يذمك وكذلك ليلتك .

وبإسناده عن بكر المزنى أنه قال : « ما من يوم أخرجه الله إلى أهل الدنيا إلا ينادى : ابن آدم اغتنمنى لعله لا يوم لك بعدى ، ولا ليلة إلا تنادى ابن آدم اغتنمنى لعله لا ليلة لك بعدى .

وعن داود الطائى أنه قال : إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهى بهم ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم فى كل مرحلة زادا لما بين يديها فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ماهو ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك ، واقض ما أنت قاض من أمرك فكأنك بالأمر قد بغتك .

وفى تفسير عبد بن حميد وغيره من التفاسير المسندة عن الحسن فى قول الله عز وجل ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة** .. ﴾الآية قال :

من عجز بالليل كان له من النهار مستعتب ، ومن عجز بالنهار كان له من الليل مستعتب .

وعن قتادة : قال : إن المؤمن قد ينسى بالليل ويذكر بالنهار ، وينسى بالنهار ويذكر بالليل .

قال قتادة : فأدوا إلى الله من أعمالكم خيرا فى هذا الليل والنهار فإنهما مطيتان تقحمان الناس إلى آجالهم ، يقربان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، ويجيئان بكل موعود إلى يوم القيامة » أ هـ[1]

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلى ص ٧ ، ٨ .

الترغيب فى القيام
من السنة المطهرة

« الترغيب فى أن ينام الإنسان طاهراً ناوياً القيام »

● عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« من بات طاهرا بات فى شِعارِه مَلَكٌ فلا يستيقظُ إلا قال المَلَكُ : اللهم اغْفِرْ لعبدِك فلانٍ ، فإنه بات طاهراً »(١)

الشِعار : ما يلى البدن من ثوب وغيره .

● وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« ما من مسلم يبيت على ذكر طاهراً فيَتَعَارَّ من الليل ، فيسألُ اللهَ خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه »(٢)

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« طهروا هذه الأجساد ، طهركم الله ، فإنه ليس من عبد يبيت طاهرا إلا بات معه فى شعاره ملك ، لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال : اللهم اغفر لعبدك ، فإنه بات طاهراً »(٣) .

قال المناوى « قال الطيبى عبّر بقوله يتعارّ دون يهب أو يستيقظ ونحوهما لزيادة معنى ، أراد أن يخبر من هبّ من نومه ذاكر الله مع الهبوب فيسأل الله خيرا أنه

---

(١) صحيح : رواه ابن حبان فى صحيحه ، وصححه ، وقال الألبانى : حديث صحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب للمنذرى والألبانى طبع المكتب الإسلامى جـ١ ص ٢٤٥ .

(٢) صحيح : رواه أبو داود من رواية عاصم بن بهدلة عن شهر عن أبى ظَبْيَة عن معاذ ورواه ابن ماجة فى الدعاء عن معاذ وأحمد فى مسنده والنسائى فى اليوم والليلة والطيالسى . قال الحافظ ابن حجر « وأبو ظبية شامى ثقة قال المناوى فى « فيض القدير شرح الجامع الصغير » ورمز السيوطى لحسنه وقال الألبانى حديث صحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٢٤٥ ، صحيح الجامع رقم (٥٦٣٠) وفيض القدير جـ ٥ ص ٤٩٧ .

(٣) حسن : رواه الطبرانى فى الأوسط . وقال المناوى فى فيض القدير « وأبو الشيخ والديلمى عن ابن عمر ، وقال الهيثمى أرجو أنه حسن الإسناد ، وقال المنذرى . إسناده جيد ، وقال الألبانى حديث حسن انظر صحيح الترغيب ٢٤٥/١ وصحيح الجامع رقم ٣٨٣١ وفيض القدير ٢٧١/٤ .

يعطيه فأوجز فقال يتعار ليجمع بين المعنيين ، وإنما يوجد ذلك عند من تعوّد الذكر فاستأنس به وغلب عليه حتى صار الذكر حديث نفسه فى نومه ويقظته ، وصرح عليه الصلاة والسلام باللفظ وعرّض بالمعنى وذلك من جوامع الكلم التى أوتيها .

وظاهر قوله « يبيت » أى أن ذا خاص بنوم الليل واشترط فى ذلك المبيت على طهر » أ هـ[(١)]

وقال أيضا رحمه الله

« والطهارة عند النوم قسمان :

طهارة الظاهر وهى معروفة ، وطهارة الباطن وهى بالتوبة وهى آكد من الظاهرة فربما مات فى نومه وهو متلوث بأوساخ الذنوب فيتعين عليه التوبة وأن يزيل من قلبه كل غش وحقد ومكروه لكل مسلم »[(٢)]

● وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

« مامن امرىء تكون له صلاة بليل ، فيغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته ، وكان نومه عليه صدقة »[(٣)]

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه يَبلغُ به النبى ﷺ قال :

« من أتى فراشَه ، وهو ينوى أن يقومَ يُصلى من الليل ، فغلبتْه عينُه حتى

---

(١) فيض القدير للمناوى جـ ٥ ص ٤٩٧ .

(٢) فيض القدير جـ ٤ ص ٢٧١ .

(٣) صحيح : رواه مالك وأبو داود والنسائى وابن نصر عن عائشة . وقال العراق [فيه رجل لم يسم وسماه النسائى فى روايته الأسود بن يزيد لكن فى طريقه أبو جعفر الرازى قال النسائى ليس بالقوى] وقال المنذرى فى الترغيب « الأسود بن يزيد ثقة ثبت وبقية إسناده ثقات ، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد بإسناد جيد ورواته محتج بهم فى الصحيح » أ هـ وحسنه الألبانى فى صحيح الترغيب ١/٢٤٦ وصححه فى الجامع ٥٥٦٧ .

أصبحَ ، كُتِبَ له ما نوى ، وكان نومه صدقةً عليه مِن رَبِّهِ »[1]

● وعن أبي ذر أو أبي الدرداء– شك شعبة – قال قال رسول الله ﷺ :

« مامن عبد يُحَدِّثُ نفسَه بقيامِ ساعةٍ من الليل فينامُ عنها ، إلا كان نومُه صدقةً تَصَدَّق اللهُ بها عليه ، وكَتَبَ له أجرَ ما نوى »[2]

قال الإمام أبو الوليد الباجى رحمه الله :

[قوله إلا كتب له أجر صلاته : يريد الصلاة التى اعتادها ويحتمل ذلك عندى وجوها :

أحدها : أن يكون له أجرها غير مضاعف ولو عملها لكان أجرها مضاعفا لأنه لا خلاف أن الذى يصليها أكمل حالا ولذلك قال ﷺ لعلى وفاطمة ألا

---

(١) حديث صحيح : رواه النسائى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك وابن خزيمة فى صحيحه وابن نصر والبزار.

قال المنذرى فى الترغيب [« رواه النسائى وابن ماجة بإسناد جيد ، وابن خزيمة فى صحيحه . ورواه النسائى أيضا وابن خزيمة عن أبى الدرداء وأبى ذر موقوفا . قال الدارقطنى : وهو المحفوظ . وقال ابن خزيمة « هذا خبر لا أعلم أسنده غير حسين بن على عن زائدة وقد اختلف الرواة فى إسناد هذا الخبر]

قال المناوى فى فيض القدير [قال الحاكم على شرطها وعلته أن معاوية بن عمرو رواه عن زائدة فوقفه ، وحسين الجعفى أحفظ كذا فى المستدرك وأقره الذهبى ، وقال العراق سنده الصحيح » فيض القدير جـ٦ حديث رقم ٨٢٨٦ ص ٢٣ . وصحح إسناده المناوى جـ٥ ص ٤٧٢ فيض القدير وحسّنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٥٨١٧ . وقال الألبانى فى صحيح الترغيب : حديث صحيح انظر صحيح الترغيب جـ١ ص ٢٤٦ وصححه عبد القادر الأرناؤوط فى تحقيق جامع الأصول جـ٢ .

(٢) صحيح : قال المنذرى : رواه ابن حبان مرفوعا وابن خزيمة موقوفا ولم يرفعه وقال الألبانى حديث صحيح .

تخريج الحديث رقم « ٥ ، ٦ »

قال الألبانى فى قول الدارقطنى « وهو المحفوظ » وقول المنذرى وابن خزيمة فى صحيحه موقوفا ولم يرفعه :

[قلت : ولكنه لا يقال بالرأى فهو فى حكم المرفوع وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبى وهو كما قالا » انظر صحيح الترغيب جـ١ ص ٢٤٦ .

تصليان فلما قال له على رضى الله عنه : إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثها بعثها .

خرج رسول الله ﷺ يضرب فخذه ويقول : وكان الإنسان أكثر شيء جدلا .

- ويحتمل أن يريد أن له أجر من تمنى أن يصلى مثل تلك الصلاة .
- ولعله أراد أجر تأسفه مع ما فاته منها »(١)
- وقال العلامة أبو الطيب أبادى :

[« إلا كتب له أجر صلاته » يفيد أنه يكتب له الأجر وإن لم يقض ، فما جاء من القضاء فللمحافظة على العادة ولمضاعفة الأجر والله أعلم](٢)

- قوله « **وكان نومه صدقة عليه** »

قال الباجى : « يعنى أنه لا يحتسب عليه به ، ويكتب له أجر المصلين » .

فصل : الترغيب فى كلمات يقولهن إذا استيقظ من الليل

- عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال :

[« من تعارَّ من الليل فقال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال « اللهم اغفر لى » ، أودعا

---

(١) المنتقى للإمام أبى الوليد سليمان الباجى على موطأ الإمام مالك باب ما جاء فى صلاة الليل جـ ١ ص ٢١١ الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة .

(٢) عون المعبود شرح سنن أبى داود للعلامة أبى الطيب محمد شمس الحق عبد العظيم أبادى جـ ٤ ص ١٩٩ طبعة السلفية بالمدينة المنورة .

ملحوظة : سنذكر أذكار النوم فى هدى رسول الله ﷺ فى القيام .

استجيب له ، فإن توضأ ثم صلى قبلت صلاته »][1]

قال الحافظ فى الفتح :

[قال فى المحكم : تعار الظليم معرة : صاح ، والتعار أيضا : السهر والتمطى والتقلب على الفراش ليلا مع كلام .

وقال الأكثر : التعار اليقظة مع صوت .

وقال ابن التين : « إن معنى تعار استيقظ لأنه قال « من تعار فقال فعطف القول على التعار » أهـ .

ويحتمل أن تكون الفاء تفسيرية لما صوت به المستيقظ لأنه قد يصوت بغير ذكر ، فخص الفضل المذكور بمن صوّت بما ذكر من ذكر الله تعالى ، وهذا هو السر فى اختيار لفظ تعار دون استيقظ أو انتبه وإنما يتفق ذلك لمن تعود الذكر واستأنس به وغلب عليه حتى صار حديث نفسه فى يقظته ونومه ، فأكرم من اتصف بذلك بإجابة دعوته وقبول صلاته » ثم قال الحافظ : « قال ابن بطال : وعد الله على لسان نبيه أن من استيقظ من نومه لهجا بتوحيد ربه والإذعان له بالملك ، والاعتراف بنعمه بحمده عليها وينزهه عما لا يليق به بتسبيحه والخضوع له بالتكبير والتسليم له بالعجز عن القدرة إلا بعونه ، أنه إذا دعاه أجابه ، وإذا صلى قبلت صلاته ، فينبغى لمن بلغه هذا الحديث أن يغتنم العمل به ويخلص نيته لربه سبحانه وتعالى .

قال ابن المنير فى الحاشية فى قوله « قبلت صلاته » : وجه ترجمة البخارى

---

(١) رواه البخارى وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة . وعند البخارى : أودعا استجيب . فإن توضأ قبلت صلاته .

قال الحافظ فى الفتح جـ٣ : رجال الإسناد كلهم شاميون ، وجميع روايات البخارى اتفقت على تقديم الحمد على التسبيح لكن عند الإسماعيلى بالعكس ، والظاهر أنه من تصرف الرواة لأن الواو لا تستلزم الترتيب .

بفضل الصلاة ، وليس فى الحديث إلا القبول ، وهو من لوازم الصحة سواء كانت فاضلة أم مفضولة لأن القبول فى هذا الموطن أرجى منه فى غيره ، ولولا ذلك لمن يكن فى الكلام فائدة ، فلأجل قرب الرجاء فيه من اليقين تميز على غيره وثبت له الفضل » أ هـ

والذى يظهر أن المراد بالقبول هنا قدر زائد على الصحة ، ومن ثم قال الداودى ما محصله : من قبل الله له حسنة لم يعذبه . ولهذا قال الحسن : وددت أنى أعلم أن الله قبل لى سجدة واحدة .

(**فائدة**) : قال أبو عبد الله الفربرى الراوى عن البخاري :

أجريت هذا الذكر على لسانى عند انتباهى ثم نمت فأتانى آت فقرأ « وهدوا إلى الطيب من القول »][1] أ هـ

● عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذى ردّ على روحى ، وعافانى فى جسدى ، وأذن لى بذكره »[2]

● عن ابن مسعود قال : من قال فى قيام الليل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله كان له مثل أجر أو قال من الأجر كألف ألف حسنة .[3]

---

(١) فتح البارى جـ٣ ص .

(٢) حسن : رواه الترمذى والنسائى وابن السنى فى اليوم والليلة . قال المناوى فى فيض القدير جـ ١ ص ٢٨٠ حديث رقم ٤٣٧ « وقال النووى سنده صحيح ، وقال ابن حجر حسن فقط لتفرد محمد بن عجلان به وهو سىء الحفظ وتبعه السيوطى فرمز لحسنه » وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٣٢٦ .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٤٧ .

الحث على قيام الليل والترغيب فيه

● عن ابن عمر قال : «كان الرجلُ[1] فى حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رُؤْيا قَصَّها على رسول الله ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أنْ أَرَى رُؤْيا أقُصها على النبى ﷺ قال : وكنت غلاما شابا عَزَبا وكنتُ أنامُ فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ فرأيتُ فى النوم كأن مَلَكيْن أخذانى فذهبا بى إلى النار[2] فإذا هى مطويَّةٌ[3] كَطَىِّ البئر ، وإذا لها قرْنان كقرنى البئر[4] ، وإذا فيها ناسٌ قد عرفتهم فجعلت أقول أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار ، أعوذ بالله من النار قال : فلقيهما مَلَكٌ فقال لى : لَمْ تُرَع[5] ، فقصصتُها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ :

« نِعْمَ الرجل عبدُ اللهِ لو كان يصلى من الليل »[6]

قال سالم : فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا .

(**فائدة**) : قال القرطبى : « إنما فسّر الشارع من رؤيا عبد الله ما هو ممدوح لأنه عرض على النار ثم عوفى منها ، وقيل له لا روع عليك وذلك لصلاحه ، غير أنه لم يكن يقوم من الليل فحصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل

---

(١) كان الرجل : إنما ذكر للغالب [ابن حجر العسقلانى] .

(٢) التقدير : أن يذهبا بى إلى النار فيدخلانى فيها فلما نظرتها فإذا هى مطوية .

(٣) فإذا هى مطوية : أى مبنية ، والبئر قبل أن تُبنى تسمى قليبا .

(٤) قرنىْ البئر : قال النووى : « هما الخشبتان اللتان عليهما الخُطّاف ، وهى الحديدة التى فى جانب البكرة ، قاله ابن دريد . وقال الخليل : هما ما يبنى حول البئر ويوضع عليه الخشبة التى يدور عليها المحور وهى الحديدة التى تدور عليها البكرة » .
قال العسقلانى : « إن كان من بناء فهما القرنان ، وإن كان من خشب فهما الزرنوقان ـ بزاى منقوطة قبل المهملة ثم نون ثم قاف ـ وقد يطلق على الخشبة أيضا القرنان .

(٥) لم تُرع : أى لم تخف ، والمعنى لا خوف عليك بعد هذا . ورواية الجمهور بإثبات الألف « تُرَاع » . قال ابن التين : وهى لغة قليلة ـ أى الجزم بلن ـ حتى قال القزار لا أعلم له شاهدا وتعقب بقول الشاعر « ولن يحل للعينين بعدك منظر » .

(٦) رواه البخارى ومسلم واللفظ له وأحمد فى مسنده .

مما يتقى به النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك » .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح :

« شاهد الترجمة قوله « نعم الرجل عبد الله لوكان يصلى من الليل » فمقتضاه أنَّ مَنْ كان يصلى من الليل يوصف بكونه نعم الرجل »[1]

« وفى هذا الحديث أن قيام الليل يدفع العذاب »][2] أ هـ

● قال رسول الله ﷺ :

« **إن عبد الله رجل صالح لو كان يكثر الصلاة من الليل** »[3] .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« **يعقد الشيطانُ على قافية رأس أحدِكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقدٍ ، يَضْرِبُ على كل عُقْدَةٍ : عليك ليلٌ طويلٌ فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلَّتْ عُقدةٌ ، فإن تَوَضَأ انحلت عُقْدَةٌ ، فإن صلى انحلت عُقَدُه كلها ، فأصبح نشيطا طَيِّب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** »[4]

شرح الحديث :

(الشيطان) قال ابن حجر فى الفتح «كأن المراد به الجنس ، وفاعل ذلك هو القرين أو غيره ، ويحتمل أن يراد به رأس الشياطين وهو إبليس ، وتجوز نسبة ذلك إليه لكونه الآمر به الداعى إليه ، ولذا أورده المصنف فى « باب صفة إبليس » من بدء الخلق »[5] .

---

(١) فتح البارى جـ٣ كتاب التهجد باب فضل قيام الليل ص ٩ - ١٠ .

(٢) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم لأبى الجكنى اليوسفى الشنقيطى جـ٣ ص ٤٤٠ دار إحياء التراث .

(٣) رواه البخارى ومسلم وابن ماجة من رواية حفصة . انظر صحيح الجامع حديث ٢١٠١ .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ومالك وأحمد وابن ماجه وقال « فيصبح نشيطا طيب النفس قد أصاب خيرا ، وإن لم يفعل أصبح كسيلا خبيث النفس لم يصب خيرا » .

(٥) فتح البارى ٣/٣٠ - ٣٤ .

(قافية رأس أحدكم) : قال أبو زرعة الحافظ فى « طرح التثريب » :

« ذكر صاحب الصحاح والمحكم والمشارق والنهاية أن القافية القفا ، ثم قال فى النهاية : وقيل قافية الرأس مؤخره ، وقيل وسطه ، وقال النووى فى شرح مسلم : القافية آخر الرأس ، وقافية كل شيء آخره ومنه قافية الشِّعر ، وقال ابن بطال : القافية مؤخر الرأس وفيه العقل والفهم »[1] .

قال الحافظ ابن حجر : « ظاهر قوله (أحدكم) التعميم فى المخاطبين ، ومَنْ فى معناهم ، ويمكن أن يخص منه من تقدم ذكره ، ومن ورد فى حقه أنهُ يحفظ من الشيطان كالأنبياء ، ومن تناوله قوله (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) ، وكمن قرأ آية الكرسى عند نومه فقد ثبت أنه يحفظ من الشيطان حتى يصبح » .

(يضرب على مكان كل عقدة) :

قال الحافظ [« يضرب » أى بيده على العقدة تأكيدا وإحكاما لها قائلا ذلك وقيل معنى يضرب : يحجب الحسّ عن النائم حتى لا يستيقظ ، ومنه قوله تعالى ﴿ **فضربنا على آذانهم** ﴾ أى حجبنا الحسّ أن يلج فى آذانهم فينتبهوا ، وعند سعيد بن منصور بسند جيد عن ابن عمر « ما أصبح رجل على غير وتر إلا أصبح على رأسه جرير قدر سبعين ذراعا » .

(عليك ليل طويل) : قال الحافظ فى الفتح :

[« كذا فى جميع الطرق عند البخارى بالرفع ، ووقع فى رواية أبى مصعب فى الموطأ عن مالك « عليك ليلا طويلا » وهى رواية ابن عيينة عن أبى الزناد عند مسلم .

قال عياض : رواية الأكثر عند مسلم بالنصب على الإغراء ، ومن رفع فعلى الابتداء ، أى باق عليك ، أو بإضمار فعل أى بقى .

---

(١) طرح التثريب فى شرح التقريب ٨٣/٣٠ طبعة دار الفكر العربى .

وقال القرطبي : الرفع أولى من جهة المعنى لأنه الأمكن فى الغرور من حيث أنه يخبره عن طول الليل ثم يأمره بالرقاد بقوله « فارقد » وإذا نصب على الإغراء لم يكن فيه إلا الأمر بملازمة طول الرقاد ، وحينئذ يكون قوله « فارقد » ضائعا ، ومقصود الشيطان بذلك تسويفه بالقيام والإلباس عليه] .

الاختلاف فى هذه العُقد : قال الحافظ فى الفتح : [وقد اختلف فى هذه العقد

● فقيل هو على الحقيقة : وأنه كما يعقد الساحر من يسحره ، وأكثر من يفعله النساء ، تأخذ إحداهن الخيط فتعقد منه عقدة وتتكلم عليه بالسحر فيتأثر المسحور عن ذلك ، ومنه قوله تعالى ﴿ **ومن شر النفاثات فى العقد** ﴾ وعلى هذا فالمعقود شىء عند قافية الرأس لا قافية الرأس نفسها ، وهل العقد فى شعر الرأس أو غيره ؟ الأقرب الثانى إذ ليس لكل أحد شعر ، ويؤيده ما ورد فى بعض طرقه أن على رأس كل آدمى حبلا ، ففى رواية ابن ماجة ومحمد بن نصر من طريق أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا « على قافية رأس أحدكم حبل فيه ثلاث عقد » ولأحمد عن أبى هريرة بلفظ « إذا نام أحدكم عقد على رأسه جرير » وهو الحبل .

وفهم بعضهم من هذا أن العقد لازمة ، ويرده التصريح بأنها تنحل بالصلاة فيلزم إعادة عقدها فأبهم فاعله فى حديث جابر وفُسِّر فى حديث غيره[1]

● وقيل هو على المجاز[2] كأنه شبّه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور

(١) قال الشيخ الألبانى حفظه الله « فى تفسير العقد أقوال والأقرب أنه على حقيقته ، بمعنى السحر للإنسان ، منعه من القيام ، كما يعقد الساحر من سحره » واستشهد الشيخ ناصر مؤيدا كلامه بحديث أبى هريرة يرفعه الذى رواه ابن ماجة وحديث جابر لابن خزيمة انظر صحيح الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٢٥٢ .

(٢) رجّحه ابن عبد البر ، وظنه المقصود كما فى طرح التثريب جـ ٣ ص ٨٢ .

فلما كان الساحر يمنع بعقده ذلك تصرف من يحاول عقده ، كان هذا مثله من الشيطان للنائم .

● وقيل المراد به عقد القلب وتصميمه على الشيء كأنه يوسوس له بأنه بقى من الليلة قطعة طويلة فيتأخر عن القيام ، وانحلال العقد كناية عن علمه بكذبه فيما وسوس به .

● وقيل العقد كناية عن تثبيط الشيطان للنائم بالقول المذكور ، ومنه عقدت فلانا عن امرأته أى منعته عنها ، أو عن تثقيله عليه النوم كأنه قد شد عليه شدادا .

● وقال بعضهم : المراد بالعقد الثلاث الأكل والشرب والنوم ، لأن من أكثر الأكل والشرب كثر نومه [كما قال الأثرى]

واستبعده المحب الطبرى لأن الحديث يقتضى أن العقد تقع عند النوم فهى غيره] أ هـ كلام الحافظ ابن حجر .

● قال ابن بطّال « قال المهلب : قد فسّر النبى ﷺ معنى العقد وهو قوله عليك ليل طويل فارقد فكأنه يقولها إذا أراد النائم الاستيقاظ إلى حزبه فيعتقد فى نفسه أنه قد بقيت من الليلة بقية طويلة حتى يروم بذلك إتلافات ساعات ليله وتفويت حزبه فإذا ذكر الله انحلت عقده أى علم أنه قد مر من الليل طويل . والقافية فيها العقل وعقده فيه اثباته فى فهمه أنه بقى عليه ليل طويل » (١) .

قال الحافظ فى الفتح : « قال القرطبى : الحكمة فى الاقتصار على الثلاث أن أغلب ما يكون انتباه الإنسان فى السحر فإن اتفق له أن يرجع إلى النوم ثلاث مرات لم تنقض النومة الثالثة إلا وقد ذهب الليل وقال البيضاوى : التقييد بالثلاث إما للتأكيد ، أو لأنه يريد أن يقطعه عن ثلاثة أشياء : الذكر والوضوء والصلاة ، فكأنه منع من كل واحدة منها بعقدة عقدها على رأسه . وكأن

(١) طرح التثريب جـ٣ ص ٨١ .

تخصيص القفا بذلك لكونه محل الوهم ومجال تصرفه وهو أطوع القوى للشيطان وأسرعها إجابة لدعوته . وفى كلام الشيخ الملوى أن العقد يقع على خزانة الإلهيات من الحافظة وهى الكنز المحصل من القوى ، ومنها يتناول القلب ما يريد التذكر به » .

(انحلت عقدهُ)

● قال الحافظ « بلفظ الجميع بغير اختلاف فى البخارى ، ووقع لبعض رواة الموطأ بالإفراد ، ويؤيده رواية أحمد المشار إليها قبل فإنّ فيها « فإن ذكر الله انحلت عقدة واحدة ، وإن قام فتوضأ اطلقت الثانية ، فإن صلى أطلقت الثالثة ، وكأنه محمول على الغالب وهو من ينام مضطجعا فيحتاج إلى الوضوء إذا انتبه فيكون لكل فعل عقدة يحلها ، ويؤيد الأول ما سيأتى فى « بدء الخلق » من وجه آخر بلفظ عقده كلها [1] ـ ولمسلم « انحلت العقد » وظاهره أن العقد تنحل كلها بالصلاة خاصة وهو كذلك فى حق من لم يحتج إلى الطهارة كمن نام متمكنا مثلا [2] ثم انتبه فصلى من قبل أن يذكر أو يتطهر ، فإن الصلاة تجزئه فى حل العقد كلها لأنها تستلزم الطهارة وتتضمن الذكر ، وعلى هذا فيكون معنى قوله « فإذا صلى انحلت عقده كلها » إن كان المراد به من لا يحتاج إلى الوضوء فظاهر على ما قررناه ، وإن كان من يحتاج إليه فالمعنى انحلت كل عقدة أو انحلت عقده كلها بانحلال الأخيرة التى بها يتم انحلال العقد .

وفى رواية أحمد المذكورة قبل وهى محمولة على الغالب وهو من ينام مضطجعا فيحتاج إلى تجديد الطهارة عند استيقاظه فيكون لكل فعل عقدة يحلها » أ هـ

---

(١) وهى التى ذكرناها .

(٢) جاء فى فتح البارى طبعة السلفية الثانية من تعليق الشيخ ابن قول الحافظ ابن حجر « هذا فيه نظر والصواب أن النوم ينقض الوضوء وإن كان النائم متمكنا لحديث صفوان « لكن من غائط وبول ونوم » فتنبه والله أعلم . جـ٣ ص ٢٦ .

● قال النووى فى شرح مسلم : « وقوله ﷺ : وإذا توضأ انحلت عقدتان معناه تمام عقدتين أى انحلت عقدة ثانية ، وتم بها عقدتان ومثله فى صحيح مسلم « **من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله** »[1]

● قال الحافظ أبى زرعة فى « طرح التثريب »

« قوله « فإن صلى انحلت عقدة » روى بفتح القاف على الجَمْع ، وبإسكانها على الإفراد كاللتين قبلها والأول هو المشهور وهو الذى ضبطناه عن شيخنا والدى رحمه الله ، ويدل له قوله فى رواية مسلم « العقد » وقوله فى رواية النسائى « العقد كلها » ، ونقل ابن عبد البر عن رواية يحيى بن يحيى الثانى وعلى الأول فالمراد أنه انحل بالصلاة تمام عقده »[2]

● قوله (طيب النفس)

قال النووى : « معناه لسروره بما وفقه الله الكريم له من الطاعة ، ووعده به من ثوابه مع ما يبارك له فى نفسه ، وتصرفه فى كل أموره مع مازال عنه من عقد الشيطان وتثبيطه »

قال الحافظ فى الفتح « والذى يظهر لى أن فى صلاة الليل سرا فى طيب النفس وإن لم يستحضر المصلى شيئا مما ذكر ، وكذا عكسه ، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ **إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا** ﴾ وقد استنبط بعضهم من أن من فعل ذلك مرة ثم عاد إلى النوم لا يعود إليه الشيطان بالعقد المذكور ثانيا ، واستثنى بعضهم – ممن يقوم ويذكر ويتوضأ ويصلى – من لم ينهه ذلك عن الفحشاء ، بل يفعل ذلك من غير أن يقلع ، والذى يظهر فيه التفصيل بين من يفعل ذلك مع الندم والتوبة والعزم على الإقلاع وبين المصرّ »[3] .أهـ .

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ٢ ص ٤٣٥ .
(٢) طرح التثريب جـ٣ ص ٨٥ .
(٣) انظر فتح البارى فى شرح هذا الحديث جـ٣ ص ٣٠ – ٣٤ .

قوله (وإلا أصبح خبيث النَّفْس ..)

● قال النووى : « معناه لما عليه من عقد الشيطان وآثار تثبيطه ، واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه » .

● وقال الحافظ [« خبيث النفس » أى بتركه ماكان اعتاده أو أراده من فعل الخير كذا قيل «كسلان » غير مصروف للوصف ولزيادة الألف والنون »]

● قال الحافظ أبو زرعة فى « طرح التثريب » [قال أبو العباس القرطبى : نشيطا لما يرد عليه من العبادات لكونه ألفها ، طيب النفس لرجاء ثواب ما فعل . وقوله « خبيث النفس » : أى بشؤم تفريطه وتمام خديعة الشيطان له ، كسلان أى متثاقل عن الخيرات ، وربما يحمله ذلك على تضييع الواجبات ، انتهى وهو قريب من المعنى الذى ذكره النووى لكنه أحسن منه بيانا وإيضاحا]

فائدة : قال النووى : « ظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة وهى الذكر والوضوء والصلاة فهو داخل فيمن يصبح خبيث النفس كسلان » .

قال الحافظ ـ وقد ذكر كلام النووى السابق : [وإن أتى ببعضها ـ وهو كذلك لكن يختلف ذلك بالقوة والخفة ، فمن ذكر الله مثلا كان فى ذلك أخف ممن لم يذكر أصلا » ووافقه أبو زرعة .

● ثم ذكر الحافظ ابن حجر [« وروينا فى حديث أبى سعيد « **فإن قام فصلى انحلت العقد كلهن وإن استيقظ ولم يتوضأ ولم يصل أصبحت العقد كلها كهيئتها** » وقال ابن عبد البر : هذا الذم يختى بمن لم يقم إلى صلاته وضيّعها ؛ أما من كانت عادته القيام إلى الصلاة المكتوبة أو إلى النافلة بالليل فغلبته عينه فنام فقد ثبت أن الله يكتب له أجر صلاته ونومه عليه صدقة .

وقال أيضاً : زعم قوم أن هذا الحديث يعارض قوله ﷺ « **لا يقولن أحدكم خبثت نفسى** » وليس كذلك لأن النهى إنما ورد عن إضافة المرء ذلك

إلى نفسه كراهة لتلك الكلمة ، وهذا الحديث وقع ذما لفعله ، ولكل من الحديثين وجه .

وقال الباجى : « ليس بين الحديثين اختلاف ، لأنه نهى عن إضافة ذلك إلى النفس ـ لكون الخبث بمعنى فساد الدين ـ ووصف بعض الأفعال بذلك تحذيرا منها وتنفيرا .

قلت [1] ـ تقرير الإشكال أنه ﷺ نهى عن إضافة ذلك إلى النفس فكل ما نهى المؤمن أن يضيفه إلى نفسه نهى أن يضيفه إلى أخيه المؤمن ، وقد وصف النبى ﷺ هذا المرء بهذه الصفة فيلزم جواز وصفنا له بذلك لمحل التأسى ، ويحدث الإنفصال فيما يظهر بأن النهى محمول على ما إذا لم يكن هناك حامل على الوصف بذلك كالتنفير والتحذير] أ هـ كلام الحافظ فى الفتح .

تنبيهات وفوائد : ـ

الأول : الاختلاف فى الصلاة المرادة فى هذا الحديث هل هى صلاة العشاء أو الصبح أو تهجد الليل :

[قال الحافظ فى الفتح :

يحتمل أن تكون الصلاة صلاة العشاء ، فكأنه يرى أن الشيطان إنما يفعل ذلك بمن نام قبل صلاة العشاء ، فكأنه يرى أن الشيطان إنما يفعل ذلك بمن نام قبل صلاة العشاء ، بخلاف مَنْ صلاّها ولا سيما فى الجماعة . وكأن هذا هو السر في إيراده لحديث سمرة عقب هذا الحديث لأنه قال فيه « وينام عن الصلاة المكتوبة » ولا يعكر على هذا كونه أورد هذه الترجمة في تضاعيف صلاة الليل لأنه يمكن أن يجاب عنه بأنه أراد دفع توهم من يحمل الحديثين على صلاة الليل ، لأنه ورد فى بعض طرق الحديث « حديث سمرة » مطلقا غير مقيد بالمكتوبة ،

---

(١) الحافظ ابن حجر .

والوعيد علامة الوجوب ، وكأنه أشار إلى خطأ من احتج به على وجوب صلاة الليل حملا للمطلق على القيد .

ثم قال الحافظ : ثم وجدت معنى هذا الاحتمال للشيخ ولى الدين الملوى وقوّاه بما ذكرته من حديث سمرة ، فحمدت الله على التوفيق لذلك ، ويقويه ما ثبت عنه ﷺ « أن من صلى العشاء فى جماعة كان كمن قام نصف ليلة « لأن مسمى قيام الليل يحصل للمؤمن بقيام بعضه ، فحينئذ يصدق على من صلى العشاء فى جماعة أنه قام الليل . والعقد المذكورة تنحل بقيام الليل فصار من صلّى العشاء فى جماعة كمن قام الليل فى حل عقد الشيطان »]

● قال الحافظ أبو زرعة « طرح التثريب » : [ويوافق ذلك أن الطحاوى حمل قوله عليه الصلاة والسلام فيمن نام ليله كله حتى أصبح « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه » على أنه نام عن صلاة العشاء حتى انقضى الليل كله . قال ابن عبد البر : ويدل على ذلك أن من السلف قوما كانوا ينامون قبل العشاء ، ويصلونها فى وقتها ثم حكى عن الحكم قال : كانوا ينامون قبل صلاة العشاء ، وعن ابن عمر أنه كان يرقد قبل صلاة العشاء ويوكل من يوقظه ، وعن سرية لعلى رضى الله عنه أنه ربما أغفى قبل العشاء ، وذكر إباحة النوم قبل العشاء عن الأسود بن يزيد وعروة بن الزبير وعلى الأزدى وسعيد بن جبير وابن سيرين ذكره ابن أبى شيبة عنهم وهذا كله عنهم على أنهم كانوا يصلون العشاء فى وقتها أو مع الجماعة » انتهى كلام ابن عبد البر] أ هـ .

● قال أبو زرعة : [ويخالف هذا الذى ذكرته أن البخارى أورد هذا الحديث فى صلاة الليل وذلك مناف لحمله على صلاة العشاء والله أعلم] .

● قال أبو زرعة [قال ابن العربى « وهذه العقدة تنحل بصلاته الصبح ويكون فى ذمة الله كما قال رسول الله ﷺ] .

ما ذكره ابن العربى من حمل الصلاة التى تنحل بها عقدة الشيطان على

صلاة الصبح لا بأس به ، ويؤيده أن فى رواية الإمام أحمد فى مسنده « فإن أصبح ولم يصل الصبح أصبح خبيث النفس » الحديث . ويوافق ذلك كلام ابن عبد البر فإنه قال : فيه الإخبار عن حال من لم يقم إلى صلاته وضيّعها حتى خرج وقتها ثم قال : أما من كانت عادته القيام إلى صلاته المكتوبة أو نافلته من الليل فغلبته عينه فقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام أنه يكتب له أجر صلاته ونومه صدقة عليه . وقال الله عز وجل ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها** ﴾ الآية وفى هذا كله العذر المبين ، والمخرج الواسع لمن غلبه نومه على صلاته .

ثم قال الحافظ أبو زرعة : إن الحديث ندبه إلى قيام الليل والاستغفار بالأسحار وأقل أحواله أن يكون ندبا إلى أن لا يطلع الفجر على المؤمن إلا وقد ذكر الصلاة وتأهب بالوضوء للصلاة .

وقد ظهر بذلك أنه قد حصل التردد فى الصلاة المرادة فى هذا الحديث والله أعلم [(1)] أ هـ كلام أبى زرعة .

الثانى : قال الحافظ فى الفتح « ذكر الليل فى قوله « عليك ليل » ظاهرة إختصاص ذلك بنوم الليل ، وهو كذلك ، لكن لا يبعد أن يجىء مثله فى نوم النهار كالنوم حالة الإبراد ولا سيما على تفسير البخارى أن المراد بالحديث الصلاة المفروضة » أ هـ .

الثالث : « قال الحافظ فى الفتح « قد يظن أن بين هذا الحديث وحديث أبى هريرة الذى فيه « إن قارىء آية الكرسى عند نومه لا يقربه الشيطان » معارضة ، وليس كذلك ، لأن العقد إن حمل على الأمر المعنوى ، والقرب على الأمر الحسى وكذا العكس فلا إشكال ، إذ لا يلزم من سحره إياه أن يماسه ، كما لا يلزم من مماسته أن يقربه بسرقة أو أذى فى جسده ونحو ذلك . وإن حملا على المعنويين أو العكس فيجاب بإدعاء المخصوص فى عموم أحدهما . والأقرب أن المخصوص حديث الباب كما تقدم تخصيصه عن ابن عبد البر بمن لم ينو القيام ،

---

(1) طرح التثريب جـ ٣

فكذا يمكن أن يقال يختص بمن لم يقرأ آية الكرسى لطرد الشيطان والله أعلم »

الرابع : قال الحافظ أبو زرعة « فى الحديث فضيلة الصلاة بالليل ، وإن قلت لكن هل يحصل انحلال عقدة الشيطان الأخيرة بمجرد الشروع فى الصلاة أو بتمامها ؟ الظاهر الثانى ، فإنه لو أفسدها قبل تمامها لم يحصل بذلك غرض . ورأيت والدى رحمه الله لما سئل عن الحكمة فى افتتاح الليل بركعتين خفيفتين، أجاب عن ذلك بأن الحكمة فيه استعجال حل عقد الشيطان وهو معنى حسن بديع ومقتضاه ما رجحته من أنه لا يحصل ذلك إلا بتمام الصلاة » .

قال الحافظ فى الفتح « ذكر شيخنا الحافظ أبو الفضل بن الحسين فى « شرح الترمذى » أن السر فى افتتاح صلاة الليل بركعتين خفيفتين المبادرة إلى حل عقد الشيطان ، وبناه على أن الحل لا يتم إلا بتمام الصلاة ، وهو واضح ، لأنه لو شرع فى صلاة ثم أفسدها لم يساو من أتمّها ، وكذا الوضوء ، وكأن الشروع فى حل العقد يحصل بالشروع فى العبادة وينتهى بانتهائها.»

وفى الرد على من يقول ويورد أن الركعتين الخفيفتين إنما وردتا من فعله ﷺ وهو منزه عن عقد الشيطان قال الحافظ « ورد الأمر بصلاة الركعتين الخفيفتين عند مسلم من حديث أبى هريرة ، حتى ولو لم يرد الأمر بذلك لأمكن أن يقال : يحمل فعله ذلك على تعليم أمته وإرشادهم إلى ما يحفظهم من الشيطان . وقد وقع عند ابن خزيمة من وجه آخر عند أبى هريرة فى آخر الحديث « فحلوا عقد الشيطان ولو بركعتين » .

الخامس : قال الحافظ فى الفتح : « لا يتعين الذكر شىء مخصوص لا يجزىء غيره ، بل كل ما صدق عليه ذكر الله أجزأ ، ويدخل فيه تلاوة القرآن ، وقراءة الحديث النبوى ، والاشتغال بالعلم الشرعى ، وأولى ما يذكر به « فضل من تعارّ من الليل » وإلى قول الحافظ ذهب أبو زرعة وفضّل الأذكار المأثورة حتى وإن حصل الذكر بغيرها .

● عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« مامن ذكر ولا أنثى إلا على رأسه جرير معقود حين يرقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلّتْ عقدة ، فإن قام فتوضأ وصلى انحلت العقد ، وأصبح خفيفا طيِّبَ النفس قد أصاب خيراً »[1]

قال ابن خزيمة : الجرير : الحبل .

● عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« مامن مسلم ، ذكر ولا أنثى ، ينامُ إلا وعليه جرير معقودٌ ، فإن هو توضأ وقام إلى الصلاة أصبح نشيطا قد أصاب خيرا ، وقد انحلت عُقَدهُ كلها ، وإن استيقظ ولم يذكر الله أصبح وعقده عليه ، وأصبح ثقيلا كسلان ، ولم يُصِبْ خيراً »[2]

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »[3]

---

(١) حديث صحيح : رواه ابن خزيمة فى صحيحه جـ ٢ ص ١٧٥ ، ١٧٦ وقال الألبانى حديث صحيح ، وقال الدكتور محمد مصطفى الأعظمى إسناده صحيح ، انظر أيضا صحيح الترغيب جـ ١ حديث رقم ٦١٠ .

(٢) حديث صحيح : رواه ابن حبان فى صحيحه وقال الألبانى : حديث صحيح . انظر صحيح الترغيب والترهيب جـ ١ / ٢٦٦ حديث رقم ٦٤٤ .

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه قال ابن حجر فى الفتح جـ ٣ ص ٩ : [« وقد أخرج فيه مسلم حديث أبى هريرة « أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » وكأن البخارى توقف فيه للاختلاف فى وصله وإرساله وفى رفعه ووقفه] .

وقال أبو عيسى الترمذى : حديث أبى هريرة حسن انظر تحفة الأحوذى جـ ٢ ص ٥١٧ وجاء فى تحفة الأشراف للمزى : قول الترمذى عن هذا الحديث « حسن صحيح » انظر تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف للمزى جـ ٩ ص ٣٣٦ ، ٤١٦ ، وصححه الألبانى انظر صحيح الترغيب والترهيب جـ ١ حديث رقم ٦١١ .

لطيفة فى الإسناد : قال النووى : اعلم أن أبا هريرة يروى عنه اثنان كل واحد منهما حُميد بن عبد الله أحدهما هذا الحِميَّرىّ ، والثانى حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، قال الحميدى =

● قال النووى رحمه الله : [قوله ﷺ « وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل ، فيه دليل لما اتفق العلماء عليه أن تطوع الليل أفضل من تطوع النهار .

وفيه حجة لأبى إسحاق المروزى من أصحابنا ومن وافقه أن صلاة الليل أفضل من السنن الراتبة ، وقال أكثر أصحابنا : الرواتب أفضل لأنها تشبه الفرائض ، والأول أقوى وأوفق للحديث والله أعلم »] .

● قال المباركفورى فى تحفة الأحوذى « قال الطيبى : « ولعمرى إن صلاة التهجد لو لم يكن فيها فضل سوى قوله تعالى ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع** ﴾ إلى قوله ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** ﴾ وغيرهما من الآيات لكفاه مزية » أ هـ .

● قال رسول الله ﷺ :

« أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة فى جوف الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان صيام شهر الله المحرّم » .(١)

● عن أم سلمة رضى الله عنها « أن النبى ﷺ استيقظ ليلة فقال :

= فى « الجمع بين الصحيحين » : « كل ما فى البخارى ومسلم حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة فهو الزهرى إلا هذا الحديث خاصة ، « أفضل الصلاة ... » فإن رواته حميد بن عبد الرحمن الحميرى عن أبى هريرة ، وهذا الحديث لم يذكره البخارى ، ولا ذكر للحميرى فى البخارى أصلا ولا فى مسلم إلا هذا الحديث » أ هـ .

(١) رواه مسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجة عن أبى هريرة ، والرُّويانى « محمد بن هارون الحافظ » فى « مسنده » ، والطبرانى فى الكبير عن جندب » انظر صحيح الجامع .

« سبحان الله ، ماذا أنزل الليلة من الفتنة ، ماذا أنزل من الخزائن ، من يوقظ صواحب الحجرات ، يارب كاسية فى الدنيا عارية فى الآخرة»[1]، [2]

● ذكر البخارى هذا الحديث فى باب « تحريض النبى ﷺ على قيام الليل من غير إيجاب » قال الحافظ فى الفتح[3] « قال ابن رشيد : كأن البخارى فهم أن المراد بالإيقاظ الإيقاظ للصلاة لا لمجرد الإخبار بما أنزل ، لأنه لو كان لمجرد الإخبار لكان يمكن تأخيره إلى النهار لأنه لا يفوت » ثم ذكر آراءً أخرى ورجحّ هذا الرأى وقال « وما نسبه إلى فهم البخارى أو لا فهو المعتمد ، فإنه وقع فى رواية شعيب عن الزهرى عند المصنف فى الأدب وغيره فى هذا الحديث « من يوقظ صواحب الحجر يريد أزواجه حتى يصلين »

وفى الحديث إيقاظ الرجل أهله بالليل للعبادة ، لاسيما عند نزول آية »[4] .

● عن على بن أبى طالب « أن رسول الله ﷺ طرَقه وفاطمة بنت النبى عليه السلام ليلة فقال : ألا تُصَلِّيان ؟

فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا . فانصرف حين قلت ذلك ولم يَرْجعْ إلىّ شيئا ، ثم سمعته .وهو مُوَلٌّ يضرب فَخِذَه وهو يقول : « **وكان الإنسان أكثر شىء جَدَلاً** »[5]

(طرقه وفاطمة) فى رواية مسلم لم يذكر « ليلة »

قال النووى والعسقلانى : الطروق الإتيان بالليل .

---

(١) أخرجه البخارى والترمذى وأحمد فى مسنده عن أم سلمة انظر صحيح الجامع رقم ٣٥٩٣ .

(٢) جاء فى تحقيق شرح السنة : عارية : بتخفيف الياء ، وهى مجرورة فى أكثر الروايات على النعت ، وقال السهيلى إنه الأحسن عند سيبويه لأن « رب » عنده حرف جر يلزم صدر الكلام ، ويجوز الرفع على اضمار مبتدأ والجملة فى موضع النعت أى هى عارية .

(٣) فتح البارى جـ ٣ ص ١٤ .

(٤) تحقيق شرح السنة لشعيب الأرناؤوط زهير الشاويش جـ ٤ ص ٣٤ .

(٥) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

قال العسقلانى « وعلى هذا فقوله « ليلة » للتأكيد . وحكى ابن فارس أن معنى « طرق » أتى ، فعلى هذا يكون فى قوله « ليلة » بيان وقت المجىء ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ليلة : أى مرة واحدة .

قوله « ألا تصليان » وعند مسلم « طرقه وفاطمة فقال ألا تصلون » قال النووى : هكذا هو فى الأصول « تصلون » وجمع الإثنين صحيح لكن هل هو حقيقة أو مجاز ؟ فيه الخلاف المشهور والأكثرون على أنه مجاز والآخرون قالوا أنه حقيقة .

قوله « بعثنا » أى أيقظنا ، (ولم يرجع) أى لم يجبنى .

قوله « يضرب فخذه » قال النووى « المختار فى معناه أنه تعجب من سرعة جوابه ، وعدم موافقته له على الاعتذار بهذا ، ولهذا ضرب فخذه ، وقيل : قاله تسليما لعذرهما وأنه لا عتب عليهما »(1)

● قال العسقلانى فى الفتح [« قال ابن بطّال : فيه فضيلة صلاة الليل وإيقاظ النائمين من الأهل والقرابة لذلك » ، قال الطبرى : لولا ما علم النبى ﷺ من عظم فضل الصلاة فى الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه فى وقت جعله الله لخلقه سكنا لكنّه اختار لهما احراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالا لقوله تعالى ﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾(2) .

● عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال :

أوّل ما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، انجفل الناس إليه فكنتُ فيمن جاءه ، فلما تأملتُ وجهه ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب ، قال : فكان أولّ ما سمعت من كلامه أن قال :

« **أيها الناس ! أَفْشُوا السلامْ ، وأطعموا الطعامْ ، وصِلُوا الأرحامْ ، وصَلّوا**

---

(1) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ٢ ص ٤٣٣ .

(2) فتح البارى جـ ٣ ص ١٥ .

بالليل والناس نيام[١] ، تدخلوا الجنة بسلام »[٢] .

انجفل الناس : أى أسرعوا ومضوا كلهم .

استبنته : أى تحققته وتبينته .

● عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أطِبِ الكلامَ ، وأفْشِ السَّلاَمْ ، وصِلِ الأرحامْ ، وصَلِّ بالليل والناس نيامْ ، ثم ادخل الجنَّة بسلامْ »[٣] .

● عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال :

« فى الجنة غرفة يُرى ظاهرُها من باطنها ، وباطِنُها من ظاهرها » فقال أبو مالك الأشعرى : لمن هى يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطابَ الكلام ، وأطعمَ الطعامْ ، وبات قائما والناس نيامْ »[٤]

● وعن أبي مالك الأشعرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :

« إنّ فى الجنة غرفا يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنُها من ظاهرها ، أعدَّها

---

(١) قال الألبانى حفظه الله « هذا وكل ما يشبهه مما سبق أو يأتى من الكلام المقفّى المسجّع قلّ أو كثر ، يقف القارىء على كل فصل منه ، ولا يعرب آخره مراعاة للسجع والوزن ونظيره « الله أكبر ، خربت خيبر » وما فى معناه . كما فى العجالة (٧٩ ـ ٨٠) وقد أطال القول فيه » انظر صحيح الترغيب جـ ١ ص ٢٥٣ بالهامش .

(٢) صحيح ؛ رواه أحمد فى مسنده والترمذى وابن ماجة والحاكم : قال الترمذى « حديث حسن صحيح » ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين وقال الألبانى حديث صحيح . انظر صحيح الجامع ـ رقم ٧٧٤٢ ، الصحيحة رقم ٥٦٩ وصحيح الترغيب جـ ١ ص ٢٥٣ .

(٣) حديث صحيح : أخرجه ابن حبان فى صحيحه وأبو نعيم فى الحلية ، وضعفه السيوطى وقال المناوى فى فيض القدير جـ ١ ص ٥٣٦ : وفيه أبي نعيم عبد الله بن صالح بن عبد الجبار قال فى اللسان عن العقيلى : شيخ مجهول وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١٠٣٠) والأحاديث الصحيحة رقم ٥٦٩ .

(٤) حديث صحيح : رواه الطبرانى فى « الكبير » بإسناد حسن ، والحاكم وقال « صحيح على شرطها » ووافقه الذهبى ، وحسّنه الهيثمى وصححه الألبانى انظر صحيح الترغيب رقم ٦١٣ .

اللهُ لمن أطعم الطعامْ ، وأفشى السلامْ ، وصلى بالليل والناس نيامْ»[1] فسبحان من جعل الغرف جزاء التهجد ثناءً على صلاة الليل .

● قال رسول الله ﷺ :

« إن فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام »[2]

● قال رسول الله ﷺ :

« أتانى الليلة ربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة ، فقال يا محمد : هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا ، فوضع يده بين كتفى ، حتى وجدت بردها بين ثديى فعلمت فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم ، فى الكفارات والدرجات والكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات ، والمشى على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء فى المكاره ، قال : صدقت يا محمد ومن فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، وقال : يا محمد : إذا صليت فقل : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، وتتوب على ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون »

---

(١) حديث صحيح : رواه ابن حبّان فى « صحيحه » وقال الألبانى حديث صحيح انظر صحيح الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٢٥٤ حديث رقم ٦١٤ .

(٢) حديث حسن : رواه أحمد فى « مسنده » وابن حبان فى « صحيحه » والبيهقى « فى شعب الإيمان » عن أبى مالك الأشعرى . والترمذى عن على قال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقد تكلم فيه من قبل حفظه . وضعف إسناده العراق . قال الهيثمى : رجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن معانق ووثقه بن حبان .
قال المناوى : هو وإن ضعفه ابن عدى لكن أقام له شواهد يعتضد بها وقال الألبانى « حديث حسن » انظر صحيح الجامع حديث ٢١١٩ ، وتخريج الترغيب ٤٦/٢ ، وتخريج المشكاة ١٢٣٥ .

والدرجات : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام »[1] .

● وقال رسول الله ﷺ :

« ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات ، فأما المهلكات : فشح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

وأما المنجيات : فالعدل فى الغضب والرضا ، والقصد فى الفقر والغنى ، وخشية الله تعالى فى السر والعلانية .

وأما الكفارات : فانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وإسباغ الوضوء فى السبرات ، ونقل الأقدام إلى الجماعات .

وأما الدرجات : فإطعام الطعام وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام »[2] .

---

(١) حديث صحيح : رواه الترمذى وأحمد فى « مسنده » وعبد الرزاق فى « الجامع » وعبد حميد عن ابن عباس . وقال الترمذى : حديث حسن غريب ورواه معاذ بن جبل : قال الترمذى : سألت محمد بن إسماعيل البخارى عن هذا فقال : هذا حديث حسن صحيح وقد صححه الإمام أحمد والإمام ابن رجب وجمع طرقه الإمام ابن رجب انظر « اختيار الأولى » وصححه الألبانى حديث رقم ٥٩ جـ ١ ص ٧٢ ، ٧٣ وانظر تخريج الترغيب والترهيب جـ ٩ ص ١٦٤ - ١٦٥ حديث ١٦٤ قال الألبانى : [« وسنده صحيح » وقد تكلمت عليه فى أول « الجنائز » من « ارواء الغليل » وقد كنتْ ذهبت فى بعض التعليقات إلى تضعيف الحديث فقد رجعت عنه . وقال الشيخ الناجى : ان الحافظ أبا أحمد العسال قد ساق فى كتاب « المعرفة » الحديث من عدة طرق وألفاظ ، ومن رواية جماعة من الصحابة وأكثرها مصرح بأن ذلك كان فى المنام ، صحيح الترغيب جـ ١ ص ١٦٥ ، ورد فى بعض الروايات « واسباغ الوضوء فى السبرات وهى شدة البرد .

(٢) حسن رواه الطبرانى فى « الأوسط وأبو نعيم عن ابن عمر : قال العلاء : سنده ضعيف وعده فى الميزان من المناكير ، وقال الهيثمى فى « المجمع » (١/١٩١ - ١٩٣) فيه ابن لهيعة ومن لا يعرف . وقال المنذرى فى « الترغيب والترهيب » « وأسانيده وإن كان لا يسلم شىء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى . وقال الألبانى فى السلسلة الصحيحة (١٨٠٢) : والحديث بمجموع هذه الطرق حسن على أقل الدرجات إن شاء الله تعالى وبه جزم المنذرى فى الترغيب » .

قال المناوى : « أى التهجد فى جوف الليل حال غفلة الناس واستغراقهم فى لذة النوم وذلك هو وقت الصفاء وتنزلات غيث الرحمة وإسراف الأنوار .

● وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« **أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داود ، وأحبُّ الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثُلُثَه ، وينام سُدُسَه ، ويصوم يوما ويفطر يوما** » (١)

قال الحافظ فى الفتح : [« قال المهلب : كان داود عليه السلام يجمّ نفسه بنوم أول الليل ثم يقوم فى الوقت الذى ينادى الله فيه : هل من سائلٍ فأعطيه سؤله ، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام فى بقية الليل ، وهذا هو النوم عند السحر . وإنما صارت هذه الطريقة أحب من أجل الأخذ بالرفق للنفس التى يخشى منها السآمة ، وقد قال ﷺ :

« **إن الله لا يمل حتى تملوا** » والله يحب أن يديم فضله وإحسانه] أ هـ .

● عن ابن جريج أخبرنى عمرو بن دينار أن عمرو بن أوس أخبره عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال :

« **أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم نصف الدهر ، وأحب الصلاة إلى الله عز وجل صلاة داود عليه السلام « كان يرقد شطر الليل ثم يقوم ثم يرقد آخره ثم يقوم ثلث الليل بعد شطره** » (٢)

قال : قُلتُ لعمرو بن دينار أعمرو بن أوس كان يقولُ : يقوم ثلث الليل بعد شَطْره ؟ قال نعم .

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأحمد فى مسنده .

(٢) رواه مسلم .

فائدة هامة : « قال ابن حجر فى الفتح : « وفى رواية ابن جريج من الفائدة ترتيب ذلك بثم ففيه رد على من أجاز فى حديث الباب أن تحصل السنة بنوم السدس الأول مثلا ، وقيام الثلث ، ونوم النصف الأخير ، والسبب فى ذلك أن الواو لا ترتب »] [1]

● عن جابر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلاّ أعطاه إياه ، وذلك فى كل ليلة » [2] .

قال المناوى فى فيض القدير : [نكرها حثا على طلبها بإحياء الليالى . وذلك المذكور يحصل كل ليلة فلا يختص ببعض الليالى بل كائن فى جميعها ، قيل تلك الساعة فى الثلث الأخير الذى يقول الله من يدعونى فاستجيب له ، وقيل وقت السحر ، وقيل مطلقة ، وجزم الغزالى بأنها مبهمة فى جميع الليالى كليلة القدر فى رمضان ، وحكمة إبهامها توفر الدواعى على مراقبتها ، والاجتهاد فى الدعاء فى جميع ساعات الليل كما قالوه فى إبهام ليلة القدر] [3] .

● قال رسول الله ﷺ : **« إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله إلى السماء الدنيا فيقول : هل من سائل فيعطى ؟ هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له ؟ حتى ينفجر الصبح »** [4] .

● قال رسول الله ﷺ : **« يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا**

---

(١) فتح البارى جـ ٣ ص ٢٢ .
(٢) أخرجه مسلم وأحمد فى مسنده .
(٣) فيض القدير للمناوى جـ ٢ ص ٤٧١ ، ٤٧٢ .
(٤) رواه مسلم عن أبى هريرة .

حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فاستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له ؟ »(١)

• قال رسول الله ﷺ : « ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، من ذا الذى يدعونى فاستجيب له ؟ ومن ذا الذى يسألنى فأعطيه ؟ ومن ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر »(٢) .

• قال رسول الله ﷺ : « ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا لثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ أو يسألنى فأعطيه ثم يبسط يديه فيقول ، من يقرض غير عدوم ولا ظلوم »(٣) .

• قال رسول الله ﷺ : « ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ؟ من يسألنى فأعطيه ؟ من يستغفرنى فأغفر له »(٤) .

• قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى يمهل حتى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى السماء الدنيا فنادى : هل من مستغفر ؟ هل من تائب ؟ هل من سائل ؟ هل من داع ؟ حتى ينفجر الفجر »(٥) .

• قال رسول الله ﷺ : « إن الله يمهل حتى إذا ذهب من الليل نصفه أو ثلثاه قال : لا يسألن عبادى غيرى من يسألنى استجب له ، من يسألنى أعطه ، من يستغفرنى أغفر له حتى يطلع الفجر »(٦) .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .
(٢) أخرجه مسلم والترمذى عن أبى هريرة .
(٣) رواه مسلم عن أبى هريرة .
(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد فى مسنده .
(٥) رواه أحمد فى مسنده ومسلم عن أبى سعيد وأبى هريرة معا .
(٦) رواه ابن ماجة عن رفاعة الجهنى وصححه الألبانى انظر صحيح الجامع رقم ١٩١٣ والإرواء ٤٤٩

• قال النووى فى شرح مسلم « فيه إثبات ساعة الإجابة فى كل ليلة ، ويتضمن الحث على الدعاء فى جميع ساعات الليل رجاء مصادفتها »[1] أ هـ

قال الحافظ « لم تختلف الروايات عن الزهرى فى تعيين الوقت ، واختلفت الروايات عن أبى هريرة وغيره ، قال الترمذى : رواية أبى هريرة أصح الروايات ، ويقوى ذلك أن الروايات المخالفة اختلف فيها على رواتها » أ هـ .

• وقال النووى فى شرح مسلم « قال القاضى عياض : الصحيح رواية حين يبقى ثلث الليل الآخر كذا قاله شيوخ الحديث ، وهو الذى تظاهرت عليه الأخبار بلفظه ومعناه ، قال : ويحتمل أن يكون النزول بالمعنى المراد بعد الثلث الأول ، وقوله : من يدعونى بعد الثلث الأخير ، هذا كلام القاضى .

قلت – أى النووى – : ويحتمل أن يكون النبى ﷺ علم بأحد الأمرين فى وقت فأخبر به ، ثم أعلم بالآخر فى وقت آخر فأخبر به ، وسمع أبو هريرة الخبرين فنقلهما جميعا ، وسمع أبو سعيد الخدرى خبر الثلث الأول فقط فأخبر به مع أبى هريرة ، كما ذكره مسلم وهذا ظاهر . وفيه ردّ لما أشار إليه القاضى من تضعيف رواية الثلث الأول ، وكيف يضعفها وقد رواها مسلم فى صحيحه بإسناد لا مطعن فيه عن الصحابيين أبى سعيد وأبى هريرة والله أعلم .

• قال الحافظ ابن حجر : « سلك بعضهم طريق الجمع وذلك أن الروايات انحصرت فى ستة أشياء : –

حين يبقى ثلث الليل الآخر ، ثانيها : إذا مضى الثلث الأول . ثالثا : الثلث الأول أو النصف ، رابعها : النصف ، خامسها : النصف أو الثلث الأخير ، سادسها : الإطلاق .

فأما الروايات المطلقة فمحمولة على المقيدة .

(1) شرح مسلم جـ ٢ ص ٤٠٦ .

وأما التى بأو فإن كانت أو للشك فالمجزوم به مقدم على المشكوك فيه وإن كانت للتردد بين حالين فيجمع بذلك بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال لكون أوقات الليل تختلف فى الزمان وفى الآفاق باختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم ، وقال بعضهم يحتمل أن يكون النزول يقع فى الثلث الأول والقول يقع فى النصف وفى الثلث الثانى .

وقيل يحمل على أن ذلك يقع فى جميع الأوقات التى وردت بها الأخبار » ثم قال :

« وفى حديث الباب من الفوائد تفضيل صلاة آخر الليل على أوله ، وتفضيل تأخر الوتر ، وأن آخر الليل أفضل للدعاء والاستغفار ، وأن الدعاء فى ذلك الوقت مجاب »[1] .

● قال الحافظ فى الفتح « لم تختلف الروايات على الزهرى فى الاقتصار على الثلاثة المذكورة وهى الدعاء والسؤال والاستغفار ، والفرق بين الثلاثة أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب المسار وذلك إما دينى وإما دنيوى ، ففى الاستغفار إشارة إلى الأول ، وفى السؤال إشارة إلى الثانى ، وفى الدعاء إشارة إلى الثالث .

قال الكرمانى : يحتمل أن يقال الدعاء مالا طلب فيه نحو يا الله ، والسؤال الطلب ، وأن يقال المقصود واحد ، وإن اختلف اللفظ » أ هـ[2]

قوله « فأستجيب » قال الحافظ : ليست السين للطلب بل استجيب بمعنى أجيب » .

● قال رسول الله ﷺ : « **تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادى مناد : هل من داع فيستجاب له ؟ هل من سائل فيعطى ؟ هل من مكروب فيفرّج**

---

(١) فتح البارى لابن حجر جـ٣ ص ٣٨ .

(٢) فتح البارى لابن حجر جـ٣ ص ٣٨ .

عنه ؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارا »[1] : تسعى بفرجها أى تكتسب به ، والعشار هو المكاس .

• وقال رسول الله ﷺ : « **أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن** »[2] .

قال المناوى : [قال الطيبى : يحتمل أن يكون قوله فى جوف الليل حالا من الرب أى قائلا فى جوف الليل من يدعونى فأستجب له سدت مسد الخبر ، أو من العبد ، أى قائما فى جوف الليل داعيا مستغفرا ، ويحتمل أن يكون خبراً لأقرب .

وقوله (الآخر) : صفة الجوف على أن ينصف الليل ويجعل لكل نصف جوف والقرب يحصل فى جوف النصف الثانى فابتداؤه يكون من الثلث الأخير أ هـ .

(فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله) ينخرط فى زمرة الذاكرين لله ويكون له مساهمة معهم .

(فى تلك الساعة فكن) وهذا أبلغ مما لو قيل إن استطعت أن تكون ذاكرا فكن إذ الأولى فيها صيغة عموم شاملة للأنبياء والأولياء فيكون داخلا فيهم »[3] .

---

(١) صحيح : رواه الطبرانى فى الأوسط عن عثمان بن أبى العاص ، كما قال الألبانى وليس فى الكبير كما قال السيوطى . قال الهيثمى : رجاله رجال الصحيح إلا أن فيه على بن زيد وفيه كلام وحسنه السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٢٩٦٨ .

(٢) صحيح : رواه الترمذى واللفظ له والنسائى والحاكم فى المستدرك وابن خزيمة وزاد « إن » عن عمرو بن عَبَسَة . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح وقال الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبى وصححه البغوى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (١١٨٤) وصحيح الترغيب (٦٢٤) وتخريج المشكاة .

(٣) فيض القدير للمناوى جـ ٢ ص ٦٩ .

عمدة الطريق الملازمة والمخالفة ، فالملازمة لذكر الله والمخالفة لما يشغل عنه وهذا هو السفر إلى الله .

- وقال رسول الله ﷺ : « **أفضل الساعات جوف الليل الأخير** »(١) .
- وقال رسول الله ﷺ : « **أفضل الساعات جوف الليل الآخر** »(٢) .
- وقال رسول الله ﷺ : « **عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وهو قربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم** »(٣) .
- وقال رسول الله ﷺ « **عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد** »(٤)

---

(١) صحيح : رواه الطبرانى فى الكبير عن عمرو بن عَبَسَة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ١١١٧ .

(٢) الحديث رقم « ٣٠ » صحيح : رواه أحمد وغيره وصححه الألبانى فى الصحيح رقم (٥٥١) جـ ٢ ص ٨٣ .

(٣) حسن : قال الألبانى « رواه الترمذى فى الدعوات معلقا ، وقد وصله الحاكم وصححه على شرط البخارى ووافقه الذهبى » وفيه معاوية بن صالح لم يخرج له البخارى » و « فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو وإن أخرج له البخارى فإن فيه ضعف ، ومن طريقة رواه « ابن عدى » فى « الكامل » ، والبيهقى فى « سننه » وقال العراق فى تخريج الأحياء بعد ما عزاه إليه وإلى الطبرانى فى الكبير : سنده حسن » أهـ مشكاة المصابيح ١٢٢٧ ، الإرواء رقم ٤٥٢ .

والحديث أيضا رواه ابن خزيمة فى صحيحه وفيه « وهو قربة لكم إلى ربكم »

وقال الألبانى : حديث حسن بشواهده . وقال مصطفى الأعظمى : رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط كما فى مجمع الزوائد ٢ : ٢٥١ .

(٤) حديث صحيح : رواه الترمذى والبيهقى والحاكم فى المستدرك عن بلال ، والترمذى والحاكم فى « المستدرك » والبيهقى فى « السنن » عن أبى أمامة ، وابن عساكر فى « التاريخ » عن ابى الدرداء . والطبرانى فى « الكبير » عن سلمان . وابن السني عن جابر . قال الحاكم على شرط البخارى وأقرّه الذهبى . وقال الهيثمى : فى سند الطبرانى عبد الرحمن بن سليمان بن أبى الجون ضعّفه أبو داود ووثقه ابن حبان ، وقال الألبانى حديث صحيح أنظر صحيح الجامع رقم ٣٩٥٨ جـ ٤ ص ٥٠ . قال الألبانى : فى لإرواء حديث رقم ٤٥٢ : عزاه السيوطى لأحمد والحاكم وابن السنى وأبى نعيم وعزوه لأحمد خطأ وللحاكم محتمل ، وحديث سلمان عزاه لابن السنى وأبى نعيم أيضاً .

قوله « قبلكم » قال المناوى [« أى هى عادة قديمة واظب عليها الكمل السابقون ، واجتهدوا فى إحراز فضلها .

وقربة إلى الله تعالى : نكرّ القربة إيذانا بأن لها شأنا ، وأتى بالجملة ولم يعطف قربة على دأب الصالحين لتدل باستقلالها على مزيد تقريب .

قال ابن الحاج : وفى القيام من الفوائد أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة ، وينور القبر ويحسن الوجه ويذهب الكسل وينشط البدن ، وترى الملائكة موضعه من السماء كما يتراءى الكوكب الدرىّ لنا من السماء][1] أ .هـ قول المناوي وابن الحاج .

فائدة طبية هامة :

صدق الهادى البشير الذى لا ينطق عن الهوى صلوات الله وسلامه عليه إذ يقول عن قيام الليل « **مطردة للداء عن الجسد** » فلقد ترجم وأثبت ذلك أطباء المسلمين وفى « مؤتمر الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم » الذى عقد بالقاهرة وشاركت فيه رابطة العالم الإسلامى ، ومنظمة العلوم الطبية الإسلامية بأمريكا ، والمنظمة الإسلامية الطبية بالكويت ، والمنظمة العالمية للمساجد والأزهر قُدّم بحث عن صلاة التراويح وأثرها على مرونة العمود الفقرى . وصلاة التراويح هى قيام ليل رمضان فما يجرى عليها يجرى على قيام الليل والتهجد بصفة عامة .

قدمت الدكتورة « سلوى محمد رشدى » جامعة حلوان كلية التربية الرياضية بحثا كان موضوعه « صلاة التراويح وأثرها على مرونة العمود الفقرى والكفاءة الوظيفية للقلب بعد سن الستين »

تقول الدكتورة : سلوى : إن هذه الدراسة تهدف إلى التعرف على أهمية صلاة التراويح للمسلم ، وأثر ذلك على الكفاءة الوظيفية للقلب ، ودرجة المرونة فى العمود الفقرى .. وقد أجريت هذه الدراسة على عينة مكونة من ستين رجلا وامرأة مقسمين إلى ثلاثين ممن قاموا بتأدية صلاة التراويح فى شهر رمضان عام

---

(١) فيض القدير للمناوى ٣٥١/٤ .

١٤٠٥ هـ ، وثلاثين من المصلين الذين لم يقوموا بتأديتها ، وقد طبقت عليهم اختبارات لمعرفة درجة مرونة العمود الفقرى من الأوضاع المختلفة ، وكذلك اختبار الكفاءة الوظيفية باستخدام العملية الأرجومترية .. وقد أظهرت هذه الدراسة أن هناك فروقا كبيرة بين المصلين لصلاة التراويح وغير المصلين ، فى درجة مرونة العمود الفقرى ، وكذلك فى الكفاءة الوظيفية للقلب . وقالت الدكتورة سلوى رشدى : لقد أوصيت فى هذه الدراسة بتشجيع المسلم على تأدية الصلاة عموما ، وعلى صلاة التراويح على وجه الخصوص لما لها من فائدة على الجهاد الدورى ، والتنفسى ، ومرونة مفاصل الجسم وخاصة العمود الفقرى ، حيث أن كبار السن فى حاجة إلى القيام بتأدية التمرينات التى تحافظ على اللياقة البدنية ، واللياقة الوظيفية للقلب .

(انظر مجلة الاعتصام العددان الرابع والخامس محرم وصفر سنة ١٤٠٦ هـ نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٨٥ م ص ٢٠ ، ٢١)

وبحث آخر فى السهر وفائدته فى علاج الأمراض :

وقد قدم فى نفس المؤتمر بحث حول «السهر والحمى» وعلاقتهما بمادة الأندروفين لتسكين الألم ، والشفاء المبكر كما جاء فى حديث المصطفى ﷺ قوله « **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » متفق عليه .

انطلاقا من هذا الحديث جرى البحث والتقصى حول أهمية السهر والحمى وعلاقتهما بمادة الأندروفين التى يفرزها بعض أجزاء المخ ، وأن إفراز هذه المادة يكون فى اليقظة أعلى بكثير منه فى حالة النوم .

فالسهر والحمى نتيجة لحدوث الألم عبارة عن تفاعلات دفاعية طبيعية لتحد من وطأة الألم ، إلا أن الأطباء للأسف يحدوا من هذه الظاهرة الطبيعية بإعطاء المريض المسكنات للألم وبها يستطيع أن ينام (يزول السهر) ، والمخفضات

لدرجة الحرارة (نزول الحمى) وذلك خوفا من استنفاذ الطاقة الدفاعية ووقوع المريض تحت الألم الشديد الذى من المحتمل أن يؤدى إلى حدوث إغماء تصحبه وفاة .

قدم هذا البحث دكتور يحيي خرواجى قسم التشريح كلية الطب ـ جامعة الملك فيصل بالدمام .

والدكتور عبد الواهب نورولى قسم الكيمياء المرضية ـ كلية الطب ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة والشيخ عبد المجيد الزندانى .

انظر هدية منبر الإسلام صفر ١٤٠٦ هـ أكتوبر سنة ١٩٨٥ م يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وقل لى بربك هل قيام الليل إلا سهر وسهر فى الطاعة فانظر أثره فى تسكين الأمراض وتخفيفها ومن ذاق عرف .

● عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار فقال ﷺ :

« لقد سألتنى عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسَّرهُ الله عليه ، تعبد الله لا تُشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتُؤْتى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت .

ألا أدُلُّك على أبوابِ الخير؟ الصوم جُنّةٌ ، والصدقة تُطْفِىءُ الخطيئة كما يُطفىءُ الماءُ النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ثم قرأ ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ الآية .

ألا أُخبرُك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ رأس الأمر الإسلام ، من أسلم سلم ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد .

ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ كُفَّ عليك هذا ، وأشار إلى لسانه .

قال : يا نبى الله ! وإنا لمُؤاخذون بما نتكلم به ؟

قال : ثكلتك أمك يا معاذ ! وهل يَكُبُّ الناسَ فى النارِ على وُجوهِهم إلا حصائد ألسنتهم » [1] .

● وقال رسول الله ﷺ :

« شرف المؤمن صلاته بالليل ، وعزه استغناؤه عمّا فى أيدى الناس » [2]

قال المناوى : [الشرف لغة : العلو ، وشرف كل شيء أعلاه ، لما وقف فى ليله وقت صفاء ذكره متذللا متخشعا بين يدى مولاه لائذا بعز جنابه وحماه شرّفه بخدمته ورفع قدره عند ملائكته وخواص عباده بعز طاعته على من سواه » [3]

● وقال رسول الله ﷺ : « أتانى جبريل ، فقال : يا محمد عش ما شئت

---

(١) صحيح : رواه الترمذى وابن ماجة ، وأحمد فى مسنده ، والحاكم فى المستدرك والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى . وأعلّه الحافظ ابن رجب فى شرح « الأربعين النووية » ولم يصحح الألبانى منه سوى « وذروة سنامه الجهاد » لمجيئها من طريقين متصلين يقوى أحدهما الآخر . وقال عن إسناد الترمذى : إسناده حسن .

ولكن عاد الألبانى فصحح الحديث فى صحيح الجامع رقم (٥٠١٢) وصححه فى الإيمان لابن أبى شيبة ص ٢ بطريق ميمون ابن أبى شبيب عن معاذ . انظر أيضا الإرواء (٤١٢) وصحح الحديث أيضا شعيب الأرناؤوط فى تحقيق « شرح السنة » للبغوى جـ ١ ص ٢٥ وقال : حديث صحيح بطرقه .

(٢) حسن : أخرجه العقيلى فى « الضعفاء » والخطيب فى « التاريخ » عن أبى هريرة وفيه داود بن عثمان الثغرى قال المناوى فى فيض القدير « قال مخرجه العقيلى داود حدّث عن الأوزاعى وغيره بالبواطيل منها هذا الحديث وليس له أصل أ هـ ، ومن ثم قال ابن الجوزى موضوع والمتهم به داود . قال فى اللسان عن العقيلى : داود يحدث بالبواطيل ثم أورد له هذا الخبر ، وقال يروى عن الحسن وغيره من قولهم ، وليس له أصل مسند » أ هـ قال الألبانى : أخرجه تمام فى الفوائد « ق ١/١٧٢ ـ ٢ » وابن عساكر فى « تاريخ دمشق » ١/٩٩/٤١ و ١/٣٧/٨ » وكذا أبو بكر الشافعى فى « الغيلانيات » كما فى « اللالىء المصنوعة » (٢٩/٢) وللحديث شواهد مرفوعة يرتقى الحديث بها إلى درجة الحسن إن شاء الله تعالى » أ هـ انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ١٩٠٣ ، وانظر أيضا صحيح الجامع مع حديث رقم ٣٦٠٤ ، فيض القدير جـ ٤ ص ١٦٠ حديث رقم ٤٨٨٣ .

(٣) فيض القدير للمناوى جـ ٤ ص ١٦٠ .

فإنك ميت ، واحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس »[1] .

قال المناوى : [قال الزمخشرى : من المجاز لفلانٍ شرف وهو علو المنزلة . قيامه بالليل : أى علاه ورفعته إحياء الليل بدوام التهجد فيه ، والذكر والتلاوة وهذا بيان لشئ من العمل المشار إليه بقوله اعمل ما شئت .

والقيام : انتصاب القامة ، ولمّا كانت هيئة الانتصاب أكمل هيئات من له القامة وأحسنها استعير ذلك للمحافظة على استعمال الإنسان نفسه فى الصلاة ليلا فمعنى قيام الليل المحافظة على الصلاة فيه وعدم تعطيله باستغراقه بالنوم أو اللهو . قال الزمخشرى قام على الأمر : دام وثبت قال الغزالى : جمعت هذه الكلمات حِكم الأولين والآخرين ، وهى كافية للمتأمل فيها طول العمر إذ لو وقف على معانيها وغلبت على قلبه غلبة يقين استغرقته وحالت بينه وبين النظر إلى الدنيا بالكلية والتلذذ بشهواتها وقد أوتى المصطفى ﷺ جوامع الكلم ، وكل كلمة من كلماته بحر من بحور علوم الحكمة »[2]

---

(١) حسن : عزاه السيوطى فى الجامع إلى الشيرازى فى « الألقاب » و الحاكم فى « المستدرك » فى الرقائق والبيهقى فى « شعب الإيمان عن « سهل بن سعد » . والبيهقى فى « شعب الإيمان » عن « جابر » . وأبو نعيم فى « الحلية » عن « على » .

قال الألبانى حفظه الله فى السلسلة الصحيحة رقم (٨٣١) جـ ٢ ص ٥٠٥ ـ ٥٠٧ « حديث سهل أخرجه الطبرانى فى « الأوسط » ، والسهمى فى « تاريخ جرجان » وأبو نعيم فى « الحلية » والحاكم : وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى وهو من تساهلهما وخاصة الذهبى ، فإنه أورد زافرا فى الضعفاء ، وقال الحافظ : « صدوق كثير الأوهام والراوى عنه فيه مقال لكن توبع وحديث جابر أخرجه الطيالسى فى « مسنده » وعنه البيهقى فى « شعب الإيمان » . والحديث أورده المنذرى فى « الترغيب » من حديث سهل وقال رواه الطبرانى فى « الأوسط » بإسناد حسن . قال المناوى عن الحافظ ابن حجر : وقد اختلف فيه نظر حافظين ، فسلكا طريقين متناقضين ، فصححه الحاكم ، ووهاه ابن الجوزى والصواب أنه لا يحكم عليه بصحة ولا وضع ولو توبع زافرا لكان حسنا ، لكن جزم العراق فى « الرد على الصاغانى » والمنذرى فى ترغيبه بحسنه ، قال الألبانى : وهو الصواب الذى يدل عليه مجموع هذه الطرق والله أعلم » أ هـ .

(٢) فيض القدير ١٠٢/١ .

● وقال رسول الله ﷺ : « **لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار** »[1] .

● وقال رسول الله ﷺ : « **لا حسد إلا فى اثنتين : رجل علّمه الله القرآن ، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له ، فقال : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا ، فهو يهلكه فى الحق ، فقال رجل : ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل** »[2]

● قال المنذرى فى « الترغيب » : [والمراد بالحسد هنا : الغبطة ، وهو تمنى مثل ما للمُغْبط ، وهذا لا بأس به ، وله نيته ، فإن تمنى زوالها عنه فذلك حرام ، وهو الحسد المذموم] .

● وقال رسول الله لله : « **لا تنافس [بينكم]**[3] **إلا فى اثنتين : رجل أعطاه الله قرآنا فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، [ويتبع ما فيه] فيقول رجل : لو أن الله أعطانى ما أعطى فلانا فأقوم به كما يقوم ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يُنفق منه ويتصدق ، فيقول رجلٌ مثل ذلك** »[4] .

وعن سَمُرة بن جندب رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول لنا « **ليس فى الدنيا حسد إلا فى اثنتين : الرجلُ يَغبطُ الرجل أن يُعطيَه اللهُ المال**

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة وأحمد عن ابن عمر .

(٢) رواه البخارى وأحمد عن أبى هريرة .

(٣) الزيادة التى بين القوسين من « مجمع الزوائد كما قال الألبانى وباقى الحديث كما ورد فى الترغيب .

(٤) صحيح : عن يزيد بن الأخنس ـ وكانت له صحبة ـ وقال المنذرى والهيثمى فى « المجمع » رواه الطبرانى فى « الكبير » ورواته ثقات مشهورون . قال الألبانى : وصنيعها يشعر أن الحديث لم يروه أحمد فى « مسنده » وإلا لعزياه إليه ، وهو ذهول ، فقد أخرجه فيه (١٠٤/٤) بسند جيد ورواه أبو يعلى من حديث أبى سعيد بإسناد جيد كما قال المنذرى انظر صحيح الترغيب حديث رقم ٦٣٣ ، ٦٣٢ جـ ١ ص ٢٦١ .

الكثير فينفق منه فيكثر النفقة . يقول الآخر : لو كان لى مالٌ لأنفقتُ مثل ما ينفق هذا وأحسن . فهو يحسده ، ورجل يقرأ القرآن فيقوم الليلَ . وعنده رجل إلى جنبه لا يعلم القرآن فهو يحسده على قيامه . أو على ما علمه الله عز وجل القرآن . فيقول : لو علّمنى اللهُ مثل هذا لقمت مثل ما يقوم »(١) .

● وقال رسول الله ﷺ : « **إن لله أهلينَ من الناس : أهلُ القرآن هم أهلُ الله وخاصّته** »(٢) .

قال المناوى : « أى الذين يختصون بخدمته قال العسكرى : هذا على المجاز والتوسع فإنه لما قرّبهم واختصهم كانوا كأهله » .

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنّ فلانا يُصلى بالليل ، فإذا أصبح سرق . فقال : إنه سينهاه ما تقول** »(٣) .

● وقال رسول الله ﷺ : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة . يقول الصيام : أى ربِّ إنى مَنَعْتُهُ الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، يقول القرآنُ : رب منعْتهُ النومَ بالليل فشفعنى فيه فيُشفعان** »(٤) .

---

(١) حديث حسن : رواه الطبرانى فى « الكبير » قال المنذرى فى « الترغيب » فى سنده لين . وحسّنه الألبانى . انظر « صحيح الترغيب والترهيب » حديث رقم ٦٣٠ جـ ١ .

(٢) حديث صحيح : عزاه السيوطى فى الجامع : لأحمد فى مسنده والنسائى وابن ماجة والحاكم فى المستدرك عن أنس ، وزاد الألبانى والطيالسى وأبو عبيد وابن نصر وابن عساكر ورمز السيوطى لصحته وصححه الألبانى أنظر صحيح الجامع رقم (٢١٦١) .

(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد فى « المسند » والبيهقى فى « شعب الإيمان » وقال الألبانى إسناده صحيح انظر المشكاة حديث رقم ١٢٣٧ .

(٤) حديث صحيح : عزاه السيوطى فى الجامع لأحمد فى مسنده ، والطبرانى فى الكبير ، والبيهقى فى « شعب الإيمان » عن ابن عمرو قال المناوى فى فيض القدير جـ ٤ ص ٢٥٢ : « قال الهيثمى : إسناده حسن ، وقال غيره فيه ابن لهيعة » وأشار السيوطى لصحته ، وصححه الألبانى أنظر صحيح الجامع حديث رقم ١٧٧٦ ، تخريج المشكاة رقم ١٩٦٣ .

● وقال رسول الله ﷺ : « عجب ربنا من رجلين : رجل ثار عن وِطائه ولحافه ، من بين أهله وحِبِّه إلى صلاته ، فيقول الله جل وعلا : [أيَا ملائكتى][1] انظروا إلى عبدى ثارَ[2] عن فِراشِه وَوِطائه من بين حِبِّه وأهلِهِ إلى صلاتِه ، رغبةً فيما عندى ، وشفقةً مما عندى .

ورجل غزا فى سبيل الله ، وانهزم أصحابه ، وعلم ما عليه فى الإنهزام ، وماله فى الرجوع ، فرجع حتى يُهْرِيقَ دَمَه ، فيقول الله [لملائكته][3] : انظروا إلى عبدى رجع رجاءً فيما عندى ، وشفقة مما عندى ، حتى يهريق دمه »[4] .

● وعن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال :

« ثلاثة يحبُّهم الله ، ويضحك إليهم ، ويستبشر بهم : الذى إذا انكشفت فِئةٌ قاتل وراءها بنفسه للهِ عز وجل ، فإما أن يُقْتَلَ وإما أن ينصرَه الله ويكفيه ، فيقول : انظروا إلى عبدى هذا كيف صبر لى بنفسه ؟

والذى له إمرأة حسنةٌ وفراشٌ لَيِّنٌ حسنٌ ، فيقوم من الليل ، فيقول : يَذَرُ شهوته ويذكرنى ، ولو شاء رقد ، والذى إذا كان فى سفر ، وكان معه ركب ، فسهروا ، ثم هَجَعوا ، فقام من السحر فى ضرَّاءَ وسراءَ »[5]

---

(١) زيادة من المسند .

(٢) أى نهض ووثب . وانظر رحمك الله إلى ما فيها من العزيمة وعلوّ الهمة والوطاء خلاف الغطاء ، و « حِبِّه » أى حبيبه ، ووقع فى « المسند » حَيِّهُ .

(٣) زيادة من « المسند » وابن حبان .

(٤) حسن : قال المنذرى فى « الترغيب والترهيب » : رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى وابن حبان فى صحيحه من رواية ابن مسعود ، وحسّنه الألبانى . وقال الشيخ شاكر فى تحقيق المسند : إسناده صحيح . وقال الأرناؤوط والشاويش فى تحقيق شرح السنة : جـ ٤ حديث ٩٣٠ : « أخرجه أحمد ورجاله ثقات ، إلا أن عطاء بن السائب قد اختلط وحماد بن سلمة ممن روى عنه قبل الاختلاط وبعده ، ومع ذلك فقد صححه ابن حبان وحسّن إسناده الهيثمى » انظر صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم ٦٢٦ جـ ١ ص ٢٥٨ .

(٥) حسن : رواه الطبرانى فى « الكبير » وقال : إسناده حسن ، وقال الهيثمى فى المجمع « رجاله ثقات » وحسّنه الألبانى انظر صحيح الترغيب حديث رقم ٦٢٥ .

بأبى وأمى من يضحك الله إليهم : ثلاثة من الأبرار اثنان منهما قاموا الليل أحدهم قامه وسط أهله وترك زوجه الحسناء وفراشه الوثير والآخر قامه فى سفر بعد أن كابد السفر وهوله . من ضحك الله إليه لا يدع من الإنعام والإكراه شيئا إلا فعله فى حقه .

وقال رسول الله ﷺ : « **ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يَشْنُؤهم الله الرجلُ يلقى العدو فى فئة فينصُبُ لهم نحرهُ حتى يُقتلَ أو يُفتحَ لأصحابه ، والقوم يسافرون فيطولُ سُراهم حتى يحبُّوا أن يمسُّوا الأرض فينزلون ، فيَتَنحى أحدهم فيصلى حتى يوقظهم لرحيلهم ، والرجل يكون له الجار يؤذيه جارهُ ، فيصبرُ على أذاهُ حتى يفرِّق بينهما موتٌ أو ظعنٌ ، والذين يشنؤهم : التاجرُ الحلاّفُ ، والفقيرُ المختال ، والبخيلُ المنّانُ** »(١) يشنؤهم أى يبغضهم .

● عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الرجل من أمتى يقوم من الليل يعالجُ نفسه إلى الطهور ، وعليه عُقَد ، فإذا وَضّأ يديه انحلَّتْ عقدةٌ ، وإذا وضّأ وجهَه انحلّت عقدةٌ ، وإذا مسحْ رأسه انحلت عَقدةٌ ، وإذا وَضّأ رجليه انحلت عُقـدةِ ، فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب : انظروا إلى عبدى هذا يعالج نفسه ، ويسألنى ، ما سألنى عبدى هذا فهو له** »(٢).

● وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **رَحِمَ الله رجلا قام من الليل فصلى ، وأيقظ امرأته [فصلت] ، فإن أبت نضح فى**

(١) صحيح : عزاه السيوطى فى « الجامع » لأحمد فى مسنده عن أبى ذر قال الحافظ العراق « فيه ابن الأحمس ولا يعرف حاله قال ورواه أيضا أحمد والنسائى بلفظ آخر بإسناد جيد » وقال الألبانى : رواه الترمذى وابن حبان والحاكم وابن المبارك وابن نصر وابن أبى شيبة والطحاوى وصححه الألبانى انظر صحيح الجامع ٣٠٦٩ والمشكاة (١٩٢٢) .

(٢) حسن : قال المنذرى : رواه أحمد وابن حبان فى « صحيحه » واللفظ له ، وحسَّنه الألبانى . انظر صحيح الترغيب حديث رقم ٦٢٧ جـ١ ص ٢٥٩ .

وجهها الماء ، [و] **رحم الله إمرأة قامت من الليل فصلت ، وأيقظت زوجها [فصلى] فإن أبى نضحتْ فى وجهه الماء** »[1] .

● وقال رسول الله ﷺ : « **من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا كتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات** »[2] .

نضح : قال ابن الأثير رش .

« فى وجهها الماء » قال المناوى : « نُبّه به على ما فى معناه من نحو ماء ورد أو زهر ، وخُصّ الوجه بالنضح لشرفه ولأنه محل الحواس التى بها يحصل الإدراك .

قال المناوى : (أفاد كما قال الطيبى : أن من أصاب خيراً ينبغى أن يحب لغيره ما يحب لنفسه فيأخذ بالأقرب فالأقرب . فقوله « رحم الله رجلا » تنبيه للأمة بمنزلة رش الماء على الوجه لاستيقاظ النائم وذلك أن المصطفى ﷺ لمّا نال ما نال بالتهجّد من الكرامة أراد أن يحصل لأمته حظ من ذلك ، فحثهم عليه عادلا عن صبغة الأمر للتلطف)[3]

● وقال رسول الله ﷺ : « **إذا استيقظ الرجل من الليل ، وأيقظ أهله وصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات** »[4].

---

(١) صحيح : رواه ابو داود والنسائى وابن ماجة واحمد وابن خزيمة وابن حبان فى « صحيحه » والحاكم . وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . وقال المناوى فى فيض القدير حديث رقم ٤٤٣١ : قال النووى : إسناده صحيح ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٣٤٨٨ وحسّنه فى صحيح الترغيب حديث رقم ٦٢١ وقال مصطفى الأعظمى : إسناده صحيح . وحسّن إسناده عبد القادر الأرناؤوط فى تحقيق جامع الأصول . وقال فى عون المعبود « وفى إسناده محمد ابن عجلان وقد وثقه الإمام أحمد ويحيى بن معين وأبو حاتم الرازى واستشهد به البخارى وأخرج له مسلم فى المتابعة وتكلم فيه بعضهم .

(٢) حديث رقم (٢) صحيح : أخرجه أبو داود والحاكم فى المستدرك عن أبى سعيد وأبى هريرة معا ، وابن حبان فى صحيحه وصححه الألبانى انظر صحيح الجامع رقم (٥٩٠٦) ص ٢٤٣ ، وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوط .

(٣) فيض القدير ٢٦/٢٥/٤ .

(٤) صحيح : عزاه السيوطى فى الجامع لأبى داود والنسائى وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى « المستدرك » عن أبى هريرة وأبى سعيد معا وصححه السيوطى والألبانى انظر صحيح الجامع حديث (٣٣٠) جـ ١ ص ١٥١ .

• وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ذكرتُ القيام فقال بعضهم إن رسول الله ﷺ قال : « **نصفه ، ربعه ، فُواقَ حلب ناقة** »(١)

[« نصفه ، ثلثه ، ربعه ، فواقَ حلب ناقةٍ ، فُواقَ حلب شاة].(٢)

فواق الناقة هنا : هو قدر ما بين رفع يديك عن الضرع وقت الحلب وضمها .

• عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين** »(٣)

قوله « من المقنطرين » أى ممن كتب له قنطار من الأجر.

وقال الحافظ ابن حجر « من سورة ﴿ **تبارك الذى بيده الملك** ﴾ » إلى آخر القرآن ألف آية والله أعلم .

• وقال رسول الله ﷺ : « **من قرأ بمائة آية فى ليلةٍ كُتِبَ له قنوت ليلة** »(٤) أى عبادتها كما قال المناوى .

---

(٢) رواية « مجمع الزوائد » (١ ، ٢) صحيح : قال المنذرى : رواه أبو يعلى ورجاله محتج بهم فى الصحيح . وقال الهيثمى رجاله رجال الصحيح ووافقه البوصيرى وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب حديث ٦٢٣ وأشار إلى صحته حبيب الرحمن الأعظمى فى تحقيق « المطالب العالية » حديث رقم ٥٢٢ .

(٣) صحيح : قال المنذرى : رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه كلاهما من رواية أبى سَوِيَّة : عن أبى حُجَيرة عن عبد الله بن عمرو . وقال ابن خزيمة « إن صح الخبر فإنى لا أعرف أبا سويّة بعدالة ولا جرح » . قال الألبانى عن أبى سويّة : « قد روى عنه جماعة من الثقات ولذلك قال الحافظ فيه : « صدوق » ورواه أيضا ابن حبان فى صحيحه وقال الألبانى فى التعليق على صحيح ابن خزيمة : إسناده جيد ، وحسّنه فى صحيح الترغيب رقم ٦٣٥ ، وصححه فى صحيح الجامع رقم ٦٣١٥ أنظر الصحيحة رقم ٦٤٢ .

(٤) صحيح : رواه أحمد فى مسنده والنسائى عن تميم . قال الهيثمى : فيه سليمان بن موسى الشامى وثقه ابن معين وأبو حاتم وقال البخارى عنده مناكير ، قال الحافظ العراقى : إسناده صحيح وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٦٣٤٤ والصحيحة ٦٤٤ .

● وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « **من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكن من الغافلين ، ومن قرأ فى ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين ، أو كتب من القانتين** » (١)

« **من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يكتب من الغافلين** » (٢) .

● وعن فضالة بن عبيد وتميم الدارىّ رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **من قرأ عشر آيات فى ليلة كُتب له قنطار (من الأجر) والقنطار خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرا وارق بكل آية درجة، حتى ينتهى إلى آخر آية معه ، يقول الله عز وجل للعبد : اقبض . فيقول العبد بيده : يارب ! أنت أعلم . يقول : بهذه الخلد (٣) ، وبهذه النعيم** » (٤)

● عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : ذُكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتى أصبح ، قال « **ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه أو قال فى أذنيه** » (٥)

(نام ليلة حتى أصبح) قال الحافظ « يراد به صلاة الليل أو المكتوبة »

قال الحافظ فى الفتح « واختلف فى بول الشيطان ، فقيل هو على حقيقته .

قال القرطبي وغيره : لا مانع من ذلك ، إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح ، فلا مانع من أن يبول . وقيل هو كناية عن سد الشيطان أذن الذى ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر . وقيل معناه أن

---

(١) صحيح ، رواه ابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال الألبانى فى التعليق على صحيح ابن خزيمة وإسناده على شرط الشيخين « انظر الصحيحة رقم ٦٤٣ وصحيح الترغيب رقم ٦٣٦ » .

(٢) قال الحاكم على شرط مسلم .

(٣) قال الألبانى : أى اقبض بيمينك على الخلد وشمالك على النعيم كما فى رواية أخرى لابن عساكر وفى أولها زيادة وقد خرجتها فى الضعيفة رقم (٥٤٩٥) .

(٤) حسن ، قال المنذري : رواه الطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » بإسناد حسن وفيه إسماعيل بن عيّاش عن الشاميين ، وروايته عنهم مقبولة عند الأكثرين وحسّنه الألبانى : انظر صحيح الترغيب رقم ٦٣٤ .

(٥) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر . وقيل هو كناية عن ازدراء الشيطان به . وقيل معناه أن الشيطان استولى عليه ، واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول ، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه .

وقيل هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول فى أذنه فثقل أذنه ، وأفقد حسه ، والعرب تكنى عن الفساد بالبول قال الراجز :

بال سهيل فى الفضيخ ففسد . وكنى بذلك عن طلوعه لأنه وقت إفساد الفضيخ فعبر عنه بالبول .

قال الحسن : إن بوله والله لثقيل .

قال ابن مسعود : « حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان فى أذنه »(١) .

وقال الطيبى : خص الأذن بالذكر وإن كانت العين أنسب للنوم إشارة إلى ثقل النوم ، فإن المسامع هو موارد الإنتباه ، وخص البول لأنه أسهل مدخلا فى التجاويف ، وأسرع نفوذا فى العروق فيورث الكسل فى جميع الأعضاء »(٢) أ هـ .

● وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله يبغض كل جعظرى جواظ صخّاب فى الأسواق ، جيفة بالليل ، حمار بالنهار ، عالم بأمر الدنيا ، جاهل بأمر الآخرة** »(٣) .

● عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار ، يقومون الليل ويصومون النهار ليسوا بأثمةٍ ولا فُجّار** »(٤) صلاة

---

(١) قال الحافظ فى الفتح جـ٣ « موقوف صحيح الإسناد » .

(٢) فتح البارى جـ٣ باب : « إذا نام ولم يصل بال الشيطان فى أذنه » .

(٣) صحيح : رواه ابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » وصححه الألبانى فى « الأحاديث الصحيحة (١٩٥) » ، « صحيح الجامع » رقم ١٨٧٤ .

(٤) صحيح : رواه عبد بن حميد ، والضياء عن أنس وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم (١٨١٠) وصحيح الجامع رقم (٣٠٩٢) .

قوم : أى دعاء قوم ، فرسول الله ﷺ فى دعائه هذا يجعل أول صفات الأبرار قيامهم بالليل .

● عن عبد الله بن أبى قيس قال : قالت عائشة : « **لا تدع قيام الليل ، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدا** »(١)

وعند ابن خزيمة «كان لا يذره ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعدا » .

● عن أبى مسلم قال قلت لأبى ذر رضى الله عنه : أى قيام الليل أفضل ؟ قال أبو ذر ؛ سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى يشك عوف فقال : « **جوف الليل الغابر أو نصف الليل وقليل فاعله** »(٢) .

قال الساعاتى فى الفتح الربانى :

« شك عوف أحد الرواة فى قوله جوف الليل الغابر أو نصف الليل .

(جوف الليل) : ثلثه ، (والغابر) : الباقى أى ثلثه الآخر وهو الجزء الخامس من أسداس الليل ، ولفظ الغابر يطلق على الماضى والباقى ، لأنه من الأضداد ، والمعروف الكثير أن الغابر الباقى ، وهو المراد هنا » .

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **من صلى فى ليلة بمائة آية لم يكتب من الغافلين ، ومن صلى فى ليلة بمائتى آية فإنه يكتب من القانتين المخلصين** »(٣) .

● عن عبد الله بن مسعود أنه قال : ألا إن الله يضحك إلى رجلين : رجل

---

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود ، وابن خزيمة : وقال الألبانى إسناده صحيح على شرط مسلم انظر تحقيق صحيح ابن خزيمة ، وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط : إسناده صحيح انظر جامع الأصول جـ ٦ .

(٢) سنده جيد : رواه أحمد فى « مسنده » وقال الساعاتى « سنده جيد » انظر الفتح الربانى لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيبانى على أبواب البخارى ٢٣٥/٤ .

(٣) صحيح : أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣٠٩/١ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وأورده الألبانى فى مقام احتجاج به .

قام فى ليلة باردة من فراشه ولحافه ودثاره ، فتوضأ ثم قام إلى الصلاة ، فيقول الله عز وجل لملائكته : ما حمل عبدى هذا على ما صنع ، فيقولون : ربنا رجاء ما عندك ، وشفقة مما عندك ، فيقول فإنى قد أعطيته مَارَجَا ، وأمَّنته مما يخاف »[1] . وقيام الليل يدفع إلى التفكر وإلى الزهد فى الدنيا .

● عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ أن بنى إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى عليه السلام فقام يصلى ذات ليلة فوق بيت المقدس في القمر ، فذكر أمورا كان صنعها فخرج فتدلّى بسبب ، فأصبح السبب معلقا فى المسجد ، وقد ذهب ، قال : فانطلق حتى أتى قوما على شط البحر فوجدهم يضربون لبنا أو يصنعون لبنا ، فسألهم : كيف تأخذون على هذا اللبن ؟ فأخبروه فلبن معهم ، فكان يأكل من عمل يده ، فإذا كان حين الصلاة قام يصلى ، فرفع ذلك العمّال إلى دهقانهم أن فينا رجل يفعل كذا وكذا ، فأرسل إليه فأبى أن يأتيه ثلاث مرات ، ثم إنه جاء يسير على دابته ، فلما رآه فرّ فاتبعه فسبقه ، فقال : انتظرنى أكلمك ، فقام حتى كلّمه ، فأخبره خبره ، فلما أخبره أنه كان ملكا ، وأنه فرّ من رهبة ربه ، قال : إنى لأظننى لاحق بك ، قال فاتبعه فعبدا الله حتى ماتا برميلة مصر ، قال عبد الله لو أنى كنت ثَمَّ لاهتديت إلى قبريهما بصفة رسول الله ﷺ الذى وصف لنا [2]

وفى رواية : فقال : ما أنت بأحوج إلى ما صنعت منّى ، قال : ثم نزل عن دابته فسيّبها ، ثم تبعه ، فكانا يعبدان الله عز وجل ، فدعَوَا الله أن يميتهما جميعا ، قال : فماتا .

السبب : أى الحبل ونحوه .

---

(١) إسناده حسن : رواه الطبرانى فى الكبير وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد جـ٢ ص ٢٥٧ « إسناده حسن » .

(٢) رواه البزار والطبرانى فى الأوسط والكبير وقال الهيثمى إسناده حسن ورواه أحمد فى مسنده وقال الساعاتى : إسناده حسن لأن يزيد بن هرون سمع من المسعودى بعد تغيره .

هدى الرسول ﷺ فى القيام

هدى رسول الله ﷺ فى القيام .

● عن أبي هريرة ـ وهو يقصص فى قصصه ـ وهو يذكر رسول الله ﷺ :

« إن أخًا لكم لا يقول الرفث » يعنى بذلك عبد الله بن رواحة :ـ

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع (١)

الرفث : الباطل أو الفحش من القول .

يقال سطع إذا ارتفع « من الفجر » بيان للمعروف الساطع (٢)

يجافى جنبه : كناية عن صلاته بالليل .

● ويرحم الله شوقى حين يقول عن الرسول ﷺ :

مُحيي الليالى صلاة ، لا يُقَطِّعُها إلا بدمع من الإشفاق مُنْسَجِمِ
مُسَبِّحًا لك جنح الليل ، مُحْتَمِلاً ضُرًّا من السُّهْدِ ، أو ضُرًّا من الوَرَمِ
رَضِيَّةٌ نفسه ، لا تشتكى سَأَمًا وما مَعَ الحُبِّ إن أخْلَصْتَ مِنْ سَأَمِ (٣)

●● كان قيامه ﷺ لربه مُخْلِصًا له الدين :ـ

كان رسول الله ﷺ سيد المخلِصين والمخلَصين ، أطال النظر إلى خالقه ومولاه فشُغلِ عن المخلوق .

(١) أخرجه البخارى فى كتاب التهجد من صحيحه، باب فضل من تعارّ من الليل .
(٢) أنظر فتح البارى ج ٣ كتاب التهجد باب فضل من تعارّ من الليل .
(٣) الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقى ج ١ ص ٢٠٧ طبع المكتبة التجارية الكبرى .

« إستعداده للقيام »

نوْمُه ﷺ ذَاكِرًا اللهَ نَاوِيًا للقيام

كان رسول الله ﷺ يدندن حول القيام ، ويتخذ السبل التى تهيىْ له هذا الأمر .

فخشونة فراشه سبب يمهده للقيام كان ينام على الحصير حتى يخط فى جنبه الشريف : -

● عن أنس بن مالك قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مضطجع مرمل بشريط [(١)]، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، فدخل عليه نفر من أصحابه ، ودخل عمر فانحرف رسول الله ﷺ انحرافة فلم ير عمر بين جنبيه وبين الشريط ثوبًا ، وقد أثر الشريط بجنب رسول الله ﷺ فبكى عمر ، فقال النبى ﷺ : ما يبكيك يا عمر ؟ قال : والله ألا أن أكون أعلم أنك أكرم على الله عز وجل من كسرى وقيصر وهما يعبثان فى الدنيا فيما يعبثان ، وأنت يا رسول الله بالمكان الذى أرى ، فقال النبى ﷺ : « أما ترضى أن تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ » قال عمر : بلى ، قال : فإنه كذلك [(٢)] .

وعند مسلم من حديث عمر : « فدخلت على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصير فجلست ، فأدنى عليه إزاره وليس عليه غيره ، وإذا الحصير قد أثر فى جنبه » [(٣)] الحديث .

● وعن ابن عباس رضى الله عنهما «أن رسول الله ﷺ دخل عليه عمر وهو

---

(١) مرمل : مصنوع ، شريط : حبل يُفتل من الخوص.

(٢) أخرجه أحمد فى مسنده ، وهو عند البخارى ومسلم وابن ماجة من حيث عمر=

(٣) رواه مسلم كتاب الطلاق باب الإيلاء واعتزال النساء.

على حصير قد أثّر فى جنبه فقال : يا نبى الله لو اتخذت فراشًا أوثر من هذا ؟ فقال مالى وللدنيا ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من نهار ثم راح وتركها[(١)] .

● وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت وسادته التى ينام عليها بالليل من أدم حشوها ليف[(٢)] .

وها هو رسول الله ﷺ وهو الذى كانت تنام عيناه ولا ينام قلبه ، وهو الذى كان سيد العابدين إلى يوم القيامة يتخذ فراشًا من حصير ، ووسادة من جلد حتى لا تلهيه عن قيام الليل معلمًا بذلك أمته .

قال المناوى رحمه الله : « الأولى لمن غلبه الكسل ، والميل للدعة والترفه أن لا يبالغ فى حشو الفراش لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة والشغل عن مهمات الخيرات »[(٣)] .

●● وكانت كيفية نومه وهديه فيه تعينه على القيام :-

فلقد كان رسول الله ﷺ يضطجع على شقه الأيمن عند نومه .

فعن حفصة رضى الله عنها قالت : «كان إذا أخذ مضجعه جعل يده اليمنى تحت خده الأيمن »[(٤)] .

وفى نوم رسول الله ﷺ بهذه الكيفية سر لطيف يبينه لنا شيخ الإسلام ابن

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد فى مسنده وتفرد به وعنه فى تاريخ ابن كثير ، والحاكم فى المستدرك ، وقال الهيثمى : رجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب وهو ثقة وقال الشيخ شاكر إسناده صحيح وقال الألبانى حديث صحيح : أنظر المسند حديث رقم ٢٧٤٤ وصحيح الجامع رقم ٥٥٤٥.

(٢) تخريج الحديث رقم (٢) «كان وسادته .... » صحيح : أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة وحسنه السيوطى وصححه الألبانى « صحيح الجامع رقم (٤٧١٤)

(٣) فيض القدير للمناوى ج ٥ ص ١٨٠.

(٤) صحيح : رواه الطبرانى فى « الكبير » عن حفصة ، وخرجه الترمذى عن البراء بزيادة « وقال رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك » . قال المناوى : وأشار المؤلف - أى السيوطى - إلى صحته ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٥٢٣).

قيم الجوزية فيقول رحمه الله : « وفى اضطجاعه على شقه الأيمن سر ، وهو أن القلب معلّق فى الجانب الأيسر ، فإذا نام على شقه الأيسر ، استثقل نومًا ، لأنه يكون فى دعة واستراحة ، فيثقل نومه ، فإذا نام على شقه الأيمن ، فإنه يقلق ولا يستغرق فى النوم ، لقلق القلب ، وطلبه مستقره وميله إليه ، ولهذا استحب الأطباء النوم على الجانب الأيسر لكمال الراحة وطيب المنام ، وصاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لئلا يثقل نومه فينام عن قيام الليل ، فالنوم على الجانب الأيمن أنفع للقلب ، وعلى الجانب الأيسر أنفع للبدن والله أعلم »(١) .

« **أذكار النوم** » : -

كان رسول الله ﷺ يبيت وينام على ذكر الله كما قال الشاعر :

وآخر شىء أنت فى كل هجعة   وأول شىء أنت عند هبوبى

ومن أذكار النوم : -

● «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال « **باسمك اللهم أموت وأحيا** » وإذا استيقظ من نومه قال « **الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** »(٢) .

● وعن عائشة أن النبى ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة : جمع كفيه ، ثم نفث فيهما يقرأ فيهما : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ و ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات »(٣)

وفى حديث أبى هريرة : « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى » ﴿ **الله**

---

(١) زاد المعاد لابن القيم ج ١ ص ٣٢١ ، ٣٢٢ مؤسسة الرسالة ... « تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط » .

(٢) رواه مسلم والنسائى وأحمد فى مسنده عن البراء ، والبخارى وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن حذيفة وأحمد والبخارى ومسلم عن أبى ذر

(٣) رواه البخارى ومسلم

لا إله إلا هو الحى القيوم﴾ حتى تختمها ، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبى ﷺ : « **صدقك وهو كذوب** »(١)

● وفى الصحيحين عن أبى مسعود الأنصارى عن النبى ﷺ قال : « **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه** » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع إليه ، فلينفضه بصَنِفَة إزاره ثلاث مرات ، فإنه لا يدرى ما خَلَفَه عليه بعده ، وإذا اضطجع فليقل : باسمك ربى وضعت جنبى ، وبك أرفعه ، فإن أمسكت نفسى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ، فإذا استيقظ فليقل الحمد الله الذى عافانى فى جسدى ، وردّ علىّ روحى وأذن لى بذكره** »(٢) .

وصنفة الإزار : طرفه مما يلى طرته كما فى « النهاية » .

عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ «كان إذا آوى إلى فراشه قال : «الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ، وكفانا ، وآوانا فكم ممّن كافيَ له ولا مُؤْوِيَ له »(٣)

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال :

« **إذا أوى أحدكم إلى فراشه ، فلينفضه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدرى ما خَلَفَه عليه ، ثم ليضطجع على شقّه الأيمن ، ثم ليقل : باسمك ربى وضعت جنبى ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين** »(٤) .

وفى صحيح مسلم عن ابن عمر أن رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول : « اللهم أنت خلقت نفسى ، وأنت تتوفاها ، لك مماتها ومحياها ، إن أحييتها

---

(١) جزء من حديث فى البخارى.

(٢) حسن : رواه الترمذى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٧٢٩.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وأحمد فى مسنده.

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

فاحفظها ، وإن أمتها فاغفر لها ، اللهم إنى أسألك العافية » قال ابن عمر : سمعتهن من رسول الله ﷺ .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ «كان إذا أوى إلى فراشه قال : « **اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر** » .

وعن عبادة بن أخضر أن رسول الله ﷺ «كان إذا أخذ مضجعه قرأ : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ حتى يختمها »(١) .

وعن أبى الأزهر أن رسول الله ﷺ : «كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : « **بسم الله وضعت جنبى ، اللهمَّ اغفرلى ذنبى ، واخسأ شيطانى ، وفُكَّ رِهَانى ، وثَقِّلْ مِيزَانى ، واجْعَلْنِى فى النَّدىِّ الأعْلَى** »(٢)

---

(١) حسن : رواه الطبرانى فى « الكبير » : ورمز السيوطى لحسنه ، قال المناوى : وليس كما زعم فقد أعله الهيثمى وغيره بأن فيه يحيى الجمانى ويحيى الجعفى وكلاهما ضعيف جداً « فيض القدير ج ٥ حديث رقم (٦٥٤١) وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٥٢٤) وابن أخضر هو عباد ابن عباد بن علقمة المازنى المصرى المعروف بابن أخضر وكان زوج أمه وليس بصحابى كما قاله المناوى .

(٢) صحيح : رواه أبو داود والحاكم فى المستدرك وحسنه المناوى وصححه الحاكم والسيوطى والألبانى صحيح الجامع رقم (٤٥٢٥) .

(٢) حديث رقم (٢) : قال المناوى فى فيض القدير ج ٥ ص ٩٢ : « وهذا دعاء يجمع خير الدنيا والآخرة فتتأكد المواظبة عليه كلما أريد النوم ، وهو من أجل الأدعية المشروعة عنده على كثرتها . وقال ص ٩١ ، ٩٢ : قوله « اخسىء شيطانى » أى اجعله خاسئاً مطروداً وهو بوصل الهمزة (وفك رهانى) أى خلصنى من عقال ما اقترفت نفسى من الأعمال التى لا ترتضيها بالعفو عنها ، والرهان كسهام الرهن وهو ما يجعل وثيقه بالدين والمراد هنا نفس الإنسان لأنها مرهونة بعملها ﴿ **كل امرئ بما كسب رهين** ﴾ .
(واجعلنى فى الندى الأعلى) : أى الملأ الأعلى من الملائكة ، والنّدى . بفتح النون وكسر الدال =

وعن حفصة أن رسول الله ﷺ «كان إذا أراد أن يرقد ، وضع يده اليمنى تحت خده ، ثم يقول « **اللهم قِنِى عذابك يوم تبعث عبادك** » (ثلاث مرات)[1] .

وعن حذيفة أن رسول الله ﷺ : «كان إذا نام وضع يده اليمنى تحت خده وقال : « **اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك** »[2] .

وفى الصحيحين عن البراء بن عازب قال : قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ، ووجهت وجهى إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجا ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت ، فإن مِتَّ مت على الفطرة واجعلهن آخر ما تقول** » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **اقرأ ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ عند منامك ، فإنها براءة من الشرك** »[3] .

وفى وصيته لفاطمة حين أتت إليه تطلب خادماً وتشكو إليه تعبها قال ﷺ

= وتشديد الياء كما فى « الأذكار » القوم المجتمعون فى مجلس ومنه النادى .

(أبى الأزهر) قال النووى فى الأذكار : ويقال أبو زهير الأنمارى الشامى ؛ قال البغوى فى المعجم لم ينسب ، ولا أدرى أله صحبة أم لا ، وفى التقريب : صحابى لا يعرف اسمه .

(١) حديث رقم (١) : حديث صحيح : رواه أبو داود والنسائى فى اليوم والليلة . ورمز السيوطى لحسنه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٥٣٢) .

قال المناوى : « والظاهر حصول أصل السنة بمرة وكمالها باستكمال الثلاث » ويدل على كلامه الحديث رقم (٢) .

(٢) صحيح : رواه أحمد والترمذى والنسائى عن البراء ، وأحمد والترمذى عن حذيفة ، وأحمد وابن ماجة عن ابن مسعود . وقال الترمذى : حسن صحيح . وقال ابن حجر : إسناده صحيح ورمز السيوطى لتصحيحه وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٦٦٦).

(٣) صحيح : أخرجه البيهقى فى « شعب الإيمان » عن أنس ، وأحمد فى مسنده والبخارى فى «التاريخ وأبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك وابن السنى عن نوفل ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١١٧٢).

لها ولعلى : « **ألا أدلكما على خير لكما من خادم ، إذا اويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين ، واحمدا ثلاثًا وثلاثين ، وكبّرا أربعًا وثلاثين فإنه خير لكما من خادم** »(١)

ما كان يبدأ به ﷺ من ذكر الله عند الانتباه من النوم

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ :

« **من تعارّ من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال : اللهم اغفرلى ـ أو دعا استجيب له فإن توضأ قُبلت صلاته** »(٢) .

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « **إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذى ردّ على روحي ، وعافانى فى جسدى ، وأذن لى بذكره** »(٣) .

عن ربيعة بن كعب الأسلمى رضى الله عنه قال : «كنت أبيت عند حجرة النبي ﷺ ، فكنت أسمعه إذا قام من الليل يقول « سبحان الله رب العالمين » الهوِىّ ، ثم يقول : « سبحان الله وبحمده » الهَوِىّ(٤) .

والهوى : الزمان الطويل .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا تضوّر من

---

(١) جزء من حديث على وهو متفق عليه.

(٢) سبق تخريجه البخارى وأصحاب السنن الأربعة.

(٣) حسن : رواه الترمذى وابن السنى وحسنه الألبانى صحيح الجامع رقم (٣٢٦).

(٤) سنده صحيح : رواه النسائى والترمذى نحوه وقال : هذا حديث صحيح ، وأخرجه أبو عوانة فى صحيحه بتمامه . وقال الألبانى فى تخريج المشكاة « أخرجه فى الأدب وسنده صحيح على شرط مسلم ، وقد أخرج طرفه الأول بزيادة فيه » أنظر المشكاة حديث رقم (١٢١٨).

الليل قال : لا اله إلا الله الواحد القهار ، رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار »[1] .

تضور : تلوّى وتقلب ظهراً لبطن

عن حذيفة قال : «كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال : « **باسمك أموت وأحيا** » وإذا قام قال : « **الحمد لله الذى احيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور** »[2] .

وفى الصحيحين عن النبي ﷺ :

« **الحمد لله الذى عافانى فى جسدى وردّ علىّ روحى ، وأذن لى بذكره** » .

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ : كان إذا كان فى سفر وأسحر يقول : « **سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذاً بالله من النار** »[3]

إذا أسحر : قال النووى : معناه قام فى السحر ، أو انتهى سيره إلى السحر وهو آخر الليل .

هديه فى التسوك لقيام الليل : -

عن حذيفة رضى الله عنه قال : «كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك »[4]

---

(١) صحيح : ـ أخرجه النسائى والحاكم فى المستدرك ، وابن حبان فى صحيحه وابن السنى ، وابن نصر فى قيام الليل وابن منده والسهمى .
وقال الحاكم . على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، وقال الحافظ العراقى فى أماليه حديث صحيح ورمز لصحته السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٤٥٦٩ ص ٢١٣ ، وانظر فيض القدير ج ٥ حديث ٦٦١٥

(٢) البخارى فى كتاب الدعوات باب : مايقول إذا نام ج ١١ ص ١١٣.

(٣) صحيح مسلم ـ كتاب الأدعية ص ٥٦٧

(٤) رواه البخارى مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة وأحمد فى مسنده عن حذيفة . والإسناد عند البخارى كله كوفيون . وفى رواية مسلم إذا قام ليتهجد.

قال ابن حجر فى الفتح : [الشَّوْص : بالفتح الغسل والتنظيف كذا فى الصحاح] .

وفى المحكم : الغسل ، والتنقية عن أبى عبيد ، والدلك عند ابن الأنبارى .

وقيل الإمرار على الأسنان من أسفل إلى فوق ، واستدل قائله بأنه مأخوذ من الشوصة وهى ريح ترفع القلب عن موضعه ، وعكسه الخطابى فقال : هو دلك الأسنان أو الأصابع عرضاً

قال ابن دقيق العيد : فيه استحباب السواك عند القيام من النوم ، لأن النوم مقتض لتغير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة ، والسواك آلة تنظيفه فيستحب عند مقتضاه . قال : وظاهر قوله « من الليل » : عام فى كل حالة ، ويحتمل أن يخص بما إذا قام إلى الصلاة . قلت : ويدل عليه رواية المصنف فى الصلاة بلفظ «إذا قام للتهجد» ولمسلم نحوه. «كان النبى ﷺ إذا قام للتهجد يشوص فاه بالسواك . وحديث ابن عباس يشهد له ، وكان ذلك هو السر فى ذكره فى الترجمة »[1] .

ولقد ذكره البخارى فى باب « طول القيام فى صلاة الليل »

واستشكل ابن بطال دخوله فى هذا الباب فقال : لا مدخل له هنا لأن التسوك فى صلاة الليل لا يدل على طول الصلاة . قال : ويمكن أن يكون ذلك من غلط الناسخ فكتبه فى غير موضعه ، أو أن البخارى أعجلته المنية قبل تهذيب كتابه ، فإن فيه مواضع مثل هذا تدل على ذلك .

وقال ابن المنير : يحتمل أن يكون أشار إلى أن استعمال السواك يدل على ما يناسبه من إكمال الهيئة والتأهب ، وهو دليل طول القيام إذ التخفيف لا يتهيأ له هذا التهيؤ الكامل .

وقال ابن رشيد : الذى عندى أن البخارى إنما أدخله لقوله « إذا قام

---

(١) فتح البارى ج ٢ ص ٣٥٦.

للتهجد » أى إذا قام لعادته ، وقد تبينت عادته فى الحديث الآخر .

ولفظ التهجد مع ذلك مشعر بالسهر ، ولا شك أن فى التسوك عونا على دفع النوم فهو مشعر بالاستعداد للإطالة .

وقال البدر بن جماعة : يظهر لى أن البخارى أراد بهذا الحديث استحضار حديث حذيفة الذى أخرجه مسلم

وأقرب الأقوال توجيه ابن رشيد[1] أ . هـ . قول ابن حجر

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ «كان يصلى بالليل ركعتين ركعتين ، ثم ينصرف فيستاك »[2]

[قال أبو شامة : يعنى : وكان يتسوك لكل ركعتين ، وفى هذا موافقة لما يفعله كثير فى صلاة التراويح وغيرها ، قال العراقى : مقتضاه أنه لو صلى صلاة ذات تسليمات كالضحى والتراويح يستحب أن يستاك لكل ركعتين وبه صرّح النووى][3] .

وعن ابن عمر أن النبى ﷺ : «كان لا يتعارّ من الليل إلا أجرى السواك على فيه »[4]

---

(١) فتح البارى ج ٣ ص ١٩ ، ٢٠ .

(٢) صحيح : رواه احمد والنسائى وابن ماجة والحاكم فى المستدرك . وقال الحاكم على شرطهما ، لكن مغلطاى قال ليس كما زعم . وقال ابن حجر إسناده صحيح . وقال المنذرى رواه ابن ماجة ثقات ، ورمزا لصحته السيوطى ، وقال الولى العراقى : وهو عند أبى نعيم بإسناد جيد من حديث ابن عباس أن المصطفى ﷺ : كان يستاك بين ركعتين : صححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٨٣٧) .

(٣) فيض القدير ج ٥ ص ٢٢٤ .

(٤) حسن : رواه ابن نصر فى « الصلاة » ، والطبرانى فى « المعجم الكبير » وأبو يعلى . وقال الهيثمى سنده ضعيف وفيه من لم يسم ورواه ابن عدى ورمز السيوطى لصحته وحسّنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧١٨) والسلسلة الصحيحة (٢١١١) .

قال المناوى : « أى تسوك به ، وإن تعدد انتباهه فيسن ذلك لكل أحد »[(1)]

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ «كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ إلا تسوّك»[(2)] .

قال المناوى فى فيض القدير :

« (يرقد) : أى ينام ، « من ليل ولا نهار » مِنْ لابتداء الغاية أو زائدة قال ابن العراقى : والأقرب أنها ظرفية بمعنى « فى » كما فى ﴿ **إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة** ﴾ (فيستيقظ) : عطفٍ على يرقد وليس جوابًا للنفى ، إنما جوابه (إلا تسوّك) .

● قد تجاذب السواك ترتيبه على الاستيقاظ من النوم ، وفعله قبل الوضوء ، فاحتمل أن سببه النوم ، وأن سببه الوضوء وأن كلاً منهما جزء علة ، والعلة المجموع .

قال ابن العراقى : « الأول أقرب لكونه رتبه عليه ، وظاهر صنيع المؤلف أن هذا هو الحديث بتمامه هكذا هو ثابت فى روايتيهما فأسقطه المؤلف ذهولاً .

قال العراقى : وقوله « قبل أن يتوضأ » صادق مع كونه قبله بزمن كثير ، فلا يدل ذلك على أنه من سننه ، لأن السواك المشروع فى الوضوء داخل فى مسماه بناء على الأصح أنه من سننه ، فإذا دل دليل خارجى على ندب السواك للوضوء دل على أن هذا السواك غير مشروع فى الوضوء ، لكن المشرع فيه داخل فى قوله قبل أن يتوضأ ، فلو كان هو المشروع فى الوضوء لزم التكرار »][(3)] .

---

(١) فيض القدير ج ٥ ص ١٨٢.

(٢) حسن : رواه أبو داود وابن أبى شيبة والطبرانى فى الأوسط ، وقال النووى فى شرح أبى داود فى إسناده ضعف ، وقال المنذرى فيه على بن زيد بن جدعان وهو لا يحتج به ، وقال العراقى فيه أيضًا أم محمد الراوية عن عائشة وهى مجهولة عينًا وحالاً ورمز السيوطى لصحته وحسّنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٢٩.

(٣) فيض القدير ج ٥ ص ١٨٥.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ : «كان لا ينام إلا والسّواك عند رأسه ، فإذا استيقظ بدأ بالسواك»[1] .

وعن جابر يرفعه : «كان رسول الله ﷺ يتسوك من الليل مرتين أو ثلاثة ، كلما رقد واستيقظ إستاك وتوضأ وركع ركعتين أو ركعات»[2]

هديه ﷺ فى قراءة آخر آل عمران إذا قام من الليل :

سيأتى فى خبر ابن عباس وحديثه أن رسول الله ﷺ «كان يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم ينظر إلى السماء ويقرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران».

قال النووى فى شرح مسلم : «استحباب مسح أثر النوم عن الوجه ، واستحباب قراءة هذه الآيات عند القيام من النوم»[3].

---

(١) حسن : رواه أحمد ومحمد بن نصر فى كتاب «الصلاة» وابن حبان فى صحيحه وابن عدى ، وقال الهيثمى سنده ضعيف وتابعه المناوى ورمز السيوطى لحسنه وحسّنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧٤٨) .

(٢) سنده حسن : قال البوصيرى : رواه عبد بن حميد والبزار بسند حسن وأورده الحافظ ابن حجر فى «المطالب العالية».

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٤١٦

هديه فيما يفتتح به القيام من الذكر والدعاء
« أدعية الاستفتاح ليلاً »

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : « **اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومَنْ فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض [ومن فيهن] ، ولك الحمد أنت مَلِك السماوات والأرض [ومن فيهن] ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، (أنت ربنا وإليك المصير) ، فاغفرلى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، (وما أنت أعلم به منى) ، أنت المقدم وأنت المؤخر (أنت إلهى) ، لا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك ، ولا حول ولا قوة إلا بالله** »(١)

قال الحافظ فى الفتح : « [قوله : (إذا قام من الليل يتهجد) : ظاهر السياق أنه كان يقوله أول ما يقوم إلى الصلاة ، وترجم عليه ابن خزيمة الدليل على أن النبى ﷺ كان يقول هذا التحميد بعد أن يكبر ، ثم ساقه ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام للتهجد قال بعد ما يكبر « **اللهم لك الحمد** » (٢)

---

(١) رواه البخارى واللفظ له [ما عدا بين الأقواس] ، ومسلم وأبو عوانة وأبو داود وابن نصر والدارمى .
قيم السموات : حافظها وراعيها .
أنت نور السموات : أى منورهما وبك يهتدى من فيهما .

(٢) فتح البارى ج ٣ ص ٣ ، ٤

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته : « **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . إهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم** »[١] .

انظر رحمك الله إلى حب القلوب ودوائها وهو يدعو بدعاء فيه الحياة ، أشار إلى جبريل وهو ملك الوحى الذى فيه الحياة فلقد سماه المولى عز وجل « روحا » ، وميكائيل مَلَك القطر والمطر والنبات وفيه الحياة للأرض ، وإسرافيل ملك النفخ فى الصور وفيه الحياة بعد الموت فكأنه ﷺ يدعو فى استفتاحه بهذا الدعاء بالليل لتحيا القلوب .

عن عاصم بن حميد قال : سألت عائشة : بأى شىء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل فقالت : لقد سألتنى عن شىء ما سألنى عنه أحد قبلك : -
(كان إذا قام كبّر عشرًا وحمد الله عشرًا وسبّح عشرًا وهلّل عشرًا ، واستغفر عشرًا ، وقال اللهم اغفرلى واهدنى وارزقنى ، وعافنى (عشرًا) ، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة)[٢] .

عن أبى سعيد الخدرى قال : -
(كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كبّر ثم يقول : -
« **سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك ، ثم يقول : لا إله إلا الله** (**ثلاثًا**) **ثم يقول الله أكبر كبيرًا** (**ثلاثًا**)[٣] ، **أعوذ بالله**

---

(١) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود .
أنظر مسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة النبى ﷺ ودعاؤه بالليل .
(٢) إسناده صحيح : رواه أبو داود فى كتاب الصلاة باب : ما يستفتح به الصلاة من الدعاء ، ورواه أحمد وابن أبى شيبة والطبرانى فى الأوسط بسند صحيح والآخر حسن وصححه الألبانى فى مشكاة المصابيح حديث ١٢١٦ ج ١ ص ٣٨٣ .
(٣) إلى هنا للطحاوى بسند حسن كما قال الألبانى أنظر صفة صلاة النبى للألبانى تحت عنوان أدعية الاستفتاح ص ٤٩ .

السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه[1] ونفخه ونفثه ثم يقرأ »[2] .

ومن أدعيته ﷺ فى الاستفتاح ليلاً :

« الله أكبر (ثلاثاً) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة »[3] .

وهذه الأدعية خاصة بالاستفتاح فى قيام الليل ، وله أن يدعو بأدعية الاستفتاح الأخرى .

---

(١) همز الشيطان : المؤتة : نوع من الجنون ، نفخه : الكبر ، نفثه : الشعر المذموم والتفسيرات الثلاث وردت مرفوعة إلى النبى ﷺ بسند صحيح مرسل كما قال الألبانى.

(٢) إسناده صحيح : رواه أبو داود فى كتاب الصلاة باب من رأى الاستفتاح « بسبحانك » وصححه الألبانى فى مشكاة المصابيح فى الحديث عن الحديث رقم (١٢١٧) ولمزيد الكلام على صحة الحديث واختلاف القول فيه راجع بذل المجهود ج ٤ ص ٥١٣ ، ٥١٤.

(٣) إسناده صحيح : رواه أبو داود والطيالسى وصححه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٥١.

وقت قيامه ﷺ

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « ما كنا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ فى اللَّيل مصلياً إلا رأيناه ، ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه »[1] .

وعند البخارى عن أنس قال «كان رسول الله ﷺ يفطر من الشهر حتى نظن أن لا يصوم ، ويصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيئاً ، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته ولا نائماً إلا رأيته »[2]

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : « أى أن صلاته ونومه كان يختلف بالليل ، ولا يرتب وقتاً معيناً بل بحسب ما تيسر له القيام ، ولا يعارضه قول عائشة : «كان إذا سمع الصارخ قام » فإن عائشة تخبر عما لها عليه اطلاع ، وذلك أن صلاة الليل تقع منه غالبًا فى البيت ، فخبر أنس محمول على ما وراء ذلك »[3] ا . هـ .

وعن مسروق قال سألت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت : (كان يحب الدائم) ، قال قلت أىُّ حينٍ كان يصلى ؟ فقالت : «كان إذا سمع الصارخ قام فصلى »[4] .

وعند أبى داود « الصُراخَ » ، وعند الطيالسى فى مسنده « الصارخ الديك » والصرخة هى الصيحة الشديدة .

قال النووى : [« فيه الحث على القصد فى العبادة ، وأنه ينبغى للإنسان ألا

---

(١) إسناده صحيح : أخرجه النسائى فى سننه كتاب قيام الليل باب : ذكر صلاة رسول الله ﷺ وقال الألبانى إسناده صحيح على شرطها وصحح إسناده أيضاً عبد القادر الأرناؤوط انظر مشكاة المصابيح رقم ٨٦ .

(٢) صحيح البخارى ـ كتاب التهجد باب : قيام النبى ﷺ بالليل ونومه .

(٣) فتح البارى كتاب التهجد شرح باب قيام النبى ﷺ بالليل ونومه ص٢٣.

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ... واللفظ لمسلم باب صلاة الليل وعدد ركعات النبى ﷺ كتاب صلاة المسافرين .

يحتمل من العبادة إلا ما يطيق الدوام عليه ثم يحافظ عليه » .

وقال أيضاً « الصارخ هنا هو الديك باتفاق العلماء قالوا : وسمى بذلك لكثرة صياحه »] .

● قال الحافظ ابن حجر العسقلانى : « جرت العادة بأن الديك يصيح عند منتصف الليل غالباً قاله محمد بن نصر ، قال ابن التين : وهو موافق لقول ابن عباس « نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل » .

وقال ابن بطال : الصارخ يصرخ عند ثلث الليل ، وكان داود يتحرى الوقت الذى ينادى الله فيه « هل من سائل » كذا قال ، والمراد بالدوام قيامه كل ليلة فى ذلك الوقت لا الدوام المطلق »(1) ا . هـ .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان ﷺ ينام أول الليل ويُحيي آخره ، ثم إن كانت له حاجة إلى أهله قضى حاجته ثم ينام ، فإذا كان عند النداء الأول قالت : وثب « ولا والله ما قلت قام » « فأفاض عليه الماء » ولا والله ما قالت اغتسل وأنا أعلم ما تريده ، وإن لم يكن جنبًا توضأ وضوء الرجل للصلاة ثم صلى الركعتين »(2) .

وعند البخارى : «كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلى » ثم يرجع إلى فراشه .

وعن عائشة قالت : « إنْ كانَ رسول الله ﷺ ليوقظه الله عز وجل بالليل فما يجىء السحر حتى يفرغ من حزبه »(3) .

وعن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال : إن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله ﷺ : والله لأرقبن رسول الله ﷺ للصلاة حتى أرى فعله ، فلما صلى صلاة العشاء ، - وهى العتمة ، اضطجع

---

(1) فتح البارى - كتاب التهجد - شرح باب « مَنْ نام عند السحر ».

(2) البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل.

(3) اسناده حسن : رواه أبو داود فى الصلاة باب وقت قيام النبى ﷺ ، وسكت عنه المنذرى وقال لشيخ عبد القادر الأرناؤوط : إسناده حسن أنظر التعليق على شرح السنة.

هويًا من الليل ، ثم استيقظ فنظر فى الأفق ، فقال : ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلاً** ﴾ حتى بلغ إلى ﴿ **إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ ، ثم أهوى رسول الله ﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكًا ، ثم أفرغ فى قدح من إداوةٍ عنده ماءً ، فاستنَّ ، ثم قام فصلَّى حتى قلت قد صلى قدر ما نام ، ثم اضطجع حتى قلت قد نام قدر ما صلى ، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة ، وقال مثل ما قال ، ففعل رسول الله ﷺ ثلاث مرات قبل الفجر »[1] .

● وسيمر بك فى حديث أم سلمة رضى الله عنها عن صلاته ﷺ «كان يصلى ثم ينام قدر ما صلى ، ثم يصلى قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح » .

---

(١) إسناده صحيح : رواه النسائى فى سننه وقال الألبانى : إسناده صحيح على شرط مسلم وقال الشيخ عبد القادر الأرناؤوط إسناده حسن انظر تخريج حديث رقم (١٢٠٩).

قيامه ﷺ ما بين المغرب والعشاء

عن حذيفة رضى الله عنه « أنه صلى مع النبى ﷺ المغرب ثم صلى حتى صلى العشاء »(١) .

عن عبيد مولى رسول الله ﷺ أن النبى ﷺ «كان يصلى بين المغرب والعشاء »(٢) .

تطييبه ﷺ للقيام

عن أنس قال «كان للنبى ﷺ إناء يعرض عليه سواكه ، فإذا قام من الليل خلا واستنجى واستاك وتوضأ ثم تطلب الطيب فى رباع نسائه »(٣) .

---

(١) صحيح : رواه النسائى والترمذى مطولاً [فى مناقب الحسن والحسين] ، وأحمد فى مسنده ، وابن خزيمة فى صحيحه ، وابن نصر ، والبيهقى فى سننه ، والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، وصححه الألبانى فى « الصحيحة » رقم (٢١٣٢) ، وقال الساعاتى : إسناده جيد ، وصححه الدكتور مصطفى الأعظمى فى التعليق على صحيح ابن خزيمة حديث رقم (١١٩٤).

(٢) صحيح : رواه الطبرانى فى « الكبير » وأحمد : وقال الهيثمى : « مداره كله فى طرقه على رجل لم يسم ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح » . وقال الذهبى : عن ابن عبد البر رواه عن ابن عبيد سليمان التيمى وسقط بينهما رجل وحسنه السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٨٣٨) .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٤٨.

« عدد صلاة النبي ﷺ بالليل »

عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت :

(كان النبي ﷺ يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة ، منها الوتر وركعتا الفجر)(١) .

عن مسروق قال : « سألت عائشة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالت : سبع وتسع وإحدى عشرة ، سوى ركعتى الفجر »(٢) .

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضى الله عنها : كيف كانت صلاة النبي ﷺ فى رمضان ؟ فقالت : (ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة : يصلى أربعًا ، فلا تسل عن حسنهن وطولهن . ثم يصلى أربعًا ، فلا تسل عن حسنهن وطولهن . ثم يصلى ثلاثًا ، قالت عائشة : فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة إن عينىّ تنامان ولا ينام قلبى »(٣) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانت صلاة النبي ﷺ ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل(٤)

عن ابن عباس قال : إن النبي ﷺ صلى من الليل ثلاث عشرة(٥)

عن زيد بن خالد الجُهنى أنه قال :

« لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ ، فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ، ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشر ركعة »(٦) .

---

(١) ، (٢) ، (٣) رواه البخارى كتاب التهجد باب كيف كان صلاة النبي ﷺ .

(٤) رواه البخارى كتاب التهجد باب « كيف كان صلاة النبي ﷺ .

(٥) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وصححه الشيخ أحمد شاكر حديث رقم (٢٠١٩).

(٦) رواه مالك فى « صلاة الليل » باب « صلاة النبي ﷺ فى الوتر » ، وعنه مسلم فى « صلاة المسافرين » . باب « الدعاء فى الليل » ، وأبو عوانة ، وأبو داود ، وابن نصر.

قال النووى : [قال القاضى عياض : « قال العلماء فى هذه الأحاديث إخبار كل واحد من ابن عباس وعائشة وزيد بما شاهد .

وأما الاختلاف فى عائشة فقيل هو منها ، وقيل من الرواة عنها ، فيحتمل أن إخبارها بأحد عشرة هو الأغلب ، وباقى رواياتها إخبار منها بما كان يقع نادراً فى بعض الأوقات فأكثره خمس عشرة بركعتى الفجر ، وأقله سبع ، وذلك بحسب ما كان من اتساع الوقت أو ضيقه بطول قراءة كما جاء فى حديث حذيفة وابن مسعود ، أو لنوم أو عذر أو مرض أو غيره ، أو فى بعض الأوقات عند كبر فى السن كما قالت : فلما أسنّ صلى سبع ركعات ، أو تارة تعد الركعتين الخفيفتين فى أول قيام الليل كما فى رواية زيد بن خالد ، وروتها عائشة بعدها فى صحيح مسلم ، وتعد ركعتى الفجر تارة وتحذفهما تارة ، أو تعد إحداهما ، وقد تكون عدت راتبة العشاء مع ذلك تارة وحذفتها تارة .

قال القاضى : ولا خلاف أنه ليس فى ذلك حد لا يزاد عليه ولا ينقص منه ، وأن صلاة الليل من الطاعات التى كلما زاد فيها زاد الأجر ، وإنما الخلاف فى فعل النبى ﷺ وما اختاره لنفسه والله أعلم »][1] ا.هـ .

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح :

[ما أجابت به عائشة رضى الله عنها مسروقاً فرادها أن ذلك وقع منه فى أوقات مختلفة فتارة كان يصلى سبعًا ، وتارة تسعًا ، وتارة إحدى عشرة . أما حديث القاسم فمحمول على أن ذلك كان غالب حاله كما ورد فى رواية أبى سلمة عنها أن ذلك كان أكثر ما يصليه من الليل .

أما ما رواه الزهرى عن عروة عنها فى باب « ما يقرأ فى ركعتى الفجر » بلفظ «كان يصلى بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلى إذا سمع النداء بالصبح ركعتين خفيفتين » فظاهره مخالف لما تقدم ، فيحتمل أن تكون أضافت إلى صلاة الليل

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى باب صلاة الليل والوتر من كتاب المسافرين ص ٣٨٨.

سنة العشاء ، لكونه كان يصليها فى بيته ، أو ما كان يفتتح به صلاة الليل فقد ثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام عنها أنه كان يفتتحها بركعتين خفيفتين وهذا أرجح فى نظرى لأن رواية أبى سلمة التى دلت على الحصر فى إحدى عشرة جاء فى صفتها عن المصنف وغيره « يصلى أربعًا ، ثم أربعًا ثم ثلاثًا » فدل على أنها لم تتعرض للركعتين الخفيفتين ، وتعرضت لهما فى رواية الزهرى ، والزيادة من الحافظ مقبولة وبهذا يجمع بين الروايات .

وينبغى أن نستحضر هنا ما تقدم فى أبواب الوتر من ذكر الركعتين بعد الوتر ، والاختلاف هل الركعتان بعد الفجر ، أو صلاة مفردة بعد الوتر ، ويؤيده ما وقع عند أحمد وأبى داود من رواية عبد الله بن أبى قيس عن عائشة بلفظ «كان يوتر بأربع وثلاث ، وست وثلاث ، وثمان وثلاث ، وعشر وثلاث ، ولم يكن يوتر بأكثر من ثلاث عشرة ولا أنقص من سبع » وهذا أصح ما وقفت عليه من ذلك ، وبه يجمع بين ما اختلف عن عائشة من ذلك والله أعلم .

قال القرطبى : أشكلت روايات عائشة على كثير من أهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها إلى الاضطراب ، وهذا إنما يتم لو كان الراوى عنها واحدًا أو أخبرت عن وقت واحد ، والصواب أن كل شىء ذكرته من ذلك محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة ، بحسب النشاط وبيان الجواز والله أعلم .

وظهر لى أن الحكمة فى عدم الزيادة على إحدى عشرة ركعة أن التهجد والوتر مختص بصلاة الليل ، وفرائض النهار - الظهر وهى أربع ، والعصر وهى أربع ، والمغرب وهى ثلاث وتر النهار ، فناسب أن تكون صلاة الليل كصلاة النهار فى العدد جملة وتفصيلاً وأما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهاية إلى ما بعدها] (1) ا . هـ . كلام ابن حجر .

● قال الألبانى : [ويؤيد الجمع الذى رجحه الحافظ ، أن رواية مالك

---

(1) فتح البارى ج ٣ ص ٢٠ شرح باب «كيف صلاة النبى ﷺ».

جاءت مفصلة بذكر الركعتين الخفيفتين من حديث زيد بن خالد الجهنى - المذكور سابقًا - قلت : ويحتمل عندى أن تكون هاتان الركعتان الخفيفتان ركعتى سنة العشاء ، بل هو الظاهر فإنى لم أجد رواية تذكرهما مع هذه الركعات الثلاث عشرة ، بل وجدت ما يؤيد ما استظهرته وهو حديث جابر بن عبد الله قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من الحديبية حتى إذا كنا بالسقيا (قرية بين مكة والمدينة) قام رسول الله ﷺ وجابر إلى جنبه فصلى العتمة ثم صلى ثلاث عشرة سجدة . رواه ابن نصر (ص ٤٨) فهذا الحديث كالنص فى أن سنة العشاء داخل فى الثلاث عشر ركعة ورجاله ثقات غير شرحبيل بن سعد ففيه ضعف »][1] ا . هـ . كلام الألبانى .

● قال الحافظ ابن قيم الجوزية :

« كان قيامه ﷺ بالليل إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة كما قال ابن عباس وعائشة فإنه ثبت عنهما هذا وهذا . ففى الصحيحين عنهما : ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة . وفى الصحيحين عنها أيضًا : « كان رسول الله ﷺ يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة ، يوتر من ذلك بخمس ، لا يجلس فى شىء إلا فى آخرهن »[2] . والصحيح عن عائشة الأول . والركعتان فوق الإحدى عشرة هما ركعتا الفجر ؛ جاء ذلك مبينًا عنها فى هذا الحديث بعينه : كان رسول الله ﷺ يصلى ثلاث عشرة ركعة بركعتى الفجر ذكره مسلم فى صحيحه[3] . وقال البخارى فى هذا الحديث : كان رسول الله ﷺ يصلى بالليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم يصلى إذا سمع النداء بالفجر ركعتين

---

(١) صلاة التراويح للألبانى ص ١٧ طبع المكتب الإسلامى - الطبعة الثانية .

(٢) مسلم فى صلاة المسافرين باب صلاة الليل وعدد ركعات النبى ﷺ والبخارى فى « التهجد » باب كيف كان صلاة النبى ﷺ .

(٣) صلاة المسافرين : باب صلاة الليل وعدد ركعات النبى ﷺ .

خفيفتين[1] . وفى الصحيحين عن القاسم بن محمد قال : سمعت عائشة رضى الله عنها تقول : كانت صلاة رسول الله ﷺ من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة ، ويركع ركعتى الفجر ، وذلك ثلاث عشرة ركعة »[2] فهذا مفسر مبين .

وأما ابن عباس ، فقد اختلف عليه ، ففى الصحيحين عن أبى جمرة عنه : كانت صلاة رسول الله ﷺ ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل[3] لكن قد جاء عنه هذا مفسرًا بأنها ركعتى الفجر.

قال الشعبى : سألت عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل ، فقالا ثلاث عشرة ركعة ، منها ثمان ، ويوتر بثلاث ، وركعتين قبل صلاة الفجر .

وفى الصحيحين عن كريب عنه فى قصة مبيته عند خالته ميمونة بنت الحارث ، أنه ﷺ صلى ثلاث عشرة ركعة ، ثم نام حتى نفخ فلما تبين له الفجر ، صلى ركعتين خفيفتين ، وفى لفظ فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج يصلى الصبح[4] فقد حصل الاتفاق على إحدى عشرة ركعة .

---

(١) رواه البخارى فى « التهجد » باب : ما يقرأ فى ركعتى الفجر.

(٢) رواه مسلم بهذا اللفظ فى صلاة المسافرين : باب « صلاة الليل وعدد ركعات النبى ﷺ».

(٣) رواه البخارى فى « التهجد » باب « كيف صلاة النبى ﷺ » وكم كان يصلى بالليل .
ومسلم فى « صلاة المسافرين » باب « الدعاء فى صلاة الليل » .
والترمذى فى الصلاة .

(٤) رواه البخارى فى أبواب « العمل فى الصلاة » باب « استعانة اليد فى الصلاة » ، وفى « العلم » : باب : السمر فى العلم ، وفى « الوضوء » باب : التخفيف فى الوضوء ، وباب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره » وفى « الجماعة » باب : « من يقوم عن يمين الإمام ».

واختلف فى الركعتين الأخيرتين : هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرهما ؟ فإذا انضاف ذلك إلى عدد ركعات الفرض والسنن الراتبة التى كان يحافظ عليها جاء مجموع ورده بالليل والنهار أربعين ركعة ، كان يحافظ عليها دائماً ، سبعة عشر فرضًا ، وعشر ركعات أو اثنتا عشرة سنة راتبة ، وإحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة قيامه بالليل ، والمجموع أربعون ركعة ، وما زاد على ذلك فعارض غير راتب كصلاة الفتح ثمان ركعات [١] ، وصلاة الضحى إذا قدم من سفر ، وصلاته عند من يزوره ، وتحية المسجد ونحو ذلك ، فينبغى للعبد أن يواظب على هذا الورد دائمًا إلى الممات فما أسرع الإجابة وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة . والله المستعان][٢] ا . هـ .

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم .

(٢) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ص ٣٢٥ - ٣٢٧ تحقيق عبد القادر وشعيب الأرناؤوط .

«الكَيْفِيَّات التى صلى بها الرسول ﷺ فى صلاة الليل والوتر»

لمّا كثر القول فى الكيفية التى صلى بها رسول الله ﷺ فى صلاة الليل وجدت أشفى وأوفى وأتم وأجمل ما كتب فيها كلام محدث ديار الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى حفظه الله وهو من هو : هو مجدد عصرنا هذا فى علم الحديث كما قال الشيخ ابن باز .. و « قل رجل يكون مثله فى هذا المجال كما قال شيخنا ابن عثيمين فى رسالة بعث بها إلىّ .

فرأيت أن أنقله بتمامه والله الموفق .

قال المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى حفظه الله :

[اعلم أيها المسلم أن قيام النبى ﷺ فى الليل ووتره ، كان على أنواع وكيفيات كثيرة ، ولمّا كان ذلك غير مدون فى كتب الفقه ، سواء منها المختصرة أو المطولة ، وكان من الواجب بيان سننه ﷺ للناس لكى تمهد السبيل لمن كان منهم محبًا لاتباعها أن يعمل بها فيكتب لنا أجره إن شاء الله تعالى ، وحتى يتورع عن إنكار شىء منها من كان جاهلاً ، وفقنا الله تبارك وتعالى لاتباعه ﷺ حق الاتباع ، واجتناب ما حذرنا من الابتداع ، فقد وجب بيان ذلك فأقول :

يصلى ١٣ ركعة يفتتحها بركعتين خفيفتين : -

وفيه أحاديث :

الأول : حديث زيد بن خالد الجهنى .

الثانى : حديث ابن عباس قال : « بت عند رسول الله ﷺ وهو عند ميمونة ، فقام حتى ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ فقام إلى شن[1] فيه ماء فتوضأ وتوضأت معه ، ثم قام فقمت إلى جنبه على يساره ، فجعلنى على يمينه ، ثم وضع يده على رأسى كأنه يمس أذنى كأنه يوقظنى فصلى ركعتين خفيفتين ، قد

(١) شن : قربة.

قرأ فيها بأم القرآن فى كل ركعة ، ثم سلم ، ثم صلى حتى صلى إحدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام ، فأتاه بلال فقال : الصلاة يا رسول الله فقام فركع ركعتين ، ثم صلى بالناس »(١) .

الثالث : حديث عائشة : قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين ، ثم صلى ثمان ركعات ، ثم أوتر» وفى لفظ «كان يصلى العشاء ثم يتجوز بركعتين ، وقد أعد سواكه وطهوره ، فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه ، فيتسوك ويتوضأ ثم يصلى ركعتين ، ثم يقوم فيصلى ثمان ركعات ، يُسَوِّى بينهن فى القراءة ، ثم يوتر بالتاسعة فلما أسنّ(٢) رسول الله ﷺ وأخذه اللحم جعل تلك الثمانى ستاً ، ثم يوتر بالسابعة ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس يقرأ فيهما ب ﴿قل يأيها الكافرون﴾ و ﴿إذا زلزلت﴾ (٣)

قال الألبانى : ـ واللفظ عند الطحاوى صريح فى أن عدد الركعات ثلاث عشرة ، فهو دليل على أن قولها فى اللفظ الأول : ثم أوتر . أى بثلاث ، ليتفق مجموع الركعات فيه مع هذا اللفظ الآخر ، وبذلك يكون حديث عائشة هذا مثل حديث ابن عباس الذى قبله .

ويلاحظ فى اللفظ الثانى أن عائشة رضى الله عنها ذكرت الركعتين الخفيفتين بعد صلاته ﷺ للعشاء ، ولم تذكر بينهما سنة العشاء ، فهذا يؤيد ما كنت أرجحه أن هاتين الركعتين الخفيفتين هما سنة العشاء والله أعلم .

---

(١) صحيح : قال الألبانى : رواه أبو داود (١/٢١٥) وعنه أبو عوانة فى صحيحه (٢/٣١٨) وأصله فى الصحيحين انظر صلاة التراويح ص ٨٧ . قال الألبانى : «قد فاتت ابن القيم هذه الرواية فقال : «ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة ...» .

(٢) [أى كثر لحمه «لحم بدنه» ﷺ ، ففى رواية أخرى للنسائى «حتى أسنّ ولحم فذكرت من لحمه ما شاء الله .

قال السندى : «لحم» أى كثر لحمه] [الألبانى].

(٣) أسناده صحيح : قال الألبانى : أخرجه الطحاوى (١/١٦٥) باللفظين وإسنادهما صحيح ، والشطر الأول من اللفظ أخرجه مسلم (٢/١٨٤) وأبو عوانة وكلهم رووه من طريق الحسن البصرى معنعنا ، لكن أخرجه النسائى وأحمد من طريقه مصرحا بالتحديث باللفظ الثانى نحوه.

يصلى ١٣ ركعة ، منها ثمانية يسلم بين كل ركعتين ، ثم يوتر بخمس لا يجلس ولا يسلم إلاّ فى الخامسة .

وفيه حديث عائشة رضى الله عنها قالت :ـ

«كان ﷺ يرقد ، فإذا استيقظ تسوّك ، ثم توضأ ، ثم صلى ثمان ركعات يجلس بين كل ركعتين فيسلم ، ثم يوتر بخمس ركعات لا يجلس إلا فى الخامسة ، ولا يُسَلِّم إلا فى الخامسة [فإذا أذّن المؤذن قام فصلى ركعتين خفيفتين][1]

ورواية أحمد هذه صريحة بأن مجموع الركعات ثلاث عشرة ركعة ما عدا ركعتى الفجر ، فهو بظاهره مخالف لحديث عائشة المتقدم بلفظ « ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة » وقد تقدم الجمع بينهما هنالك بما خلاصته أنها أرادت بهذا اللفظ ما عدا الركعتين الخفيفتين اللتين كان ﷺ يفتتح بها صلاة الليل ، وقد وجدت ما هو كالنص فى هذا الجمع وهو حديثها الآخر الذى ذكرت فيه هاتين الركعتين ثم ثمان ركعات ثم الوتر ، وقد مضى فى النوع الذى قبله .

يصلى ١١ ركعة ثم يسلم بين كل ركعتين ، ثم يوتر بواحدة .

لحديث عائشة رضى الله عنها قالت :ـ

«كان ﷺ يصلى فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء ، وهى التى يدعو الناس العتمة ـ إلى الفجر إحدى عشرة ركعة ، يسلّم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ، [ويمكث فى سجوده قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع

---

(١) سنده صحيح : رواه أحمد وسنده صحيح على شرط الشيخين ، وقد أخرجه مسلم وأبو عوانة ، وأبو داود والترمذى وصححه ، والدارمى وابن نصر والبيهقى وابن حزم فى المحلى ، رووه كلهم مختصراً ليس فيه التسليم من كل ركعتين ، وروى منه الشافعى والطيالسى والحاكم الإيتار بالخمس فقط ، وللحديث شاهد من حديث ابن عباس أخرجه أبو داود والبيهقى وسنده صحيح » ا: هـ . تخريج الألبانى انظر صلاة التراويح ص ٨٩

رأسه] فإذا سكت المؤذن فى الفجر ، وتبين له الفجر ، وجاء المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة »[١] .

ويشهد لهذا النوع حديث ابن عمر أيضاً أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صلاة الليل ؟ فقال : « **صلاة الليل مثنى مثنى . فإذا خشى أحدكم الصبح ، ركع ركعة واحدة توتر له ما قد صلى** »[٢] وزادا : « فقيل لابن عمر : ما مثنى مثنى ؟ قال : أن يسلّم فى كل ركعتين » وفى رواية مالك والبخارى : - « أن عبد الله بن عمر كان يسلم بين الركعة والركعتين فى الوتر حتى يأمر ببعض حاجته » .

وتفسير ابن عمر المذكور رواه أحمد (رقم ٥١٠٣) مرفوعاً مدرجاً فى صلب الحديث ، لكن فى سنده عبد العزيز بن أبى رواد وهو صدوق ربما وهم ، كما فى « التقريب » وأخشى أن يكون قد وهم فى رفعه . والله أعلم .

يصلى ١١ ركعة ، أربعاً بتسليمة واحدة ، ثم أربعاً مثلها ، ثم ثلاثاً .

رواه الشيخان وغيرهما من حديث عائشة :

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضى الله عنها كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ فى رمضان ؟ فقالت : « **ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة**[٣] **يصلى أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً** »[٤] .

● قال النووى : فى قولها « يصلى أربعاً » وهذا لبيان الجواز ، وإلا فالأفضل

---

(١) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود والطحاوى وأحمد ، وأخرجه الأولان من حديث ابن عمر أيضاً ، وأبو عوانة من حديث ابن عباس .

(٢) رواه البخارى ومسلم ومالك وأبو عوانة .

(٣) قال الألبانى : « وفى رواية لابن أبى شيبة (٢/١١٦/١) ومسلم وغيرهما «كانت صلاته فى شهر رمضان وغيره ثلاث عشر ركعة بالليل منها ركعتان الفجر » .

(٤) رواه البخارى ومسلم وأبو عوانة وأبو داود والترمذى والنسائى ، ومالك ، وعنه البيهقى وأحمد .

التسليم من كل ركعتين ، وهو المشهور من فعل رسول الله ﷺ ، وأمره بالصلاة مثنى مثنى ا . هـ

● قال الألبانى : « وصدق رحمه الله ، فقول الشافعية : « يجب أن يسلم من كل ركعتين ، فإذا صلاّها بسلام واحد لم تصح » كما فى « الفقه على المذاهب الأربعة » (٢٩٨/١) ، وشرح القسطلانى على البخارى (٥/ ٤) وغيرها خلاف هذا الحديث الصحيح ، ومناف لقول النووى بالجواز وهو من كبار العلماء المحققين فى المذهب الشافعى فلا عذر لأحد يفتى بخلافه » .

قال الألبانى : « وظاهر الحديث أنه كان يقعد بين كل ركعتين من الأربع والثلاث ، ولكنه لا يسلّم وبه فسّره النووى كما تقدم ، وقد روى ذلك صريحًا فى بعض الأحاديث عن عائشة أنه ﷺ كان لا يسلم بين الركعتين والوتر ، ولكنها معلولة كلها كما ذكر الحافظ ابن نصروالبيهق والنووى وبينته فى (التعليقات الجياد على زاد المعاد) . فالعمدة فى مشروعية الفصل بالقعود بدون تسليم ظاهر فى هذا الحديث ، ولكن سيأتى ما ينافى هذا الظاهر فى آخر الفصل والله أعلم » .

يصلى ١١ ركعة ، منها ثمان ركعات لا يقعد فيها إلا فى الثامنة يتشهد ويصلى على النبى ﷺ ، ثم يقوم ولا يسلم ، ثم يوتر بركعة ، ثم يسلم ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس : -

لحديث عائشة رضى الله عنها رواه سعد بن هشام بن عامر أنه أتى ابن عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس : ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ؟ قال : من؟ قال : عائشة ، فأْتِها فاسأْلْهَا ، فانطلقت إليها ، قال : قلت : يا أم المؤمنين : أنبئينى عن وتر رسول الله ﷺ ؟ فقالت : -

«كنا نعدُّ له سواكه وطهوره ، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل ، فيتسوك ويتوضأ ويصلى تسع ركعات ، لا يجلس فيها إلا فى الثامنة ، فيذكر الله

ويحمده [ويصلى على نبيه][1] ، ويدعو ، ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يقوم فيصلى التاسعة ، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ، [ويصلى على نبيه ﷺ] ويدعو ، ثم يسلم تسليمًا يسمعنا ، ثم يصلى ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد ، فتلك إحدى عشرة يا بنى ، فلما أسَنّ نبى الله ﷺ ، وأخذ اللحمَ أوتر بسبع ، وصنع فى الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بُنىّ »[2] .

يصلى ٩ ركعات ، منها ست ركعات لا يقعد إلا فى السادسة منها ، يتشهد ويصلى على النبى ﷺ ، ثم يقوم ولا يسلم ، ثم يوتر بركعة ، ثم يسلم ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس . لحديث عائشة الذى ذكرته .

ثم قال الألبانى : « هذه هى الكيفيات التى كان رسول الله ﷺ يصلى بها صلاة الليل والوتر ، ويمكن أن يزاد عليها أنواع أخرى ، وذلك بأن ينقص من كل نوع من الكيفيات المذكورة سابقاً ما شاء من الركعات ، وحتى يجوز له أن يقتصر على ركعة واحدة ، لقوله ﷺ : « فمن شاء فليوتر بخمس ، ومن شاء فليوتر بثلاث ، ومن شاء بواحدة » .

فهذا الحديث نص فى جواز الإيتار بهذه الأنواع الثلاثة المذكورة فيه ، وإن كان لم يصح النقل بها عن رسول الله ﷺ ، بل صح عن حديث عائشة أنه ﷺ لم يكن يوتر بأقل من سبع كما سبق ، فهذه الخمس والثلاث أن شاء الله صلاها بقعود واحد ، وتسليمة واحدة كما فى النوع الثانى ، وإن شاء

صلاها بقعود واحد ، وتسليمة واحدة كما فى النوع الثانى ، وإن شاء صلاها بقعود بين كل ركعتين بدون سلام كما فى النوع الرابع ، وإن شاء سلّم بين كل ركعتين وهو الأفضل كما فى النوع الثالث وغيره »][3] انتهى كلام الشيخ الألبانى حفظه الله .

---

(١) قال الألبانى : « هذه فائدة هامة فيها البيان الواضح أنه ﷺ كان يصلى على نفسه بنفسه وأنه كان يجعل هذه الصلاة فى التشهد الأول ، كما يجعلها فى التشهد الآخر ، ومن المقرر عند العلماء أنه لا فرق فى أحكام الصلاة بين الفريضة والنافلة إلا بدليل وهو هنا معدوم .

(٢) رواه مسلم وأبو عوانة وأبو داود والنسائى وابن نصر والبيهقى وأحمد .

(٣) انظر صلاة التراويح للألبانى من ص ٨٧ حتى ص ٩٤ .

كيفية قيامه كما ذكرها ابن القيم

قال الحافظ ابن قيم الجوزية فى « زاد المعاد » عن كيفية قيامه ﷺ :

منها هذا الذى ذكره ابن عباس « قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود ، ثم انصرف ، فنام حتى نفخ ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات ، كل ذلك يستاك ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث ، فأذن المؤذن فخرج إلى الصلاة ... »[1] الحديث .

النوع الثانى : ـ ما ذكرته عائشة : أنه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ، ثم يتمم ورده إحدى عشرة ركعة ، يسلم بين كل ركعتين ، ويوتر بواحدة .

ثلاث عشرة ركعة كذلك .

يصلى ثمان ركعات ، يسلم بين كل ركعتين ، ثم يوتر بخمس سردًا متوالية ، لا يجلس فى شىء إلا فى آخرهن .

تسع ركعات ، يسرد منهن ثمانيًا ، لا يجلس فى شىء منهن ، إلا فى الثامنة ، يجلس يذكر الله تعالى ويحمده ويدعوه ، ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يصلى التاسعة ، ثم يقعد ويتشهد ويسلم ثم يصلى ركعتين جالسًا بعدما يسلم .

النوع السادس : يصلى سبعًا كالتسع المذكورة ، ثم يصلى بعدها ركعتين جالسًا .

النوع السابع : أنه كان يصلى مثنى مثنى ، ثم يوتر بثلاث لا يفصل بينهن ، فهذا رواه الإمام أحمد عن عائشة « أنه كان يوتر بثلاث لا فصل بينهن »[2]

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم فى صلاة المسافرين ، باب « الدعاء فى صلاة الليل وقيامه » .

(٢) رواه أحمد فى المسند ١٥٥/٦ ، ١٥٦ ، ولفظه يرجع إليه ، وفى سنده يزيد ابن جعفر ، قال الذهبى فى الميزان : ليس بحجة ، وقال الدارقطنى يعتبر به أى فى المتابعة ، وإلا فهو لين .

وروى النسائى عنها «كان لا يسلم فى ركعتى الوتر »[1] ، وهذه الصفة فيها نظر ، فقد روى أبو حاتم حبان فى صحيحه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « **لا توتروا بثلاث أوتروا بخمس ، أو سبع ، ولا تشبهوا بصلاة المغرب** » ، وسيأتى بالتفصيل فى الوتر ـ والأحاديث فى التسليم فى الوتر أقوى وأكثر وأثبت عن النبى ﷺ .

ومن هديه فى القيام أيضا :ـ

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية :ـ

«كان ﷺ يقوم تارة إذا انتصف الليل ، أو قبله بقليل ، أو بعده بقليل ، وربما كان يقوم إذا سمع الصارخ ، وهو إنما يصيح فى النصف الثانى ، وكان يقطع ورده تارة ، ويصله تارة وهو الأكثر ، ويقطعه كما قال ابن عباس فى حديث مبيته عنده ، ولم يذكر ابن عباس افتتاحه بركعتين خفيفتين كما ذكرته عائشة ، فإما إنه كان يفعل هذا تارة ، وهذا تارة ، وإما أن تكون عائشة حفظت مالم يحفظ ابن عباس وهو الأظهر لملازمتها له ، ولمراعاتها ذلك ، ولكونها أعلم الخلق بقيامه بالليل » ا . هـ .

---

(١) إسناده صحيح : قال عبد القادر الأرناؤوط : « رواه النسائى ٣/٢٣٤ فى صلاة الليل : باب كيف الوتر بثلاث ، والحاكم ١/٣٠٤ ، والدارقطنى ص ١٧٥ ، والطحاوى ١/٢٨٠ ، والبيهقى ٣/٣١ ، وإسناده صحيح ، وقال النووى فى شرح المهذب ٤/٧ : رواه النسائى بإسناد حسن ، والبيهقى فى السنن الكبير بإسناد صحيح » ا .

« هديه إذا تكرر قيامه »

عن ابن عباس حدّث : أنه بات عند نبى الله ﷺ ذات ليلة فقام نبى الله ﷺ من الليل فخرج فنظر إلى السماء ثم تلا هذه الآية التى فى آل عمران ﴿ **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار** ﴾ حتى بلغ ﴿ **سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ ثم رجع إلى البيت فتسوّك وتوضأ ثم قام فصلى ثم اضطجع ثم رجع أيضاً فنظر فى السماء ثم تلا هذه الآية ثم رجع فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ، ثم اضطجع ، ثم رجع أيضًا فنظر فى السماء ثم تلا هذه الآية ، ثم رجع فتسوك وتوضأ ، ثم قام فصلى »[1] .

---

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح حديث رقم (٢٤٨٨) .

هديه فى افتتاح صلاته بركعتين خفيفتين

مرّ بك بعض الأحاديث فى ذلك ، وإليك حديثان آخران يدلان على استحباب ذلك لينشط بهما لما بعدهما .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« **إذا قام أحدكم من صلاة الليل فليستفتح صلاته بركعتين خفيفتين** »[1]

وعن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل ليصلى افتتح صلاته بركعتين خفيفتين »[2] .

فهذا نصحٌ منه ﷺ لأمته ، وقد فعله .

«كان ابن سيرين رحمه الله يقرأ فيهما فى الركعة الأولى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة**﴾ إلى قوله ﴿ **أصحابَ النار هم فيها خالدون**﴾ وفي الثانية ﴿**لله ما في السموات وما في الأرض** ﴾ . إلى آخر السورة[3].

---

(١) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح . أنظر حديث رقم (٧٧٣٤) ، ورواه مسلم ولفظ مسلم : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين .

(٢) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب صلاة النبى ﷺ ودعاؤه بالليل .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٥٥ .

افتتاحه القيام بركعتين طويلتين أحيانًا

قال محمد بن نصر رحمه الله عن افتتاحه ﷺ صلاته من الليل بركعتين خفيفتين : « وهذا عندنا اختيار وليس بواجب . فإن افتتح صلاته بركعتين طويلتين فذلك مباح والدليل على ذلك : -

حديث حذيفة رضى الله عنه قال : « صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح بالبقرة فقلت يركع عند المائة الأولى ثم مضى ، فقلت يصلى بها فى ركعة ، فمضى ، فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح ، وإذا مرّ بسؤال سأل ، وإذا مرّ بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربى العظيم ، فكان ركوعه نحوًا من قيامه ، ثم قال سمع الله لمن حمده ، ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع ، ثم سجد فقال سبحان ربى الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه »[1] .

عن ابن عباس قال : كنت فى بيت ميمونة فقام النبى ﷺ يصلى من الليل فقمت معه على يساره فأخذ بيدى فجعلنى عن يمينه ، ثم صلى ثلاث عشرة ركعة حَزَرتُ قَدْر قيامه فى كل ركعة قدر ﴿ ياأيها المزمل ﴾[2]

● عن عوف بن مالك الأشجعى قال : قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة ، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ ، قال : ثم ركع بقدر قيامه يقول فى ركوعه « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، ثم سجد بقدر قيامه ثم قال فى سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة »[3] ا . هـ . أى سورة النساء ثم المائدة .

---

(١) رواه مسلم واللفظ له باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ، والنسائى وأبو داود .

(٢) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وأبو داود : وصححه الشيخ شاكر ٣٤٥٩ ، والألبانى فى صفة الصلاة والساعاتى فى الفتح الربانى .

(٣) إسناده حسن : رواه أبو داود واللفظ له فى الصلاة باب : ما يقول الرجل فى ركوعه وسجوده ، والنسائى فى الافتتاح فى باب نوع آخر من الذكر وحسّنه الألبانى فى مشكاة المصابيح رقم (٨٨٢) وعبد القادر الأرناؤوط فى « جامع الأصول » .

صفة صلاته ﷺ

طولها : -

• عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : -

« صَلَّيْتُ مع رسول الله ﷺ فأطال حتى هممت بأمرِ سَوْءٍ . قال قيل : وما هممتَ به ؟

قال : هممت أن أجلس وأدَعه »(١) .

وعند البخارى بلفظ : « صليت مع النبى ﷺ ليلةً فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء قلنا : وما هممت ؟ قال : هممت أن أقعد وأذرَ النبى ﷺ » .

قال الحافظ فى الفتح : « وفى الحديث دليل على اختيار النبى ﷺ تطويل صلاة الليل ، وقد كان ابن مسعود قويًا محافظاً على الاقتداء بالنبى ﷺ وما همّ بالقعود إلا بعد طولٍ كثير ما اعتاده »(٢) .

• وعن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« **أفضل الصلاة طول القنوت** »(٣) .

قال النووى : « المراد بالقنوت هنا القيام باتفاق العلماء فيما علمت ، وفيه دليل الشافعى ومن يقول كقوله : إن تطويل القيام أفضل من كثرة الركوع والسجود » .

عن حذيفة : أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى من الليل فكان يقول الله أكبر (ثلاثاً) ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ، ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوًا من قيامه ، وكان يقول فى ركوعه : سبحان ربى العظيم ،

---

(١) رواه البخارى فى التهجد باب طول القيام فى صلاة الليل ، ومسلم فى صلاة المسافرين ، باب استحباب تطويل القراءة فى صلاة الليل ، ورواه ابن ماجة .

(٢) فتح البارى ج ٣ كتاب التهجد ص ١٩ .

(٣) صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل مثنى مثنى .

سبحان ربى العظيم ، ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوًا من ركوعه ، يقول : « لربى الحمد » ثم سجد فكان سجوده نحوًا من قيامه ، فكان يقول فى سجوده : « سبحان ربى الأعلى » ثم رفع رأسه من السجود ، وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوًا من سجوده ، وكان يقول « رب اغفرلى ، رب اغفرلى » فصلى أربع ركعات قرأ فيهنّ (البقرة وآل عمران والنساء) والمائدة أو الأنعام[1] شك شعبة .

عن أنس رضى الله عنه قال : وجد رسول الله ﷺ ذات ليلة شيئًا فلما أصبح قيل يا رسول الله إن أثر الوجع عليك لبيّن . قال : « **إنى على ما ترون بحمد الله قد قرأت السبع الطوال** »[2] .

- « وكان ـ أحيانًا ـ يقرأ فى كل ركعة بسورة منها »[3] .
- وما علم عنه أنه قرأ القرآن كله فى ليلة قط .

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود وصححه الألبانى فى المشكاة رقم (١٢٠٠) وعبد القادر الأرناؤوط فى تعليقه على « جامع الأصول » .

(٢) صحيح : قال الألبانى : أخرجه أبو يعلى والحاكم فى كتاب صلاة التطوع وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى وسكت عنه الألبانى .

حديث رقم (٢) : وقال الهيثمى : رجاله ثقات ، وأورده الحافظ فى المطالب العالية وضعفه الألبانى فى التعليق على حديث رقم (١١٣٦) من صحيح ابن خزيمة وقال : إسناده ضعيف مؤمل صدوق سىء الحفظ انظر صفة الصلاة رقم ٦٦ والمستدرك جـ ١ ص ٣٠٨ .

(٣) الحديث رقم (٣) : إسناده صحيح : رواه أبو داود والنسائى بإسناد صححه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٦٧ .

حديث جامع :

عن زرارة أن سعد بن هشام بن عامر أتى عباس فسأله عن وتر رسول الله ﷺ فقال ابن عباس ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : من ؟ قال : عائشة فأْتِها فاسألها ثم ائتنى فأخبرنى بردها عليك ، فانطلقت إليها فأتيت على حكيم بن أنطح فاستلْحَقْتُهُ إليها فقال : ما أنا بقاربها لأنى نهيتُها أن تقول فى هاتين الشيعتين شيئاً فأبت فيهما إلا مضياً قال : فأقسمتُ عليه فجاء فانطلقنا إلى عائشة فاستأْذنّا عليها فأذنت لنا فدخلنا عليها فقالت : أحكيمٌ « فَعَرَفَتْهُ » فقال : نعم فقالت : من معك ، قال : سعد بن هشام ، قالت مَنْ هشام ؟ قال : ابن عامر فترحمتْ عليه وقالت : خيراً « قال قتادة : وكان أصيب يوم أحد » .

فقلت : يا أم المؤمنين : أنبئينى عن خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلُت : بلى ، قالت : فإن خلق نبى الله ﷺ كان القرآن .

قال : فهمَمَتُ أن أقوم ولا أسأل أحداً عن شيء حتى أموت ، ثم بدا لى فقلت : أنبئينى عن قيام رسول الله ﷺ ، قالت : ألست تقرأ « يا أيها المزمل » ؟ قلت : بلى ، قالت : فإن الله عز وجل افترض قيام الليل فى أول هذه السورة فقام نبى الله ﷺ وأصحابه حولاً ، وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهراً فى السماء حتى أنزل الله فى آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة .

قال : قلت : يا أم المؤمنين : أنبئينى عن وتر رسول الله ﷺ . فقالت : كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأْ ويصلى تسع ركعات لا يجلس فيها إلا الثامنة ، فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم ، ثم يقوم فيصلى التاسعة ، ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليماً يُسمعنا ثم يصلى ركعتين بعدما يسلم وهو قاعد فتلك إحدى عشرة

ركعة يا بُنى ، فلما أسنّ نبى الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع وصنع فى الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بنى ، وكان نبى الله ﷺ إذا صلىّ صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلّى من النهار ثنتى عشرة ركعة ، ولا أعلم نبى الله ﷺ قرأ القرآن كله فى ليلة ، ولا صلى ليلة إلى الصبح ، ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان .

قال : فانطلقت إلى ابن عباس فحدثته بحديثها ، فقال : صَدَقَتْ لو كنتُ أقربُها أو أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهنى به ، قال : قلت : لو علمتُ أنك لا تدخل عليها ما حدّثتك حديثها [(١)].

وكان ﷺ لا يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث . عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان ﷺ لا يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث» [(٢)]

● وكان يقرأ فى كل ليلة بـــ «بنى إسرائيل والزمر وتبارك والسجدة المسبحات» .

عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ :

«كان لا ينام حتى يقرأ (آلم) تنزيل السجدة و «تبارك الذى بيده الملك» [(٣)]

وعن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ «كان لا ينام حتى يقرأ بنى

---

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) حديث رقم (٢) صحيح : أخرجه ابن سعد (٣٧٦/١) وأبو الشيخ فى «أخلاق النبى ﷺ» قال المناوى : ورمز السيوطى لحسنه ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧٤٢) .

(٣) حديث رقم (٣) صحيح : ـ رواه أحمد فى مسنده ، والترمذى والنسائى والحاكم . وقال البغوى : غريب وقال الصدر المناوى : فيه اضطراب . وقال الحاكم على شرطهما ورمز السيوطى لصحته وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧٤٩) .

إسرائيل والزمر »[1] و « كان ﷺ يقرأ المُسَبِّحَات قبل أن ينام ، وإذا اضطجع »[2].

و « كان ـ أحياناً ـ يقرأ فى كل ركعة قدر خمسين آية أو أكثر »[3]

هديه فى القراءة ليلاً

الترتيل فى القيام :

عن حفصة رضى الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها »[4] وفى رواية أخرى عنها رضى الله عنها :

« كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها »

وكانت قراءته ﷺ مُفَسَّرَةً حرفاً » :ـ

عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته ؟ فقالت : « ما لكم وصلاته[5] ، كان يصلى ، وينام قدر ما صلى ، ثم يصلى قدر ما نام ، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ، ونعتت قراءته فإذا هى تنعت قراءته مفسرة حرفًا حرفًا »[6] أى مرتلة ومجوّدة مميزة غير مخالطة ، بل كان يقرأ بحيث يمكن عد حروف ما يقرأ ، والمراد حسن الترتيل والتلاوة .

---

(١) حديث رقم (١): صحيح : رواه أحمد فى مسنده والترمذى والحاكم والدارمى . وقال الترمذى : حسن غريب وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ورمز السيوطى لصحته وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٧٥٠) .

(٢) حديث رقم (٢): أخرجه الترمذى وحسّنه ، وأبو داود وحسنه الحافظ انظر حديث رقم (٩٩٤) من كتاب النصيحة فى الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد بن أحمد بن اسماعيل نشر دار وطيبة

(٣) حديث رقم (٣) : أخرجه البخارى وأبو داود .

(٤) حديث رقم (٤) أخرجه مسلم ومالك .

(٥) معناه : أى شىء يحصل لكم مع وصف قراءته وصلاته وأنتم لا تستطيعون أن تفعلوا مثله ففيه نوع تعجب ونظيره قول عائشة رضى الله عنها : « وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق » .

(٦) تخريج الحديث رقم (٥) سنده صحيح : قال المنذرى : أخرجه الترمذى والنسائى ، وقال = =

قال الطيبي : « وهذا يحتمل وجهين : أحدهما أن تقول : كانت قراءته كيت وكيت .

وثانيهما : أن تقرأ مرتلة مبينة كقراءة النبي ﷺ كذا ذكره في المرقاة »[1] .

● وكان ﷺ يمد قراءته مدًّا :

عن قتادة قال : « سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال : كان يمد مدًّا »[2]

وعن قتادة قال : « سئل أنس : كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال :

«كانت مَدًّا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله ، ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم »[3] والمراد أنه كان يمد ما كان في كلامه من حروف المد واللين بالقدر المعروف والشرط المعلوم .

● وكان ﷺ يقف على رؤس الآى : -

عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ : «كان يُقَطِّعُ قراءته آية آية » : (الحمد لله رب العالمين) ثم يقف : (الرحمن الرحيم) ثم يقف »[4] .

« ولقد كان جماعة من الأئمة السالفين والقراء الماضين يستحبون القطع على الآيات وإن تعلق بعضهن ببعض وهى سنة أعرض عنها الناس »[5] فالواجب

= .الترمذى : حسن صحيح غريب وأخرجه أحمد وابن المبارك فى الزهد ص ١٩٢ وصحح إسناده الألبانى فى صفة الصلاة وفى المشكاة رقم (١٢١٠) .

● الحديث رقم (٢) : أخرجه البخارى وأبو داود .

● الحديث رقم (٣) البخارى وأحمد فى المسند والنسائى وابن ماجة .

(٤) الحديث رقم (٤): صحيح : أخرجه الترمذى وأحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم وقال الحاكم على شرط الشيخين وأقره الذهبى ، وقال الترمذى : حسن غريب . وقال الدارقطنى : إسناده صحيح وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٨٧٦) وصححه أيضا عبد القادر الأرناؤوط .

(٥) أبو عمرى الدانى فى المكتفى ونقله عنه الألبانى فى صفة الصلاة .

لمن كان له عقل يعقل عن رسول الله ﷺ التأدب بأدب رسول الله ﷺ . وها هو ينصح أمته .

فعن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« **يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتَقِ ، ورتِّلْ كما كنت تُرتِّلُ فى الدنيا ، فإن منزلك عند آخر آيةٍ تقرؤها** »[1] .

ولقد سار على هذا الهدى صحابة رسول الله ﷺ وسلف الأمة .

« فعن علقمة قال : صليت مع ابن مسعود من أول الليل إلى انصرافه من الفجر فكان يرتل ولا يرتجع ويسمع من فى المسجد .

وفى رواية أن علقمة قرأ على عبد الله رضى الله عنه وكان حسن الصوت فكأنه عجل ، قال رتل فداك أبى وأمى فإنه زين القرآن » . وعن ابن مسعود رضى الله عنه :

« لا تهذُّوا القرآن كهذّ الشعر ولا تنثروه كنثر الدقل ، وقفوا عند عجائبه ، وحرّكوا به القلوب ، ولا يكون همّ أحدكم من السورة آخرها » .

● وعن ابن عباس فى قوله ﴿ **ورتّل القرآن ترتيلا** ﴾ بيّنه تبيينا .

وعن ابن أبى مليكة « سافرت مع ابن عباس من مكة إلى المدينة وهم يسيرون إليها ، وينزلون بالليل فكان ابن عباس رضى الله عنه يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفا حرفا ثم حكى قراءته قال : ثم يبكى حتى نسمع لى نشيجا » .

● وقال ابن عون : كان محمد بن سيرين يحب الترتيل فى القرآن ويقول :

---

(١) تخريج حديث رقم (١) : حسن : أخرجه أحمد فى مسنده وأبو داود والترمذى وقال الألبانى إسناده حسن انظر المشكاة رقم (٢١٣٤) .

هذه الأصوات التى تقرؤنها محدثة . وقيل لمجاهد : رجل يعجل فى القراءة وآخر يترسل . قال : إن أحب الناس إلى الله أعقلهم عنه »[1] .

قال ابن القيم : « وذكر الزهرى أن قراءة رسول الله ﷺ كانت آية آية ، وهذا هو الأفضل ، الوقوف على رءوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها ، وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها ، واتباع هدى النبى ﷺ وسنته أولى . وممن ذكر ذلك البيهقى فى « شعب الإيمان » وغيره ، ورجح الوقوف على رءوس الآى وإن تعلقت بما بعدها »[2] ا .هـ .

« قال مجاهد وطاووس كانوا يستحبون إذا قام الرجل من الليل أن يمد صوته بالآية من القرآن »[3] .

● **وكان ﷺ - أحيانًا - يُرَجِّعُ صوته :**

● فعن أم هانيء رضى الله عنها قالت : «كنت أسمع صوت النبى ﷺ وهو يقرأ وأنا نائمة على فراشى يرجّع القرآن »[4] .

وعند محمد بن نصر «...قراءة النبى ﷺ وأنا نائمة على عريشى يرجّع بالقرآن » .

وعند ابن ماجة «كنت أسمع قراءة النبى ﷺ وأنا على عريشى »[5] ، [6] .

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٥٦ .

(٢) زاد المعاد طبع مؤسسة الرسالة ج ١ ص ٣٣٧ .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٥٧ .

(٤) تخريج الحديث رقم ٨٢ : إسناده صحيح .
قال الحافظ فى الفتح ج ١ باب الترجيع « رواه الترمذى فى « الشمائل » والنسائى وابن ماجة وابن أبى داود واللفظ له . وقال الشيخ الأرناؤوط : أخرجه أيضًا أحمد وإسناده صحيح .

(٥) إسناده صحيح : قال فى الزوائد عن حديث ابن ماجة : إسناده صحيح ورجاله ثقات ، رواه ابن ماجة فى كتاب « إقامة الصلاة » باب « ما جاء فى القراءة فى صلاة الليل » حديث رقم (١٣٤٩) ج ١ ص ٤٢٩ .

(٦) العريش : هو البيت : أى سقف بيتها ، والمراد ما يستظل به ، وقد سميت بيوت مكة عروشًا لأنها عيدان تنصب وتظلل .

قال الحافظ فى « الفتح » : « هو تقارب ضروب الحركات فى القراءة وأصله الترديد ، وترجيع الصوت : ترديده فى الحلق » .

وقال أيضًا « والذى يظهر أن فى الترجيع قدرًا زائدًا على الترتيل ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبى حمزة : معنى الترجيع : تحسين التلاوة لا ترجيع الغناء ، لأن القراءة بترجيع الغناء تنافى الخشوع الذى هو مقصود التلاوة » ا.هـ .

وقال المناوى : « وذلك ينشأ غالبًا على أريحية وانبساط » ا.هـ .

ولا شك أن رسول الله ﷺ كان يحصل له من ذلك حظ وافر فى قيام الليل قال النووى فى شرحه لحديث ترجيع النبى ﷺ سورة الفتح على راحلته يوم فتح مكة :

« قال القاضى عياض : أجمع العلماء على تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها . قال أبو عبيد : والأحاديث الواردة فى ذلك محمولة على التحزين والتشويق . قال : واختلفوا فى القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والفهم ، وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث ، ولأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية وإقبال النفوس على استماعه .

قال النووى : قلت : « قال الشافعى فى موضع : أكره القراءة بالألحان ، وقال فى موضع : لا أكرهها قال أصحابنا : ليس له فيها خلاف ، وإنما هو اختلاف حالين فحيث كرهها أراد إذا مطّط وأخرج الكلام عن موضعه بزيادة أو نقص أو مد غير ممدود ، وإدغام مالا يجوز إدغامه ، ونحو ذلك .

وحيث أباحها أراد إذا لم يكن فيها تغير لموضع الكلام . والله أعلم »[1] ا.هـ .

(١) شرح النووى بصحيح مسلم ج ٢ ص ٤٤٨ والحديث أخرجه البخارى ومسلم عن عبد الله بن مغفل المزنى .

بكاؤه فى صلاته

عن عبد الله بن الشخير رضى الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلى ، وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء »[1] .

وأيم الله لقد كان خوفه ﷺ وهو سيد الخائفين لا يوصف ولا يجارى فقد قال ﷺ :

« **شيّبتنى هود وأخواتها** »[2] وفى حديث آخر « **شيّبتنى هود وأخواتها قبل المشيب** »[3] .

وقال ﷺ : « **شيبتنى هود وأخواتها من المفصّل** »[4] وقال ﷺ : « **شيّبتنى هود والواقعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشمس كوّرت** »[5] .

عن عطاء قال : ـ « دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة رضى الله عنها فقال عبد الله بن عمير :

حدثينا بأعجب شىء رأيتيه من رسول الله ﷺ فبكت ، وقالت : ـ

---

(١) الحديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه أبو داود والترمذى فى الشمائل ، وقال النووى فى « الأربعين النووية » إسناده صحيح ، وقال الألبانى فى « التراويح » إسناده صحيح على شرط مسلم .

(٢) الحديث رقم (٢) صحيح : أخرجه الطبرانى فى الكبير عن عقبة بن عامر وعن أبى جحيفة وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٤) .

(٣) الحديث رقم (٣) : صحيح : أخرجه ابن مردويه عن أبى بكر وحسّنه السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٥) والصحيحة رقم (٩٥٥) .

(٤) الحديث رقم (٤) : صحيح : أخرجه سعيد بن منصور فى « سننه » عن أنس و « ابن مردويه » عن عمران وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٦) .

(٥) الحديث رقم (٥) : صحيح : رواه الترمذى فى « الشمائل » عن ابن عباس ، وفى السنن ، وقال حديث حسن غريب ، والحاكم عن أبى بكر فى « المستدرك » وقال : صحيح على شرط البخارى ووافقه الذهبى والحاكم أيضًا عن ابن عباس . والحديث أخرجه أيضًا ابن مردويه عن سعد ، و « ابن سعد » فى « الطبقات » و أبو نعيم فى « الحلية » والضياء فى « الأحاديث المختارة » . وقال ابن الصلاح فى الاقتراح إسناده على شرط البخارى وحسّنه السيوطى فى الدرر وفى الجامع الصغير » وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٦١٧)

قام ليلة من الليالى فقال : يا عائشة ذريني أتعبد لربى ، قالت : قلت : والله إنى لأحب قربك ، وأحب ما يسرك ، قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يصلى ، فلم يزل يبكى حتى بل حجره ، ثم بكى ، فلم يزل يبكى حتى بلّ الأرض ، وجاء بلال يؤذن بالصلاة فلما رآه يبكى ، قال : يا رسول الله تبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال : « **أفلا أكون عبدًا شكورًا . لقد نزلت علىّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إن فى خلق السموات والأرض﴾** الآية[1] .

صفة قراءته

كان ﷺ يسر بالقراءة فى صلاة الليل تارة ، ويجهز تارة بها كما قال ابن القيم فى زاد المعاد .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل قدر ما يسمعة من فى الحجرة وهو فى البيت » وعند أبى داود : «كانت قراءة رسول الله ﷺ على قدر ما يسمعه من فى الحجرة وهو فى البيت .

قال القارى : المراد بالحجرة أخص من البيت يعنى كان لا يرفع صوته كثيرًا ولا يسر بحيث لا يسمعه أحد ، وهذا إذا كان يصلى ليلاً وأما فى المسجد فكان يرفع صوته فيها كثيرًا ذكره ابن الملك » ا .هـ .

وقال الألبانى : « الحجرة » هنا ما يتخذ حجرة للمبيت عند بابه ، مثل الحريم للبيت . والحديث يعنى أنه ﷺ كان يتوسط بين الجهر والإسرار »[2] ا .هـ .

---

(١) الحديث رقم (١) : إسناده جيد : رواه أبو الشيخ (ابن حبان فى « أخلاق النبى ﷺ ») وابن حبان فى صحيحه وصححه الألبانى .

(٢) انظر « صفة صلاة النبى » فى التعليق على «الجهر والإسرار فى القراءة فى صلاة الليل » .

و «كان ربما رفع صوته أكثر من ذلك حتى يسمعه من كان ظلى عريشه »[1] أى خارج الحجرة .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

«كانت قراءة النبي ﷺ ربما يسمعه من فى الحجرة ، وهو فى البيت »[2]

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

«كانت قراءة النبي ﷺ بالليل يرفع طورًا ويخفض طورًا »[3] .

وعند ابن نصر عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ «كان إذا قرأ من الليل رفع طورًا وخفض طورًا »[3] .

عن أم هانئ قالت :

«كنت أسمع قراءة النبي ﷺ بالليل وأنا على عريشى »[4]

عن عبد الله بن أبى قيس قال : سألت عائشة كيف كانت قراءة النبى ﷺ بالليل فقالت : -

«كل ذلك قد كان يفعل ، ربما أسرّ بالقراءة وربما جهر » . فقلت : « الحمد

---

(١) الحديث (١) أورده هكذا الألبانى فى « صفة الصلاة » وقال : رواه النسائى والترمذى فى « الشمائل » والبيهقى فى « الدلائل » بإسناد حسن .

(٢) الحديث رقم (٢) : أخرجه أبو داود والترمذى فى « الشمائل » واللفظ له وقال الألبانى : إسناده حسن صحيح وقال الألبانى : هذا الحديث يدل على تواسطه ﷺ فى القراءة . انظر مختصر الشمائل المحمدية للشيخ الألبانى طبع المكتبة الإسلامية بالأردن حديث رقم ٢٧٥ ص ١٦٩ .

(٣) الحديث رقم (٣) : حسن : رواه أبو داود فى سننه ، والحاكم فى المستدرك ، وابن حبان فى صحيحه وابن نصر فى « الصلاة » وسكت عنه أبو داود والمنذرى فهو صالح كما قال المناوى وحسنّه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٦٤٣) .

(٤) الحديث رقم (٤) : حسن صحيح : أخرجه النسائى وابن ماجة والترمذى فى « الشمائل » واللفظ له وقال الألبانى : إسناده حسن صحيح قولها : وأنا على عريشى « أى على سريرى» . والرسول ﷺ يصلى فى الليل عند الكعبة انظر « مختصر الشمائل المحمدية » ص ١٦٧ حديث رقم (٢٧٢) .

لله الذى جعل فى الأمر سعة »[1] ولفظ النسائى : « سألت عائشة كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ بالليل يجهر أم يُسِرّ ؟ قالت : كل ذلك قد كان يفعل ربما جهر وربما أسر » .

وقال صاحب تحفة الأحوذى : الحديث يدل على أن الجهر والإسرار جائزان فى قراءة صلاة الليل ، وحديث أبى قتادة [سيأتى ذكره فى قيام الصديق] يدل على أن المستحب فى القراءة فى صلاة الليل التوسط بين الجهر والإسرار » .

عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« **ما أذن الله لشيء ماأذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به** »[2] .

وقال رسول الله ﷺ : « **الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة** »[3] .

قال النووى رحمه الله : « جاءت أحاديث بفضيلة رفع الصوت بالقراءة ، وآثار بفضيلة الإسرار ، قال العلماء والجمع بينهما أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل فى حق من يخاف ، فإن لم يخف فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما » ا . هـ .

وسيمر بك مرور رسول الله ﷺ وسماعه لأبى موسى من الليل وسماعه لعباد ابن بشر ودعاؤه له وسماعه لرجل ذكره « آية من القرآن أُنْسيها . وسماعه أصوات الأشعريين بالقرآن ، وفيها جواز رفع الصوت بالقراءة فى الليل ، وفى المسجد ولا كراهة فيه إذا لم يؤذ أحدًا ولا تعرض للرياء والإعجاب » ا . هـ . من عون المعبود .

---

(١) إسناده حسن : رواه الترمذى واللفظ له ، والنسائى نحوه ، وقال الترمذى حديث صحيح غريب ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ، وقال الشوكانى فى « نيل الأوطار » رجاله رجال الصحيح ، وقال عبد القادر الأرناؤوط والشاويش إسناده حسن فى التعليق على شرح السنة ج ٤ ص ٢٩ .

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ له باب تحسين الصوت بالقرآن وابن مندة فى التوحيد .

(٣) صحيح : رواه أبو داود والترمذى والنسائى عن عقبة بن عامر ، والحاكم عن معاذ وقال الترمذى =

وفى فعله ﷺ سعة وهديًا لمن جاء بعده من أمته .

« عن أبى بكر بن محمد قال أتتنا عمرة فباتت عندنا فقمت من الليل أصلى فجعلت أخافت بقراءتى فقالت يا ابن أختى لم لا تجهر بالقرآن فوالله ما كان يوقظنا بالليل إلا قراءة معاذ القارئ أو قراءة أفلح مولى أبى أيوب وفى رواية وتميم الدارى .

وقال عن أبيه محمد بن أبى بكر أنه كان يرفع صوته بالقراءة بالليل »[1] ا . هـ .

هديه فى التغنى بالقرآن

قال رسول الله ﷺ : « **لَيْسَ منّا مَنْ لَمْ يتغَنّ بالقرآن** »[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **ما أذن الله لشىء ما أذن للنبى أن يتغنى بالقرآن** »[3] ، وفى لفظ آخر : « **ماأذن لنبى أن يتغنّى بالقرآن** » وآخر « **كما يأذن لنبى بالقرآن** » وآخر « **ما أذن الله لشىء ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به** » .

وآخر « **لم يأذن الله لشىء ما أذن لنبى أن يتغنّى بالقرآن** » .

وآخر : « **ما أذن لنبى فى الترنم فى القرآن** »[3] .

وآخر : « **حسن الترنم بالقرآن** »[3] .

وردت عدة تأويلات لتفسير التغنى .

قال الحافظ فى الفتح : « والحاصل أنه يمكن الجمع بين أكثر التأويلات

= حسن غريب وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وصححه السيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣١٠٠) وفى إسناد الطريق الأول اسماعيل ابن عياش وفيه مقال ومنهم من يصحح عن الشاميين وهذا الحديث شامى الإسناد .

(١) مختصر قيام الليل للسمرقندى ص ٥٧ .

(٢) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ، وأبو داود وأحمد فى مسنده والحاكم عن سعد ، وأبو داود عن أبى لبابه ابن عبد المنذر ، والحاكم عن ابن عباس وعن عائشة والدارمى وابن نصر .

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وأحمد فى مسنده عن أبى هريرة ، والطبرى والطحاوى وابن أبى داود

المذكورة وهو أنه يحسن صوته ، جاهرًا به ، مترنمًا على طريق التحزن ، مستغنيًا به عن غيره من الأخبار »[1] طالبًا به غنى النفس[2] وقد نظمت ذلك فى بيتين :

تغنّ بالقرآن حسّن به الصو ت حزينًا جاهرًا رنّمْ
واستغن عن كتب الألى طالبًا غنى يد ، والنفس ثم الزمْ

ولقد اختلف على كلمة التغنى : قال ابن الجوزى : « يتغنى على أربعة أقوال : ـ

أحدها : تحسين الصوت والثانى : الاستغناء والثالث : التحزن قاله الشافعى والرابع : التشاغل به تقول العرب : تغنى بالمكان أقام فيه .

« وفيه أقوال أخرى سردها الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الفتح :

التلذذ والاستحلاء له : كما يستلذ أهل الطرب بالغناء ، فأطلق عليه تغنيًا من حيث إنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء ، وهو كقول النابغة :

بكاء حمامة تدعو هديلاً مُفَجَّعَةً على فَنَنٍ تغنى

أطلق على صوتها غناء لأنه يطرب كما يطرب الغناء وإن لم يكن غناء حقيقة .. حكاه ابن الأنبارى فى « الزاهر » .

وفيه قول آخر حسن : « وهو أنه يجعله هجيراه كما يجعل المسافر والفارغ هجيراه الغناء ، قال ابن الأعرابى : كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى وإذا جلست فى أفنيتها وفى أكثر أحوالها ، فلما نزل القرآن أحب النبى ﷺ أن يكون هجيراه التلاوة مكان التغنى »[3] ا . هـ .

● « عن إبراهيم : ما بعث الله نبيًا إلا حسن الوجه والصوت »[4]

---

(١) ، (٢) رأيان لسفيان بن عيينة .

(٣) انظر فتح البارى ج ٣ باب التهجد شرح باب من لم يتغن بالقرآن .

(٤) مختصر قيام الليل ص ٦٠ .

(ما أذن) : قال العلماء : معنى « أذن » فى اللغة : الاستماع ومنه قوله تعالى : ﴿ وأذنت لربها وحُقّتْ﴾ .

وقال عدى بن زيد :

أيها القلب تعلل بردن إن همّى فى استماع وأذن

وقال النووى : « معنى يتغنى عند الشافعى وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائف وأصحاب الفنون : يُحَسِّنُ صوته به » .

قال الليث بن سعد : يتغنى : يتحزن به ويرقق به قلبه .

- « وعن أبى هريرة أنه قرأ سورة فحزنها شبه الرثى »[1] .
- [وعن عُبيد من عمير قال «كان داود عليه السلام يتغنّى حين يقرأ ـ ويبكى ويُبَكِّى » .

وعن ابن عباس : « أن داود كان يقرأ الزبور بسبعين لحنًا ، ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم ، وكان إذا أراد أن يبكى نفسه لم تبق دابة فى بر ولا بحر إلا أنصتت له واستمعت وبكت » .

[ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم ، لأن للتطريب تأثيراً فى رقة القلب وإجراء الدمع ، وقد كان بين السلف اختلاف فى جواز القراءة بالألحان أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع فى ذلك ، فإن لم يكن حسنًا فليحسّنهُ ما استطاع ، ومن جملة تحسينه أن يراعى فيه قوانين النغم ، فإن الحسن الصوت يزداد حُسنًا بذلك ما لم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات فإن خرج عنها لم يفِ تحسين الصوت بقبح الأداء ، ولعَلّ هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعى الأداء ، فإن وجد من يراعيهما معًا فلا شك فى أنه

---

(٣) إسناده حسن : ذكره ابن أبى داود انظر فتح البارى شرح باب من لم يتغن بالقرآن ج ٣.

أرجح من غيره ، لأنه يأتى بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم] (١)

• قال رسول الله ﷺ : « **تعلّموا كتاب الله وتعاهدوه ، واقتنوه ، وتغنّوا به فوالذى نفسى بيده لهُوَ أشد تفلتا من المخاض فى العقل** » (٢)

• عن فضالة بن عُبيد مرفوعًا « لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » (٣) .

• وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذى إذا سمعته يقرأ رأيت أنه يخشى الله** » (٤)

• وقال ﷺ « **إن من أحسن الناس صوتًا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله** » (٥) .

---

(١) فتح الباب شرح باب من لم يتغن بالقرآن ج ٣ كتاب التهجد.

(٢) حديث (٢) : سنده صحيح ، رواه الدارمى وأحمد بسند صححه الألبانى فى صفة الصلاة ص ٧٢ والمخاض هى الابل ، والعقل جمع عقال وهو الحبل الذى يعقل به البعير.

(٣) حديث رقم (٣) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه على شرط الشيخين ، وابن حبان وصححه ، والكجى ، وقال الذهبى : هو منقطع .

(٤) حديث رقم (٤) صحيح : أخرجه ابن ماجة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٢١٩٨) .

(٥) حديث رقم (٥) : صحيح : رواه ابن المبارك فى « الزهد » و « الدارمى » وابن نصر والطبرانى وأبو نعيم فى « أخبار أصفهان » والضياء فى « المختارة » انظر الألبانى فى صفة صلاة .

● وقال رسول الله ﷺ « **حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا** »[1] وفى رواية « **زينوا القرآن بأصواتكم** »[2]

● وفى رواية « **زينوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا** »[3] .

وروى مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ « **إن عبد الله بن قيس أو الأشعرى أُعطىَ مزمارًا من مزامير آل داود** »

وعند البخارى « **يا أبا موسى ، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود** » والمراد بآل داود داود نفسه لأنه لم ينقل أن أحدًا من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطى من حسن الصوت ما أُعطىَ ، وقد يطلق آل الرجل على نفس الرجل ، قال تعالى ﴿ **أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ وفرعون أولهم والمراد بالمزمار الصوت الحسن ، وأصله الآلة ، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة .

---

(١) حديث رقم (١) : صحيح : رواه البخارى تعليقاً والدارمى والحاكم وتمام الرازى بسندين صحيحين كما قال الألبانى فى « صفة الصلاة » وابن نصر فى « الصلاة » وكلهم عن البراء بن عازب وحسنه السيوطى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣١٤٠)

(٢) حديث رقم (٢) : « زينوا القرآن بأصواتكم » : صحيح : رواه أحمد فى مسنده والنسائى وأبو داود وابن ماجة والحاكم عن البراء . وأبو نصر السجزى فى « الإبانة عن أبى هريرة ، والدارقطنى فى « الأفراد » والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس ، وأبو نعيم فى الحلية عن « عائشة » ، والدارمى وأبو نعيم فى « الحلية » عن البراء ، وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة . وابن سعد وابن نصر عن ابن مسعود ، وعلقه البخارى فى آخر الصحيح ، وقال ابن حجر : هذا الحديث لم يصله البخارى فى صحيحه ووصله فى « خلق أفعال العباد » وصححه الحاكم وابن حبان وحسنه الدارقطنى وصححه السيوطى ، والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٥٧٤) ، وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوطى فى التعليق على شرح السنة ج ٤ ص ٤٨٦ .

(٣) **حديث رقم (٣) : صحيح : رواه الحاكم فى فضائل القرآن ، والدارمى عن البراء ، وصححه الحاكم والسيوطى والألبانى فى صحيح الجامع رقم (٣٥٧٥) .**

قال أبو عثمان النهدى « دخلت دار أبي موسى الأشعرى فما سمعت صوتا صبخ ولا بربط ولا ناى أحسن من صوته »[(١)] .

وقال أيضا : «إنه كان ليصلى بنا فنودّ أنه قرأ البقرة من حسن صوته وهو يقرأ القرآن ، فقال علىّ بن أبى طالب لعمر بن الخطاب : ألا تنهى هذا عن أن يغنى بالقرآن فى مسجد رسول الله ﷺ فأمهل عمر حتى إذا كان الليل خرج فاستمع لأبى موسى وهو يقرأ فلما سمع قراءته رقّ لها حتى بكى ثم انصرف ، فلما أصبح واجتمع إليه أصحابه قال لهم : من استطاع منكم أن يغنى غناء أبى موسى فليفعل .

وقدَمَ أبو موسى رضى الله عنه على معاوية فنزل فى بعض الدور بدمشق فخرج معاوية من الليل إلى منزله يمشى حتى استمع قراءته[(٢)] .

ولقد كان رسول الله ﷺ يحب سماع القرآن ليلاً من غيره ، سمعه من سالم مولى أبى حذيفة فحمد الله أن جعل فى أمته مثله ، وسمعه من أبى موسى الأشعرى ووقف لقراءته ، واستمعه من عَبّاد بن بشر ودعا له فالقرآن سماع التبيين فارق بقلبك وتصور صوت رسول الله ﷺ وما أحلى صحله وهو يترنم فى الليل ، وقد أرخى الليل سدوله ، وتصوَّر خوفَ سيد العابدين وحسن صوته وبكائه وقد رأى عند سدرة المنتهى ما رأى ثم عاد إلى الأرض ومعه الحنين والشوق إلى مولاه ، وارق إلى داود فى روضات الفردوس وهو قائم عند ساق العرش ومولاه يقول له : يا داود مجدنى بذلك الصوت الحسن الرّخيم ، فيقول كيف وقد سلبتنيه فى الدنيا فيقول : فإنى أرده عليك فيرفع داود صوته بالزبور والقرآن فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة اللهم بَلّغنا روضات الجنان .

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية وقال الحافظ فى الفتح شرح باب : حسن الصوت بالقراءة بالقرآن إسناده حسن

(٢) مختصر قيام الليل ص ٥٩..

ومن هديه التعوذ والتسبيح فى القراءة :

عن حذيفة بن اليمان قال : كان ﷺ إذا مرّ بآية خوف تعوّذ ، وإذا مرّ بآية رحمة سأل ، وإذا مرّ بآية فيها تنزيه لله سبَّح [1] .

قال المناوى فى فيض القدير « قال الحليمى : فينبغى للمؤمنين سواه أن يكونوا كذلك ، بل هم أولى به منه إذا كان الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وهم من أمرهم على خطر »[2] ا .هـ .

● وفى لفظ آخر عند ابن خزيمة « صليت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، ما مرّ بآية رحمة إلا وقف عندها فسأل ، ولا مرّ بآية عذاب إلا وقف عندها تعوّذ »[3] .

وعند النسائى : « لا يمر بآية رحمة إلا سأل ، ولا بآية عذاب إلا استجار » .

---

(١) حديث رقم (١) : رواه مسلم وأحمد فى مسنده ، وأبو داود فى سننه ، والنسائى وابن ماجه

(٣) حديث رقم (٣) إسناده صحيح كما قال الدكتور مصطفى الأعظمى فى تحقيق الحديث رقم ٥٤٣ من صحيح ابن خزيمة .

قيامه بآية حتى الصباح

عن جَسرة بنت دجَاجَة قالت : سمعت أبا ذر يقول « قام النبي ﷺ حتى إذا أصبح بآية ، والآية ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ (١) .

وفى لفظ ابن ماجة وابن خزيمة : قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها ، والآية ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ .

وفى لفظ آخر قام رسول الله ﷺ حتى أصبح يتلو آية واحدة من كتاب الله بها يركع وبها يسجد ، وبها يدعو حتى أصبح ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فلما أصبح قلتُ لعبد الله بن مسعود إن رسول الله ﷺ فعل الليلة كذا وكذا فلو سألته عن ذلك ، فقال عبد الله : بأبى وأمى يا رسول الله قمت الليل بآية واحدة بها تركع وبها تسجد وبها تدعو ، وقد علمك الله القرآن كله [لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه] قال إنى دعوت لأمتى [**إنى سألت ربى عز وجل الشفاعة لأمتى فأعطانيها** ، وهى نائلة إن شاء الله لمن لا **يشرك بالله شيئًا**] (٢) .

عن خباب بن الأرت رضى الله عنه وكان قد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها حتى كان مع الفجر فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها فقال رسول الله ﷺ : « **أجل : إنها صلاة رغب**

---

(١) حديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه النسائى فى كتاب افتتاح الصلاة ـ ترديد الآية ، وابن ماجة باب ما جاء فى القراءة فى صلاة الليل كتاب إقامة الصلاة ، وأحمد فى مسنده وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وابن نصر ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى ، وقال الهيثمى إسناده صحيح ورجاله ثقات وصححه د. مصطفى الأعظمى فى تحقيق صحيح ابن خزيمة ج ١ ص ٢٧١ ، وعبد القادر الأرناؤوط فى التعليق على زاد المعاد ج ١ ص ٣٣١ .

(٢) لفظ النسائى . اللفظ عند ابن نصر فى قيام الليل سوى ما بين الأقواس [ ] .

ورهب [وإنى] سألت ربى عز وجل فيها ثلاث خصال فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة.، سألت ربى عز وجل أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا فأعطانيها ، وسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها ، وسألت ربي أن لا يلبسنا شيعًا فمنعنيها »(١)

هديه فى الجمع بين السورتين فى ركعة

عن أبى وائل قال « جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة فى ركعة فقال : هذا كهذّ الشعر . لقد عرفت النظائر التى كان النبى ﷺ يقرن بينهن - فذكر عشرين سورة من المفصل . سورتين فى ركعة »(٢) .

وفى طرف آخر عند البخارى : « غدونا على عبد الله فقال رجل : قرأت المفصل البارحة فقال : هذا كهذّ الشعر ، إنا قد سمعنا القراءة ، وإنى لأحفظ القرناء التى كان يقرأ بهن الرسول ﷺ : ثمانى عشرة سورة من المفصل وسورتين من ال حم »(٣).

وفى لفظ آخر للبخارى « اثنين اثنين فى كل ركعة فقام عبد الله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسألناه فقال عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرهن الحواميم حم الدخان وعمّ يتساءلون »(٤) .

ولفظ مسلم : عن أبى وائل : « قال جاء رجل يقال له نَهيكُ بن سِنان إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف أَلِفًا تجده أم ياءً

---

(١) الحديث رقم (١) .

رواه النسائى كتاب قيام الليل باب إحياء الليل ، وأحمدوالترمذى فى الفتن وقال حديث حسن صحيح والطبرانى .

وفى لفظ [أن لا يهلك أمتي بسنة]

(٢) البخارى ومسلم واللفظ البخارى كتاب الأذان باب الجمع بين السورتين فى ركعة ، ورواه ابو داود والنسائى .

(٣) ، (٤) البخارى كتاب فضائل القرآن باب الترتيل فى القراءة وباب تأليف القرآن .

من ماءٍ غير آسن أو من ماءٍ غير ياسنٍ قال فقال عبد الله : وكُل القرآن أحصيت غيرَ هذا ؟

قال : إنى لأقرأ المفصل فى كل ركعة فقال عبد الله هذًّا كهذّ الشعر إن أقوامًا يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع ، إن أفضل الصلاة الركوع والسجود إنى لأعلم النظائر التى كان رسول الله ﷺ يَقْرِن

بينهن سورتين فى كل ركعة ثم قام عبد الله فدخل علقمة فى أثره ثم خرج فقال قد أخبرنى بها[1] ا . هـ . وفى لفظ آخر عنده : جاء رجل من بنى بَجيلة إلى عبد الله وعنده عشرون سورة من المفصل فى تأليف عبد الله .

- وفى حديث نحوه : اثنتين فى ركعة عشرين سورة فى عشر ركعات .
- وعنده أيضًا :

« قال رجل من القوم قرأت المفصل البارحة كله قال فقال عبد الله هذًّا كهذّ الشعر ، إنا لقد سمعنا القرائن وإنى لأحفظ القرائن التى كان يقرأهن رسول الله ﷺ ثمانية عشر من المفصل وسورتين من آل حم » .

« والنظائر هى السور المتماثلة فى المعانى كالموعظة أو الحكم أو القصص . والمفصل منتهاه آخر القرآن اتفاقًا ، وابتداؤه من (ق) على الأصح »[2] ا . هـ .

وسمى مفصلاً لقصر سوره ، وقرب انفصال بعضهن من بعض .

قوله : عشرون سورة فى عشر ركعات :

قال النووى « قال القاضى : هذا صحيح موافق لرواية عائشة وابن عباس أن قيام النبى ﷺ كان إحدى عشرة ركعة بالوتر ، وأن هذا كان قدر قراءته غالبًا ، وأن تطويله الوارد إنما كان فى التدبر والترتيل ، وما ورد من غير ذلك فى

---

(١) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب ترتيل القران واجتناب الهذّ .
(٢) صفة صلاة النبى ﷺ ص ٥٧ نقلاً عن فتح البارى ج ٢ .

قراءته البقرة والنساء وآل عمران كان فى نادر من الأوقات »[1] ا . هـ

قوله « عشرون من المفصل » .

لا تعارض فيه لأن مراده فى الثانية معظم العشرين من المفصل بدليل أنه فرق بينهما فى الأولى . وقوله فى الأولى أكثر تفصيلاً .

(آل حم) : يعنى حم .

قال الحافظ فى الفتح :

« وفى الأحاديث : كراهة الإفراط فى سرعة التلاوة لأنه ينافى المطلوب من التدبر والتفكر فى معانى القرآن ، وفيه جواز تطويل الركعة الأخيرة على ما قبلها ، وإذا جاز الجمع بين السورتين ساغ الجمع بين ثالث فصاعداً لعدم الفرق .

عن عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة : « أكان رسول الله ﷺ يجمع بين السور ؟ قالت : نعم من المفصل »[2] .

«ولا يخالف هذا أنّه جمع بين البقرة وغيرها من الطوال لأنه يحمل على النادر .

وليس فى حديث ابن مسعود ما يدل على المواظبة ، بل فيه أنه كان يقرن بين السور المعنيات إذا قرأ من المفصل »[3] ا . هـ .

ولقد ورد ذكر هذه السور فى رواية ابن خزيمة الآتية وعند أبى داود .

ففى صحيح ابن خزيمة :

« جاء نهيك بن سنان إلى عبد الله فقال : كيف تجد هذا الحرف : من ماء غير آسن أو ياسن ؟ فقال : أكُلّ القرآن أحصيت غير هذا ؟

قال : إنى لأقرأ المفصل فى ركعة . فقال عبد الله : هذّا كهذّ الشعر ، إن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ٢/٢٧١ - ٢٧٢

(٢) الحديث رقم (٢) : رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة .

(٣) فتح البارى ج ٢ ص ٢٥٥ ، ٢٧٨ .

أقواماً يقرؤون القرآن بألسنتهم لا يعدو تراقيهم ، ولكنه إذا دخل فى القلب فرسخ فيه نفع . وإن أخير الصلاة الركوع والسجود . وإنى لأعلم النظائر التى كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن سورتين فى كل ركعة ، ثم أخذ بيد علقمة فدخل ، ثم خرج فعدّهن علينا .

قال الأعمش : وهى عشرون سورة على تأليف عبد الله ، أولهن الرحمن وآخرتهن الدخان .

الرحمن والنجم ، الذاريات والطور ، هذه النظائر . واقتربت والحاقة ، والواقعة ونون ، والنازعات سأل سائل ، والمدثر والمزمل ، وويل للمطففين وعبس ، ولا أقسم وهل أتى ، والمرسلات وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كورت والدخان »[1] ، [2]

هديه فى طول ركوعه ليلاً وما يقول فيه

عن البراء رضى الله عنه قال : «كان ركوع النبى ﷺ وسجوده ، وبين السجدتين ، وإذا رفع من الركوع ، ما خلا القيام والقعود قريباً من السواء »[3].

ولقد مر فى حديث حذيفة « فكان ركوعه نحواً من قيامه » ولقد قام فى تلك الليلة بالبقرة والنساء وآل عمران .

ومرّ بك حديث عوف بن مالك الأشجعى ، ولفظ النسائى عنه .

« قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فلما ركع مكث قدر سورة البقرة يقول فى ركوعه وسجوده : « سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

---

(١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه كتاب الصلاة باب إباحة قراءة السورتين فى الركعة الواحدة ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ وذكره مسلم مختصراً وكذا النسائى .

(٢) ولقد ذكر أبو داود السور فى كتاب الصلاة باب تحزيب الآى . إلا أن أبا داود كان يذكر كلمة ركعة فيقول الرحمن والنجم فى ركعة . وفى الثانية عنده اقتربت والحاقة ، والثالثة عنده هى الثانية فى رواية ابن خزيمة ، وويل للمطففين وعبس مكان المدثر والمزمل ولم يخالفه فى الاقتران » .

(٣) حديث رقم (٣) : متفق عليه .

● وعند ابن خزيمة عن حذيفة : قال « صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فكان ركوعه مثل قيامه ، فقال في ركوعه « سبحان ربي العظيم » .

فالسنة في القيام طول الركوع حتى يكون قريباً من القيام فالزمها .

أذكار الركوع

« سبحان ربي العظيم ثلاث مرات »[1] .

وكان أحياناً يكررها أكثر من ذلك ، وبالغ مرة في تكرارها في صلاة الليل حتى كان ركوعه قريباً من قيامه .

« سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثاً »[2] .

« سبوح قدوس رب الملائكة والروح »[3] .

«سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلي، وكان يكثر منه في ركوعه وسجوده يتأول القرآن » . وفي لفظ آخر لمسلم « سبحانك وبحمدك ، استغفرك واتوب إليك »[4] .

« اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت [أنت ربي] خشع لك سمعي وبصري ، ومخي وعظمي (وفي رواية : وعظامي) وعصبي ، [وما استقلت به قدمي لله رب العالمين] »[5] .

« اللهم لك ركعت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، وعليك توكلت ، أنت

---

(١) قال الألباني في « صفة صلاة النبي ﷺ : رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والدارقطني والطحاوي والبزار والطبراني في الكبير عن سبعة من الصحابة ففيه رد على من أنكر ورود التقييد بثلاث تسبيحات كابن القيم وغيره .

(٢) جزء من حديث صحيح رواه أبو داود والدارقطني وأحمد والطبراني والبيهقي .

(٣) جزء من حديث عند مسلم وأبي عوانة « السبوح : الذي ينزه عن كل سوء ، والقدوس : المبارك وقيل الطاهر .

(٤) جزء من حديث في البخاري ومسلم .. معنى يتأول القرآن يعمل بما أمر به فيه أي في قوله تعالى ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره ﴾ .

(٥) جزء من حديث صحيح عند مسلم وأبي عوانة والطحاوي والدارقطني .

ربى خشع سمعى وبصرى ودمى ولحمى وعظمى وعصبى لله رب العالمين »
« سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « افتقدت النبى ﷺ ذات ليلة فظننت أنه ذهب إلى بعض نسائه فتحسست ثم رجعت ، فإذا هو راكع أو ساجد يقول « سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت » فقلت بأبى أنت وأمى إنى لفى شأن وإنك لفى آخر »[2]

(فائدة) : قال الألبانى : « هل يشرع الجمع بين هذه الأذكار فى الركوع الواحد أم لا ؟ اختلفوا فى ذلك ، وتردد فيه ابن القيم فى « الزاد » وجزم النووى فى « الأذكار » بالأول فقال : « والأفضل أن يجمع بين هذه الأذكار كلها إن تمكن ، وكذا ينبغى أن يفعل فى جميع الأبواب » .

وتعقبه أبو الطيب صديق حسن خان فقال فى « نزل الأبرار » (٨٤) « يأتى مرة بهذه ، وبتلك أخرى ، ولا أرى دليلاً على الجمع ، وقد كان رسول الله ﷺ لا يجمعها فى ركن واحد ، بل يقول هذا مرة ، وهذا مرة والاتباع خير من الابتداع » قال الألبانى : « هذا هو الحق إن شاء الله تعالى ، لكن قد ثبت فى السنة إطالة هذا الركن وغيره حتى يكون قريبًا من القيام ، فإذا أراد المصلى الاقتداء به ﷺ فى هذه السنة فلا يمكنه ذلك إلا على طريقة الجمع الذى ذهب إليه النووى ، وقد رواه ابن نصر فى «قيام الليل» عن عطاء ، وإلاّ على طريقة التكرار المنصوص عليه فى بعض الأذكار ، وهذا أقرب إلى السنة والله أعلم »[3]

قال ابن جريج قلت لعطاء كيف تقول فى الركوع : « قال إذا لم أعجل ولم

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه النسائى بسند صححه الألبانى فى صفة الصلاة .
(٢) حديث (٢) رواه مسلم باب ما يقول فى « الركوع والسجود » .
(٣) « صفة صلاة النبى ﷺ ص ٧٨-٧٩ .

يكن معى من يعجلنى فإنى أقول سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت ، سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ثلاث مرات ، وسبحان ربى العظيم ثلاث مرات ثم أقول سبحان الله وبحمده ثلاث مرات وسبحان الملك القدوس ثلاث مرات ، وسبوح قدوس رب الملائكة والروح تسبق رحمة ربى غضبه مرار »[1] .

هديه فى الرفع من الركوع وأذكاره

مر بك سابقاً « وكان قيامه نحوًا من ركوعه وكان ركوعه ، وإذا رفع رأسه من الركوع ، وسجوده بين السجدتين قريباً من السواء » .

أما أذكار الرفع من الركوع فهى مثل باقى الصلوات .

عن حذيفة أنه صلى مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فسمعه حين كبّر قال الله أكبر ذا الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ، وكان يقول فى ركوعه : سبحان ربى العظيم ، وإذا رفع رأسه من الركوع قال : لربى الحمد ، لربى الحمد ، وفى سجوده « سبحان ربى الأعلى ، وبين السجدتين : رب اغفرلى ، رب اغفرلى ، وكان قيامه وركوعه وإذا رفع رأسه من ركوعه وسجوده وما بين السجدتين قريباً من السواء »[2]

« ربنا ولك الحمد »[3] وتارة يقول :

« ربنا لك الحمد »[4] وتارة يضيف إلى هذين اللفظين قوله اللهم »[5] .

---

(١) مختصر قيام الليل للسمرقندى ووردت مطولة أكثر من ذلك فى المصنف ج ١ ص ١٦١ .

(٢) حديث (٢) إسناده صحيح : قال الألبانى رواه أبو داود والنسائى بسند صحيح ، انظر صفة صلاة النبى ﷺ .

(٣ ، ٤) البخارى ومسلم .

(٥) البخارى وأحمد : وقد سها ابن القيم رحمه الله فأنكر فى « الزاد » صحة الرواية الجامعة بين « اللهم » و « الواو » أنها فى « صحيح البخارى » ومسند أحمد ، والنسائى وأحمد أيضاً من طريقين عن أبى هريرة ، وعند الدارمى من حديث ابن عمر ، وعند البيهقى عن أبى سعيد الخدرى ، وعند النسائى من حديث أبى موسى « قاله الألبانى » .

وتارة يزيد على ذلك :

« ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد »[1] .

وإما « ملء السموات و [ملء] الأرض ، وما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد »[2] .

وتارة يضيف إلى ذلك قوله :

« أهـل الثناء والمجد ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »[3].

وتارة تكون الإضافة :

« ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد [اللهم] لا مانع لما أعطيت [ولا معطى لما منعت] ولا ينفع ذا الجد منك الجد »[4] .

« ربنا ولك الحمد ، حمدًا كثيرًا طيبا مباركًا فيه [مباركًا عليه ، كما يحب ربنا ويرضى][5] .

(١ ، ٢) مسلم وأبو عوانة .

(٣) مسلم وأبو عوانة .

(٤) أبو داود والنسائي بسند صحيح .

(٥) مالك والبخاري وأبو داود أنظر « صفة صلاة النبي » ص ٨١ .

هديه فى سجوده وأذكار السجود

طول سجوده :

عن عروة أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يصلى إحدى عشرة ركعة كانت تلك صلاته يسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه ، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ، ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادى للصلاة »[(١)] .

وكان سجوده نحواً من قيامه من الركوع .

أذكار السجود عامة :

« سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات »[(٢)] وكان أحياناً يكررها أكثر من ذلك وكان يبالغ فى تكرارها فى سجوده فى صلاة الليل .

« سبحان ربى الأعلى وبحمده ثلاثاً »[(٣)] .

« سبوح قدوس رب الملائكة والروح » .

« سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفرلى » .

عن عائشة كان النبى ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده « اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول »[(٤)] القرآن .

اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت ، [وأنت ربى] سجد وجهى للذى خلقه وصوره [فأحسن صوره] ، وشق سمعه وبصره ، [ف] تبارك الله أحسن الخالقين[(٥)]

---

(١) البخارى ج ٣ كتاب التهجد باب طول السجود فى قيام الليل .

(٢) أحمد فى مسنده وأبو داود وابن ماجه والطبرانى فى الكبير والطحاوى والبزار والدارقطنى .

(٣) صحيح : رواه أبو داود وأحمد فى مسنده والبيهقى والطبرانى وصححه الألبانى .

(٤) البخارى ومسلم .

(٥) مسلم وأبو عوانة والطحاوى والدارقطنى .

« اللهم اغفرلى ذنبي كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسرّه »[1] .

« سجد لك سوادى وخيالى ، وآمن بك فؤادى ، وأبوء بنعمتك علىّ ، هذى يدى وما جنيت على نفسى »[2] .

وورد فى ذكره فى سجوده ليلاً الأذكار التالية « ولاينفى ذلك مشروعية هذه الأوراد فى « الفرض » لعدم وجود الفرق بينه وبين النفل ، وبهذا يقول الشافعى وأحمد وإسحاق يرون أن هذا جائز فى المكتوبة والتطوع ، كما حكاه الترمذى وذهب إلى مشروعية ذلك الإمام الطحاوى أيضاً فى « مشكل الآثار » .. والنظر الصحيح يؤيد ذلك ، لأنه ليس فى الصلاة مكان لا يشرع فيه ذكر ، فينبغى أن يكون كذلك الأمر ههنا وهذا بيّن لا يخفى »[3] .

« سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » .

« اللهم [إنى] أعوذ برضاك من سخطك ، و [أعوذ] بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[4] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته ، فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد ، وهما منصوبتان وهو يقول « اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[5] .

● قال الخطابى : « فى هذا معنى لطيف ، وذلك أنه استعاذ بالله تعالى وسأله

---

(١) مسلم وأبو عوانة .

(٢) ابن نصر والبزار والحاكم وصححه أنظر صفة الصلاة للألبانى .

(٣) « صفة صلاة النبى ﷺ » ص ٨٧ .

(٤) مسلم وأبو عوانة وابن أبى شيبة فى المصنف .

(٥) صحيح مسلم باب ما يقول فى الركوع والسجود حديث رقم ١١٨ .

أن يجيره برضاه من سخطه ، وبمعافاته من عقوبته ، والرضاء والسخط ضدان متقابلان ، وكذلك المعافاة والعقوبة ، فلما صار إلى ذكر مالا ضد له وهو الله سبحانه وتعالى استعاذ به منه لا غير ، ومعناه الاستغفار من التقصير فى بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه ، وقوله « لا أحصى ثناءً عليك : أى لا أطيقه ولا آتى عليه ، وقيل : لا أحيط به ، وقال مالك رحمه الله تعالى : معناه لا أحصى نعمتك وإحسانك والثناء بها عليك وإن اجتهدت فى الثناء عليك . وقوله « أنت كما أثنيت على نفسك » : اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء وأنه لا يقدر على بلوغ حقيقته ، ورد للثناء إلى الجملة دون التفصيل والإحصار والتعيين ، فوكل ذلك إلى الله المحيط بكل شىء »[1] ا. هـ .

« سبحانك [اللهم] وبحمدك ، لا إله إلا أنت »[2] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « فقدت رسول الله ﷺ من مضجعه فجعلت ألتمسه ، وظننت أنه أتى بعض جواريه ، فوقعت يدى عليه وهو ساجد وهو يقول « اللهم اغفرلى ما أسررت وما أعلنت »[3] .

عن ابن عباس قال « بت عند خالتى ميمونة بنت الحرث ، وبات رسول الله ﷺ عندها ، فرأيته قام لحاجته ، فأتى القربة فحلّ شناقها ، ثم توضأ وضوءًا بين الوضوء ين ، ثم أتى فراشه ، فنام ، ثم قام قومة أخرى فأتى القربة فحلّ شناقها ثم توضأ وضوءًا هو الوضوء ، ثم قام يصلى ، وكان يقول فى سجوده : -

« اللهم اجعل فى قلبى نورًا [وفى لسانى نورًا] ، واجعل فى سمعى نورًا ، واجعل فى بصرى نورًا ، واجعل من تحتى نورًا ، واجعل من فوقى نورًا ، وعن يمينى نورًا ، وعن يسارى نورًا ، واجعل أمامى نورًا ، واجعل خلفى نورًا ،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) جزء من حديث فى صحيح مسلم وأبوعوانة والنسائى وابن نصر .

(٣) صحيح رواه ابن أبى شيبة والنسائى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى حديث ١١٩ .

وأعظم لى نورًا وفى لفظ مسلم « واجعلنى نورًا » [1].

عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يقول فى صلاة الليل فى سجوده :

« سبحانك لا إله إلا أنت » [2]

● عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا فيه من الدعاء » [3] .

قال الحافظ فى الفتح « الأمر بإكثار الدعاء فى السجود يشمل الحث على تكثير الطلب لكل حاجة ، ويشمل التكرار للسؤال الواحد » [4] ا . هـ .

« أذكار ما بين السجدتين »

مرت بك أحاديث مطولة ورد فيها ذكر ما بين السجدتين .

عن حذيفة أن النبى ﷺ كان يقول بين السجدتين .

« رب اغفرلى ، رب اغفرلى » [5] .

عن ابن عباس قال : « بت عند خالتى ميمونة قال : فانتبه رسول الله ﷺ من الليل فذكر الحديث ، قال : ثم ركع ، قال : فرأيته قال فى ركوعه : سبحان ربى العظيم ، ثم رفع رأسه ، فحمد الله ما شاء أن يحمده ، قال ثم سجد ، قال : فكان يقول فى سجوده : سبحان ربى الأعلى ، قال : ثم رفع رأسه فكان يقول فيما بين السجدتين : « رب اغفرلى وارحمنى ، واجبرنى ، وارفعنى ، وارزقنى واهدنى » [6] .

---

(١) حديث (١) رواه مسلم وأبو عوانة وابن أبى شيبة فى المصنف والنسائى واللفظ له سوى ما بين القوسين .

(٢) حديث (٢) أحمد فى مسنده ورجاله ثقات .

(٣) رواه مسلم وابو داود والنسائى وأحمد والبيهقى وأبو عوانة .

(٤) فتح البارى ج ٢ ص ٣٠٠ .

(٥) (٥) رواه ابن ماجه وقال الألبانى فى « صفة النبى ﷺ » إسناده حسن .

(٦) (٦) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده ، وأبو داود والترمذى والحاكم وابن ماجه والبيهقى : وقال ابن حجر فى تلخيص الحبير فيه كامل أبو العلاء وهو مختلف فيه ، وقال صاحب =

وقد ورد الذكر بألفاظ عدة :

● اللهم [رب] إغفرلى ، وارحمنى ، [واجبرنى] ، [وارفعنى] ، واهدنى [وعافنى وارزقنى] » .

« اللهم اغفرلى وارحمنى ، واجبرنى واهدنى وارزقنى » عند الترمذى .

« اللهم اغفرلى وعافنى وارزقنى واهدنى » عند أبى داود .

« اللهم اغفرلى وارحمنى واجبرنى وارزقنى وارفعنى » عند ابن ماجة .

« اللهم اغفرلى واجبرنى وارحمنى وارفعنى ، وارزقنى واهدنى » عند الحاكم

هديه فى القيام والقعود فى صلاة الليل

قال شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية :

«كانت صلاته ﷺ بالليل ثلاثة أنواع :

أحدها : وهو أكثرها : صلاته قائماً .

الثانى : أنه كان يُصلى قاعداً ، ويركع قاعداً .

الثالث : أنه كان يقرأ قاعداً ، فإذا بقى يسير من قراءته ، قام فركع قائماً ، والأنواع الثلاثة صحت عنه »[1] ا . هـ .

وإليك الأحاديث فى ذلك :

عن عبد الله بن شقيق قال قلت لعائشة « هل كان النبى ﷺ يصلى وهو قاعد قالت نعم بعد ما حَطَمه الناس »[2] .

« المعنى : حطم فلاناً أهله إذ كبر فيهم ، كأنه لما حمله من أمورهم وأثقالهم والاعتناء بمصالحهم صيروه شيخاً محطوماً والحطم الشيء اليابس »[3] .

= و تحفة الأحوذى إن لم يصح فهو حسن ، وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح انظر الحديث رقم (٣٥١٤) فى المسند .

(١) زاد المعاد طبع مؤسسة الرسالة ج ١ ص ٣٣١ ، ٣٣٢ .

(٢) حديث (٢) : رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

(٣) صحيح مسلم ج ٢ شرح باب جواز النافلة ص ٢٨٥ .

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة أخبرته أن النبى ﷺ لم يمت حتى كان كثير من صلاته وهو جالس »[1] .

عن عروة عن عائشة قالت « لمّا بدّن رسول الله ﷺ وثَقُل كان أكثر صلاته جالسًا »[2] .

قال النووى : « قال القاضى عياض رحمه الله : قال أبو عبيد فى تفسير هذا الحديث : بدّن الرجل بفتح الدال المشددة تبدينا إذا أسنَّ . قال أبو عبيد : ومن رواه (بدُن) بضم الدال المخففة فليس له معنى هنا ، لأن معناه كثر لحمه وهو خلاف صفته ﷺ ، يقال : بدن يبدن بدانة . وأنكر أبو عبيد الضم .

قال القاضى : روايتنا فى مسلم عن جمهورهم « بدُن » بالضم ، وعن العذرى بالتشديد وأراه إصلاحًا ، قال : ولا ينكر اللفظان فى حقه ﷺ فنى حديث عائشة فى مسلم : فلمّا أسنّ رسول الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ، وفى حديث آخر « ولحم » وفى آخر « أسنّ وكثر لحمه » وفى وصفه « بادن متماسك » هذا كلام القاضى ، والذى ضبطناه ووقع فى بلادنا التشديد والله أعلم » ا . هـ .

عن حفصة أنها قالت « ما رأيت رسول الله ﷺ صلّى فى سُبْحَتِه قاعدًا حتى كان قبل وفاته بعام ، فكان يصلى فى سبحته قاعدًا ، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها »[3] وفى رواية أخرى « بعام أو اثنين » .

---

(١) حديث (١) : رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا ، وفى الشمائل للترمذى بسند صحيح .

(٢) حديث (٢) رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٣) حديث رقم ٣) : رواه مسلم فى كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا ، والموطأ فى صلاة الجماعة باب ما جاء فى صلاة القاعد فى النافلة .

(فائدة) : فى الحديث (٣) فى مسلم : لطيفة فى الإسناد ففيه ثلاثة من الصحابة يروى بعضهم عن بعض : السائب بن يزيد عن المطلب بن وداعة عن حفصة رضى الله عنها » ا . هـ .

● عن جابر بن سَمُرة « أن النبي ﷺ لم يمت حتى صلىّ قاعدًا » وكان رسول الله ﷺ يصلى قاعدًا سواء مرض أم لم يمرض .

عن عبد الله بن أبي قيس قال : قالت عائشة « لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، وكان إذا مرض أو كسل صلّى قاعداً »(١) .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ يقرأ فى شىء من صلاة الليل جالسًا حتى إذا كَبِرَ قرأ جالسًا حتى إذا بقى عليه من السورة ثلاثون أو أربعون آية قام فقرأهن ثم ركع »(٢) .

عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة أن رسول الله ﷺ «كان يصلى جالسًا فيقرأ وهو جالس ، فإذا بقى من قراءته قدر ما يكون ثلاثين أو أربعين آية قام فقرأ وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل فى الركعة الثانية مثل ذلك »(٣) .

وزاد البخارى « فإذا قضى صلاته نظر فإن كنت يقظى تحدث معى ، وإن كنت نائمة أضطجع » .

عن عَمْرَة عن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ يقرأ وهو قاعد ، فإذا أراد أن يركع قام قدر ما يقرأ الإنسان أربعين آية »(٤) .

عن علقمة بن وقاص قال : قلت لعائشة : كيف كان يصنع رسول الله ﷺ فى الركعتين وهو جالس . قالت «كان يقرأ فيهما فإذا أراد أن يركع قام فركع »(٥) فوائد من الأحاديث :

● إباحة التطوع جالسًا وإن لم يكن بالمرء مرض وهو إجماع العلماء .

قال ابن حجر فى الفتح عن قول عائشة « من صلاة الليل ... حتى أسن وكبر .

---

(١) صحيح سبق تخريجه .

(٢) البخارى ومسلم واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٣) البخارى ومسلم واللفظ لمسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٤) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

(٥) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا .

[قال ابن التين : قيدت عائشة ذلك بصلاة الليل لتخرج الفريضة .
و « حتى أسنّ » لتعلم أنه إنما فعل ذلك إبقاءً على نفسه ليستديم الصلاة وأفادت أنه كان يديم القيام ، وأنه كان لا يجلس عما يطيقه من ذلك .

● جواز إيقاع بعض الصلاة قاعداً ، وبعضها قائماً فى صلاة الليل ، وجواز القعود فى أثناء صلاة النافلة لمن افتتحها قائماً ، كما يباح له أن يفتتحها قاعداً ثم يقوم إذ لا فرق بين الحالتين .

● قولها (فإذا بقى من قراءته) ، قال الحافظ ابن حجر « فيه إشارة إلى أن الذى كان يقرؤه قبل أن يقوم أكثر ، لأن البقية تطلق فى الغالب على الأقل وفى هذا الحديث أنه لا يشترط لمن افتتح النافلة قاعداً أن يركع قاعداً ، أو قائماً أن يركع قائماً » [1] .

● وفى الحديث كما قال النووى « دليل على استحباب تطويل القيام فى النافلة ، وأنه أفضل من تكثير الركعات فى ذلك الزمان » [2] وهو مذهب الشافعى .

عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ يصلى ليلا طويلاً ، فإذا صلّى قائماً ركع قائماً ، وإذا صلى قاعداً ركع قاعداً » وفى لفظ آخر « يصلى ليلاً طويلاً قائماً » .

● عن عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ بالليل فقالت : « كان يصلى ليلاً طويلاً قائماً ، وليلاً طويلاً قاعداً ، وكان إذا قرأ قائماً ، ركع قائماً ، وإذا قرأ قاعداً ركع قاعداً » [3] .
وفى لفظ آخر .

● عن عبد الله بن شقيق قال : سألنا عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ

(١) البخارى كتاب تقصير الصلاة شرح باب إذا صلى قاعداً ثم صح من فتح البارى .
(٢) شرح النووى لمسلم ج ٢ ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .
(٣) مسلم واللفظ له باب جواز الصلاة قائماً وقاعداً .

فقالت : -

«كان رسول الله ﷺ يكثر الصلاة قائماً وقاعداً ، فإذا افتتح الصلاة قائماً ركع قائماً ، وإذا افتتح الصلاة قاعداً ركع قاعداً »

● قال ابن خزيمة فى صحيحه :

« قد أنكر هشام بن عروة خبر عبد الله بن شقيق : إذ ظاهره كان عنده خلاف خبره عن أبيه عن عائشة ، وهو عندى غير مخالف لخبره ، لأن فى رواية خالد عن عبد الله بن شقيق عن عائشة « فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد » ، فعلى هذه اللفظة هذا الخبر ليس بخلاف خبر عروة وعمرة عن عائشة ، لأن هذه اللفظة التى ذكرها خالد دالة على أنه كان إذا كان جميع القراءة قاعداً ركع قاعداً ، وإذا كان جميع القراءة قائماً ركع قائماً ، ولم يذكر عبد الله بن شقيق صفة صلاته إذا كان بعض القراءة قائماً وبعضها قاعداً ؟ وإنما ذكره عروة وأبو سلمة وعمرة عن عائشة إذا كانت القراءة فى الحالتين جميعاً بعضها قائماً وبعضها قاعداً ؟ فذكر أنه كان يركع وهو قائم إذا كانت قراءته فى الحالتين كلتيهما »[1] .

ثم تكلم الحافظ ابن خزيمة عن الحديث الأخير فقال : « هذا الخبر يبين هذه الأخبار كلها ، فعلى هذا الخبر إذا افتتح الصلاة قائماً ثم قعد وقرأ انبغى له أن يقوم فيقرأ بعض قراءته ثم يركع وهو قائم ، فإذا افتتح صلاته قاعداً قرأ جميع قراءته وهو قاعد ، ثم ركع وهو قاعد اتباعاً لفعل النبى ﷺ » ا . هـ .

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى تعليقه على حديث عروة عن عائشة :

« فيه رد على من اشترط على من افتتح الصلاة النافلة قاعداً أن يركع قاعداً أو قائماً أن يركع قائماً ، وهو محكى عن أشهب وبعض الحنفية والحجة فيه حديث عبد الله بن شقيق عن عائشة .

وحديث عبد الله بن شقيق صحيح ، ولكن لايلزم منه منع مارواه عروة

(١) صحيح ابن خزيمة ج ١ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

عنها فيجمع بينهما بأنه كان يفعل كُلاً من ذلك بحسب النشاط وعدمه والله أعلم »[1] ا . هـ .

كيفية جلوسه إذا صلى قاعدا :

عن عائشة رضى الله عنها قالت :

« رأيت رسول الله ﷺ يصلى متربعاً »[2] .

خاصية لرسول الله ﷺ فى القيام والقعود ليلاً

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال :

« حُدِّثت أن رسول الله ﷺ قال : صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة قال فأتيته فوجدته يصلى جالسًا ، فوضعت يدى على رأسه ، فقال : « مالك يا عبد الله بن عمرو قلت : حُدِّثت يا رسول الله أنك قلت صلاة الرجل قاعدًا على نصف الصلاة وأنت تصلى قاعدًا ، قال : « **أجل ، ولكنى لست كأحد منكم** »[3] .

---

(١) فتح البارى ج ٣ كتاب التهجد شرح قيام النبى ﷺ فى رمضان وغيره .

(٢) حديث رقم (٢) : إسناده صحيح .

قال الحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير : [رواه النسائى والدارقطنى وابن حبان ، والحاكم من حديث عائشة ، قال النسائى : « ما أعلم أحداً رواه غير أبى داود الحفرى [وهو ثقة] ولا أحسبه إلا أخطأ » . وقد رواه ابن خزيمة والبيهقى من طريق محمد بن سعيد الأصبهانى بمتابعة أبى داود فظهر أنه لا خطأ فيه ؟ وروى البيهقى من طريق ابن عيينة عن ابن عجلان عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه : رأيت النبى ﷺ يدعو هكذا ؟ ووضع يديه على ركبتيه وهو متربع جالس » ورواه البيهقى عن حميد : رأيت أنساً يصلى متربعاً على فراشه ؟ وعلقه البخارى] ا . هـ . كلام الحافظ ولقد نحا الحافظ محمد بن نصر المروزى منحى النسائى وذهب فى « قيام الليل » إلى خطأ الراوى .

وقال الألبانى : « إسناده صحيح كما قال الحاكم والذهبى ، تخطئة الثقة بالظن لا يجوز » انظر تحقيق صحيح ابن خزيمة ج ١ حديث رقم (١٢٣٨) ، وقال الألبانى فى «صفة صلاة النبى ﷺ » : رواه عبد الغنى المقدسى فى « السنن » وابن خزيمة والحاكم وصححه ووافقه الذهبى .

(٣) حديث رقم (٣) : رواه مسلم باب جواز النافلة قائماً وقاعداً .

قال النووى : [هو من خصائص النبى ﷺ فجعلت نافلته قاعداً مع القدرة على القيام كنافلته قائماً تشريفاً له كما خصّ بأشياء معروفة .

وقال القاضى عياض : « معناه أن النبى ﷺ لحقه مشقة من القيام لحطم الناس وللسن ، فكان أجره تاماً بخلاف غيره ممن لا عذر له » . هذا كلامه وهو ضعيف باطل ، لأن غيره ﷺ إن كان معذوراً لثوابه أيضاً كامل ، وإن كان قادراً على القيام فليس هو كالمعذور فلا يبقى فيه تخصيص فلا يحسن على هذا التقدير « لست كأحد منكم » وإطلاق هذا القول ، فالصواب ما قاله أصحابنا أن نافلته ﷺ قاعدًا مع القدرة على القيام ثوابها كثوابها قائمًا وهو من الخصائص والله أعلم »][1] ا . هـ . كلام النووى .

هديه فى القيام عند مرضه

مر بك أنه ﷺ قرأ وهو وجع بالسبع الطوال فى ليلة ، وذلك من اجتهاده ﷺ فى العبادة وحرصه على قيام الليل ، ومرت بك أحاديث صلاته قاعداً .

وكان ﷺ إذا مرض صلى قاعداً وأحياناً يترك القيام .

عن عبد الله بن أبى موسى قال قالت لى عائشة : « لا تدع قيام الليل فإن رسول الله ﷺ كان لا يذره ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً »[2] .

عن عائشة زوج النبى ﷺ قالت : « عليكم بقيام الليل ، فإن رسول الله ﷺ كان لا يدعه ، فإن مرض قرأ وهو قاعد ، وقد عرفت أن أحدكم يقول

---

(١) انظر شرح صحيح مسلم للنووى ج ٢ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢) حديث رقم (٢) إسناده صحيح : رواه ابن خزيمة فى صحيحه كتاب « أبواب صلاة التطوع بالليل . باب استحباب صلاة الليل قاعداً إذا مرض المرء أو كسل » . وقال الألبانى إسناده صحيح على شرط مسلم ، ورواه أبو داود .

بحسبى أن أقيم ما كتب لى ، وأنّى له ذلك »[1]

قال الشيخ الساعاتى فى الفتح الربانى :

« فيه الحث على قيام الليل والاهتمام به ، والاقتداء برسول الله ﷺ فيه ، حيث لم يتركه مطلقًا[2] حتى إن كان مريضًا أداه قاعداً ؟ فهذا رسول الله وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لم يترك قيام الليل ونحن مع ارتكابنا للذنوب وتقصيرنا فى الأعمال نتقاعد عن فعله ، مع إننا لو صمنا النهار وقمنا الليل جميعه لم نبلغ عُشر معشار ما بلغه ﷺ من الدرجة والفضل ، وأنى لنا ذلك ؟ فيجدر بنا أن نسارع فنستبق إلى قيام الليل ، لأننا أحوج إلى رحمة الله تعالى ومغفرته »[3] .

● وأحياناً كان يترك قيام الليل لوجعه أو مرضه .

عن جندب بن سفيان قال « اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثة فجاءته امرأته ، فقالت يا محمد ، إنى لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، ولم أره قَرِبَكَ منذ ليلتين أو ثلاثة قال فأنزل الله عز وجل ﴿ **والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى**﴾[4] .

ولقد بوّب البخارى رحمه الله فى تركه ﷺ للقيام فقال فى كتاب التهجد « باب ترك القيام للمريض . » وهناك دليل آخر على تركه ﷺ أحياناً أثناء مرضه سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

---

(١) حديث رقم (١) : أخرجه أحمد فى مسنده وهو طرف من حديث طويل

(٢) سيأتى الرد على ذلك .

(٣) الفتح الربانى ج ٤ ص ٢٣٧

(٤) حديث رقم (ع) أخرجه البخارى ومسلم والنسائى واللفظ لمسلم كتاب الجهاد باب « مالقى النبى ﷺ من أذى المشركين والمنافقين » ج ٤ ص ٤٤٠ ، وذكره البخارى فى صحيحه فى فضائل القرآن وذكره مختصراً فى « التهجد » .

« هديه فى القيام فى السفر »

ما كان رسول الله ﷺ ليترك قيام الليل فى السفر.

عن حميد بن عبد الرحمن قال : إن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قلت وأنا فى سفر مع رسول الله ﷺ والله لأرقبنَّ رسول الله ﷺ للصلاة حتى أرى فعله ، فلما صلَّى صلاة العشاء وهى العتمة اضطجع هَوِيًّا من الليل ، ثم استيقظ فنظر فى الأفق فقال : ﴿ **ربنا ما خلقت هذا باطلاً حتى بلغ إلى .. إنك لا تخلف الميعاد** ﴾ ثم أهوى رسول الله ﷺ إلى فراشه فاستل منه سواكاً ، ثم أفرغ فى قدح من إداوة عنده ماء فاستنَّ ثم قام فصلى حتى قلتُ قد صلى قدر ما نام ، ثم اضطجع حتى قلت قد نام قدر ما صلى ، ثم استيقظ ففعل كما فعل أول مرة ، وقال مثل ما قال ، ففعل رسول الله ﷺ ثلاث مرات قبل الفجر »[1] .

حديث ثوبان « إن هذا السفر جهد » ...

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة أن أباه أخبره أنه رأى النبى ﷺ صلى السُبحَةَ بالليل فى السفر على ظهر راحلته حيث توجهت به »[2] .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجله السير فى السفر يؤخر صلاة المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء ، قال سالم : وكان عبد الله يفعله إذا أعجله السير ، ويقيم المغرب فيصليها ثلاثاً ثم يسلم ، ثم قلَّما يلبث حتى يقيم العشاء فيُصليها ركعتين ثم يسلم ، ولا يسبح بينهما بركعة ، ولا بعد العشاء بسجدة حتى يقوم من جوف الليل »[3] .

---

(١) حديث رقم (١) : إسناده صحيح : رواه النسائى فى سننه وقال الألبانى إسناده صحيح على شرط مسلم أنظر حديث رقم (١٢٠٩) مشكاة المصابيح ، وقال عبد القادر الأرناؤوط ، إسناده حسن .

(٢) حديث رقم (٢) : رواه البخارى فى الوتر فى السفر ومسلم فى صلاة المسافرين باب جواز النافلة على الدابة فى السفر . وأحمد فى مسنده .

(٣) حديث رقم (٣) البخارى ـ تقصير الصلاة باب هل يؤذن أو يقيم .

قال سالم : كان عبد الله يصلى من دابته من الليل وهو مسافر ما يبالى حيثما كان وجهه . قال ابن عمر : وكان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة قِبَل أى وجهٍ توجه ، ويوتر عليها ، غير أنه لايصلى عليها المكتوبة »[1] . ومن هذه نرى ان رسول الله ﷺ كان يتهجد ويصلى الليل فى السفر ، ونفى التطوع فى السفر ليس محمولاً على الوتر أو صلاة الليل ، وأنه ﷺ كان يتطوع على الدابة .

قال الشافعى : ثبت عن النبى ﷺ أنه كان يتنفل ليلاً وهو يقصر .

قال الإمام ابن القيم فى زاد المعاد : ج ١ ص ٤٧٥ : «كان من هديه ﷺ التطوع على راحلته حيث توجهت به ، وكان يومئ إيماءً برأسه فى ركوعه وسجوده ، وسجوده أخفض من ركوعه »[2] .

عن أنس « أن النبى ﷺ «كان إذا أراد أن يتطوع فى السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث وجهت ركابه »[3] .

ولقد استحب ذلك أحمد وأبو ثور .

« وفى هذا الحديث نظر ، وسائر من وصف صلاته ﷺ على راحلته أطلقوا أنه كان يصلى عليها قِبَل أى جهة توجهت به ، ولم يستثنوا من ذلك تكبيرة الإحرام ولا غيرها ، كعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وأحاديثهم أصح من حديث أنس هذا والله أعلم . وصلى على الراحلة وعلى الحمار »[4] .

---

(١) حديث رقم (١) ، البخارى ـ تقصير الصلاة . باب ينزل للمكتوبة .

(٢) انظر ابن خزيمة حديث رقم ١٢٧٠ وانظر حديث رقم (١٣٤٦) مشكاة المصابيح

(٣) حديث رقم (١٤٤) : صحيح : رواه أحمد فى المسند ٢٠٣/٢ ، وأبو داود فى الصلاة باب التطوع على الراحلة والوتر ورواه ابن حبان فى «كتاب الثقات» والضياء فى «المختارة» والدارقطنى . وصححه غير واحد كما قال عبد القادر الأرناؤوط . صححه ابن السكن ، وابن الملقن وحسنه المنذرى وصححه الشيخ الألبانى فى المشكاة (١٣٤٥)

(٤) مسلم ـ باب جواز صلاة النافلة على الدابة

عن ابن عمر قال «كان النبي ﷺ يصلى فى السفر على راحلته حيث توجهت به ، يومئ إيماء صلاة الليل إلا الفرائض ، ويوتر على راحلته »[1] وعلى هديه سار أصحابه ﷺ من بعده ومن بعدهم من التابعين عن مجاهد قال : سافرت مع عبد الله بن عمر من مكة .

● عن عثمان بن عبد الله بن سراقة أنه رأى حفص بن عاصم يسبح فى السفر ومعهم فى ذلك السفر عبد الله بن عمر ، فقيل إن خالك ينهى عن هذا ، فسألت ابن عمر ، عن ذلك فقال رأيت رسول الله لا يصنع ذلك ، لا يصلى قبل الصلاة ولا بعدها ، قلت : أصلى بالليل؟ فقال : صلِّ بالليل ما بدا لك »[2] .

عن جابر قال : رأيت النبي ﷺ وهو على راحلته يصلى النوافل فى كل وجه ، ولكنه يخفض السجدتين من الركعتين ويومئ إيماء .[3] .

نومه فى السحر

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما ألفى رسول الله ﷺ السحر الأعلى فى بيتى أو عندى إلا نائماً[4]

وعند الإسماعيلى « ما ألفى النبي ﷺ عندى بالأسحار إلا وهو نائم » ولم يذكر البخارى لفظ الأعلى .

ألفاه : أى وجده .

---

(١) حديث رقم (١) متفق عليه ، رواه البخارى فى الوتر باب الوتر فى السفر ، وباب الوتر على الدابة وكذا أخرجه النسائى فى القبلة ، باب الحال التى يجوز عليها استقبال غير القبلة =

(٢) حديث رقم (٢) : رواه ابن خزيمة فى صحيحه .. جماع أبواب صلاة التطوع فى السفر حديث رقم (١٢٥٦) وقال الالبانى إسناده صحيح .

(٣) رواه ابن خزيمة فى صحيحه ج ١ حديث رقم ١٢٧٠ ، وأخرجه أبو داود ومسلم والترمذى والنسائى وقال الألبانى إسناده صحيح

(٤) رواه البخارى ومسلم واللفظ له وأبو داود والنسائى ـ البخارى كتاب التهجد باب من نام السحر ، ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب عدد ركعات النبي ﷺ .

قال الحافظ ابن حجر : « المراد نومه بعد القيام الذى مبدؤه عند سماع الصارخ جمعًا بينه وبين رواية مسروق التى قبلها » ا . هـ.

وقال أيضًا الحافظ ابن حجر :

[قال ابن التين : « قولها » إلاّ نائمًا تعنى مضطجعًا على جنبه لأنها قالت فى حديث آخر « فإن كنت يقظانة حدثنى وإلا اضطجع » وتعقبه ابن رشيد بأنه لا ضرورة لحمل هذا التأويل لأن السياق ظاهر فى النوم حقيقة وظاهر فى المداومة على ذلك ، ولا يلزم من أنه ربما لم ينم وقت السحر هذا التأويل ، فدار الأمر بين حمل النوم على مجاز التشبيه ، أو حمل التعميم على إرادة التخصيص ، والثانى أرجح وإليه مال البخارى لأنه ترجم بقوله « من نام عند السحر » ثم ترجم عقبه بقوله « من تسحر فلم ينم » .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه « أن نبى الله ﷺ وزيد بن ثابت رضى الله عنه تسحرا ، فلما فرغا من سَحورهما قام نبى الله ﷺ إلى الصلاة فصلى . قلنا لأنس : كم كان بين فراغها من سحورهما ودخولها فى الصلاة ؟ قال : كقدر ما يقرأ الرجل خمسين آية » .

فأومأ إلى تخصيص رمضان من غيره ، فكأن العادة جرت فى جميع السنة أنه كان ينام عند السحر إلا فى رمضان فإنه كان يتشاغل بالسحور فى آخر الليل ، ثم يخرج إلى الصلاة عقبه .

وقال ابن بطال : النوم وقت السحر كان يفعله النبى ﷺ فى الليالى الطوال وفى غير شهر رمضان ، كذا قال ، ويحتاج فى إخراج الليالى القصار إلى دليل] (١)
انتهى كلام الحافظ

ونوم السحر هو هدى نبى الله داود عليه السلام ففى الحديث ... و « ينام سدسه » وذلك كما قال الحافظ أرفق للبدن « لأنه يستدرك بالنوم ما يستريح به

---

(١) فتح البارى شرح باب من نام السحر ج ٣ ص ١٨ وأحمد فى مسنده .

من نصب القيام فى بقية الليل ، ويريح البدن ، ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم ، بخلاف السهر إلى الصباح وفيه من المصلحة استقبال صلاة الصبح وأذكار النهار بنشاط وإقبال ، وأنه أقرب إلى عدم الرياء لأن من نام السدس الأخير أصبح ظاهر اللون سليم القوى فهو أقرب إلى أن يخفى عمله على من يراه وأشار إلى ذلك ابن دقيق العيد ا . هـ .

خاصية لرسول الله ﷺ فى نومه :

عن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ ينام حتى ينفخ ثم يقوم فيصلى ولا يتوضأ »[1] .

عن أنس أن النبى ﷺ «كان تنام عيناه ولا ينام قلبه »[2] .

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ « نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ »[3] .

وفى حديث له ﷺ :

« يا عائشة إن عينىّ تنامان ولا ينام قلبى »[4] .

قال النووى : « هذا من خصائص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ومر فى حديث نومه ﷺ فى الوادى ، فلم يعلم بفوات وقت الصبح حتى طلعت الشمس ، وأن طلوع الفجر والشمس متعلق بالعين لا بالقلب ، وأما أمر الحدث

---

(١) صحيح : رواه ابن ماجة كتاب الطهارة وسننها باب الوضوء من النوم واللفظ له ، وصححه السيوطى . وقال المناوى سنده صحيح ، وقال مغلطاى : على شرط الشيخين ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٨٩٣) .

(٢) حديث رقم (١) صحيح : رواه الحاكم عن أنس وأحمد فى مسنده عن ابن عباس . وقال الحاكم : على شرط مسلم ورده الذهبى بأن يعقوب بن محمد الزهرى ضعيف ولم يرو له مسلم ، وصححه السيوطى والألبانى انظر فيض القدير ج ٥ ص ١٦٩ وصحيح الجامع رقم (٤٦٨٢) .

(٣) حديث رقم (٣) : إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح انظر المسند رقم (٣١٩٤) .

(٤) رواه البخارى ومسلم عن عائشة وكذا مالك، وأحمد وأبو داود والطحاوى .

ونحوه فمتعلق بالقلب ، وأنه قيل إنه فى وقت ينام قلبه ، وفى وقت لا ينام فصادف الوادى نومه ، والصواب الأول »[1] ا . هـ .

● وفى حديث نوم ابن عباس عند خالته ميمونة قول ابن عباس « فنام حتى نفخ ثم أتاه بلال فآذنه بالصلاة فخرج فصلى الصبح ولم يتوضأ » .

صلاته ﷺ على فراشه وزوجه معترضة بين يديه :

عن عائشة زوج النبى ﷺ أنها قالت : «كنت أنام بين يدى رسول الله ﷺ ورجلاى فى قبلته ، فإذا سجد غمزنى فقبضت رجلى ، فإذا قام بسطتهما ، قالت : والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح »[2] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « لقد كان رسول الله ﷺ يقوم فيصلى من الليل ، وإنى لمعترضة بينه وبين القبلة على فراش أهله »[3] .

● عن عروة أن النبى ﷺ كان يصلى وعائشة معترضة بينه وبين القبلة على الفراش الذى يناماان عليه .

بأبى أنت وأمى يا رسول الله جُعلت قرة عينك فى الصلاة فلم يشغلك عنها شىء من متاع الدنيا .

فعن عائشة قالت : « لقد رأيتنى مضطجعة على السرير فيجىء النبى ﷺ فيتوسط السرير فيصلى فأكره أن أن أسنحه[4] فأنسل من قبل رجلى السرير حتى أنسل من لحافى والمراد أنه كان يصلى إلى السرير ، أى أسفل منه والسرير بينه وبين القبلة » .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ .

(٢ ، ٣) حديث رقم (٢ ، ٣) : رواه البخارى كتاب الصلاة ج ١ باب الصلاة على الفراش ، باب الصلاة خلف النائم ، باب الصلاة خلف المرأة ، باب الصلاة إلى السرير .

(٤) أن أظهر له من قدامه .

صلاته القيام جماعة أحيانا

وذلك ثابت فى هديه ، وقيام بعض أصحابه معه مثل ابن عباس وحذيفة وعبد الله بن مسعود وهذا من باب التعاون على البر والتقوى ، ولقد حث الرجل على قيام الليل مع أهله ودعا بالرحمة لهما وأخبر أنهما إن صليا كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

عن ابن عباس « أن النبى ﷺ قام من الليل يصلى ، فقمت فتوضأت فقمت عن يساره ، فجذبنى فجرنى فأقامنى عن يمينه فصلى ثلاث عشرة ركعة قيامه فيهن سواء »(1).

[وسأل ابن جريج عطاء : أيصلى القوم بصلاة الرجل فى التطوع فإن ابن عباس قد صلى إلى جنب النبى ﷺ متطوعاً ؟ قال : أجل .

قال محمد بن نصر : وكره أصحاب الرأى أن يصلى التطوع فى جماعة ما خلا قيام رمضان ، وصلاة كسوف الشمس ، وذلك خلاف السنة ، فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه صلى التطوع جماعة فى غير شهر رمضان ليلاً ونهاراً وفعل ذلك جماعة من أصحابه من بعده .

● عن هشام بن عروة : رأيت عبد الله بن الزبير يؤمهم فى المسجد الحرام بالنوافل ووراءه شيوخ من أهل الفقه والصلاح يرون أن ذلك حسن .

● قال هشام : إن الإمام كان يؤمهم فى المكتوبة ثم يدخل الدار فيسبح(2) ويسبحون بصلاته وهو يؤمهم وكان عروة يفعل ذلك ويراه حسناً .

قال محمد بن نصر : وفى الباب أحاديث كثيرة .. وسئل مالك عن الرجل يؤم الرجل فى النافلة قال ما أرى بذلك بأساً » ا . هـ . (3) .

---

(1) حديث رقم (1) : إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح ، انظر المسند حديث رقم (٢٢٧٦) .

(2) أى يصلى .

(3) مختصر قيام الليل للسمرقندى ص ٩١ ، ٩٢ .

• ولقد بوب الإمام البخارى فى التهجد فقال « باب صلاة النوافل جماعة . ثم أورد أحاديث قال الحافظ ابن حجر بعدها : « وفى الحديث فوائد كثيرة ، فيه ماترجم له هنا وهو صلاة النوافل جماعة . وروى وهب عن مالك : أنه لا بأس أن يؤم النفر فى النافلة ، فأما أن يكون مشتهراً ويجمع له الناس فلا](1) ا . هـ .

صلاته بعد العشاء ركعات أحيانا :

وأحياناً كان ﷺ يصلى ركعات بعد العشاء قبل نومه فقد ثبت « أن النبى ﷺ كان إذا صلى العشاء ورجع إلى بيته صلى أربع ركعات »(2) .

عن عائشة قالت « ما صلى رسول الله ﷺ العشاء قط فدخل علىّ إلاّ صلّى أربع ركعات أو ست ركعات ، ولقد مطرنا مرة بالليل فطرحنا له نطعاً فكأنى أنظر إلى ثقب فيه ينبع الماء منه ، وما رأيته متقياً الأرض بشىء من ثيابه قط »(3)

قال صاحب عون المعبود : [قال القارى : « وقال الزرقانى فى شرح المواهب : قالت عائشة : ما صلىّ رسول الله ﷺ العشاء قط فدخل بيتى إلا صلى أربع ركعات » أى تارة ، أو ست ركعات أى أخرى فليست أو للشك ، وفى مسلم : قالت « ثم يصلى بالناس العشاء ويدخل بيتى فيصلى ركعتين » ، وكذا فى حديث ابن عمر عند الشيخين . ومفاد الأحاديث أنه كان بحسب ما تيسر له ركعتين أو أربعاً أو ستًا إذا دخل بيته بعد العشاء »](4) ا . هـ .

---

(1) فتح البارى ج ٣ ص ٦٢ .

(2) قال الألبانى فى صحيح الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٢٤ حديث رقم (٥٨٩) : حديث صحيح : ثبت ذلك من حديث ابن عباس وغيره فى صحيح البخارى وغيره وهو مخرج فى صحيح أبى داود ١٢١٦ - ١٢١٨ - ١٢٤٨ .

(3) رواه أبو داود حديث رقم ١٢٨٩ وأشار الألبانى إلى صحته .

(4) عون المعبود ج ٤ ص ١٨٦ شرح حديث ١٢٨٩ .

صلاته لركعتين بعد الوتر وهو جالس :

عن أبى سلمة قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت : «كان يصلى ثلاث عشرة ركعة يصلى ثمان ركعات ، ثم يوتر ثم يصلى ركعتين وهو جالس فإذا أراد أن يركع قام فركع ثم يصلى ركعتين بين النداء والإقامة من صلاة الصبح »[(1)] .

وفى جزء من حديث لها عند مسلم : «كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلى تسع ركعات لا يجلس فيها إلا فى الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ، ثم ينهض ولا يسلم ثم يقوم فيصلى التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم يسلم تسليماً يسمعنا ثم يصلى ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد « فتلك إحدى عشرة ركعة يا بنى ، فلمّا أسنَّ نبى الله ﷺ وأخذ اللحم أوتر بسبع ، وصنع فى الركعتين مثل صنيعه الأول فتلك تسع يا بنىّ » .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يوتر بواحدة ، ثم يركع ركعتين يقرأ فيهما وهو جالس ، فإذا أراد أن يركع قام فركع »[(2)] .

عن ابن عباس رضى الله عنه قال : زرت خالتى ميمونة فوافقت ليلة النبى ﷺ فقام رسول الله ﷺ بسحر طويل ، فأسبغ الوضوء ، ثم قام يصلى فقمت فتوضأت ثم جئت إلى جنبه ، فلما علم أنى أريد الصلاة معه أخذ بيدى فحوّلنى عن يمينه ، فأوتر بتسع أو سبع ، ثم صلى ركعتين ، ووضع جنبه حتى سمعت

---

(١) حديث رقم (١) رواه مسلم ـ كتاب صلاة المسافرين باب صلاة الليل والوتر . وكذا رواه أبو داود والنسائى وابن خزيمة .

(٢) حديث رقم (٢) إسناده صحيح : رواه ابن ماجة فى سننه ـ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء فى الركعتين بعد الوتر جالساً وقال فى زوائد ابن ماجة « إسناده صحيح ورجاله ثقات

ضفيزه(١) ثم أقيمت الصلاة فانطلق فصلى »(٢) .

قال الإمام ابن خزيمة : « هاتان الركعتان اللتان ذكرهما ابن عباس فى هذا الخبر يحتمل أن يكون أراد الركعتين اللتين كان النبى ﷺ يصليهما بعد الوتر كما أخبرت عائشة ، ويحتمل أن يكون أراد بهما ركعتى الفجر اللتين كان يصليهما قبل صلاة الفريضة »(٣) ثم قال رحمه الله بعد هذا الكلام ببابين : « باب ذكر الدليل على أن الصلاة بعد الوتر مباحة لجميع من يريد الصلاة بعده ، وأن الركعتين اللتين كان النبى ﷺ يصليهما بعد الوتر لم يكونا خاصة للنبى ﷺ دون أمته ، إذ أنه ﷺ قد أمرنا بالركعتين بعد الوتر أمر ندب وفضيلة لا أمر إيجاب وفريضة »(٣) ثم ذكر الحديث الآتى :

عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقال : « **إن هذا السفر جهد وثقل ، فإذا أوتر أحدكم فليركع ركعتين خفيفتين فإن استيقظ وإلا كانتا له** »(٤) .

قال الألبانى بعد ذكره لكلام ابن خزيمة تعليقاً على حديث ثوبان :

[وهذه فائدة هامة استفدناها من هذا الحديث ، وقد كنا من قبل مترددين فى التوفيق بين صلاته ﷺ الركعتين وبين قوله « **اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً** » وقلنا فى التعليق على صفة الصلاة : « والأحوط تركها اتباعاً للأمر والله

---

(١) ضفيزه : أى غطيطه كما جاء فى « لسان العرب » .

(٢) إسناده صحيح : رواه ابن خزيمة فى صحيحه - أبواب ذكر الوتر - باب الرخصة فى الصلاة بعد الوتر ، وقال الدكتور مصطفى الأعظمى : إسناده صحيح انظر حديث رقم (١١٠٣) صحيح ابن خزيمة

(٣) صحيح ابن خزيمة ج ٢ ص ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٤) إسناده صحيح : رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، والدارقطنى وابن حبان والدارمى : وفيه : إن هذا السهر جهد وقال الهيثمى فى الزوائد (٢/٢٤٦) رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه عبد الله بن صالح كاتب الليث وفيه مقال « انظر موارد الظمآن » حديث ٦٨٣ ، وصححه الألبانى فى الصحيحة رقم ١٩٩٣ وقال مصطفى الأعظمى : إسناده صحيح لغيره .

أعلم » . وقد تبين لنا من هذا الحديث أن الركعتين بعد الوتر ليستا من خصوصياته ﷺ ، لأمره ﷺ بهما أمته أمراً عاماً ، فكأن المقصود بالأمر بجعل آخر صلاة الليل وترًا أن لا يهمل الإيتار بركعة فلا ينافيه صلاة ركعتين بعدهما لما ثبت من فعله وأمره والله أعلم][1] ا . هـ . كلام الشيخ الألبانى حفظه الله .

● عن ابن عباس عن النبى ﷺ « أنه قام من الليل فاستنَّ ، ثم صلى ركعتين ، ثم نام ، ثم قام فاستنَّ وتوضأ وصلى ركعتين حتى صلى ستًا ثم أوتر بثلاث وصلى ركعتين »[2] .

● عن أبى أمامة « أن النبى ﷺ «كان يصليهما بعد الوتر وهو جالس ، يقرأ فيهما ﴿ **إذا زلزلت الأرض** ﴾ و﴿ **قل يأأيها الكافرون** ﴾ »[3] .

وعند ابن نصر فى قيام الليل عن أبى أمامة قال : «كان رسول الله ﷺ يوتر بتسع ، حتى إذا بدُن وكثر لحمه أوتر بسبع وصلى ركعتين وهو جالس يقرأ فيهما ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ و﴿ **قل يأأيها الكافرون** ﴾ .

● قال النووى فى شرحه لصحيح مسلم عند شرحه لحديث « ثم يصلى ركعتين وهو جالس ـ » الحديث :ـ

[هذا الحديث أخذ بظاهره الأوزاعى وأحمد فيما حكاه القاضى عنهما ، فأباحا ركعتين بعد الوتر جالساً ، وقال أحمد : لا أفعله ولا أمنع من فعله . قال : وأنكره مالك . قلت : والصواب أن هاتين الركعتين فعلهما ﷺ بعد الوتر جالساً لبيان جواز الصلاة بعد الوتر ، وبيان جواز النفل جالساً ، ولم يواظب على

(١) السلسلة الصحيحة ج ٤ ص ٦٤٧

(٢) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح انظر حديث رقم (٣٢٧١) نحوه .

(٣) حديث رقم (٣) : إسناده حسن : رواه أحمد فى مسنده (٥/٢٦٠) والبيهقى وابن نصر بسند حسن كما قاله الألبانى فى صفة صلاة النبى ﷺ ، وعبد القادر الأرناؤوط فى التعليق على ج ٤ من شرح السنة ص ٩٤ وقال الهيثمى : رواه الطبرانى فى الكبير وأحمد ورجال أحمد ثقات .

ذلك ، بل فعله مرة أو مرتين أو مرات قليلة ، ولا تغتر بقولها «كان يصلى » فإن المختار الذى عليه الأكثرون والمحققون من الأصوليين أن لفظة (كان) لا يلزم منها الدوام ولا التكرار وإنما هى فعل ماض يدل على وقوعه مرة ، فإن دل دليل على التكرار عمل به ، وإلاّ فلا تقتضيه بوضعها . وإنما تأولنا حديث الركعتين جالسًا ، لأن الروايات المشهورة فى الصحيحين وغيرهما عن عائشة مع روايات خلائق من الصحابة فى الصحيحين مصرحة بأن آخر صلاته ﷺ فى الليل كان وترا فكيف يظن به ﷺ مع هذه الأحاديث وأشباهها أنه يداوم على ركعتين بعد الوتر ويجعلها آخر صلاة الليل ؟ . وإنما معناه ما قدمناه من بيان الجواز وهذا الجواب هو الصواب ، وأما ما أشار إليه القاضى عياض من ترجيح الأحاديث المشهورة ، ورد رواية الركعتين جالسًا فليس بصواب ، لأن الأحاديث إذا صحت وأمكن الجمع بينها تعين ، وقد جمعنا بينها ولله الحمد] [1] ا . هـ .كلام النووى .

● وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح «اختلف السلف فى مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس » ثم ساق حديث عائشة وقال : « وقد ذهب إليه بعض أهل العلم وجعلوا الأمر فى قوله «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا** » مختصا بمن أوتر آخر الليل ، وأجاب من لم يقل بذلك بأن الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر ، وحمله النووى على أنه ﷺ فعله لبيان جواز النفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا » [2] ا . هـ .

قال الإمام الحافظ ابن القيم :

[وقد ثبت عنه ﷺ أنه كان يُصلى بعد الوتر ركعتين جالسًا تارة ، وتارة

(١) شرح مسلم ٣٩٢/٢ .

(٢) فتح البارى - كتاب الوتر شرح أحاديث باب «ما جاء فى الوتر » .

يقرأ فيهما جالسًا فإذا أراد أن يركع قام فركع] ثم ساق حديث عائشة وقال : وفى المسند عن أم سلمة « أن النبى ﷺ كان يصلى بعد الوتر ركعتين خفيفتين وهو جالس »[1] ثم قال رحمه الله بعد ذكره الأحاديث : [وقد أشكل هذا على كثير من الناس فظنوه معارضا لقوله ﷺ « **اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترًا** » وأنكر مالك رحمه الله هاتين الركعتين ، وقال أحمد : لاأفعله ولا أمنع من فعله ، قال : وأنكره مالك ، وقالت طائفة : إنما فعل هاتين الركعتين ليبين جواز الصلاة بعد الوتر ، وأن فعله لا يقطع التنفل ، وحملوا قوله « اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا » على الاستحباب، وصلاة الركعتين بعده على الجواز والصواب أن يقال : إن هاتين الركعتين تجريان مجرى السنة وتكميل الوتر ، فإن الوتر عبادة مستقلة ، ولا سيما إن قيل بوجوبه ، فتجرى الركعتان بعده مجرى سنة المغرب من المغرب فإنه وتر النهار ، والركعتان بعدها تكميل لها ، فكذلك الركعتان بعد وتر الليل والله أعلم][2] ا . هـ . كلام ابن القيم وستأتى زيادة بيان فى« فقه القيام»

قضاؤه ﷺ للتهجد إن نام عنه أو مرض :

عن عائشة أن رسول الله ﷺ : «كان إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة »[3] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته ، وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة ، قالت : وما رأيت رسول الله ﷺ قام ليلة حتى الصباح ، وما صام شهرا متتابعا إلا رمضان »[4] .

---

(١) رواه أحمد فى المسند ٦/٢٩٨ - ٢٩٩ ورجاله ثقات قاله الأرناؤوط فى التعليق على شرح السنة

(٢) زاد المعاد طبع مؤسسة الرسالة ج ١ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) رواه مسلم واللفظ له والترمذى فى الصلاة من الجامع وفى الشمائل والنسائى .

(٤) رواه مسلم واللفظ له ، وكذا رواه أبو داود .

• ومن حديث لها عند مسلم «كان نبى الله ﷺ إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها ، وكان إذا غلبه نوم أو وجع عن قيام الليل صلّى من النهار ثنتى عشرة ركعة ...» الحديث

• ولها عند الترمذى : «كان النبى ﷺ إذا لم يصلّ من الليل منعه من ذلك النوم ، أو غلبته عيناه صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة »[1] .

قال صاحب تحفة الأحوذى : «أى فيما بين صلاة الفجر والظهر ، وفيه دليل على استحباب المحافظة على الصلاة ، وحث على ذلك أمته ، وبيّن الوقت الذى يقضى فيه صلاة التهجد» ا .هـ .

متى يقضى من نام عن حزبه من الليل ؟

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :

« من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كُتب له كأنما قرأه من الليل »[2] .

« وفيه استحباب المحافظة على الأوراد وأنها إذا فاتت تقضى » كما قال النووى » .

قال صاحب عون المعبود : [« والحديث يدل على مشروعية اتخاذ ورد فى الليل وعلى مشروعية قضائه ، إذا فات لنوم أو عذر من الأعذار ، وأن من فعله فيما بين صلاة الفجر إلى صلاة الظهر كان كمن فعله فى الليل ، وفيه استحباب قضاء التهجد إذا فاته من الليل ، ولم يستحب أصحاب الشافعى قضائه ، إنما استحبوا قضاء السنن الرواتب » قاله الشوكانى .

---

(١) الترمذى فى الجامع - كتاب الصلاة باب. منه وقال حديث حسن صحيح .

(٢) حديث رقم (٢) رواه مسلم فى صحيحه كتاب صلاة المسافرين باب « من نام عن صلاة الليل أو مرض » واللفظ له ، ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجة والترمذى وابن خزيمة .

(كتب له) : قال القرطبي : هذا الفضل من الله تعالى ، وهذه الفضيلة إنما تحصل لمن غلبه نوم أو عذر منعه من القيام مع أن نيته القيام]ا.هـ. كلام صاحب عون المعبود .

● أمّا ما جاء فيمن كانت له صلاة بالليل وغلبه عليها النوم ، وأنها تكتب له أجر صلاته فلا تعارض بينها وبين القضاء فكما قال صاحب عون المعبود : « ما جاء من القضاء فللمحافظة على العادة ، ولمضاعفة الأجر والله أعلم » . قال السيوطي : « من نام عن حزبه » أي من نام في الليل عن ورده ، والحمل على الليل بقرينة النوم ويشهد له آخر الحديث .

وهو قوله « ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر » ثم الظاهر أنه تحريض على المبادرة ، ويحتمل أن فضل الأداء مع المضاعفة مشروط بخصوص الوقت ، وفي الحديث دليل على أن النوافل تقضى » . وقال السيوطي رحمه الله « الحزب : هو الجزء من القرآن يصلى به »[1] ا. هـ.

اجتهاده في القيام :

عن المغيرة بن شعبة «أن النبي ﷺ صلّى حتى انتخت قدماه : فقيل له : أتكلّفُ هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** »[2] .

---

(١) حاشية السيوطي على النسائي ج ٣ ص ٢٥٩ .

(٢) حديث (٢) : رواه البخاري ومسلم واللفظ له والترمذي والنسائي . رواه مسلم في كتاب المنافقين باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة والبخاري في التهجد باب « قيام النبي ﷺ الليل » .

وعند مسلم بلفظ آخر « قام النبي ﷺ حتى ورمت قدماه ، قالوا : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » .

وعند البخارى « إنْ كان النبي ﷺ ليقوم أو ليصلى - حتى تَرِمَ قدماه - أو ساقاه - فيقول « **أفلا أكون عبدًا شكورًا** » .

عن عائشة قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تَفَطَّرَ رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله : أتصنع هذا وقد غُفِر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : يا عائشة : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » [(1)] .

وعند البخارى « أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت عائشة : - لم تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال : «أفلا أحب أن أكون عبداً شكورًا » ، فلما كثر لحمه صلّى جالسًا ، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع » .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلى حتى تزّلع يعنى تشقق قدماه » [(2)] .

« تفطر » بتاء واحدة وفى رواية « تتفطر » والفطور : الشقوق كذا ذكره أبو عبيدة فى المجاز .

قال النووى : تفطرت : تشققت ، قالوا : ومنه فطر الصائم وأفطره لأنه خرق صومه وشقه .

« حتى تَرِمَ » بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الميم بلفظ المضارع من الورم هكذا سمع وهو نادر .

« حتى تزلع » .

قال الحافظ فى الفتح [«لااختلاف بين هذه الروايات فإنه إذا حصل

---

(1) رواه البخارى ومسلم واللفظ له من كتاب صفات المنافقين باب إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة ، والبخارى باب تفسير سورة الفتح باب « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » .

(2) إسناده صحيح : رواه النسائى فى قيام الليل باب الاختلاف على عائشة فى إحياء الليل .

الانتفاخ أو الورم حصل الزلع والتشقق والله أعلم ».

«كثر لحمه » وفى أخرى « بدن ».

بدّن : بدَن بالتخفيف : إذا سمن ، وبالتشديد : إذا كبر.

«أفلا أكون عبدًا شكورًا» قال الحافظ : «الفاء للسببية ، وهى عن محذوف تقديره أأترك تهجدى فلا أكون عبداً شكوراً ، والمعنى : أى المغفرة سبب لكون التهجد شكراً فكيف أتركه؟ » .

قال ابن بطّال : « وفى هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة فى العبادة وإن أضر ذلك ببدنه لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له فكيف بمن لم يعلم بذلك فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار » ا . هـ.

ومحل ذلك ، إذا لم يفض إلى الملال لأن حال النبى ﷺ كانت أكمل الأحوال فكان لا يمل من عبادة ربه ، وإن أضرّ ذلك ببدنه ، بل صح أنه قال **« وجعلت قرة عينى فى الصلاة »** .

قال القرطبى : ظن من سأله عن سبب تحمله المشقة فى العبادة أنه إنما يعبد الله خوفاً من الذنوب وطلباً للمغفرة فمن تحقق أنه غفر له لا يحتاج إلى ذلك ، فأفادهم أن هناك طريقاً آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة وإيصال النعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئًا فيتعين كثرة الشكر على ذلك ، والشكر الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة ، فمن كثر ذلك منه سمى شكورًا ، ومِنْ ثَمّ قال سبحانه وتعالى :

﴿ اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادى الشكور﴾ .

قال العلماء : إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها ، فبذلوا مجهودهم فى عبادته ليؤدوا بعض شكره ، مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد والله أعلم.

(**فائدة**) : قال الحافظ فى الفتح : « قيل : أخرج البخارى هذا الحديث لينبه على أن قيام جميع الليل غير مكروه ولا تعارضه الأحاديث الآتية بخلافه ، لأنه يجمع بينهما بأنه ﷺ لم يكن يداوم على قيام جميع الليل بل كان يقوم وينام

كما أخبر عن نفسه وأخبرت عنه عائشة أيضاً »][1] ا.هـ.

بأبى وأمى رسول الله ﷺ من كان له القدح المُعلّى فى العبادة حتى تقول إحدى أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن « وأيكم يطيق ما كان يطيق » وأخرى تقول « ما لكم وصلاته ﷺ » .

حُسن صلاته وقيامه :

مرّ بك فى حديث عائشة المخرج فى الصحيح : « ما كان رسول الله ﷺ يزيد فى رمضان ولا فى غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى ثلاثاً ... » الحديث .

قال النووى : « هن فى نهاية من كمال الحسن والطول مستغنيات بظهور حسنهن وطولهن عن السؤال عنه والوصف..

تطيبه ﷺ للقيام :

« عن أنس قال « كان للنبى ﷺ إناء يعرض عليه سواكه ، فإذا قام من الليل خلا واستنجى واستاك وتوضأ ثم تطلب الطيب فى رباع نسائه »[2] .

---

(١) فتح البارى شرح باب قيام النبى ﷺ .

(٢) ذكره بسنده فى مختصر قيام الليل ص ٤٨ .

نصحه لأهله وحثهم على القيام :

ولقد مرّت أحاديث توضح حرص رسول الله ﷺ ، وكيف يمر على ابنته وابن عمه فى وقت جعله الله سكناً ضاناً بهم أن يركنا إلى الدعة والسكون قائلاً لها : ألا تصليان ؟ وقوله حاثا لنسائه « **من يوقظ صواحب الحجرات** » يعنى أمهات المؤمنين ، وسيمر بك إيقاظ أهله للوتر فصاروا بحثه ﷺ إياهم على قيام الليل إذا ذكر أصحاب الليل كانوا أئمتهم .

دعاؤه وحبه ﷺ لمن يُعين على قيام الليل :

عن ربيعة بن كعب الأسلمى قال : كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لى سل : فقلت أسألك مرافقتك فى الجنة . قال : أوغير ذلك ؟ قلت : هو ذاك . قال : « **فأعنى على نفسك بكثرة السجود** »(١) .

فانظر إلى ذلك الصحابى وكيف نال من الشرف ما نال من إعانته لرسول الله ﷺ على القيام حتى يقول له الرسول ﷺ لما رأى منه ذلك يقول له : « سل »

عن ابن عباس « أن رسول الله ﷺ كان فى بيت ميمونة فَوَضَعْتُ له وضوءا من الليل . قال : فقالت ميمونة : يا رسول الله وضع لك هذا عبد الله بن عباس فقال « **اللهم فقهه فى الدين وعلّمه التأويل** »(٢) ولقد نال ابن عباس ما نال بسبب دعاء رسول الله ﷺ لمّا أعانه على القيام وأعدّ له وضوءه .

عن زيد بن خالد قال قال رسول الله ﷺ « **لا تسبّوا الديك فإنه يوقظ**

---

(١) رواه مسلم واللفظ له كتاب الصلاة باب « فضل السجود والحث عليه » .

(٢) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وصححه الشيخ أحمد شاكر رقم (٣٠٣٣) .

للصلاة »[1] ولقد مرّ بك فى الأحاديث أنه ﷺ «كان إذا سمع الصارخ قام فصلّى قال المناوى : (فإنه يوقظ للصلاة) : أى لقيام الليل بصياحه فيه ، ومن أعان على طاعة يستحق المدح لا الذم ، وفى رواية للطيالسى « **لاتسبوا الديك فإنه يدل على مواقيت الصلاة** »

قال الحليمى : وفيه دليل على أن كل من استفيد منه خير لا ينبغى أن يسب ولا يستهان به ، بل حقه الإكرام والشكر ويتلقى الإحسان . وليس فى معنى دعاء الديك إلى الصلاة أنه يقول بصراحة « صلوا » أو حانت الصلاة ، بل معناه أن العادة جرت بأنه يصرخ صرخات متتابعة عند طلوع الفجر - وفى الثلث الأخير وقت قيامه ﷺ - وعند الزوال فطرة فطره الله عليها ، فيذكر الناس بصراخه للصلاة »[2].

فطوبى لك يا من أعنت على قيام الليل أهلك وستعلم قدرك بوصول هدية المليك «كتبًا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات » .

اللهمَّ مَنْ دل غيره على قيام الليل فارزقه شهادة فى سبيلك ، واجعله من العلماء الربانيين واسكنه الفردوس ، واغفر له خطاياه ، فهو أحوج من كل الأنام إلى رحمتك يا أكرم الأكرمين .

---

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود - فى الأدب باب « فى الديك والبهائم » ، وأخرجه النسائى مسندًا ومرسلاً كما قال المنذرى .
وصحح إسناد الحديث النووى فى « الأذكار » و « الرياض » ، وقال غيره : رجاله ثقات .
وصححه المناوى وحسّنه السيوطى وقال المناوى متعقبًا له « فرمز المؤلف لحسنه فقط تقصير أوقصور » ، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ، رقم (٧١٩١) وانظر تخريج المشكاة (٤١٣٦) .
(٢) فيض القدير .

تذكيره بالآخرة فى الليل ليسهل القيام :

انظر إليه ﷺ وهو يقول : « **ما أنزل الليلة من الخزائن ... ياربَّ كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة ...** » .

عن قبيصة : « كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال : « **ياأيها الناس اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إنّ سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه** » [1] .

قيامه عند الشدائد :

انظر إلى الخبير ﷺ العالم بمجامع الطرق وكيف يأخذ بها فى قرع أبواب مَنْ لا تضيق عنده المنادح .

انظر إليه ﷺ « يوم بدر » :

عن على رضى الله عنه قال : « ماكان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلاّ نائم ، إلاّ رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلى ويبكى حتى أصبح » .

وفى رواية : « فإنه كان يصلى إلى شجرة ويدعو حتى أصبح » [2] .

---

(١) الحديث رقم (١) : إسناده حسن : رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، وروى نحوه أبو نعيم فى « الحلية » ، وأحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك وقال « صحيح الإسناد » ووافقه الذهبى ومحمد بن نصر فى قيام الليل وحسّنه الألبانى فى الصحيحة رقم (٩٥٤) .

(٢) حديث رقم (٢) : إسناده صحيح . رواه أحمد فى « المسند » وابن خزيمة فى صحيحه والنسائى ، وصححه ابن خزيمة وأورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره وعزاه لأبى يعلى عن زهير عن عبد الرحمن بن مهدى ، وغفل عن غزوه للإمام أحمد ، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر فى المسند رقم « ١٠٢٣ » ، (١١٦١) . وقال الساعاتى : سنده صحيح : انظر الفتح الربانى (٣٦/١) ، وحارثة بن مضرب ثقة كما قال الهيثمى فى المجمع (٧٦/٦) وصححه الألبانى فى « صحيح الترغيب والترهيب » حديث رقم « ٥٤٦ » .

أنظر إلى حبه وتعطشه للقيام والدعاء « لما نزل طش من المطر فانطلق الصحابة تحت الشجر والحجف وهى الترس يستظلون تحتها من المطر وبات رسول الله ﷺ « يدعو ربه » .

قال الحافظ ابن كثير فى « يدعو ربه » : يعنى قائماً يصلى .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله فى « البداية والنهاية » : « بات رسول الله ﷺ يصلى إلى جذع شجرة هناك ، ويكثر فى سجوده أن يقول : « **يا حى يا قيوم** » يكرر ذلك ويلظّ عليه السلام بقيام الليل والبكاء حتى الصباح والدعاء والاستغاثة بطلب النصر « **اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد** [1] » يصلى هو وأبو بكر ويقول فى صلاته « **اللهم لا تودع منى ، اللهم لا تخذلنى ، اللهم لا تترنى ، اللهم أنشدك ما وعدتنى** » [2] . « **اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها وفخرها تجادل وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى** » .

يقول ابن مسعود « ما سمعنا مناشداً ينشد ضالة أشد مناشدة من محمد لربه يوم بدر : اللهم إنى أنشدك ما وعدتنى » [3] يدعو حتى يسقط رداءه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه فقال : « يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل ﴿ **إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم** ... ﴾ الآية فأمده الله بالملائكة » ا . هـ . .

هذا هو الزاد عند الشدائد ﴿ **وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** ﴾ يعطيه القدوة ﷺ لمن بعده ... يأخذ بمجامع الطرق .. ويُدِمْ قَرع أبواب السماء ... يستغيث بربه

---

(١) جزء من حديث البخارى ٣٩٥٣

(٢) جزء من حديث فى « مسلم » .

(٣) حديث رقم (٣) : إسناده حسن : رواه الطبرانى وقال الحافظ ابن حجر فى « فتح البارى » شرح حديث ٣٩٥٣ ج ٧ : إسناده حسن .

يطلب منه العون والمدد .. فَمَنْ كان الله معه ، فمِمَّنْ يخاف ومَنْ يخشى .. ! !
يقوم رسول الله ﷺ الليل باكيًا داعيًا .. وترك هذا الميراث للقادة التى سجلوا بأحرف من نور أروع الانتصارات فى التاريخ الإسلامى .. صلاح الدين الأيوبى وأستاذه نور الدين محمود زنكى ومحمد الفاتح .. وضيّع قوم الميراث فأضاعوا البلاد :

حكّامنا ضيعونا حينما فسقوا باعوا المآذن والقرآن والدينا
أى الحكايا ستُرْوَى عارُنا جلل نحن الهوان وذل القدس يكفينا

قيامه الليل فى غزوة الأحزاب :ـ

قال تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا . ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله . وصدق الله ورسوله ، ومازادهم إلا إيمانا وتسليما » [الأحزاب : ٢١ ، ٢٢] صورة وضيئة فى وسط الظلام ، مطمئنة فى وسط الزلزال ، واثقة بالله ، مستيقنة من نصر الله .. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على الرغم من الهول المرعب والضيق المجهد ، مثابة الأمان للمسلمين .

لنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو فى أرواحهم ، وأى ينبوع يتفجر فى كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز وهم يرون الرسول يضرب بالفأس ويجرف بالمسحاة ويحمل فى المكتل ، ومع هذا كانت روحه صلى الله عليه وسلم تستشرف النصر من بعيد ، وتراه رأى العين فى ومضات الصخور على ضرب المعاول ... فإذا جاء الليل وظلمته الشديدة مع ماهم فيه من الجوع الشديد والبرد القارس .. جاء بالهول الذى يزلزلهم ويكرب أنفاسهم .. لقد كان الهول الذى واجهه المسلمون من الضخامة ، وكان الكرب الذى واجهوه من الشدة ، وكان الفزع الذى لقوه من العنف بحيث زلزلهم زلزالا شديدا ، كما قال عنهم أصدق القائلين « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » ومما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة والرسول صلى الله عليه وسلم يحس

حالة أصحابه ويرى نفوسهم من داخلها ـ :ـ روى الإمام مسلم فى صحيحه عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال : كنا عند حذيفة فقال رجل لو أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وأبليت فقال حذيفة : أنت كنت تفعل ذلك لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقرّ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا رجل يأتينى بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، ثم قال : ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معى يوم القيامة ؟ فسكتنا فلم يجبه منا أحد ، فقال قم ياحذيفة فأتنا بخبر القوم فلم أجد بدا إذ دعانى باسمى أن أقوم ، قال : اذهب فأتنى بخبر القوم ولا تذعرهم علىّ ، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشى فى حمّام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلى ظهره بالنار فوضعت سهما فى كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاتذعرهم علىّ ، ولو رميته لأصبته فرجعت وأنا أمشى فى مثل الحمّام فلما أتيته فأخبرته بخبر القوم وفرغت قُرِرْت فألبسنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلى فيها فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال : قم يانومان .

وفى مسند أحمد : عن محمد بن كعب القرظى قال : قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه ؟ قال نعم يا ابن أخى ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال والله لقد كنا نجهد ، قال والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ولجعلناه على أعناقنا ، قال فقال حذيفة يا ابن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل هويا ثم التفت إلينا فقال : مَن رجل يقوم فينظر لنا مافعل القوم يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يرجع أدخله الله الجنة ، فما قام رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويامن الليل ثم التفت إلينا فقال مَنْ رجل يقوم فينظر

لنا مافعل القوم ثم يرجع يشترط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة ، فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال : « ياحذيفة ، اذهب فادخل في القوم فانظر مايفعلون ، ولاتحدثن شيئا حتى تأتينا » . قال : فذهبت فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله عز وجل تفعل بهم ماتفعل ، لاتقر لهم قدرا ولانارا ولابناء ، فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش لينظر امرؤ منْ جليسه ، قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى إلى جنبي، فقلت من أنت ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكُرَاعُ[1] والخف[2] . وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح الذى ترون . والله ماتطمئن لنا قدر ، ولاتقوم لنا نار ، ولايستمسك لنا بناء فارتحلوا إنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم . ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ « أن لاتحدث شيئا حتى تأتيني » ثم شئت لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط[3] لبعض نسائه مُرَحّل ، فلمّا رآني أدخلني بين رجليه ، وطرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد وإني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم » .

(١) الكراع : اسم لجميع الخيل .
(٢) الخف : الإبل .
(٣) المرط : بكسر فسكون : كساء من صوف

إلى جانب الزلزلة وزوغان الأبصار وكرب الأنفاس الصلة التى لا تنقطع بالله ، والإدراك الذى لايضل عن سنن الله ، والثقة التى لا تتزعزع بثبات هذه السنن .. وكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهجده مع شدة الجوع والبرد والظلمة والريح ..

وصورة وضيئة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا هو فى تهجده وصلاته واتصاله بربه ، لايترك حذيفة يرتعش حتى ينتهى من صلاته بل يأخذه ـ صلوات الله وسلامه عليه بين رجليه ، ويلقى عليه طرف الثوب ليدفئه فى حنو ، ويمضى فى صلاته .

وصورة مشرقة أخرى : العتاب والمداعبة الرقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لحذيفة بعد ماعاد من استطلاعه ومهمته وقد بلغ به الجهد مبلغه فنام حتى أصبح فيقول له صاحب الهمة العلية صلى الله عليه وسلم : قم يانومان .... يعاتبه على عدم القيام والتهجد حتى وإن بلغ به الجهد مبلغه ... بأبى أنت وأمى يارسول الله .

قيامه الليل فى غزوة تبوك :

أما فى غزوة تبوك فقد وردت الفوائد فى ظلام ليلها :

« عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ وعلى آله وسلم عام غزوة تبوك قام من الليل يصلى فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى وانصرف إليهم فقال لهم : « لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطيهن أحد قبلى أما أنا فأرسلت إلى الناس عامة ..، وكان من قبلى إنما يرسل إلى قومه ، ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بينى وبينه مسيرة شهر لملئ منه رعبا ، وأحلت لى الغنائم كلها ، وكان من قبلى يعظمون أكلها كانوا يحرقونها ، وجعلت لى الأرض مساجد وطهورا أينما أدركتنى الصلاة تمسحت وصليت ، وكان من قبلى يعظمون ذلك إنما كانوا يصلون فى كنائسهم

وبيعهم ، والخامسة هى ماهى ، قيل لى : سل فإن كان نبى قد سأل فادخرت مسألتى إلى يوم القيامة فهى لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله »[1] .

فكانت أعظم هداياه تزف لأمته أثر صلاته الليل فى غزوة تبوك الشفاعة وهى ماهى .

---

(١) رواه أحمد وقال البيهقى : رجاله ثقات ، وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب جـ ٤٣٣/٤ رواه أحمد بإسناد صحيح ، وقال ابن كثير فى التفسير ٢٥٥/٢ : إسناد جيد قوى ولم يخرجوه وقال مقبل بن هادى الوادعى : هذا الحديث بهذا السند صحيح لغيره ، فإن عمرو بن شعيب إذا صح السند إليه فحسن كما أفاده الحافظ الذهبى فى الميزان .

انظر كتاب « الشفاعة » لمقبل الوادعى ص ٧٩ ، ٨٠ طبع دار الأرقم بالكويت .

قال تعالى : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾[1] .

ويخشع القلم حين يذكر قيام رسول الله ﷺ بالأنبياء ويعجز العقل عن كنه ذلك ، ويقر القلب ، ويأتى سالماً مصدقاً ، ويا لجلال الموقف وطهر اللقاء حين تتكلم عن قيام الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ليلة الإسراء والمعراج بالمسجد الأقصى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكُرِبت كربة ما كُرِبْتُ مثله قط ، قال : فرفعه الله لى ، وأنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلى أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفى ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه فحانت الصلاة فأممتهم فلمّا فرغت من الصلاة قال قائل : يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه فالتفت إليه فبدأنى بالسلام** »[2] **فإن قيل كيف يصلون وهم أموات وهم فى الدار الآخرة وليست دار عمل ؟.**

قال الإمام النووى « قال القاضى عياض : إنهم كالشهداء بل هم أفضل منهم ، والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا فهم فى هذه الدنيا التى هى دار العمل حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التى هى دار الجزاء انقطع العمل »[3] ا . هـ .

---

(١) الإسراء الآية رقم ١ .

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان باب ذكر المسيح بن مريم عليه السلام والمسيح الدجال ج ١ ص ٤١٣ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٤٠٤ باب الإسراء وفرض الصلوات .

قيام الليل عند الأنبياء
صلوات الله وسلامه عليهم

قيام موسى عليه الصلاة والسلام :

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« **مررتُ ليلة أسرى بى على موسى قائماً يصلى فى قبره** »[1] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « وأما كونه رأى موسى قائماً يصلى فى قبره ، ورآه فى السماء أيضًا فهذا لا منافاة بينهما فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة . فى اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك ، ليست فى ذلك كالبدن .

وهذه الصلاة ونحوهما مما يتمتع بها الميت ، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح ، فإنهم يلهمون التسبيح كما يلهم الناس فى الدنيا النفس ، فهذا ليس من عمل التكليف الذى يطلب له ثواب منفصل ، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذى تتنعم به الأنفس وتتلذذ به .

وقول النبى ﷺ « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له** » يريد به العمل الذى يكون له ثواب ، لم يرد به نفسه العمل الذى يتنعم به ، فإن أهل الجنة يتنعمون بالنظر إلى الله ، ويتنعمون بذكره وتسبيحه ، ويتنعمون بقراءة القرآن ، ويقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها .

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته ، وإن كانت هذه الأمور فى الدنيا أعمالا يترتب عليها الثواب فهى فى الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه ، وهذه كلها أعمال أيضًا ، والأكل والشرب والنكاح فى الدنيا مما يؤمر به ويثاب عليه مع النية الصالحة ، وهو فى الآخرة نفس الثواب الذى يتنعم به والله أعلم »[2] ا . هـ. كلام شيخ الإسلام رحمه الله بأبى وأمى نبى الله

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائى .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ص ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

موسى عليه السلام لسان حاله يقول لمولاه :

فما منكم بُدٌّ ولا عنكمُ غِنَى ... وَمَا لِيَ من صبر فأسلوَ عنكمُ

ويرحم الله ابن القيم رحمه الله حين يقول عن المحب لله عز وجل :

وتفنى عظام الصب بعد مماته ... وأشواقه وقف عليه مُحَرَّمُ

فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم أحياء فى قبورهم ؟ !

قيام عيسى عليه السلام :

كان عليه السلام يقول : « إن هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما » ويقول « اعملوا الليل لما خلق ، واعملوا النهار لما خلق له .

روى عن ابن عباس أنه قال لرجل سأله عن الصيام :

« وإن شئت أنبأتك بصوم ابن العذراء البتول عيسى بن مريم فإنه كان يصوم الدهر ويأكل الشعير ويلبس الشعر يأكل ما وجد ، ولا يسأل عما فقد ليس له ولد يموت ، ولا بيت يخرب ، وكان أينما أدركه الليل صفن بين قدميه وقام يصلى حتى يصبح »[1] .

قيام نبى الله داود عليه السلام :

صوتُ الأوّابِ مزاميرٌ ... فلتصغ جبال البلدان

قال رسول الله ﷺ : «**كان داود أعبد البشر**»[2] .

وقال ﷺ : « **أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله**

---

(١) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦ .

(٢) صحيح : رواه مسلم عن ابن عمروالترمذى والحاكم فى المستدرك والبخارى فى « التاريخ » عن أبى الدرداء ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٤٣٢٩) .

صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ويصوم يومًا ويفطر يوما » [1] .

● عن الجريرى قال : بلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام سأل جبريل فقال : يا جبريل : أى الليل أفضل ، قال : ياداود ما أدرى إلاّ أن العَرش يهتز من السحر » [2] .

قال الحسن : لما أصاب داود الخطيئة خرّ ساجدًا أربعين ليلة فقيل له : ياداود ارفع رأسك فقد عفوت عنك . وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : خرّ داود أربعين ليلة ساجدًا يبكى فرفع رأسه وما فى جبينه لُحادة من لحم » [3] :

قال تعالى : ﴿ **اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادى الشكور** ﴾ .

قال الحافظ ابن كثير : « كان لا يمضى ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلاّ وأهل بيته فى عبادة ليلاً ونهارًا ، وكان داود عليه السلام هو المقتدى به فى ذلك الوقت فى العدل وكثرة العبادة وأنواع القربات .

قال تعالى : ﴿ **واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أوّاب** ﴾ [4]

قال ابن عباس ومجاهد : الأيد : القوة فى الطاعة يعنى ذا قوة فى العبادة .

وروى عن ابن عباس عن قيام داود عليه السلام :

« وكانت له ركعة من الليل يبكى فيها نفسه ، ويبكى ببكائه كل شىء ، ويصرف بصوته الهموم والأحزان » [5] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه وأحمد .
(٢) رواه أحمد بن حنبل فى الزهد ص ٧٠ .
(٣) الزهد والرقائق ص ١٦٢ ، والزهد لابن حنبل ص ٧١ .
(٤) سورة ص الآية رقم ١٧ .
(٥) البداية والنهاية ج ٢ ص ١٦ .

قيام سليمان بن داود عليه السلام :

قال قتادة قال سليمان بن داود عليه السلام : « عجبًا لتاجر كيف يخلص يحلف بالنهار وينام بالليل »[1] .

ورُوى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **قالت أم سليمان بن داود لسليمان : يا بُنَىَّ لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرًا يوم القيامة** »[2] .

من قيام داود وآله :

عن وهيب بن الورد أن داود عليه السلام كان قد جعل الله كله نُوَبًا عليه وعلى أهل بيته، لا تمر ساعة من الليل إلا وفى بيته مصل لله وذاكر ،فلما كان نوبة داود قام يصلى وبين يديه غدير ، وكأنه أعجب بما هو فيه وأهل بيته مما فضلوا به من العبادة فأنطق الله ضفدعاً من الماء فنادته « يا داود كأنك أعجبت بما أنت فيه وأهل بيتك من عبادة ربك ، فوالذى أكرمك بالنبوة إنى لقائمة لله منذ خلقنى على رجل ما استراحت أوداجى من تسبيحه إلى هذه الساعة فما الذى يعجبك من نفسك وأهل بيتك ، قال : فتصاغرت إلى داود نفسه . وعن ابن عباس فنادته ضفدع : يا داود كنت أدأب منك لقد أغفيت إغفاءة ، وفى رواية : لا تعجب بنفسك فقد رأيتك البارحة حين خفقت برأسك .

● عن ثابت البنانى بلغنا أن داود عليه السلام جزّى أهل بيته الصلاة فلم تكن تأتى ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى . وعن مجاهد « لما

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ٤٠ .

(٢) رواه ابن ماجة والبيهقى وقال الهيثمى : وفى إسناده احتمال للتحسين ، وقال ابن حجر فيه الفضل ابن عيسى الرقاشى وقد أجمعوا على ضعفه انظر مجمع الزوائد ج ٢ ص ٨٠ .

أنزلت ﴿ **اعملوا آل داود** ﴾ قال داود لسليمان : إن الله قد ذكر الشكر فاكفنى قيام النهار وأكفيك قيام الليل قال لا أستطيع قال : فاكفنى إلى صلاة الظهر فكفاه . وعن ابن شبرمة : لما أنزلت ﴿ **اعملوا آل داود شكرًا** ﴾ اعتقبوا الليل فكنت لا ترى منهم إلا مصلياً .

قيام يحيى بن زكريا السيد الحصور المبارك عليهما السلام :

الخائف الوجل الذى أثنى ربه عليه فقال :

﴿ **يا يحيى خذ الكتاب بقوة ، وآتيناه الحكم صبيًا ، وحنانًا من لدنا وزكاة وكان تقيًا . وبرًا بوالديه ولم يكن جباراً عصيًا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا** ﴾[1] .

عن مجاهد قال : «كان طعام يحيى بن زكريا عليهما السلام العشب وإن كان ليبكى من خشية الله ما لو كان القار على عينيه لخرقته دموعه ، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى فى وجهه[2] .

● عن يحيى بن جابر عن يزيد بن ميسرة قال : كان طعام يحيى الجراد وقلوب الشجر وكان يقول : مَنْ أنعم منك يا يحيى وطعامك الجراد وقلوب الشجر[2] .

● عن وهيب بن الورد قال : بلغنا أن إبليس تبدى ليحيى بن زكريا فقال له : إنى أريد أن أنصحك قال : كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرنى عن بنى آدم قال هم عندنا على ثلاثة أصناف : أما صنف منهم فهم أشد الأصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شىء أدركنا منه ثم نعود له فيعود فلا نحنُ نيأسُ منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا . وأما الصنف الآخر فهم فى أيدينا بمنزلة الأكرة[3] فى أيدى صبيانكم

---

(١) مريم الآيات ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ .

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ١٦٥ ، ٤٧ وانظر الزهد لابن حنبل ص ٩٠ .

(٣) جمع كرة

نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء فقال له يحيى على ذلك هل قدرت منى على شيء ؟ قال : لا إلا مرة واحدة فإنك قدّمت طعامًا تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت منه أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة فلم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها فقال له يحيى : لا جرم لا شبعتُ من طعام أبداً حتى أموت . فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحت آدمياً بعدك[1] .

ليلة واحدة تنامها أيها المبارك أيها السيد الحصور فتقسم ألا تشبع من طعام أبداً حتى لا تفوتك صلاتك بالليل ، أما نحن فسل عنا الجشأ وسل عنا الوسادة .

قيام إدريس عليه السلام :

عن القاسم بن عوف الشيبانى قال : بينا أنا عند خالد بن عرعرة وأبى عُجَيل وزارهما الربيع بن خيثم فقال أحدهما لصاحبه حدّث أبا يزيد ما سمعت من كعب فقال بينا نحن عند كعب إذ أتاه رجل بين بردى حبرة فإذا هو ابن عباس فقال ابن عباس لكعب إنى سائلك عن أشياء أجدها فى كتاب الله فسأله عن إدريس ورفع مكانه فقال إن إدريس كان رجلاً خياطاً وكان يكسب فيجرى كسبه فيتصدق بثلثه وكان لا ينام الليل ولا يفطر النهار ولا يفتر عن ذكر الله فأتاه جبريل فبشره وقال هل لك من حاجة ؟ قال : وددت أنى أعلم متى أجلى قال : ما أعلم ذلك فصعد به إلى السماء فإذا ملك الموت فسأله متى أجله فنظر ملك الموت فى الكتاب فوجده لم تبق من أجله إلا ست ساعات أو سبع

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٤ .

وقال أمرت أن أقبض روحه ههنا فقبض روحه فى السماء فذلك رفع مكانه »[1] .

قيام ذى النون عليه السلام :

قال تعالى : ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين** ﴾ . نبى الله يونس عليه السلام صاحب الحوت يناجى فى الظلمات : ظلمة الليل وظلمة بطن الحوت ويسبح ، لسان حاله يقول « قد اتخذت لك مسجداً ـ وهو بطن الحوت ـ ما اتخذه أحد قبله يسافر الليل مع الحوت داعياً مسبحاً مناجياً متهجداً .

لله أنتم معاشر الأنبياء .

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٤ .

ملحوظة : قد نسبنا الكلام إلى مصدره وبذلك برئت منا الذمة والعهدة على مصدره . وقد قال رسولنا ﷺ « **حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج** » أى من طول الإسناد وأفضل هدى محمد ﷺ ونعرض ما جاءنا عنهم على كتاب الله وعلى سنة نبيه .

• أما كعب الأحبار فالجمهور على توثيقه ويكفى قول الحافظ ابن حجر فى الفتح [٢٨٥/١٣] : كان من أخيار الأحبار .

والأحرى بكعب رحمه الله لو أنه ميز فى مروياته بين الغث والسمين وما يجوز نقله ومالا يجوز » ؛ انظر الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ص ٣٧٢ ، ١٠٢ وما بعدها .

قيام الليل عند الصحابة
رضوان الله عليهم

القانتون المخبتون لربهم   الناطقون بأصدق الأقوال
يحيون ليلهم بطاعة ربهم   بتلاوة ، وتضرع ، وسؤالِ
وعيونهم تجرى بفيض دموعهم   مثل انهمال الوابل الهطّالِ
فى الليل رهبان ، وعند جهادهم   لعدوهم من أشجع الأبطال
وإذا بدا علمُ الرِّهان رأيتهم   يتسابقون بصالح الأعمالِ
بوجوههم أثر السجود لربهم   وبها أشعة نوره المتلالى
ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم   فى سورة الفتح المبين العالى
وبرابع السبع الطوال صفاتهم   قوم يحبهم ذوو إدلال
وبراءةٍ والحشرِ فيها وصفهم   وبهل أتى وبسورة الأنفال [1]

---

(١) ابن القيم- إغاثة اللهفان .

مهما سطر القلم وخطّ المداد ، ومهما أوتينا من لسن وفصاحة فلن نوفّيَ أصحاب رسول الله ﷺ حقهم وصدق الله تعالى إذ يقول ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان** ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ « **خير القرون قرني ثم الذين يلونهم** » .

وقال رسول الله ﷺ « **والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهبًا ما أنفق مُدَّ أحدهم ولا نصيفه** »[1] .

هُمْ عباد الله الذين اصطفى كما قال سفيان ، اختارهم الله على الثقلين سوى النبيين والمرسلين .

قال ابن مسعود « إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ﷺ »[2] .

كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا .

● صلّى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صلاة الفجر فلما سلّم انفتل[3] عن يمينه ثم مكث كأن عليه كآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قلّب يده فقال :

لقد رأيت أثرًا من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحدًا يشبههم ، والله إن كانوا ليصبحون شعثًا غبرًا صفرًا ، بين أعينهم أمثال رُكَب المعْزى ، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم ، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الريح في يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين .

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) التبصرة ج ١ ص ٤٧٧ .
(٣) انصرف .

نعم يا أبا الحسن . ليس أحدًا يشبههم .

وحدثتني يا سعد عنهم فزدتني جنونًا فزدني من حديثك يا سعدُ

بأبي وأمي أناس تشتاق إليهم الجنة لعبادتهم .. كم بيننا وبينهم .

قال رسول الله ﷺ :

« **اشتاقت الجنة إلى علي وعمّار وسلمان** » .

ونحن ما نشتاق إلى الجنة .

إلى العبّاد في الدنيا جنان الخلد تشتَاق
عبيد من خطاياهم إلى الرحمن أبّاقُ
عليهم حين تلقاهم سِكيناتٌ وإطراق
يضجون إلى الله ودمع العين مهراق
توهّمْهم وقد مالت بسُكر القوم أحداقُ
وقد قاموا فلا يَهْجعُ من قد ذاق ما ذاقوا[1]

كم في صحابة رسول الله ﷺ من أوّاه تالي ... بل كلهم أوّاه متهجد تالي .. كل فرد منهم نسيج وحده في التهجد والعبادة ... ما المجتهد فيمن بعدهم إلا كاللاعب .. لقد سبقوا على خَيل ضمر .. وأتعبوا من خلفهم .

انظر رحمك الله إلى الصدق يشع من كلام هند زوج أبي سفيان رضي الله عنها وقد أتت زوجها صبيحة فتح مكة ، ورأت تهجد الصحابة .. فقالت لزوجها : « إني أريد أن أبايع محمدا ﷺ قال أبو سفيان : قد رأيتك تكفرين . قالت : أي والله ! والله ما رأيت الله تعالى عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة ، والله إن باتوا إلا مصلين قياما وركوعا وسجودا »[2] .

هذا الموقف وهذا التهجد الطيب الصادق الذي شعّ صدقه ونوره ، ورفّ

---

(١) التبصرة ج ١ ص ٤٩٨

(٢) حياة الصحابة ص ٤٩٦ ، وانظر « البداية والنهاية » ، وعند ابن مندة في « بيعة النساء » .

نداه فى جنبات مكة حتى أثر فى جلمود صخرها .. أثر فى هند ومسّ شغاف قلبها ودفعها لتنضم لقافلة النور رضى الله عنها .

● وانظر إلى موقف آخر : « والخير ما شهدت به الأعداء » .

عن عروة رضي الله عنه قال : « لما تدانى العسكران [يوم اليرموك] بعث القبقلاء رجلاً عربيا ، فذكر الحديث وفيه : فقال : ما وراءك ؟ قال : بالليل رهبان وبالنهار فرسان »(1) .

● وموقف آخر :

« لما هزمت جنود هرقل أمام المسلمين ، قال لهم : فما بالكم تنهزمون ؟

فقال : شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار »(2).

انظر إلى عظيم الروم بعد خروجه من بيت المقدس إلى غير رجعة قال : « عليك السلام يا سورية سلامًا لا اجتماع بعده ، ويرحل إلى عاصمة ملكه ، وهناك يسأل رجلاً ممن اتبعه كان قد أسر مع السملمين ، فقال أخبرنى عن هؤلاء القوم :

قال : أخبرك كأنك تنظر إليهم ، هم فرسان بالنهار . رهبان بالليل ، لا يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن ، ولا يدخلون إلا بسلام . يقفون على من حاربوه حتى يأتوا عليه ، فقال : لئن صدقت ليملكن موضع قدمىّ هاتين »(3)

سلوا عظيم الروم يخبركم أن جبال الصدق ، ومعادن التقوى ، ورعاة النجوم أهل الليل من أصحاب محمد ﷺ ، قد صدقوا الله فصدقهم ، طوبى لهم . ولهم أحق الناس بكلام علىّ بن أبى طالب لنوف البكالى إذ خرج معه ذات ليلة فنظر إلى النجوم فقال له : « يانوف أراقد أنت أم رامق ؟ قال . قلت : بل رامق

---

(1) الطبرى ج (٢) ص ٦١ .

(2) ابن عساكر ج ١ ص ١٤٣ عن ابن إسحاق .

(3) البداية والنهاية ج ٧ ص ٥٩ .

يا أمير المؤمنين ، فقال : يا نوف : طوبى للزاهدين فى الدنيا والراغبين فى الآخرة . أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآن والدعاء دثارًا وشعارا »[1]... نعم ضحكت الآخرة لهم وبكت الدنيا عليهم وشغلوا بالتهجد والقرآن فرضوان الله عليهم أجمعين .

قيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

أنا مولاى إمام ضحكت — من ثنايا فضله آى الزُّمَرْ
صَدّق المرسل إيماناً به — ولحا فى الله من كان كفَرْ
ثم بالغار له منقبة — خصه الله بها دون البشرْ
« ثانى اثنين » ، وقول المصطفى — معنا الله . فلا تُبْدى الحذَرْ[2]

طار والله صديق الأمة رضى الله عنه بعنائها ، وفاز بحبائها ، وذهب بفضائلها ، وأدرك سوابقها كانت فضائله وعبادته مستورة بنقاب « ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ، ولكن بشىء وَقَرَ فى صدره » فهى مجانسة لمنقبته ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾

مَنْ لى بمثل سيرك المُدَلَّل — تمشى رويداً وتجى فى الأوَّلِ

«كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يحلف بالله أن الله عز وجل أنزل اسم أبى بكر من السماء « الصديق »[3]

عن أبى قتادة قال « إن النبى ﷺ خرج ليلة ، فإذا هو بأبى بكر الصديق

---

(١) حلية الأولياء ج ٦ ص ٥٣ .
(٢) التبصرة ج ١ ص ٣٩٧ .
(٣) التبصرة ج ١ ص ٣٩٨ .

يصلى يخفض من صوته ، قال : ومر بعمر وهو يصلى رافعًا صوته ، قال : فلما اجتمعا عند النبى ﷺ قال النبى ﷺ : « **يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلى تخفض صوتك** » ، **قال** : « قد أسمعتُ من ناجيتُ يا رسول الله » . **قال** : وقال لعمر « **مررت بك وأنت تصلى رافعًا صوتك** » قال : فقال : يا رسول الله أوقظ الوَسْنَان وأطرد الشيطان ، فقال النبى ﷺ : « **يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئًا** » وقال فلعمر « **اخفض من صوتك شيئا** »[1]

فكيف يدرك حال وعبادة صديق يقول « قد أسمعت من ناجيتُ ! ؟ » .

قيام الفاروق عمر رضى الله عنه :

قالت عائشة « إذا شئتم أن يطيب المجلس فعليكم بذكر عمر بن الخطاب » .

ساهر العين بالعزائم يقظا ن ، وقد قيّد العيون الرقادُ
قد كَفَتْهُ المناقبُ المدحَ إلاّ مَدْحُنا من صفاته يستفادُ

● قال الحسن : « تزوج عثمان بن أبى العاص امرأة من نساء عمر بن الخطاب ، فقال : والله ما نكحتها رغبة فى مال ولا ولد ، ولكنى أحببت أن تخبرنى عن ليل عمر فسألتها ، فقال : كيف كان صلاة عمر بالليل ؟ قالت : كان يصلى العشاء ثم يأمرنا أن نضع عند رأسه تورًا فيه ماء فيتعار من الليل فيضع يده فى الماء فيمسح وجهه ويديه ثم يذكر الله عز وجل حتى يغفى ، ثم يتعارّ حتى تأتى الساعة التى يقوم فيها »[2]

---

(١) إسناده صحيح : رواه أبو داود واللفظ له باب رفع الصوت بالقراءة فى صلاة الليل والحاكم وصححه ووافقه الذهبى ، وروى الترمذى نحوه فى كتاب الصلاة باب : ما جاء فى قراءة الليل ٢/٣١٠ وقال حديث غريب . وقال الألبانى فى تخريج المشكاة « وإسناده صحيح فإن الذى وصله ثقة » وصحح إسناده أيضًا الشيخ أحمد شاكر والشيخ عبد القادر الأرناؤوط . فى التعليق على شرح السنة » ج ٤ ص ٣١

(٢) الزهد لابن حنبل ص ١١٨ ، ١١٩ قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ٩ ص ٧٣ « وأخرجه الطبرانى ورجاله ثقات » .

- « وقال لمعاوية بن خديج وقد دخل عليه فى وقت الظهيرة فظنه قائلاً : قال : بئس ما قلت ، أو بئس ما ظننت لئن نمت بالنهار لأضيعن الرعية ، ولئن نمت بالليل لأضيعن نفسى فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية »[(١)] .

ولذا كان ينعس وهو قاعد فقيل له : ألا تنام يا أمير المؤمنين فيقول : كيف أنام ؟ إن نمت الليل ضيعت حظى مع الله . لله درك يا فاروق الإسلام ... خفقات برأسك فقط ولا تركن إلى الفراش .

بأبى هو وأمى لسان حاله يقول :

لستُ أدرى أطال ليلى أمْ لا   كيف يدرى بذاك مَنْ يتقلّى
لو تفرغت لاستطالة ليلى   ولرَعْى النجوم كنتُ مُخِلاّ

• قال الحافظ ابن كثير : « وكان يصلى بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يصلى إلى الفجر .

• وقال أسلم مولى عمر : قدم المدينة رفقة من تجار ، فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف هل لك أن نحرسهم الليلة ؟ قال نعم . فباتا يحرسانهم ويصليان »[(٢)]

لم يكنْ شيء يشغله عن قيام الليل ، ويقضى الوقت الواحد فى أكثر من طاعة .

• قال العباس بن عبد المطلب : كنت جارًا لعمر بن الخطاب ، فما رأيت أحدًا من الناس كان أفضل من عمر : إن ليله صلاة ، وإن نهاره صيام وفى حاجات الناس »[(٣)] .

• وعن الفاروق قال : « لولا ثلاث لما أحببت البقاء : لولا أن أحمل على جياد الخيل فى سبيل الله ، ومكابدة الليل ، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ١٢٢ ، ١٢٣ .
(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٤٩ .
(٣) حلية الأولياء . ص ٥٤ .

كما ينتقى أطايب التمر »[1] .

● عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يصلى من الليل ما شاء الله ، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم « الصلاة الصلاة ثم يتلو هذه الآية : ﴿ **وَأْمُرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾ »[2] .

— « وفى الصحيحين أنه لما تُوفى عمر قال علىّ عليه السلام : « ما خَلّفت أحداً أحبّ أن ألقى الله بمثل عمله منك ياعمر » .

● «كان فى وجهه خطان أسودان مثل الشراك من البكاء ، وكان يمرّ بالآية من ورده بالليل فيبكى حتى يسقط ويبقى فى البيت حتى يُعَاد للمرض »[3] .

لقد استلذّ رضى الله عنه بشراب الدموع ولولا صحو السهر والجوع ما بات عند الجبل هلالُ « يا سارية »[4] ولله در القائل :

فمن يجارى أباحفصٍ وسيرتَه أو منْ يحاول للفاروق تشبيها

هذه درجات أهل الفضائل وأهلها هم أهل الزلفى والدرجات العلى كما يقول ابن القيم .

فرضى الله عن أبَوَا المسلمين وشيخيهما ووزيرا رسول الله ﷺ الذى قال مادحًا لهما :

« هذان السمع والبصر يعنى أبا بكر وعمر »[5] وقال أيضًا : « هذان سيدا

---

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ٢٨١

(٢) إسناده صحيح : رواه مالك فى الموطأ باب ما جاء فى صلاة الليل وصحح إسناده عبد القادر الأرناؤوط أنظر التعليق على جامع الأصول .

(٣) التبصرة ج ١ ص ٤٢١ .

(٤) التبصرة ج ١ ص ٤٢٣ .

(٥) صحيح : رواه الترمذى والحاكم فى المستدرك عن عبد الله بن حنطب وصححه الألبانى فى صحيح الجامع ٨٦٨١ والصحيحة رقم ٨١٤ .

كهول أهل الجنة ، من الأولين والآخرين ، إلا النبيين والمرسلين ، لا تخبرهما يا علي . يعني أبا بكر وعمر »[1] .

قيام ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه :

تَحَدَّثْ ولا تخرج بكل عجيبة عن البحر أو تلك الخلال الزَّواهر
ولا عيب في أخلاقه غير أنها فرائد در ما لها من نظائر
يُقرّ لها بالفضل كل منازع إذا قيل يوم الجمع هل من مفاخر

• عن ابن سيرين قال : « قالت امرأة عثمان حين قتل : لقد قتلتموه وإنه ليحيي الليل كله بالقرآن في ركعة »[2] .

• « روى عنه أنه كان يقرأ القرآن في ركعة ثم يوتر بها »[3] .

• وعن جدة للزبير بن عبد الله يقال لها زهيمة قالت : «كان عثمان رضي الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل إلا من هجعة من أوله »[4] .

• « وما كان رحمه الله يوقظ أحدًا من أهله إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه »[5] .

• « قال عبد الرحمن التيمي : لأغلبن الليلة النفر على المقام ، فلما صليت العتمة تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه ، قال : فبينا أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفي ، فإذا هو عثمان بن عفان ، قال : فبدأ بأم القرآن فقرأ حتى ختم

(١) صحيح : رواه الترمذي عن أنس وعلي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٨٦٨٢ والصحيحة رقم ٨٢٢ .
(٢) الزهد لابن حنبل ص ١٢٧ .
(٣) إسناده صحيح : أخرجه الطحاوي والبيهقي ٢٥/٣ ، وابن أبي داود وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط والشيخ زهير الشاويش في تحقيق « شرح السنة » ج ٤ ص ٤٩٩ .
(٤) الزهد ص ١٢٩ .
(٥) الزهد ص ١٢٦ .

القرآن ، فركع وسجد ، ثم أخذ نعليه فلا أدرى صلّى قبل ذلك شيئاً أم لا »[1] .

● عن الشعبي قال : لقى مسروق الأشتر ، فقال مسروق للأشتر : قتلتم عثمان ؟ قال : نعم ، قال : أما والله لقد قتلتموه صوّاماً قوّاماً »[2] .

● وقال الحافظ ابن كثير : « وقد روى من غير وجه أنه صلّى بالقرآن العظيم فى ركعة واحدة عند الحجر الأسود ، أيام الحج ، وقد كان هذا من دأبه رضى الله عنه ، ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال فى قوله تعالى : ﴿ **أَمَّنْ هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ قال : هو عثمان بن عفان »[3] .

● وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه :ـ

ضَحَّوا بأشمط عُنوان السجود به   يُقَطِّعُ الليل تسبيحاً وقرآنا

قيام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه :

إنْ كُنت وَيْحَكَ لم تسمع مناقِبَهُ   فاسمع مناقبه من « هل أتى » وكفَى
رضى الله عَمَّنْ لازم السهر ليسمع : « هل مِنْ سائل » .

● وصفه ضرار بن ضمرة الكنانى حين طلب منه ذلك أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فقال فى وصفه « يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يميل فى محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكى بكاء الحزين ، فكأنى أسمعه الآن وهو يقول : ياربنا ياربنا ـ يتضرع إليه ـ ثم يقول للدنيا ـ إلى تغررت ، إلى تشوفت ، هيهات هيهات ، غرى

---

(١) حلية الأولياء ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٣) انظر تفسير سورة الزمر الآية ٩ .

غيرى ، قد تبتك ثلاثاً ، فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطرك يسير ، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق . « فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكُمِّه ، وقد اختنق القوم بالبكاء . فقال : كذا كان أبو الحسن رحمه الله . كيف وجدك عليه يا ضرار ؟ قال : وَجْدُ من ذبح واحدها فى حجرها لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها »[١] .

رحمك الله يا مَنْ كنت غزير الدمعة ، يا مَنْ قال فيك ابن حنبل « إن علياً مازانته الخلافة ولكن هو زانها »[٢] .

مابات إلاّ على هَمٍّ ولا اغتمضت عيناهُ إلا على عزم وإزماعِ
يذوق بالعين طعم النوم مضمضة إذا الجبان ملاعينًا بتهجاعِ[٣]

● قال رحمه الله فى وصف المتقين- وهو من ساداتهم -

« ألا إن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين وأهل النار فى النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أيامًا قليلة ، لعقبى راحة طويلة . أما الليل فصافون أقدامهم تجرى دموعهم على خدودهم ، يجأرون إلى الله فى فكاك رقابهم ، وأما النهار فظماء حُلماء ، بررة أتقياء كأنهم القداح ، ينظر إليهم الناظر ويقول مرضى ، وما بالقوم من مرض ، وخولطوا وقد خالط القوم أمر عظيم »[٤] وروى عنه أنه كان يقول : « علامة الصالحين صفرة الألوان وعمش العيون وذبول الشفاه »[٥]

---

(١) الحلية ج ١ ص ٨٥ .
(٢) التبصرة ج ١ ص ٤٤٣ .
(٣) التبصرة ج ١ ص ٤٤٧ .
(٤) البداية والنهاية ج ٨ ص ٧ .

قيام أبي الدرداء رضي الله عنه « حكيم الأمة » :

كان رضي الله عنه إذا سمع المتهجدين بالقرآن يقول « بأبي النَّواحُون على أنفسهم قبل يوم القيامة ، وتندى قلوبهم بذكر - أو لذكر الله »(١) . وانظر إلى الحكيم الذى يعلم أوقات الدعاء حين تبدو السماء قرب طالبها فيقول : « إن العبد المسلم ليغفر له وهو نائم . فقالت أم الدرداء : وكيف ذاك ؟ قال : « يقوم أخوه من الليل فيتهجد ، فيدعو الله فيستجيب له ، ويدعو لأخيه فيستجيب له » . وكان رحمه الله قد بات ليلته يصلى فجعل يبكى ويقول « اللهم أحسنت خَلْقِى فأحسن خُلُقِى حتى أصبح » فحمل هذا أم الدرداء على أن تسأله رضى الله عنه « ماكان دعاؤك منذ الليلة إلاّ فى حسن الخلق » ؟(٢) .

● وقال رضى الله عنه : « إن شئت لأقسمن لكم إنّ أحب عباد الله إلى الله لرعاء الشمس والقمر »(٣) .

قيام عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : «كنيف مُلِئَ علماً » .

● قال عمر بن الخطاب : كان رسول الله ﷺ لا يزال يسمر عند أبى بكر الليلة كذلك فى الأمر من أمر المسلمين ، وأنه سمر عنده ذات ليلة وأنا معه ، فخرج رسول الله ﷺ يمشى وخرجنا معه ، فإذا رجل قائم يصلى فى المسجد ، فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته ، فلمّا كدنا أن نعرف الرجل قال رسول الله ﷺ :

« من سرَّه أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد »

---

(١) الحلية ج ١ ص ٢٢١ .
(٢) الزهد ص ١٤٠ .
(٣) الزهد ص ١٤٣ .
(٥) تنبيه المغترين للشعرانى ص ٤٤ .

قال : ثم جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله ﷺ يقول : « سَلْ تُعْطَ » مرتين .

قال : فقال عمر : فقلتُ والله لأغدونّ إليه فلأبشرنّه ، قال : فغدوتُ إليه لأبشره ، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشره ، ولا والله ما سبقته إلى خير قط إلا سبقني »[1] .

● « وكان رحمه الله إذا هدأت العيون قام فيُسمع له دويٌّ كدويّ النحل »[2] .

● وقال رضي الله عنه : «فصل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السرّ على صدقة العلانية »[3] .

● وقال رضي الله عنه « لا ألفين أحدكم جيفة ليل قطربَ نهار »[3] .

● وعنه رضي الله عنه « ينبغي لحامل القرآن أن يُعرفَ بليله إذا الناس نائمون ، وبنهاره إذا الناس يفطرون ، وبحزنه إذا الناس يفرحون ، وببكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته إذا الناس يخلطون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون »[3] .

● عن علقمة بن قيس قال : بت مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقام أول الليل ثم قام يصلي فكان يقرأ قراءة الإمام في مسجد حيه ، يرتل ولا يرجّع يسمع من حوله ولا يرجّع صوته ، حتى لم يبق من الغلس إلا كما بين آذان المغرب إلى الانصراف منها إلى الوتر[4] .

---

(١) اسناده صحيح : هذا جزء من حديث أبي موسى عند ابن خزيمة ورواه أحمد في مسنده من طريق أبي معاوية ، وصحح إسناده الدكتور مصطفى الأعظمي صحيح ابن خزيمة ج٢ ص ١٨٦ .

(٢) الزهد لابن حنبل ص ١٥٦ .

(٣) حلية الأولياء ج ١ ص ١٣٠ والقطرب : الذي يجلس ههنا ساعة وههنا ساعة .

(٤) الحلية ج ١ ص ٢٣٣ قال الهيثمي في الزوائد ج ٢ ص ٢٦٦ ، رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح .

رحم الله عبد الله بن مسعود الذى قال عنه رسول الله ﷺ **« اقتدوا بالذين من بعدى : أبى بكر وعمر ، وتمسكوا بهدى ابن أم عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه »**.

قيام معاذ بن جبل رضى الله عنه :

مقدام العلماء وإمام الحكماء .. القارئ القانت ، الحب الثابت ، أعلم الأمة بالحلال والحرام .

● عن ثور بن يزيد قال : كان معاذ بن جبل رضى الله عنه إذا تهجد من الليل قال : « اللهم قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حىٌّ قيوم . اللهم طلبى للجنة بطىء ، وهربى من النار ضعيف . اللهم اجعل لى عندك هدى ترده إلى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد »[1] .

● ولما حضره الموت قال : « أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار . مرحبًا بالموت مرحبًا زائرًا مغيب حبيب جاء على فاقة - اللهم إنى قد كنت أخافك فأنا اليوم أرجوك ، اللهم إن كنت تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكرى الأنهار ، ولا لغرس الشجر ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر »[2] .

● عن محمد بن النضر الحارثى يرفعه إلى معاذ بن جبل رحمه الله قال : « ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت الضحك من غير عجب ، والنوم من غير سهر ، والأكل من غير جوع »[3] .

---

(١) الحلية ج ١ ص ٢٣٣ .
(٢) الزهد ص ١٨٠ - ١٨١ .
(٣) الزهد لابن حنبل ص ١٨٣ .

قيام أمير المؤمنين فى الحديث أبى هريرة رضى الله عنه :

• عن أبى عثمان النهدى قال : تضيَّفتُ أبا هريرة سبعًا ، فكان هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل ثلاثًا يصلى هذا ثم يوقظ هذا »[1] .

وفى رواية أخرى : أن أبا هريرة كان يقوم ثلث الليل ، وتقوم امرأته ثلث الليل ويقوم ابنه ثلث الليل إذا نام هذا قام هذا »[2] .

• وكان رضى الله عنه وأصحابه إذا صاموا قعدوا فى السحر قالوا نطهر سيئاتنا[3] .

رحمه الله ورضى عنه « فقد كان يسبح كل يوم اثنى عشرة ألف تسبيحة يقول أُسبح بقدر ذنبى »[4] فحياته حديث وتسبيح واستغفار وقيام .

قيام أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه :

صاحب القراءة والمزمار ، الرابض نفسه بالسياحة فى المضمار ، الأشعرى أبى موسى عبد الله بن قيس بن حضار .

كان فى أودية المحبة هائمًا ، وبقراءة القرآن فى الحنادس مترنمًا وقائمًا .

• فى الصحيح المرفوع : « **لقد أوتى مزمارًا من مزامير آل داود** »[5] .

(1) « الإصابة » لابن حجر ج ٤ ص ٢٠٩ وقال ابن حجر : سنده صحيح .
(2) الزهد ص ١٧٧ وسنده صحيح .
(3) الزهد ص ١٧٨ .
(4) الاصابة ج ٤ وقال ابن حجر أخرجها ابن سعد بسند صحيح ج ٤ ص ٢٠٩ .
(5) صححه ابن حجر فى الإصابة وابن كثير فى « البداية والنهاية » .

● مر رسول الله ﷺ ذات ليلة وأبو موسى يقرأ فى بيته ، ومع النبى ﷺ عائشة رضى الله عنها فقاما فاستمعا لقراءته ثم إنهما مضيا ، فلما أصبح لقى أبو موسى النبى ﷺ فقال له « **يا أبا موسى مررت بك البارحة ومعى عائشة ، وأنت تقرأ فى بيتك فقمنا فاستمعنا لقراءتك** » ، فقال أبو موسى : « يانبى الله ، أما إنى لو علمت بمكانك لحبَّرتُ لك القرآن تحبيرًا »(١) .

● وكان عمر رضى الله عنه إذا رآه قال : « ذكرنا ربنا يا أبا موسى » ، وفى رواية « شوِّقنا إلى ربنا فيقرأ عنده »(٢).

● قال أبو عثمان النهدى : ما سمعت صوت صبح ولا بربط ولا ناى أحسن من صوت أبى موسى بالقرآن(٣) .

● وعن مسروق : «كنا مع أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه فى سفر ، فآوانا الليل إلى بستان حرث فنزلنا فيه ، فقام أبو موسى من الليل يصلى ، فذكر من حسن صوته ومن حسن قراءته قال : وجعل لا يمر بشىء إلا قاله ، ثم قال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وأنت المؤمن تحب المؤمن ، وأنت المهيمن تحب المهيمن ، وأنت الصادق تحب **الصادق** »(٤) .

---

(١) الحلية ج ١ ص ٢٥٨ .
(٢) الإصابة ج ٢ ص ٣٦٠ .
(٣) الإصابة ج ٢ ص ٣٦٠ .
(٤) الحلية ج ١ ص ٢٥٩ .

قيام الأشعريين قوم أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهم :

• عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ : « **إنى لأعرفُ أصواتَ رُفْقَةِ الأشعريين بالقرآن ، حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنتُ لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار** »[1] .

قيام ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس رضى الله عنه :

• عن عبد الله بن أبى مليكة قال: «صحبت ابن عباس رضى الله عنه من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل فسأله أيوب : كيف كانت قراءته ؟ قال : قرأ ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ فجعل يرتل ويكثر فى ذلكم النشيج »[2] .

• ولقد قام الليل وهو ابن عشر سنين مع النبى ﷺ ، وأعد له وضوءه من الليل فدعا له .

• عن ابن عباس قال : « صليت مع النبى ﷺ فقمت إلى جنبه عن يساره ، فأخذنى فأقامنى عن يمينه ، قال : وقال ابن عباس : وأنا يومئذ ابن عشر سنين »[3] .

وفى لفظ لمسلم « فجعلت إذا أغفيت يأخذ بشحمة أذنى [اليمنى يفتلها] .
قال النووى : « إنما فتلها تنبيهًا له من النعاس »[4] .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب : من فضائل الأشعريين .
(٢) الحلية ج ١ ص ٣٢٧ ، وعند ابن حنبل فى الزهد « يكثر والله فى ذلكم التسبيح » .
(٣) إسناده صحيح : رواه أحمد فى مسنده وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم (٣٤٣٧) .
(٤) شرح النووى على صحيح مسلم ج ٢ ص ٤١٦ .

ولكم يخشع القلم أمام حبر الأمة وهو يحيى الليل وهو غلام لم يتجاوز بعد العاشرة ويجعل همه حين يبيت عند خالته ميمونة أن « لا ينام حتى أنظر ما يصنع فى صلاة الليل » كما ورد فى الحديث . عزم فى نفسه على السهر ليطلِعَ على الكيفية التى يصلى بها رسول الله ﷺ ثم خشى أن يغلبه النوم فيوصى خالته كما يحدثنا « فقلت لميمونة : إذا قام رسول الله ﷺ فأيقظينى » ، ثم انظر إلى أدبه « فقمت فتمطيت كراهة أن يرى أنى كنت أرقبه » وكأنه خشى أن يترك رسول الله ﷺ بعض عمله لما جرى من عادته ﷺ أنه كان يترك بعض العمل خشية أن يفرض على أمته . ويكابد السهر وطوله مع رسول الله ﷺ وهو يحيى معظم الليل ..

أنظر إلى جبهة الغلام الطيب المبارك وهى تسجد لربها قدر قراءة خمسين آية ... فى ظلام الليل ويعطف رسول الله ﷺ ويشفق على حبر الأمة فيقول ابن عباس عن رسول الله ﷺ « **وضع يده اليمنى على رأسى وأخذ بأذنى اليمنى يفتلها فجعل يمسح بها أذنى فعرفت أنه إنما صنع ذلك ليؤنسنى بيده فى ظلمة البيت** »[1] .

أنظروا معاشر المؤمنين وقولوا للعالم أجمع : تعالَوْا وتأدبوا بأدب صبية بيت النبوة .

لله درهم من « طين عجن بماء الوحى ، وغرس بماء الرسالة فهل يفوح منها إلا مسك الهدى وعنبر التقى »[2] .

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٥١

(٢) قول يحيى بن معاذ انظر تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٢١١ .

قيام سلمان ابن الإسلام ... سلمان الخير.. سلمان الفارسي رضى الله عنه :

«سلمان منا آل البيت »(*) .

روى أبو نعيم بسنده عن سلمان : « حافظوا على هذه الصلوات الخمس ، فإنهن كفارات لهذه الجراحات مالم تصب المقتلة - يعنى الكبائر - فإذا صلّى الناس العشاء صدروا على ثلاث منازل :

منهم من عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، ومنهم من لا له ولا عليه .

● فرجل اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فركب رأسه فى المعاصى فذلك عليه ولا له .

● ومنهم من اغتنم ظلمة الليل وغفلة الناس فقال يصلى فذلك له ولا عليه .

● ومنهم من لا له ولا عليه فرجل صلى ثم نام فذلك لا له ولا عليه ، إياك والحقحقة وعليك بالقصد والدوام »(١) .

● وعنه رضى الله عنه : « لو بات رجل يعطى البيض القيان ، وبات آخر يتلو كتاب الله عز وجل - قال سليمان التيمى - كأنه يرى أن الذى يذكر الله أفضل . وفى أخرى : « لو بات رجل يطاعن الأقران لكان الذاكر أفضل »(٢)

● قال طارق بن شهاب : « أتيت سلمان فقلت لأنظرن كيف صلاته فكان ينام من الليل ثلثه » .

● ولقد أشبع سلمان من العلم « وأوتى منه » وكان يقوم فى أفضل الأوقات وقت التنزل الإلهى ... وارع قلبك هذا الحديث لتعرف قدر هذا السيد من سادات المسلمين :-

---

(*) ضعيف .

(١) حلية الأولياء ص ١٨٩ ، ١٩٠ قال المنذرى : رواه الطبرانى فى الكبير موقوفاً بإسناد لا بأس به ورفعه جماعة ا.هـ.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٠٤ .

« عن أبى جُحَيْفَة قال : « آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا . فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً ، فقال : كل ، فإنى صائم ، فقال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل ، فلمّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، فقال : نم ، فنام ، ثم ذهب يقوم فقال : نم ، فلما كان آخر الليل قال سلمان : قم الآن . قال : فصليّا ، فقال له سلمان : إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقًا ، فأعط كل ذى حق حقه ، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبى ﷺ : « **صدق سلمان** »[1] وفى هذا منقبة ظاهرة لسلمان الخير رضى الله عنه .

قيام عبد الله بن عمر رضى الله عنه :

المتعبد المتهجد نزيل الحصباء والمساجد .

● كان رضى الله عنه «كلما استيقظ من الليل صلّى ، وكان لا ينام من الليل إلا قليلاً بعد أن فهم عن رسول الله ﷺ قوله : « **نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم الليل** » ويمتد قيامه إلى السحر فإن أخبره نافع به استغفر .

● عن أبى غالب مولى خالد بن عبد الله القرشى قال : كان ابن عمر ينزل علينا بمكة ، وكان يتهجد من الليل فقال لى ذات ليلة قبل الصبح : يا أبا غالب ألا تقوم تصلى ، ولو تقرأ بثلث القرآن . فقلت : ـ يا أبا عبد الرحمن قد دنا الصبح فكيف أقرأ بثلث القرآن، قال إن سورة الإخلاص قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن »[2]

(١) رواه البخارى واللفظ له كتاب الأدب باب صنع الطعام والتكلف للضيف ، والترمذى وابن خزيمة والدارقطنى والبزار والطبرانى وابن حبان وأحمد وأبو نعيم ورواه ابن سعد مرسلاً .

(٢) الزهد ص ١٩٠

• « وكان له مهراش فيه ماء فيصلى ما قدر له ، ثم يصير إلى الفراش فيغفى إغفاء الطائر ، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلى فيرجع إلى فراشه فيغفى إغفاء الطائر ثم يثب فيتوضأ ثم يصلى يفعل ذلك فى الليل أربع مرات أو خمساً »[١] .

• عن نافع «أن ابن عمر كان يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول لا فيعاود فإذا قال نعم قعد يستغفر الله حتى يصبح »[٢] .

• عن نافع كان ابن عمر إذا فاتته صلاة العشاء جماعة أحيا بقية ليله[٣] .

• عن سعيد بن جبير قال قال ابن عمر رضى الله عنهما حين حضرته الوفاة « ما آسى على شىء من الدنيا إلا ظمأ الهواجر ومكابدة الليل وأنّى لم أقاتل هذه الفئة الباغية التى نزلنا بنا - يعنى الحجاج -[٤] .

• عن سالم عن أبيه قال : أول ما ينقص من العبادة التهجد بالليل ورفع الصوت فيها بالقراءة[٥] .

قيام أبى ذر الغفارى رضى الله عنه :

أصدق الأمة لهجة .

• وفى الزهد لابن حنبل عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : « يا أيها الناس إنى لكم ناصح ، إنى عليكم شفيق ، صلّوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا الدنيا لحر يوم النشور ، وتصدقوا مخافة يوم عسير ، يا أيها الناس إنى لكم ناصح إنى عليكم شفيق »[٦] .

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٤٨ طبع دار إحياء التراث العربى .
(٢) معجم الطبرانى والحلية وقال ابن حجر فى الإصابة « سنده جيد » ج ٢ ص ٣٤٩ .
(٣) الإصابة ج ٢ ص ٣٤٩ .
(٤) مختصر قيام الليل ص ٢٥ .
(٥) خلق أفعال العباد للبخارى ص ٧٧ طبع مؤسسة الرسالة .
(٦) الزهد ص ١٤٨ .

قيام عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما :

صاحب الصيام والقيام .

زوّج عمرو بن العاص عبد الله بن عمرو وقارئ الكتابين التوراة والفرقان إمرأة من قريش فلما دخلت عليه جعل لا ينحاش لها مما به من القوة على العبادة من الصوم والصلاة فجاء عمرو بن العاص إلى كنته حتى دخل عليها فقال لها : كيف وجدت بعلك ؟ .

قالت : خير الرجال أوْ ـ كخير البعولة من رجل لم يفتش لنا كنفًا ولم يقرب لنا فراشاً فأقبل عليه قائلاً : أنكحتك إمرأة من قريشٍ ذات حسب فعضلتها وفعلت ، ثم شكاه إلى رسول الله ﷺ .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « أخبر رسول الله ﷺ أنه يقول : لأقومنّ الليل ولأصومن النهار ما عشت فقال ﷺ : «**أأنت الذى تقول ذلك** ؟ » فقلت له : قد قلته يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : «**فإنك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر ، ونمْ وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر**» ، قال : قلت : فإنى أطيق أفضل من ذلك ، قال : «**صم يومًا وأفطر يومين**» . قال : قلت : فإنى أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله . قال : «**صم يومًا وأفطر يومًا وذلك صيام داود عليه السلام وهو أعدل الصيام**» . قال : قلت : فإنى أطيق أفضل من ذلك قال رسول الله ﷺ : «**لا أفضل من ذلك**» . قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التى قال رسول الله ﷺ أحب إلىَّ من أهلى ومالى(١) .

وفى رواية أخرى : «**فإن لزوجك عليك حقًا ، ولزَورك عليك حقًا** ،

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الصوم ، باب النهى عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوّت به حقًا أو لم يفطر العيدين ... .

ولجسدك **عليك حقًّا**» قال فشددت فَشُدِّدَ عليّ. قال وقال لى النبى ﷺ : «**إنك لا تدرى لعلّك يطول بك عمر**». وما فارق هذا الأمر الذى فارق عليه رسول الله ﷺ حتى مات .

● عن يعلى بن عطاء عن أمه أنها كانت تصنع لعبد الله بن عمرو الكحل وكان يكثر من البكاء ويغلق عليه بابه ويبكى حتى رمصت عيناه »[1] .

قيام أُسَيْد بن حُضير رضى الله عنه :

« صاحب السكينة والملائكة » .

● « عن أبى سعيد الخدرى أن أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ فى مِرْبَده[2] إذْ جالت فرسه فقرأ ثم جالت أخرى فقرأ ثم جالت أيضًا . قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى ، فقمت إليها فإذا مثل الظلة فوق رأسى فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها ، قال : فغدوت على رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله : بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مربدى إذ جالت فرسى. فقال رسول الله ﷺ : «**إقرأ ابن حضير**». قال : فقرأت ثم جالت أيضًا فقال رسول الله ﷺ : «**إقرأ ابن حضير**». قال فانصرفت ، وكان يحيى قريبًا منها فخشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها . فقال رسول الله ﷺ «**تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم**»[3] .

وفى رواية البخارى : « **تلك الملائكة دنت لصوتك** » وصرّح فى رواية بأن السورة كانت سورة البقرة .

أنظر رحمك الله إلى هذا الحديث الطيب المبارك . وكأنى برسول الله ﷺ

---

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٩٠ .

(٢) هو الوضع الذى ييبس فيه التمر كالبيدر للحنطة ونحوها ا.هـ.

(٣) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

استحضر صورة الحال فصار كأنه حاضر عنده لما رأى ما رأى فكأنه يقول : استمر على قراءتك لتستمر لك البركة بنزول السكينة والملائكة واستماعها لقراءتك ، وفهم أسيد ذلك فأجاب بعذره فى قطع القراءة وخوفه أن تطأ يحيى .

● أنظر إلى رجل « أوتى من مزامير آل داود كما قال له ﷺ »[1] ، ومحافظته على خشوعه فى صلاته لأنه كان يمكنه أول ما جالت الفرس أن يرفع رأسه . لله درك يا أبا عتيك من سيد من سادات الأنصار . واعلم رحمك الله أن فى هذا الحديث « منقبة للصحابى الجليل وفضل قراءة سورة البقرة فى صلاة الليل ، وفضل الخشوع فى الصلاة وأن التشاغل بشىء من أمور الدنيا ولو كان من المباح قد يفوّت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح »[2] .

أنّى للكلمات أن تصوّر هذا المشهد الندىّ واستغراق الملائكة للاستماع فى الليل لمزمار داود يتهجد فى ليله ويقرأ القرآن وكأنه رسائل من فوق العرش ولو استمر تالياً ما اختفت . مثل هذا لا يكون إلا لمثل أصحاب محمد ﷺ جيل العبادة وشموس الهدى أو من سار على دربهم .

قيام تميم الدارى رضى الله عنه :

« لمثل هذا كنا نحبك يا أبا رقية » .

هو الصحابى الذى تفرّد برؤية الجسّاسة والمسيخ الدجّال كما جاء فى الحديث الصحيح .

● كان رضى الله عنه كثير التهجد « قام ليلة بآية حتى أصبح وهى ﴿ **أم حسب الذين اجترحوا السيئات** ﴾[3]

(١) صحيح رواه الاسماعيلى .

(٢) فتح البارى ج ٩ ص ٦٤ .

(٣) الإصابة لابن حجر ج ١ ص ١٨٤ . قال ابن حجر « رواه البغوى فى الجعديات بإسناد صحيح إلى مسروق قال قال لى رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم فذكره » ا.هـ.

● عن يزيد بن عبد الله بن الشخير أن رجلاً أتى تميما الدارى فقال كيف صلاتك بالليل فغضب غضباً شديدًا فقال : والله لركعة أصليها فى جوف الليل فى السر أحب إلىّ من أن أصلى الليل كله ثم أقصه على الناس فغضب السائل عند ذلك فقال : يا أصحاب رسول الله ، الله أعلم بكم ، إن سألناكم عنفتمونا وإنْ لم نسألكم جفوتمونا . فأقبل تميم عند ذلك على الرجل فقال : أرأيت إن كنت مؤمنًا قويًا وأنا مؤمن ضعيف أكنت ساطيًا علىّ بقوتك فتقطعنى ؟ ، أرأيت إن كنت مؤمناً ضعيفاً وأنا مؤمن قوى أكنت ساطياً عليك بقوتى فأقطعك ، ولكن خذ من نفسك لدينك ، ومن دينك لنفسك حتى تستقيم لك على عبادة ترضاها »

● وعن المبارك قال : ما بلغنى عن أحد من أصحاب النبى ﷺ من العبادة ما بلغنى عن تميم الدارى .(١)

● واشترى رضى الله عنه حلة بألف فكان يصلى فيها(٢) .

● وعن جعفر بن عمرو قال : كنا فئة من أبناء أصحاب النبى ﷺ قلنا : إن آباءنا قد سبقونا بالهجرة وصحبة النبى ﷺ فهلموا نجتهد فى العبادة لعلنا ندرك فضائلهم أو كما قال قال : عبد الله بن الزبير ومحمد بن أبى حذيفة ومحمد بن أبى بكر ومحمد بن طلحة ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد يغوث ، قال : فاجتهدنا فى العبادة بالليل والنهار وأدركنا تميما الدارى شيخاً فما قمنا له ولا قعدنا فى طول الصلاة »(٣)

رحمك الله يا صحابى رسول الله ﷺ

● أخرج أبو نعيم بسنده : أن ناراً خرجت على عهد عمر رضى الله عنه فجعل

---

(١) الزهد ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٢) الزهد ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٣) الزهد ص ٢٠٠ .

تميم الداري يدفعها بردائه حتى دخلت غارًا فقال له عمر : لمثل هذا كنا نحبك يا أبا رقية » .

وفى رواية أخرى : فجاء عمر إلى تميم فقال : قم إلى هذه النار ، فقال : يا أمير المؤمنين : من أنا وما أنا فلم يزل به حتى قام معه .

قال : وتبعتهما فانطلقا إلى النار قال : فجعل يحوشها بيده هكذا حتى دخلت العشب ودخل تميم خلفها وجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم يَرَ .[1] .

قيام عباد بن بشر رضى الله عنه :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : تهجد رسول الله ﷺ فى بيتى فسمع صوت عبّاد بن بشر فقال : « **يا عائشة : صوت عبّاد بن بشر هذا ؟ قالت :** نعم ، قال : **اللهم اغفر له** » وفى رواية أخرى أن النبى ﷺ سمع صوت عباد بن بشر فقال « **اللهم ارحم عباد** »[2]

ذلكم عباد بن بشر رضى الله عنه .. وتعال معى أخى ترى العجب العجاب من شغف عباد بقيام الليل لا يمنعه من ذلك جراح كادت تودى بحياته : -

عن جابر بن عبد الله قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ[3] فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ، فحلف أن لا أنتهى حتى أهريق دمًا فى أصحاب محمد ، فخرج يتبع أثر النبى ﷺ فنزل النبى ﷺ فقال : « **هل رجل يكلأ** »[4] فانتدب رجل من المهاجرين[5] ورجل من الأنصار[6] ، فقال :

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم الأصبهانى ص ٥١٠ .
(٢) حديث صحيح : صححه ابن حجر فى الإصابة
(٣) يعنى فى غزوة ذات الرقاع .
(٤) يكلؤنا ليلتنا : أى يحرسنا .
(٥) عمار بن ياسر .
(٦) عباد بن بشر .

« **كونا بفم الشعب** » فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب اضطجع المهاجرى ، وقام الأنصارى فصلى . فأتى الرجل . فلما رأى شخصه عرف أنه ربيئة القوم ، فرماه بسهم فوضعه فيه ، فنزعه حتى رماه بثلاثة أسهم ، ثم ركع وسجد ثم انتبه صاحبه فلما عرف أنهم قد نذروا به هرب ، فلما رأى المهاجرى ما بالأنصارى قال : سبحان الله ألا أنبهتنى أول ما رمى ؟ قال : كنت فى سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها »ا.هـ.. وفى دلائل النبوة .

« فنام عمار بن ياسر وقام عباد بن بشر يصلى ، وقال : كنت أصلى بسورة وهى « الكهف » فلم أحب أن أقطعها »(١) .

إن الكلمات وقواميس اللغات كلها لتقف عاجزة أن تصور روعة هذا الموقف لذلكم السيد من سادات الأنصار والمسلمين : عباد بن بشر.

نعم يا سيد الأنصار : لكأنى بك تترنم بلسان حالك ما يمنعك عن مناجاة مولاك والترنم بكلام الملك والسجود اسلاما لوجه ربك .

عـذابـه فـيك عـذب ... وبـعـده فـيك قـربُ
وأنت عـنـدى كـروحى ... بـل أنت منهـا أحب
حسبى من الحب أنى ... لما تحب أحب

---

(١) رواه أبو داود فى سننه وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك وصححه ، وعلقه البخارى فى صحيحه . وأحمد والدارقطنى وصححه . وابن خزيمة . والبيهقى فى سننه وفى دلائل النبوة . قال ابن حجر «كلهم من طريق ابن إسحاق وشيخه صدقة ثقة . وعقيل لا أعرف راويا عنه غير صدقة . ولهذا لم يجزم به المصنف . أو لكونه اختصره ، أو للخلاف فى ابن اسحاق ، وقال شعيب وعبد القادر الأرناؤوط فى تخريج زاد المعاد » فى سنده عقيل بن جابر بن عبد الله وثقه ابن حبان وباقى رجاله ثقات .

قيام سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه

كان رضي الله عنه حسن الصوت فى تهجده بالقرآن .

روى ابن المبارك بإسناده : أن عائشة احتبست على النبى ﷺ فقال : ما حبسك ؟ قالت : سمعت قارئاً يقرأ فذكرت من حسن قراءته ، فأخذ رداءه ، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة ، فقال : « **الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثلك** »[1] .

وفى رواية أخرى : « سمع النبى ﷺ مولى أبي حذيفة يقرأ من الليل فقال : « **الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله** »[2]

رضى الله عنه .. لما كثر القتل وانكشف صف المسلمين فى موقعة اليمامة أخذ الراية سالم فقالوا له : إنا نخشى أن نؤتى من قبلك . فقال : بئس حامل القرآن إذًا أنا ! ومن يكون كرجل من أصحاب الليل من حملة القرآن يحمد رسول الله ﷺ ربه أن جعل فى أمته مثله أى شرف وأى تاج وأى فخار وضعه رسول الله ﷺ على هام ذلكم الصحابى القانت .

قيام عمرو بن العاص رضى الله عنه :

سُمِع عمرو بن العاص وهو يصلى من الليل وهو يبكى ويقول :

« اللهم إنك آتيت عمرًوا مالاً فإن كان أحب إليك أن تسلب عمروا ماله ولا تعذبه بالنار فاسلبه ماله ، وإنك آتيت عمرًوا ولده فإن كان أحب إليك أن تثكل عمروا ولده ولا تعذبه بالنار فاثكله ولده ، وإنك آتيت عمروا سلطانا ، فإن كان أحب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه » .

---

(١) أخرجه ابن المبارك فى كتاب الجهاد ، وأخرجه أحمد عن حنظلة وابن ماجة والحاكم فى المستد ـ من طريق الوليد بن مسلم ، وابن المبارك أحفظ من الوليد ولكن له شاهد يقويه وهو رقم ٢

(٢) إحرجه البزار ورجاله ثقات انظر الإصابة ٢/٧ .

• وقال رضى الله عنه ركعة بالليل أفضل من عشر بالنهار »[1] .

قيام سعيد بن عامر الجمحي رضي الله عنه :

وانظروا إلى ذلكم الصحابى المشتاق للجنة وحورها .. سعيد بن عامر يقول لزوجه : « إنه كان لى أصحاب فارقونى منذ قريب ما أحب أنى صددت عنهم وأن لى الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الحسان أطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ، ولنصيفٌ تُكِسَ به خير من الدنيا وما فيها فلأنت أحرى فى نفسى أن أدعك لهن من أنْ أدعهن لك .

ولكم كان الرجل رضى الله عنه نسيجًا وحده :

« استعمله عمر بن الخطاب على حمص فلما قدم عمر رضى الله عنه حمص قال : يا أهل حمص : كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه ، قالوا : نشكوا أربعاً ـ وذكروا من بينها أنه لا يجيب أحدا بليل .

فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم لا تفيل رأيى فيه اليوم . ما تشكون منه ؟

قالوا : لا يجيب أحدًا بليل .

قال : ما تقول ؟ قال : « إن كنت أكره ذكره .. إنى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل » ـ وأجاب عن بقية شكاياتهم فقال عمر : « الحمد لله الذى لم يقيل فراستى »[2] .

أخى

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيبت بماء فعادت بعد أبوالا

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٥

(٢) الحلية ج ١ ص ٢٤٦ .

انظر إلى أهل الكويفة الصغرى .. ما ينقمون من صحابى رسول الله ﷺ « لا يجيب أحدا بليل » ... « وتلك شكاة ظاهر عنك عارها » .

ينقمون منه القيام والتهجد ، ولولا خوف الرجل أن يخيب فيه ظن إمامه الفاروق لكتم أمره ولو استطاع لأخفاه عن الكرام الكاتبين .

فاكتبوا هذا بمداد من نور واسقوا العطاشى الحيارى من سلسبيلهم ونبعهم النورانى .

قيام الحسن والحسين سبطى رسول الله ﷺ وريحانتيه من الدنيا :

كان الحسن بن على عليه السلام يأخذ بنصيبه من القيام فى أول الليل وكان الحسين عليه السلام يأخذه من آخر الليل »[1] .

بأبى وأمى من أشبهوا خَلْق جدهما وخُلُقَه وأخذوا بالحظ الأوفر والنصيب الأكمل من رعى النجوم والتهجد للملك القيوم .

قيام شدّاد بن أوس الأنصارى رضى الله عنه :

صاحب اللسان المزموم ، صاحب الحذر والورع ، والبكاء والضَرعَ .

كان رضى الله عنه ممن أوتى علماً وحلماً كما قال عنه أخوه أبو الدرداء عبادة بن الصامت « وكان رضى الله عنه إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه بمنزلة القمحة فى المقلاة على النار فيقول : « اللهم إن النار قد أذهبت منى النوم ، فيقوم يصلى حتى يصبح ... »[2] لله درك يا أبا يعلى وعيت الخطاب « ما رأيت مثل النار نام هاربها » فلجأت سيدى إلى ما يطفؤها .. لجأت يسيدى إلى التهجد .

رضى الله عنك يا شهيد الشِّعْب .. يا شهيد أحد .

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ١٧١ .

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٦٤

قيام الصحابى عامر بن ربيعة رضى الله عنه :

● عن يحيى بن سعيد قال : سمعت أبا عبد الله بن عامر بن ربيعة :

حين تشب الناس فى الفتنة ، ثم نام فأرى فى المنام فقيل له : قم فسل الله أن يعيذك من الفتنة ـ قتل عثمان ـ التى أعاذ منها صالح عباده فقال يصلى ثم اشتكى فما خرج إلاّ فى جنازة .

وفى رواية ابنه عبد الله : «لما نشب الناس فى الطعن على عثمان رضى الله عنه قام أبى يصلى من الليل وقال : اللهم قنى من الفتنة بما وقيت به الصالحين من عبادك ، قال : فما خرج إلا فى جنازة »[1] .

وهذا يدل على فقه الصحابى الجليل وعلمه باستجابة الدعاء فى الصلاة ليلاً .

قيام أبى ريحانة رضى الله عنه :

روى ابن المبارك فى الزهد عن مولى لأبى ريحانة قال : « قفل ـ أبو ريحانة ـ من بعث غزا فيه ، فلما انصرف أتى أهله فتعشى من عشائه ، ثم دعا بوضوء فتوضأ منه ، ثم قام إلى مسجده فقرأ سورة ، ثم أخرى ، فلم يزل كذلك مكانه ، كلما فرغ من سورة افتتح الأخرى ، حتى إذا أذّن المؤذن من السحر شدّ عليه ثيابه ، فأتته امرأته فقالت : يا أبا ريحانة قد غزوت فتعبت فى غزوتك ، ثم قدمت إلىّ لم يكن لى منك حظ ونصيب . فقال : بلى والله ما خطرت لى على بال ، ولو ذكرتك لكان لك علىّ حق . قالت : فما الذى يشغلك يا أبا ريحانة ، قال : ـ

«لم يزل يهوى قلبى فيما وصف الله فى جنته من لباسها وأزواجها ونعيمها ولذّاتها حتى سمعت المؤذن »[2] .

---

(١) الحلية ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ طبع دار الكتب العلمية ، وانظر أيضاً مختصر قيام الليل ص ١٨ .

نعم سيدى .. سمت روحك الطاهرة إلى دارك الأولى الجنة فسلكت طريق الصالحين ... التهجد .. لسان حالك يقول : إنها الجنة شغلى وفيها خلدى خذنى إلى بيتى أرح خدى على عتباته .. وأبوس مقبض بابه ..

خذنى إلى بيت أعيش مشردا إن لم أكحل ناظرى بترابه

● عن ضمرة بن حبيب قال : استأذن أبو ريحانة صاحب مسلحته[1] من الساحل إلى أهله فأذن له ، فقال له الوالى : كم تريد أن أؤجلك ؟ قال : ليلة ، فأقبل أبو ريحانة : وكان فى منزله فى بيت المقدس ، فبدأ المسجد قبل أن يأتى أهله فافتتح سورة فقرأها ثم أخرى فلم يزل على ذلك حتى أدركه الصبح وهو فى المسجد لم يرمه[2] ، ولم يأت أهله ، فلما أصبح دعا بدابته فركبها متوجهاً إلى مسلحته ، فقيل : يا أبا ريحانة إنما استأذنت لتأتى أهلك فلو مضيت حتى تأتيهم ثم تنصرف إلى صاحبك ؟ قال : «إنما أجّلنى أميرى ليلة ، وقد مضت ، لا أكذب ولا أخلف وانصرف إلى مسلحته ولم يأت أهله »[3] .

وفى الخبر ما فيه من شغف بالزاد السماوى والتهجد والصدق والوفاء بالعهد .

---

(١) المسلحة : بالفتح الثغر ، والقوم ذوو سلاح .

(٢) أى لم يبرحه .

(٣) الزهد والرقائق ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

قيام شهداء بئر معونة رضى الله عنهم :

وعلى رأسهم المنذر بن عمرو بن عمرو وكانوا سبعين رجلاً من الأنصار كانوا يدعون القرّاء ، يحتطبون بالنهار ، ويصلون بالليل ، يقومون إلى السوارى للصلاة .. عبروا الدنيا راضين عن الله غدرت بهم رعل وذكوان وعصية حين بلغوا بئر معونة فقتلوهم ، فما وجد رسول الله ﷺ على أحد ما وجد على أصحاب بئر معونة ، وقنت شهرًا فى صلاة الصبح يدعو الله على رعل وذكوان وعصية .

انظر رحمك الله إلى أثر التهجد والقرآن الذى يورث صاحبه الرضا عن الله والشوق إلى لقياه .. انظر إلى نفوس هزهزها الحنين إلى الملأ الأعلى .. انظر حين يُطعن أحدهم وهو حرام بن ملحان فيقول مترنماً بلحنه الشجى يملأ الكون عبيرًا وشذاً من كلامه :

« الله أكبر ، فزت ورب الكعبة » ورحم الله القائل :

اما تبصر الطير المُقَفَّصَ يا فتى   إذا ذكر الأوطان حَنَّ إلى المغنى
فـفرّج بالتغريد ما فى فؤاده   فيقلق أرباب القلوب إذا غنّى
كـذلك أرواح المحبين يـا فتى   تهزهزها الأشواق للعالم الأسنى

وتغريدة لايكون إلا من صحابى متهجد .. تغريد أنفس تشتاق إلى حواصل طير خضر وقناديل ذهب معلقة بأرجاء العرش .

وكم فى الصحابة من متهجد قانت وأوّاه تالى وإن كان متجرداً من كل شىء مثل عبد الله ذو البجادين يلحده رسول الله ﷺ بيده حتى يتمنى ابن مسعود أن يكون مكانه .

ومسك الختام قيام عبد الله بن الزبير بن العوّام .

قيام عبد الله بن الزبير بن العوّام « حمام المسجد » :

المحنّك بريق النبوة ، المبجّل لشرف الأمومة والأبوّة ، المشاهد فى القيام ، المواصل للصيام رضى الله عنه .

تقول عنه الراوية الثبت أمه ذات النطاقين رضى الله عنها : «كان ابن الزبير قوّام الليل صوّام النهار ، وكان يُسَمىّ « حَمَام المسجد »[1] .

● واسمع إلى شهادة القانت القوّام لرفيقه على الدرب .. استمع بقلبك إلى ابن عمر يقول عنه وقد وقف عليه بعد صلبه :

« رحمك الله ، فإنك والله ما علمت صواماً قوّاماً ، وصولاً للرحم، والله لقد أفلحت أمة أنت شرها » .

● واسمع إلى ابن عباس الحبر البحر الترجمان يقول عنه «كان عفيفاً فى الإسلام ، قارئاً للقرآن ، أبوه الزبير ، وأمه أسماء ، وجده أبو بكر ، وعمته خديجة ، وجدته صفية ، وخالته عائشة » .

● كان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود وكان يقال ذلك من خشوعه لو رأيته وهو يصلى لقلت غصن شجرة يصفقها الريح .

● عن سالم بن عبد الله بن عمر : كان ابن الزبير لا ينام بالليل ، وكان يقرأ القرآن فى ليلة ، وكان يحيى الدهر أجمع فكان يحيى ليلة قائماً حتى يصبح ، وليلة يحييها راكعاً حتى الصباح ، وليلة يحييها ساجداً حتى الصباح[2] .

لله درك يا حمام المسجد يا أبا خبيب .

---

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٢) مختصر قيام الليل ص ١٨ .

قيام معاذ أبو حليمة القارئ رضى الله عنه :

عن يحيى بن سعيد عن أبي بكر بن محمد قال : زارتنا عمرة بنت عبد الرحمن فقمت أصلى من الليل فجعلت أخفى قراءتى فقالت لى : يا ابن أخى ألا تجهر بالقرآن ، فإنه ما كان يوقظنا بالليل إلا قراءة معاذ القارئ وأفلح مولى أبي أيوب »[1] .

قيام عبد الله ذى البجادين رضى الله عنه :

كان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله ذا البجادين . عبد الله بن عبدنهم المزنى عم عبد الله بن مغفل المزنى قال ابن أبي الدنيا فى رسالة (الأولياء) :ـ قال رسول الله ﷺ « **بل أنت عبد الله ذو البجادين الزمنا وكن معنا** » فكان يكون مع رسول الله ﷺ وفى حجره قال : فكان إذا قام يصلى من الليل جهر بالدعاء والاستغفار والتمجيد قال فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله أمراء هو ؟ قال دعه فإنه أحد الأواهين قال : فلما كان غزاة تبوك خرج مع رسول الله ﷺ فمات قال : فقال ابن مسعود إذا أنا بنار ليلاً فى ناحية العسكر فقلت : ما هذا فانطلقت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ما معهم رابع قال فإذا ذو البجادين قد مات ورسول الله ﷺ فى القبر وهو يقول دليا إلى أخاكما قال فأضجعه رسول الله ﷺ لشقه ثم قال « **اللهم إنى أمسيت عنه راضيًا فارض عنه**

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٢١ .

اللهم إنى أمسيت عنه راضيًا فارض عنه ، اللهم إنى أمسيت عنه راضيًا فارض عنه » قال فقال ابن مسعود : فياليتنى كنت مكانه فى حفرته »(١) .

وانظر إلى قصته يسوقها طبيب القلوب ومحرك الشوق إلى بلاد الأفراح ابن القيم فى « الفوائد » ص ٤٥ : [كان ذو البجادين يتيمًا فى الصغر فكلفه عمه فنازعته نفسه إلى اتباع الرسول فهم بالنهوض فإذا بقية المرض مانعة فقعد ينتظر العم فلما تكاملت صحته نفذ الصبر فناداه الوجد :-

إلى كم حبسها تشكو المضيقا   أثرها ربما وجدت طريقا

فقال : يا عم طال انتظارى لإسلامك وما أرى منك نشاطاً فقال والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك فصاح لسان الشوق نظرة من محمد أحب إلىّ من الدنيا وما فيها .

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها   تريد أم الدنيا وما فى طواياها
لقال تراب من غبار نعالها   ألذ إلى نفسى وأشفى لبلواها

فلما تجرد للسير إلى الرسول ﷺ جرده عمه من الثياب فناولته الأم بجاداً فقطعه لسفر الوصل نصفين اتزر بأحدهما وارتدى بالآخر فلما نادى صائح الجهاد قنع أن يكون فى ساقه الأحباب والمحب لا يرى طول الطريق لأن المقصود يعينه .

ألا بلغ الله الحمى مَنْ يريده   وبلغ أكناف الحمى من يريدها

(١) رسالة الأولياء من كتاب مجموعة الرسائل لابن أبى الدنيا ص ١١٩ ، وحلية الأولياء ١/٣٦٥ انظر الإصابة ٢/٣٣٠ قال ابن حجر فى الإصابة : رواه البغوى بطوله من هذا الوجه ورجاله ثقات إلا أن فيه انقطاعا وهو كذلك فى السيرة النبوية وأخرجه من طريق سعد بن الصلت عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود وقال فذكره ، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو عن أبيه =

فلما قضى نحبه نزل الرسول ﷺ يمهد له لحده ويقول اللهم إنى أمسيت عنه راضيًا فارض عنه فصاح ابن مسعود يا ليتنى كنت صاحب القبر.

فيامخنث العزم أقل ما فى الرقعة البيذق فلما نهض تفرزن] ا.هـ.

فانظر إلى صحابى متهجد مجاهد يمهد له الرسول ﷺ لحده ويقول عنه « **إنى أمسيت عنه راضيًا ، ويقول دعه فإنه أواه** »

انظر إليه وهو يرتجز : :

هذا أبو القاسم فاستقيمى   تعرضى مدارجًا وسومى

تعرضى والجزاء فى النجوم رضى الله عنهم صحابة رسول الله « لقد أتعبتم من خلفكم » وصاح لسان حالكم لمن بعدكم :

إن كان عندكم كرم بلا عنب   إنا لدينا معًا التين والعنب
أو كان أفقكم مزن بلا سحب   فالمزن فى أفقنا حبلى به السحب

= عن جده . والغريانى فى الذكر وأحمد .

قيام عُلبة بن زيد بن حارثة بن الأوس الأنصارى الأوسى « المتصدّق بعرضه » .

قال ابن حجر فى « الإصابة ٤٩٣/٢ -

« ذكره ابن اسحاق وابن حبيب فى المحبر فى البكائين فى غزوة تبوك ثم قال : فأما علبه بن زيد فخرج من الليل فصلى وبكى وقال : اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ورغبت فيه ولم تجعل عندى ما أتقوى به مع رسولك ، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة .. أصابنى بها فى جسد أو عرض » فذكر الحديث بغير إسناد ، وقد ورد مسندا موصولا من حديث مجمع بن حارثة ، وغيره .

وروى ابن منده بإسناده «كان علبة بن زيد بن حارثة رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وآله وسلم فلما حض على الصدقة جاء كل رجل منهم بطاقته وماعنده ، فقال علبة بن زيد « اللهم إنه ليس عندى ما أتصدق به ، اللهم إنى أتصدق بعرضى على من ناله من خلقك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم مناديا فنادى أين المتصدق بعرضه البارحة ؟

فقام علبة فقال « قد قبلت صدقتك » .

وعند ابن القيم فى زاد المعاد (١/٣) .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أين المتصدق هذه الليلة فلم يقم إليه أحد ثم قال أين المتصدق فليقم فقام إليه فأخبره فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أبشر فوالذى نفس محمد بيده لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة » . رضى الله عنك ياعلبة .

جئت وإخوانك من البكائين تستحملون رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجد ما يحملكم عليه ففاضت أعينكم بالدمع .. فحملكم الله بمنه وكرمه وأثابكم قرآنا يتلى فى حقكم وشرفكم :

« ولا على الذين إذا مآأتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ماينفقون »[1] هذا شوقك سيدى إلى الجهاد .. هذا حنينك هذا دمعك هذا بكاؤك .. ولكنه بكاء الرجال لموقف تندر فى الرؤوس وتتخضب النحور بالدماء .. فلما عجزت عن النفقه .. علمت خير شفيع تطرق به باب الملك العلام .. فلجأت إلى التهجد .. وتصدقت بعرضك فقبل الله منك سيدى فكنت نبراس خير لكل متهجد مجاهد سائر على دربكم النيّر .

(١) التوبة الآية رقم : ٩٢ .

قيام الليل عند السلف

هدى السلف فى القيام

فائدة هامة

قبل الدخول فى سيرة سلفنا بعد الصحابة نعرّج بك على كلام طيب للشاطبى فى الاعتصام (١/٣٠٨ - ٣١٣) : - قال رحمه الله : -

[إن ما تقدم من الأدلة على كراهية الالتزامات التى يشق دوامها معارض بما دل على خلافه ، فقد كان رسول الله ﷺ يقوم حتى تورمت قدماه ، فيقال له أوليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول : « **أفلا أكون عبداً شكورا** ؟ » ويظل اليوم الطويل فى الحر الشديد صائماً ، وكان ﷺ يواصل الصيام ويبيت عند ربه يطعمه ويسقيه ونحو ذلك من اجتهاده فى عبادة ربه وفى رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، ونحن مأمورون بالتأسى به » . فإن أبيتم هذا الدليل بسبب أنه ﷺ كان مخصوصًا بهذه القضية ولذلك كان ربه يطعمه ويسقيه ، وكان يطيق من العمل مالا تطيقه أمته . فما قولكم فيما ثبت من ذلك عن الصحابة والتابعين ، وأئمة المسلمين العارفين بتلك الأدلة التى استدللتم بها على الكراهة حتى أن بعضهم قعد من رجليه من كثرة التبتل ، وصارت جبهة بعضهم كركبة البعير من كثرة السجود وجاء عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه كان إذا صلى العشاء أوتر بركعة يقرأ فيها القرآن كله ، وكم من رجل صلى الصبح بوضوء العشاء كذا كذا سنة ؟ وسرد الصيام كذا كذا سنة ؟ ! وكانوا هم العارفين بالسنة لا يميلون عنها لحظة . وروى عن ابن عمر وابن الزبير رضى الله عنهم أنهما كانا يواصلان الصيام . وأجاز مالك وهو إمام فى الاقتداء صيام الدهر ، يعنى إذا أفطر أيام العيد ، ومما يحكى عن أويس القرنى رضى الله عنه أنه كان يقوم ليلة حتى يصبح ويقول : بلغنى أن لله عباداً سجوداً أبداً - إن لله عبادًا ركوعًا أبدا وعباداً قياماً أبداً - يريد أنه يتنفل بالصلاة فتارة يطول فيها القيام ، وتارة الركوع

والسجود . وعن الأسود بن يزيد أنه كان يجهد نفسه فى الصوم والعبادة حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة يقول له : ويحك لم تعذب هذا الجسد فيقول إن الأمر جد ، إن الأمر جد والآثار فى المعنى كثيرة عن الأولين ، وهى تدل على الأخذ بما هو شاق فى الدوام ، ولم يعدهم أحد بذلك مخالفين للسنة ، بل عدوهم من السابقين ، جعلنا الله منهم وأيضاً فإن النهى ليس عن العبادة المطلوبة ، بل هو عن الغلو فيها ـ غلوّا يدخل المشقة على العامل . فإذا فرضنا من فقدت فى حقه تلك العلة ، فلا ينهض النهى فى حقه ، كما إذا قال الشارع ، لا يقض القاضى وهو غضبان ، وكانت علة النهى تشويش الفكر عن استيفاء الحجج ـ اطرد النهى مع كل مشوش وانتفى عند انتفائه ، حتى إنه منتف مع وجود الغضب اليسير الذى لا يمنع من استيفاء الحجج وهذا صحيح جار على الأصول . وحال من فقدت فى حقه العلة حال من يعمل بحكم غلبة الخوف أو الرجاء أو المحبة فإن الخوف سوط سائق والرجاء حادٍ قائد ، والمحبة سيل حامل ، فالخائف إن وجد المشقة ـ فالخوف مما هو أشق ، يحمله على الصبر على ماهو أهون ، وإن كان العمل شاقاً . والراجى يعمل وإن وجد المشقة لأن رجاء الراحة التامة يحمله على الصبر على بعض التعب ، والمحب يعمل ببذل المجهود شوقاً إلى المحبوب فيسهل عليه الصعب ويقرب عليه البعيد ، وهو القوى (كذا) ولا يرى أنه أوفى بعهد المحبة ولا قام بشكر النعمة ، ويعمر الأنفاس ولا يرى أنه قضى نهمته .

وإذا كان كذلك صح الجمع بين الأدلة وجاز الدخول فى العمل التزاماً مع الإيغال فيه ، إما مطلقاً ، وإما مع ظن انتفاء العلة ، وإن دخلت المشقة فيما بعد ، إذا صح مع العامل الدوام على العمل ، ويكون ذلك جاريًا على مقتضى الأدلة وعمل السلف الصالح .

والجواب إن ما تقدم من أدلة النهى صحيح صريح ، وما نقل عن الأولين يحتمل ثلاثة أوجه : (أحدها) أن يحمل أنهم عملوا على التوسط الذى هو

مظنة الدوام ، فلم يلزموا أنفسهم بما لعله يدخل عليهم المشقة حتى يتركوا بسببه ما هو أولى ، أو يتركوا العمل ، أو يبغضوه لثقله على أنفسهم بل التزموا ما كان على النفوس سهلاً فى حقهم فإنما طلبوا اليسر لا العسر ، وهو الذى كان حال رسول الله ﷺ ، وحال من تقدم النقل عنه من المتقدمين ، بناء على أنهم عملوا بمحض السنة والطريقة العامة لجميع المكلفين . وهذه طريقة الطبرى فى الجواب ، وما تقدم فى السؤال مما يظهر منه خلاف ذلك فقضايا وأحوال يمكن حملها على وجه صحيح ، إذا ثبت أن العامل ممن يقتدى به .

و (الثانى) : يحتمل أن يكونوا عملوا على المبالغة فيما استطاعوا ، لكن على جهة الالتزام لا بنذر ولا غيره ، وقد يدخل الإنسان فى أعمال يشق الدوام عليها ولايشق فى الحال فيغتنم نشاطه فى حالة خاصة غير ناظرفيها فيما يأتى ، ويكون جاريًا فيه على أصل رفع الحرج حتى إذا لم يستطعه تركه ولا حرج عليه لأن المندوب لا حرج فى تركه فى الجملة . فتأملوا وجه اعتبار النشاط والفراغ من الحقوق المتعلقة أو القوة فى الأعمال . وأما ما نقل عنهم من أدلة الصبح بوضوء العشاء وقيام جميع الليل وصيام الدهر ، ونحوه فيحتمل أن يكون على الشرط المذكور ، وهو أن لا يلتزم ذلك وإنما يدخل فى العمل حالاً يغتنم نشاطه ، فإذا أتى زمان آخر وحد فيه النشاط أيضًا ، وإذا لم يخل بما هو أولى عمل كذلك ، فيتفق أن يدوم له هذا النشاط زمانًا طويلا .. وفى كل حالة هو فى فسحة الترك ، لكنه ينتهز الفرصة مع الأوقات ، فلا بُعْدَ فى أن يصحبه النشاط إلى آخر العمر ، فيظنه الظان التزامًا وليس بالتزام . وهذا صحيح ، ولا سيما مع سائق الخوف أو حادى الرجاء أو حامل المحبة ، وهو معنى قوله ﷺ : « **وجعلت قرة عينى فى الصلاة** » فلذلك قام ﷺ حتى تورمت قدماه ، وامتثل أمر ربه فى قوله تعالى : ﴿**قم الليل إلا قليلا**﴾ الآية .

(والثالث) : أن دخول المشقة وعدمه على المكلف فى الدوام أو غيره ، ليس أمرًا منضبطاً بل هو إضافى مختلف بحسب اختلاف الناس فى قوة

أجسامهم ، أو فى قوة عزائمهم ، أو فى قوة يقينهم ، أو نحو ذلك من أوصاف أجسامهم أو أنفسهم فقد يختلف العمل الواحد بالنسبة إلى رجلين لأن أحدهما أقوى جسمًا أو أقوى عزيمة أو يقينًا بالموعود ، والمشقة قد تضعف بالنسبة إلى قوة هذه الأمور وأشباهها ، وتقوى مع ضعفها .

فنحن نقول : كل عمل يشق الدوام على مثله بالنسبة إلى زيد فهو منهى عنه ، ولا يشق على عمرو فلا ينهى عنه . فنحن نحمل ما داوم عليه الأولون من الأعمال على أنه لم يكن شاقًا عليهم ، وإن كان ما هو أقل منه شاقًا علينا ، فليس عمل مثلهم بما عملوا به حجة لنا أن ندخل فيما دخلوا فيه ، إلا بشرط أن يمتد مناط المسألة فيما بيننا وبينهم وهو أن يكون ذلك العمل لا يشق الدوام على مثله .

وليس كلامنا فى هذا لمشاهدة الجميع ، فإن التوسط والأخذ بالرفق هو الأولى والأحرى للجميع ، وهو الذى دلت عليه الأدلة . دون الإيغال الذى لا يسهل مثله على جميع الخلق ولا أكثرهم إلا على القليل النادر منهم .

والشاهد لصحة هذا المعنى قوله ﷺ : « **إنى لست كهيئتكم إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى** » يريد ﷺ أنه لا يشق عليه الوصال ، ولا يمنعه عن قضاء حق الله وحقوق الخلق . فعلى هذا :

مَن رزق أنموذجًا مما أعطيه ﷺ فصار يوغل فى العمل مع قوته ونشاطه وخفة العمل عليه فلا حرج .

وأما رده ﷺ على عبد الله بن عمرو فيمكن أن يكون شهد بأنه لا يطيق على الدوام ، ولذلك وقع له ما كان متوقعًا ، حتى قال :

ليتنى قبلت رخصة نبى الله ﷺ ، ويكون عمل ابن الزبير وابن عمر وغيرهما فى الوصال جاريًا على أنهم أُعطوا حظًا مما أعطيه رسول الله ﷺ ، وهذا بناء على أصل مذكور فى كتاب الموافقات والحمد لله ، وإذا كان كذلك لم يكن فى العمل المنقول عن السلف مخالفة لما سبق] ا . هـ .

قيام سيد التابعين « أويس القرنى » :

قال رسول الله ﷺ : « **إن خير التابعين رجل يقال له أويس ـ مروه فليستغفر لكم** » وفى رواية أخرى « **لو أقسم على الله لأبره** » .

[يسميه الشاطبى (سيد العباد بعد الصحابة لما عرف عنه من كثرة العبادة) ، ويصفه الذهبى بأنه (القدوة سيد التابعين فى زمانه) كان ابن حنبل يضرب به المثل فى الزهد فيقول (لا زهد إلا زهد أويس بلغ به العرى حتى قعد فى قوصرة)(1) . عاش أويس مستغرقاً فى العبادة فهو فى نهاره دائم الصلاة وفى ليلة قائم حتى يصبح يقول (بلغنى أن لله عبادًا سجوداً أبداً) وربما يقصد بذلك التشبه بالملائكة . لأننا نقرأ له فى نص آخر (لأعبدن الله فى الأرض كما تعبده الملائكة فى السماء)(2)] .

عن الربيع بن خيثم أنه قال : أتيت أويساً القرنى فوجدته قد صلى الصبح وقعد فقلت : لا أشغله عن التسبيح ، فلما كان وقت الصلاة قام فصلى إلى الظهر ، فلما صلى الظهر صلى إلى العصر ، فلما صلى العصر قعد يذكر الله إلى المغرب ، فلما صلى المغرب صلى إلى العشاء ، فلما صلى العشاء صلى إلى الصبح ، فلما صلى الصبح جلس فأخذته عينه ، ثم انتبه فسمعته يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عين نوامة وبطن لا تشبع »(3) .

رحمك الله يا أويس تكره هذه الإغفاءة الخاطفة وتؤنب نفسك عليها .

« ولهذا يعده الشاطبى ممن يأخذ بما هو شاق فى الدوام . ومع هذا لا يعتبر مخالفاً

(1 ، 2 ، 3) انظر الزهاد الأوائل مصطفى حلمى من ص ٨٤ ـ ٨٩ ، الاعتصام ٣٠٩/١ ، تنبيه المغترين ص ١١٥ ، سير أعلام النبلاء للذهبى ، ابن سعد فى الطبقات ، ابن عساكر فى التاريخ ١٧٤/٣ تفسير التسترى ص ٩٤ .

ملحوظة : استبعد ابن حزم الحديث النبوى فى وصف أويس والظاهر أنه ليس وحده ذهب إلى ذلك لأن ابن عساكر يذكر أن قوما من المحدثين أنكروا أويسا بالكلية ويعلق على ذلك بقوله (وأمر أويس مشهور فلا معنى لهذا القول) وأين حديث مسلم فيه ؟ !

للسنة ، بل إنه من السابقين الأولين، ألم يكن الرسول ﷺ يقوم الليل حتى تتورم قدماه »[1] .

● نظر إليه رجل فقال مالى أراك مريض الدهر فقال أويس : « ومال لأويس لا يكون مريضاً ، إن المريض يطعم وأويس غير طاعم ، وينام المريض وأويس غير نائم .. ثم قال : ياعجبًا مِمَّنْ يعلم أن الجنة تزين فوقه ، وأن النار تسعر تحته ، كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما »[2] .

وانظر إلى سيد من سادات المسلمين حبسه العرى عن صلاة الجماعة أحياناً ، سيد لا يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيقول « إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً » يسأله الخليفة أن يكتب إلى عامل الكوفة ليستوصى به رفض ، قال (أكون فى غبر الناس أحبّ إلى) إلا أنه كان ينصح هرم بن حيّان بلزوم الجماعة يقول له « لا تفارق الجماعة فتفارق دينك » ، بل إنه من فرط إحساسه بالإنتماء للجماعة يود لو شارك فى إسعاد المسلمين جميعًا فيوفر لهم المأكل والمشرب ، فهو فى دعائه وتوسله إلى الله يخاطب ربه بكلمات عميقة الدلالة فيقول (اللهم إنى أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدن عارى ، فإنه ليس فى بيتى من الطعام إلا ما فى بطنى ، وليس شىء من الدنيا إلا ما على ظهرى » ولم يكن على ظهره حينذاك إلا خرقة) .

(١ ، ٢) انظر المراجع السابقة .

قيام سيد التابعين : سعيد بن المسيب رحمه الله :

• عن عبد الله بن إدريس عن أبيه قال : صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة ، وكان يسرد الصوم [1] .

قيام الأحنف بن قيس[2] : « سيد أهل البصرة » رحمه الله :

سيد أهل البصرة صاحب الحزم والرأى رحمه الله .

• « كان عامة صلاته بالليل الدعاء ، وكان يضع المصباح قريباً منه ، فيضع إصبعه عليه فيقول : حِسٍّ يا أحنف ، ما حملك على ما صنعت يوم كذا وكذا يعنى كذا وكذا »[3] .

• انظر إلى حال التابعى الكبير وقيامه ومحاسبته لنفسه ، ومع هذا يدعو بالمصحف يومًا حتى يعلم من هو ، فينشر المصحف فمرّ بقوم **﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ﴾** ومر بقوم **﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾** فوقف ثم قال : « اللهم لست أعرف نفسي ههنا »[4] .

---

(١) صفة الصفوة ج ٢ ص ٨٠ .

(٢) أسلم على عهد النبي ﷺ ولم يره ودعا له النبي ﷺ ، يعد فى كبار التابعين بالبصرة مات سنة سبع وستين ، وقال له عمر بن الأحنف سيد أهل البصرة ، ومشى مصعب بن الزبير فى جنازته وقال يوم موته : ذهب اليوم الحزم والرأى .

(٣) الزهد لابن حنبل ص ٢٣٥ .

(٤) مختصر قيام الليل للمقريزى ص ١٧ .

قيام عامر بن عبد الله ... عامر بن عبد قيس «راهب العرب» :

● عن الحسن أن عامر بن عبد قيس قال : «إنى وجدت عيش الناس فى أربع : فى النساء والطعام واللباس والنوم ، فأما اللباس فوالله ما أبالى ما واريت به عورتى ، وأما النساء فوالله ما أبالى امرأة رأيت أو جدارًا ، وأما النوم والطعام فقد غلبانى إلاّ أن أصيب منهما ، فوالله لأضرّن بهما جهدى» قال الحسن : «فأضرّ والله بهما جهده حتى مات رحمه الله»[1] وقلما نام الليل رحمه الله .

انظر إلى هذا العَلَم وهو يقول «اللهم إن هؤلاء يغدون ويروحون ولِكُلٍّ حاجة ، وإن حاجة عامر أن تغفر له .

● وكان رحمه الله يوبخ نفسه بعد أن انتفخت ساقاه وقدماه من طول القيام فيقول : يا نفس إنما خلقت للعبادة يا أمارة السوء . قومى يا مأوى كل سوء ، فوعزة ربك لأزحفنّ بك زحوف البعير ، ولئن استطعت أن لا يمس الأرض من زهمك لأفعلن ، ثم يتلوى كما تتلوى الحبة على المقلى ، ثم يقول «اللهم إن النار قد منعتنى من النوم فاغفرلى» .

● وكان يصوم أغلب الدهر ويقوم الليل ، فقيل له فى ذلك ، فقال : «وما هذا إن هو إلا أنى قد جعلت طعام النهار إلى الليل ، ونوم الليل إلى النهار وليس فى ذلك كبير أمر»[2] . وكان طعامه طيلة يومه رغيفين رحمه الله ، وكان يتمثل ويردد «ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها» .

وكان إذا جاء الليل قال : أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يصبح ، وإذا جاء النهار قال : أذهب حر النار النوم فما ينام حتى يمس ، فإذا جاء الليل قال :

(١) الزهد ص ٢٢٤ .
(٢) تنبيه المغتربين ص ١١٥

منْ خاف أدلج ، وعند الصباح يحمد القوم السرى »(١) .

● وقال مالك بن دينار : قالت المرأة التى نزل عليها عامر بن عبد قيس : ما للناس ينامون وأنت لا تنام . قال : إن جهنم لا تدعنى أنام .

وكان إذا قام من الليل يقول: أبت عيناى أن تذوق طعم النوم مع ذكر النار(٢) .

● بعث معاوية إليه بجارية وأمرها أن تعلمه ما حاله فكان يقوم الليل كله ، ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً ، كان يجىء معه بكسر فيجعلها فى ماء فيأكلها ، ويشرب من ذلك فكتب معاوية إلى عثمان بحاله فأمره أن يصله ويدنيه ، فقال لى : لا إرب لى فى ذلك(٣) .

هذا هو حال راهب العرب كما قال كعب

قيام مسروق بن عبد الرحمن أبى عائشة رحمه الله :

قريع القرّاء وسيدهم .... سيد قرّاء أهل الكوفة
العالم بربه ، الهائم بحبه ، الذاكر لذنبه.
حج رحمه الله فما بات إلا ساجداً(٤) .

● كانت امرأة مسروق رحمهما الله تعالى تقول : ـ « والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالى إلا وساقاه منتفختان من طول القيام ، وكنت أجلس خلفه فأبكى رحمة له ، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالساً

---

(١) مختصر قيام الليل للمقريزى ص ٢٦ =
(٢) مختصر قيام الليل للمقريزى ص ١٩ =
(٣) الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٨٥ انظر ترجمته فى الإصابة والحلية والطبقات الكبرى =
(٤) حلية الأولياء ج ٢ ص ٩٥ ، الزهد ص ٣٤٩ =

ولا يترك الصلاة وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما يزحف البعير من الضعف »[١] .

رحمك الله أبا عائشة تبكى زوجك خَلْفَك وأنت تتهجد رحمة لك .. لسان حالك يقول :

أمسى وأصبح من تذكاركم قلقًا   يرثى لى المشفقان الأهل والولدُ
قد خدّد الدمع خدى من تذكركم   واعتادنى المضنيان الشوق والكمدُ
وغاب عن مقلتى نومى فنافرها   وخاننى المسعدان الصبر والجلد

رحمك الله تزحف كما يزحف البعير من الضعف .

لا غرو للدمع أن تجرى غواربه   وتحته الخافقان القلب والكبد
لم يبق إلا خفى الروح من جسدى   فداؤك الباقيان الروح والجسدُ

ابو العالية رحمه الله :

● قال رحمه الله : « كنا نعد من أعظم الذنب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام لا يقرأ منه شيئا »[٢] .

أبو الأحوص عوف بن مالك بن نضلة : رحمه الله :

● عن على بن الأقمر عن أبى الأحوص أنه قال : « إنْ كان الرجل ليطرق الفسطاط طروقاً بسمع لأهله دويًا كدوى النحل ، ما بال هؤلاء يأمنون ما كان أولئك يخافون »[٣] .

---

(١) تنبيه المغترين ص ١١٤ =
(٢) الزهد لابن حنبل ص ٣٠٣ =
(٣) الزهد ص ٣٤٨ =

فانظر رحمك الله إلى رجل من الرعيل الأول يخبر أن من جاء الفسطاط ليلاً حيث ينزل الصحابة والتابعون يسمع دويّهم لإحياء ليلهم بالعبادة والتهجد ثم يعجب من أمان أهل زمانه مما كان يخاف منه الأوائل . قال أحد الصالحين : « هنيئاً لمن اكتحلت عيناه برؤية تلك الحياة »[1] .

قيام هرم بن حيّان رحمه الله :

الهائم الولهان ، القائم العطشان ، عاش فى حبه ولهان حرقاً ، وعاد قبره حين دفن ريّان غدقاً .

● عن المعلى بن زياد قال : كان هرم بن حيّان يخرج فى بعض الليالى وينادى بأعلى صوته : « عجبت من الجنة كيف ينام طالبها . وعجبت من النار كيف ينام هاربها ، ثم قرأ : ـ ﴿ **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون** ﴾ ثم يقرأ « العصر ، وألهاكم ثم يرجع »[2] .

● وبات رحمه الله عند حممة صاحب رسول الله ﷺ قال : فبات حممة ليلته يبكى كلها حتى أصبح ، فلما أصبح قال له هرم : يا حممة ما أبكاك ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور فتخرج من فيها ، وتناثر نجوم السماء فأبكانى ذلك .

● وتمثل محمد بن نافع فى السحر ببيت من الشعر فرفع هرم عليه السوط وجلده على الظهر قائلاً له : أفى هذه الساعة التى ينزل فيها الرحمن ويستجاب فيها الدعاء تتمثل بالشعر »[3] .

---

(١) شريط قيام الليل للشيخ الطحان =

(٢) الحلية ج ٢ ص ١١٩ ، والزهد ص ٢٣١ =

(٣) الزهد ص ٢٣٢ =

قيام أبى مسلم الخولانى[1] رحمه الله :

كان لأبى مسلم سوط يعلقه فى مسجده فإذا كان السحر ونعس أومل أخذ السوط وضرب به ساقيه ، ثم قال : لأنت أولى بالضرب من شر الدواب[2] وفى رواية « قومى لعبادة ربك والله لأزحفن بك زحفاً حتى يكون الكلال منك لا منّى ، وإنك لأولى بالضرب من الدابة لموضع عقلك وكثرة دعاويك »[3] .

قيام عبدالرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس رحمه الله :

قال محمد بن إسحاق: « قدم علينا عبد الرحمن بن الأسود وهو معتل الرجل فقام يصلى الليلة حتى أصبح شاغرًا رجله قائمًا على رجل وصلى بنا العشاء والفجر بوضوء واحد . وقال رحمه الله من قرأ البقرة فى ليلة تُوّج تاجًا فى الجنة »[1]

---

(١) قال النووى رحمه الله فى بستان العارفين ص ١٨٣ : «اسمه عبد الله بن ثوب بثاء مثلثة مضمومة ثم واو مفتوحة مخففة ثم باء موحدة ويقال ابن ثواب ويقال ابن أثوب . وهو من أهل اليمن سكن الشام وكان من كبار التابعين ، وكان قد رحل إلى رسول الله ﷺ ليصحبه فتوفى النبى ﷺ وهو فى الطريق فجاء ولقى أبا بكر الصديق وعمر وغيرهما من الصحابة .
وبإسناد الحافظ أبى طاهر السلفى عن شرحبيل بن الأسود أن الأسود ابن قيس العنسى الكذاب لما ادّعى النبوة بعث إلى أبى مسلم الخولانى ، فلما جاءه قال : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . فردد ذلك عليه فأمر بنار عظيمة فأجّجت فألقى فيها أبا مسلم فلم تضره . فقيل : أنفِه عنك وإلا أفسد عليك من تبعك ، فأمره بالرحيل ، فأتى أبو موسى المدينة وقد توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر ، فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلى إلى سارية فبصر به عمر فقام إليه فقال من الرجل ؟ فقال : من أهل اليمن . قال : فلعلك الذى حرقه الكذاب بالنار ؟ قال : ذلك عبد الله بن ثوب ، قال : نشدتك الله أنت هو؟ قال : اللهم نعم ، فاعتنقه ثم بكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين أبى بكر فقال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد ﷺ مَنْ فُعِل به كما فعل بإبراهيم عليه السلام خليل الرحمن » . وروى عنه أنه كان يقول إذا فتر « أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يسبقونا عليه ، والله لأزاحمهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً » .

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٨

(٣) تنبيه المغترين ص ١١٦

قيام الحسن البصرى :

حليف الخوف والحزن ، أليف الهمّ والشجن ، عديم النوم والوَسَنْ أبو سعيد الحسن بن أبى الحسن .

قيل مرة ليونس بن عبيد : هل رأيت أحدًا يعمل بعمل الحسن البصرى فقال : والله ما رأيت من يقول بقوله فكيف أرى من يعمل بعمله ! ! «كان وعظه يبكى القلوب ووعظ غيره لا يبكى العيون »(٢) .

كان إذا قدم فكأنما أقبل من دفن حميم له ، وإذا بكى فكأن النار لم تخلق إلاّ له ، رضع لبان الحكمة من أم سلمة رضى الله عنها .

● قال رحمه الله : إنى لم أجد من العبادة شيئاً أشد من الصلاة فى جوف هذا الليل(٣) .

● وعنه قال : فى قوله تعالى : ﴿ **وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً** ﴾ قال : « من عجز بالليل فإنّ له فى النهار مستعتب ، ومن عجز فى النهار كان له فى الليل مستعتب »(٤) .

● قال الحسن : « إذا نام العبد ساجداً باهى الله به الملائكة يقول : انظروا إلى عبدى ، يعبدنى وروحه عندى وهو ساجد »(٥) .

● وقال رحمه الله : « ما عمل عملاً بعد الجهاد فى سبيل الله أفضل من ناشئة الليل »(٦) .

---

(١) الزهد ص ٣٦١ ، ٣٦٠ وتهذيب التهذيب ص ١٤٠

(٢) تنبيه المغترين ص ٩

(٣) الزهد لابن حنبل ص ٢٥٩

(٤) الزهد لابن حنبل ص ٢٧٢

(٥) الزهد ص ٢٨٠، ٤

(٦)

● وعنه رحمه الله : « والله لقد أدركت أقواماً ، وصحبت طوائف منهم ، ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ، ولهى كانت أهون فى أعينهم من هذا التراب ، كان أحدهم يعيش خمسين سنة لم يطوله ثوب قط ، ولا نُصب له قدر ، ولا جعل بينه وبين الأرض شيئاً ، ولا أمر فى بيته بصنعة طعام قط ، فإذا كان الليل فقيام على أطرافهم يفترشون وجوههم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ، كانوا إذا عملوا الحسنة دأبوا فى شكرها ، وسألوا الله أن يقبلها ، وإذا عملوا السيئة أحزنتهم وسألوا الله أن يغفرها ، فما زالوا كذلك على ذلك ، فوالله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة ، وإنكم أصبحتم فى أجل منقوص ، والعمل محفوظ ، والموت والله فى رقابكم ، والنار بين أيديكم ، فتوقعوا قضاء الله عز وجل فى كل يوم وليلة »[1] .

كلمات للحياة :

وعن الحسن رحمه الله ـ وكلامه يستمطر الدمع لصدقه ، وليست الثكلى كالنائحة المستعاره ـ يقول :

« إن لله عز وجل عباداً كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين ، وكمن رأى أهل النار فى النار مخلدين قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، حوائجهم خفيفة وأنفسهم عفيفة ، صبروا أياماً قصاراً تعقب راحة طويلة .

أما الليل فَمُصَّافَّةٌ أقدامهم ، تسيل دموعهم على خدودهم ، يجأرون : ربنا ربنا ، وأما النهار فحلماء علماء ، بررة أتقياء كأنهم القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أو خولطوا ولقد خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم »[2] .

---

(١) الزهد ص ٢٨٥

(٢) حلية الأولياء ص ١٥١ . ج ٢

● ويقول رحمه الله فى قوله تعالى : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً** ﴾ قال : « الذين يمشون على الأرض بالوقار والسكينة ، حلماء لا يجهلون وإن جُهل عليهم حلموا ، ذلت والله الأبدان والأبصار حتى حسبهم الجاهل مرضى ، والله ما بالقوم من مرض وإنهم لأصحاء القلوب ، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنع منهم الدنيا علمهم بالآخرة ، هذه أخلاقهم التى انتشروا بها فى الناس ، وهم الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، أسهروا والليل الأعين ، وهضموا فى الآخرة كل شىء ، والله ما تعاظم فى أنفسهم شىء طلبه به الجنة ، وقالوا حين دخلوا الجنة : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور » ثم يقول رحمه الله :

« والله لقد كابدوا فى الدنيا أحزاناً شديدة وخوفاً شديداً ، والله ما أحزنهم من أحزان الناس شىء ، أبكاهم الخوف من النار ، وأن الله لن يجمع على المؤمن خوف الدنيا وخوف الآخرة ، فعجلوا الخوف حتى تلقوا ربكم » . وقال : « ذكر ليلهم خير ليل فقال : والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، ينتصبون لله على أقدامهم ، ويفترشون وجوههم سجداً لربهم ، تجرى دموعهم على خدودهم فرقاً من ربهم ، لأمر ما سهروا ليلهم ، ولأمر ما خشعوا نهارهم ، صدق القوم والله الذى لا إله إلاّ هو فعملوا ، وأنتم تمنون ، فإيّاكم وهذه الأمانىّ رحمكم الله ، فإن الله لم يعط عبداً منيته خيراً فى دنيا ولا آخرة » ، وكان يقول : « يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة » .

● ثم قال رحمه الله : « لقد صحبت أقواماً يبيتون لربهم فى سواد هذا الليل سجداً وقياماً ، يقومون هذا الليل على أطرافهم ، تسيل دموعهم على خدودهم ، فمرة ركعاً ، ومرة سجداً ، يناجون ربهم فى فكاك رقابهم ، لم يملوا طول السهر لما خالط قلوبهم من حسن الرجاء فى يوم المرجع ، فأصبح القوم لما

أصابوا من النصب لله فى أبدانهم فرحين ، وبما يأملون من حسن ثوابه مستبشرين فرحم الله إمرءًا ناقسهم فى مثل هذه الأعمال ، ولم يرض لنفسه من نفسه بالتقصير فى أمره ، واليسير من فعله ، فإن الدنيا عن أهلها منقطعة ، والأعمال على أهلها مردودة [1] ، ثم يبكى حتى تبل لحيته بالدموع .

● وعنه : «كان يقال ما عمل الناس من عمل أثبت فى خير من صلاة فى جوف الليل ، وما فى الأرض شيء أجهد للناس من قيام الليل والصدقة » وكان رحمه الله يصلى قائماً ، فإذا عيى صلّى قاعداً ، فإذا فتر صلى مضطجعاً » [2]

● وكان رحمه الله يقول : «كان أحدهم يبيت يقرأ القرآن فيصبح يعرف ذلك فيه ، وأحدهم اليوم يقرأ القرآن فكأنما يحمل به ردا كتان » [3] .

● وقال أيضًا رحمه الله : « قرّاء القرآن ثلاثة أصناف : صنف اتخذوه بضاعة ، وصنف أقاموا حروفه وضيّعوا حدوده ، واستطالوا به على أهل بلادهم ، واستدروا به الولاة ، وقد كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله ، وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم فاستشعروا الخوف ، وركدوا فى محاريبهم ، وخبّوا فى برانسهم فأولئك الله ينصر بهم على الأعداء ، ويسقى بهم الغيث ، فوالله لهذا الصنف من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر » .

● وكان رحمه الله يقول لمجتهدى زمانه فى العبادة : « والله إن اجتهادكم باللعب بالنظر لمن كان قبلكم » [4] .

● صدقت يا طبيب القلوب ، يا من نافست من سبقك حتى يعلم أصحاب

---

(١) مختصر قيام الليل ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .
(٢) مختصر قيام الليل ص ١٢٦
(٣) الحلية ص ١٥٠ ج ٨ .
(٤) تنبيه المغترين ص ١١٦

محمد ﷺ أنهم خلّفوا بعدهم رجالاً فقلت « من نافسك فى دينك فنافسه ، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره » .

قد هيأوك لأمرٍ لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

قيام الربيع بن خيثم رحمه الله :

تلميذ عبد الله بن مسعود الذى كان يثنى عليه فيقول : « يا أبا يزيد ، لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك ، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين » (١).

● عن عبد الرحمن بن عجلان قال : بت عند الربيع بن خيثم ذات ليلة فقام يصلى ، فمرّ بهذه الآية « أم حسب الذين اجترحوا السيئات » الآية فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد » (٢).

● وكان أصحابه يُعلمون شَعْره عند المساء ـ وكان ذا وفرة ـ ثم يصبح والعلامة كما هى ، فيعرفون أن الربيع لم يضع جنبه الليلة على فراشه (٢).

● وكانت أمه تناديه : يا بنى يا ربيع ألا تنام ، فيقول : يا أمه من جنّ عليه الليل وهو يخالف البيات حق له ألا ينام » (٣).

● وكانت ابنته تقول له : يا أبت مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام (٣) ؟

فقال : إن النار لا تدع أباك أن ينام .

● واشترى رحمه الله فرساً بثلاثين ألفاً فغزا عليها ، ثم أرسل غلامه يسار يحتش وقام يصلى ، وربط فرسه ، فجاء الغلام فقال : يا ربيع أين فرسك ؟ قال : سُرِقت يا يسار . قال : وأنت تنظر إليها ؟ قال : نعم يا يسار إنى كنت أناجى ربى عز وجل فلم يشغلنى عن مناجاة ربى شىء ، اللهم إنه سرقنى ولم أكن لأسرقه ، اللهم إن كان غنياً فاهده ، وإن كان فقيراً فاغنه ، ثلاث مرات (٤).

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٠٦ .

(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ١١٢ .

(٣) حلية الأولياء ج ٢ ص ١١٤ ، مختصر قيام الليل ص ١٩ والزهد ص ٣٢٩ ، ٣٣٠

(٤) الزهد ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، مختصر قيام الليل ص ٢٧

يا لروعة الموقف : ويا حسن أخلاقك يا أبا يزيد حين تدعو لسارقك .. وأنّى للكلمات أن تصور رقة هذا الموقف ، ونعم تلميذ عبد الله بن مسعود أنت ، فقد ربّاك على سمعه وبصره ، وصُنعت على عينه .

قيام عروة بن الزبير بن العوام :

المجتهد المتعبد الصوّام رحمه الله :

● عن ابن شوذب قال : كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم فى المصحف ويقوم به ليله .

● وقال سلمة بن محارب : وقعت فى رجل عروة الأكلة ولم يدع تلك الليلة ورده [٥] .

رحمك الله يا ابن حوارى رسول الله ﷺ وأحد فقهاء المدينة السبعة ، تقطع رجلك وأنت صائم فما يتضور وجهك ثم تقوم من ليلتك هذه ! ! لقد أتعبتم من لحلفكم ، وسبقتم والله على كل ضامر فسقى الله قبركم وجمعنا بكم فى مستقر رحمته .

قيام مطرف بن عبد الله :

عن ثابت قال : قال مطرف : إنى لأستلقى من الليل على فراشى فأتدبر القرآن ، وأعرض عملى على عمل أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**﴾ ، * **يبيتون لربهم سجداً وقياماً**﴾ ، ﴿**أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً**﴾ فلا أرانى فيهم ، فأعرض نفسى على هذه الآية ﴿**ما سلككم فى سقر**﴾ فأرى القوم مكذبين ، وأمر بهذه الآية ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً**﴾ فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم [٢] .

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٧٨
(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ١٩٨

قيام أبي الصهباء صلة بن أشيم العدوى :

كان فى الحنادس منتصباً ذاكراً

● قالت عنه زوجته العابدة المتهجدة معاذة : «ما كان صلة يجيء من مسجد بيته إلى فراشه إلاّ حَبْواً يقوم حتى يفتر فما يجيء إلى فراشه إلاّ حبواً »[1] .

● وكان صلة يخرج إلى الجبّانة فكان يمر عليه شبان يلهون ويلعبون قال فيقول لهم أخبرونى عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق ، وباتوا الليل متى يقطعون سفرهم قال فكان كذلك يمر بهم فيعظهم ، قال فمرّ بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة فقال شاب منهم : يا قوم إنه والله ما يعنى بهذا غيرنا ، نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام ، ثم اتبع صلة وتعبد معه[2] .

● رحم الله قوماً أنت منهم أبا الصهباء فقد قال ثابت : «كان قوم من بنى عدى قد أدركنا بعضهم إن كان أحدهم ليصلى حتى ما يأتى فراشه إلا زحفاً ، وكان ابن الربيع العدوى يصلى حتى ما يأتى الفراش إلا زحفاً أو حبوًا ، وما كانوا يعدونه من أعبدهم[3] .

● عن جعفر بن زيد قال : خرجنا فى غزاة إلى كابل وفى الجيش صلة بن أشيم ، قال : فترك الناس عند العتمة ـ ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس حتى إذا قلت هدأت العيون ، وثب فدخل غيضة قريباً منه ، فدخلت فى أثره فتوضأ ثم قام يصلى فافتتح الصلاة ؟ قال وجاء أسد حتى دنا منه ، قال : فصعدت إلى شجرة ، قال : أفتراه إلتفت إليه أو وعذبه[4] حتى سجد ، فقلت : الآن يفترسه فلا شىء ، فجلس ثم سلم ، فقال : أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر ،

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ٢٠٩ ومختصر قيام الليل ص ١٩ وأخرجه ابن سعد من طريق عفان بهذا الإسناد وهو صحيح أنظر تحقيق سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٩٧ صححه شعيب الأرناؤوط

(٢) الزهد ص ٢٠٨ والحلية ج ٢ ص ٢٣٨

(٣) مختصر قيام ص ١٩

(٤) طرده أو منعه.

فولى وإن له لزئيراً أقول تصدعت منه الجبال ، فما زال كذلك يصلى حتى لما كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله ، ثم قال اللهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار ، أومثلى يجترىء أن يسألك الجنة ، ثم رجع فأصبح كأنه بات على الحشايا وقد أصبحت وبى من الفترة شىء الله تعالى به عليم [١] .

قيام محمد بن سيرين :

كان بالليل بكاءً نائحاً ، وبالنهار بساما سائحا .

قالت أم عباد امرأة هشام بن حسان : كنا نزولاً مع محمد بن سيرين فى داره فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار [٢] .

- قال محمد بن سيرين رحمه الله : لابد من قيام ولو قدر حلب شاه [٣] .

قيام مسلم بن يسار :

ذكروا له قلة التفاته فى صلاته ، فقال : وما يدريكم أين قلبى ، وكان إذا دخل فى صلاته يقول لأهله تحدثوا فلست أسمع حديثكم .

وكان يقول : « ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل ، وكان يدخل الكعبة فيصلى ركعتين بين العمودين المقدمين ويسجد ويبكى حتى يبل المرمر ويقول : اغفرلى ذنوبى وما قدمته يداى ، وكان يقول فى سجوده : متى ألقاك وأنت عنى راض [٤] .

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٢٤٠ وقال شعيب الأرناؤوط : إسناده ضعيف انظر تحقيق سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٩٦

(٢) الحلية ج ٢ ص ٢٧٢

(٣) الزهد ص ٣٠٦

(٤) حلية الأولياء ج ٢ ص ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤

قيام معاوية بن قرة : البسام بالنهار البكاء فى الأسحار .

كان رحمه الله يقول : من يدلنى على رجل بكّاء بالليل بسّام بالنهار[1] .

● وحدّث أن أباه كان يقول لبنيه إذا صلوا العشاء : يا بنى ناموا لعلّ الله أن يرزقكم من الليل خيراً .

قيام عمرو بن الأسود السكونى :

كان عمر بن الخطاب يقول : « من سرّه أن ينظر إلى هدى رسول الله ﷺ فلينظر إلى هدى عمرو بن الأسود .

● كان رحمه الله من العبّاد الزهاد وكان له حلة بمائتى درهم يلبسها إذا قام إلى صلاة الليل[2] .

قيام الليل عند أبى محمد ثابت بن أسلم البنانى رحمه الله :

المتعبد الناحل والمتهجد الذابل .

قال أنس بن مالك « إن للخير مفاتيح ، وإن ثابتاً مفتاح من مفاتيح الخير » .

قال رحمه الله : لا يسمى عابد أبداً عابداً ، وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان : الصوم والصلاة ، لأنهما من لحمه ودمه .

قالت ابنته : كان يقوم الليل خمسين سنة فإذا كان السحر قال فى دعائه : « اللهم إن كنت أعطيت أحداً من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينها فما كان الله ليرد ذلك الدعاء »[3] .

● وكان يصلى قائماً حتى يعيى ، فإذا أعيى جلس فيصلى وهو جالس .

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٢٩ ، الزهد ص ٢٨٩ ، مختصر قيام الليل ص ١٩

(٢) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٦

(٣) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣١٨

● وعنه : الصلاة خدمة الله فى الأرض ، لو علم الله عز وجل شيئاً أفضل من الصلاة لما قال : ﴿ **فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب** ﴾ .

● وعن المبارك بن فضالة رحمة الله دخلت على ثابت البنانى فى مرضه ، فلما دخلنا عليه قال : يا إخوتاه لم أقدر أن أصلى البارحة كما كنت أصلى ، ولم أقدر أن أصوم كما كنت أصوم ، ولم أقدر أن أنزل إلى أصحابى فأذكر الله عز وجل كما كنت أذكره معهم ، ثم قال : « اللهم إذا حبستنى عن ثلاث فلا تدعنى فى الدنيا ساعة : إذ حبستنى أن أصلى كما أريد ، وأصوم كما أريد ، وأذكرك كما أريد فلا تدعنى فيها ساعة .

● قال ثابت : كان رجل من العباد يقول : إذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت أعود إلى النوم فلا أنام الله عينىّ إذاً . قال جعفر : كنا نرى ثابتاً إنما يعنى نفسه (١) .

● وقال رحمه الله : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتنعّمتُ بها عشرين سنة (٢) .

وقال رحمه الله : لقد أدركنا الناس وأحدهم يصلى فلا يأتى فراشه إلا زاحفاً (٣) .

وقال رحمه الله : « ما شىء أجده فى قلبى ألذ عندى من قيام الليل » .

وكان رحمه الله يقوم الليل فإذا أصبح يأخذ قدماه بيده فيعصرهما ثم يقول : « مضى العابدون وقُطِع بى ، والهفاه » (٤) .

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٢٠
(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٢١
(٣) تنبيه المغترين ص ١١٥
(٤) صفة الصفوة

قيام قتادة بن دعامة :

الحافظ الرغَّاب ، الواعظ الرهّاب ، قتادة أبو الخطاب .

• قال أبو الخطاب قتادة رحمه الله : « ابن آدم : إن كنت لا تريد أن تأتى الخير إلاّ بنشاط ، فإن نفسك إلى السآمة وإلى الفترة وإلى الملل أميل ، ولكن المؤمن هو المتحامل ، والمؤمن المتقوى ، وإن المؤمنين هم العجّاجون إلى الله بالليل والنهار ، وما زال المؤمنون يقولون : ربّنا ربنا فى السر والعلانية حتى استجاب لهم »(١) .

• وقال رحمه الله : منع البر النوم ، وكانوا ينامون قبل الإسلام ، فلمّا جاء الإسلام أخذوا والله من نومهم وليلهم ونهارهم وأموالهم وأبدانهم ما تقربوا به إلى ربهم(٢) .

• وكان يختم القرآن فى كل سبع ليال مرة ، فإذا جاء رمضان ختمه فى كل ثلاث ليال مرة .

• فإذا جاء العشر ختم فى كل ليلة مرة .

• وقال رحمه الله فى قوله ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قال : « إن الله تعالى مقاماً هو قائمه ، وإن أهل الإيمان خافوا ذلك المقام ، فنصبوا ودأبوا الليل والنهار .

قيام محمد بن واسع : « زين القرّاء »(٣) رحمه الله

كان رحمه الله من قرّاء الرحمن .

• قال أبو الطيب موسى بن بشار :

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٦

(٢) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٣٨

(٣) سمّاه بهذا الحسن

« صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة فكان يصلى الليل أجمع فى المحمل جالساً يومىء برأسه إيماء ، وكان يأمر الحادى يكون خلفه ، ويرفع صوته حتى لا يفطن له ، وكان ربما عرس من الليل فينزل فيصلى ، فإذا أصبح أيقظ أصحابه رجلاً رجلاً فيجىء إليه فيقول : الصلاة الصلاة[1] .

● وكان رحمه الله يبالغ فى إخفاء عمله ويقول : لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بلّ ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته[2] وكان رحمه الله يقول أيضاً : إن كان الرجل ليبكى عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به.

قيام العلاء بن زياد العدوى :

قال مالك بن دينار لهشام بن زياد : حدّثهم بحديث أخيك ، قال : نعم ، كان أخى العلاء بن زياد يحيى كل ليلة جمعة فجاء ذات ليلة فقال لامرأته أسماء : إنى أجد الليلة فتره فإذا مضى كذا وكذا من الليل فأيقظينى ، قال : فلما جاءت الساعة انتبه فزعاً ، فقال : إنه أتانى آت فأخذ بمقدم رأسى فقال : يا بنى زياد قم فاذكر الله عز وجل يذكرك . قال هشام : فوالله ما زلن تلك الشعرات قياماً فى مقدم وجهه ما صحب الدنيا وبعد موته ، ولقد غسلناه وإنهن القيام وماسكن[3] .

قيام مالك بن دينار « أبى يحيى الخائف الجآر » :

● قال المغيرة بن حبيب : تعاهدت مالكاً ذات ليلة فجئت ، وقد لبست وطيفة فى ليالى الشتاء قال : فطرحت نفسى على باب البيت ، قال فدخل مالك فاستقبل القبلة ، وأخذ بلحيته ، وجعل يقول : يارب إذا جمعت الأولين

---

(١) حلية الأولياء ج ٢ ص ٣٤٦

(٢) الحلية ج ٢ ص ٣٤٧

(٣) الزهد ص٢٥٥ ، إحياء كل ليلة جمعة معناه والله أعلم قيامها كلها مع قيام بقية الليالى أما تخصيص ليلة الجمعة بالقيام فهذا منهى عنه.

والآخرين فحرّم شيبة مالك على النار ، فما زال كذلك حتى طلع الفجر[١] .

● وكان يقول : لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون فى سائر الدنيا كلها : أيها الناس .. النار .. النار[٢] .

● وكان إذا قام فى محرابه يقول : يارب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار فأى الدارين دار مالك ثم يبكى .

قيام عبد الله بن غالب الحدانى « أبى قريش العابد » .

● كان من عباد البصرة ومن خيار الناس ، وكان رحمه الله يقول فى دعائه : « اللهم إنا نشكو إليك سفه أحلامنا ونقص علمنا واقتراب آجالنا وذهاب الصالحين منا »[٣] .

● قال رحمه الله : لقد ذهب الطاعون الجارف ببنىّ وما شبعت من حديثهم ، أما النهار فكما ترون وكان يصلى فيما بين الظهر والعصر وما بين المغرب والعشاء يسبح تسبيحاً كثيراً دائماً ـ وأمّا الّليل فأقول الحقوا بأمكم[٤] .

● ولقيه الحسن فقال له الحسن : لو رفقت ، فقال عبد الله ﴿**كلاً لا تطعه واسجد واقترب**﴾ ثم خرّ فسجد ، وكان رحمه الله يقول : لهذا خلقنا وبهذا أمرنا[٥] .

● قال المغيرة بن حبيب : لما برز العدو قال عبد الله بن غالب : « على ما آسى من الدنيا فوالله ما فيها للبيب جذل ، ووالله لولا محبتى لمباشرة السهر بصفحة وجهى ، وافتراش الجبهة لك يا سيدى ، والمراوحة بين الأعضاء والكراديس[٦]

---

(١) الزهد ص ٣٢٥ ، الحلية ج ٢ ص ٣٦١

(٢) الحلية ج ٢ ص ٣٦٩

(٣) الزهد لابن حنبل ص ٢٤٧

(٤) الزهد ص ٢٤٨

(٥) تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٥٤ ، ٣٥٥

(٦) الكراديس : ملتقى كل عظْمَين كبيرين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين.

فى ظلم الليالى رجاء ثوابك وحلول رضوانك لقد كنت متمنياً لفراق الدنيا وأهلها ، ثم كسر جفن سيفه ، وتقدم فقاتل حتى قتل ، فلما دفن أصابوا من قبره المسك ، وكان الناس يأخذون من تراب قبره كأنه المسك ، ورآه رجل فيما يرى النائم فقال يا أبا فراس ماذا صنعت ؟ قال خير الصنيع ، قال : إلى ماصرت ؟ قال إلى الجنة ، قال : بم ؟ قال : بحسن اليقين وطول التهجد وظمأ الهواجر ، قال : فما هذه الرائحة الطيبة التى توجد من قبرك ، قال تلك رائحة التلاوة والظمأ ، قال له أوصنى ، قال : اكسب لنفسك خيرًا لا تخرج عنك الليالى والأيام عطلاً فإنى رأيت الأبرار نالوا البرّ بالبر» .

وكان يصلى فى اليوم مائة ركعة[1] . أخفوا لله القيام فجعلهم الله سادة ونشر الله عملهم حتى نم التراب عنه .

قيام أيوب السختيانى :

سيد الفتيان ، وفتى العباد والرهبان ، السختيانى أيوب بن كيسان كان « سيد الفقهاء » كما يقول شعبة و « سيد الفتيان » كما يقول الحسن .

كان يقوم الليل كله فيخفى ذلك ، فإذا كان عند الصبح رفع صوته كأنه قام تلك الساعة[2] .

ولكن كيف يخفى الليل بدرًا ساطعًا ؟ رحمك الله يا سختيانى .

قال ابنه : كان يجهر بالقرآن من الليل وكان يقوم بالسحر الأعلى .

لسان حالك يا أيوب يقول :

أسائل عمن لا أريد وإنما ... أريدكمُ مَن بينهم بسؤالى
فيعثر ما بين الكلام ورجعه ... لسانى بكم حتى ينم بحالى
وأطوى على ما تعلمون جوانحى ... وأظهر للعذال أنى سالى

---

(١) مختصر قيام الليل للسمرقندى ص ٢٩

(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ٨

قيام سليمان بن طرخان :

قال عنه الذهبى (شيخ الإسلام) كان رحمه الله يقول : « إن العين إذا عوّدتها النوم اعتادت ، وإذا عوّدتها السهر اعتادت » .

وكان سليمان التيمى رحمه الله يقول لأهله : هلمّوا حتى نجزى الليل فإن شئتم كفيتكم أوله ، وإن شئتم كفيتكم آخره . وكان عنده زوجتان فكانوا يقتسمون الليل أثلاثاً وكان الناس يتعجبون من صبره على الصلاة ، وكان يقوم الليل كله إلا أوله ، وربما قام بالآية كلها حتى الصباح .

يقول عنه معمر مؤذنه : « صلى إلى جنبى سليمان التيمى بعد العشاء الآخرة ، وسمعته يقرأ ﴿ **تبارك الذى بيده الملك** ﴾ قال : فلما أتى على هذه الآية : ﴿ **فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا** ﴾[1] . جعل يرددها حتى خفّ أهل المسجد فانصرفوا ، قال : فخرجت وتركته ، قال : وعدوت لأذان الفجر فنظرت فإذا هو فى مقام ، قال : فسمعت فإذا هو فيها لم يجرها وهو يقول : ﴿ **فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا** ﴾[1]

ولما مات قالت جارية من جيرانه لأمها : يا أماه ما فعل المِشجب[2] الذى كان فوق السطح تظن أن سليمان كان المشجب[2]

عبد الله بن عون :

كان رحمه يقول : أحب لكم يا معشر إخوانى ثلاثة : هذا القرآن تتلونه آناء الليل والنهار ، ولزوم الجماعة ، والكف عن أعراض المسلمين[3]

المنذر بن مالك أبو نضرة (مغيض الدموع والعبرة) :

كان رحمه الله يقول : يستحب إذا قرأ الرجل هذه الآية ﴿ **أفأمن أهل**

---

(١) حلية الأولياء ج ٣ ص ٢٩

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٨ ، والمشجب : عيدان تضم رؤوسها ويفرج بين قوائمها وتوضع عليها الثياب وقد تعلق عليها الأسقية لتبريد الماء « مجمع البحار » .

(٣) حلية الأولياء ج ٣ ص ٤١

القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون﴾ أن يرفع بها صوته .

● وكان يقول : من قرأ فى ليلة مائة آية إلى ألف آية أصبح وله قنطار من الثواب والقنطار ملء مسك ثور ذهباً[1] .

قيام حسان بن أبى سنان :

● قالت امرأة حسّان بن أبى سنان عنه : كان يجىء فيدخل فى فراشى ، ثم يخادعنى كما تخادع المرأة صبيها ، فإذا علم أنى نمت سل نفسه فخرج ، ثم يقوم فيصلى ، قالت : فقلت له يا أبا عبد الله كم تعذب نفسك ؟ ارفق بنفسك ! فقال : اسكتى ويحك فيوشك أن أرقد رقدة لا أقوم منها زماناً »[2] .

وقيل له فى مرضه ما تشتهى ؟ قال : ليلة بعيدة ما بين الظرفين أُحيي ما بين طرفيها لسان حاله يقول : -

جرى حبه مجرى دمى فى مفاصلى   فأصبح لى عن شغل به شغلِ
كأن سهاد الليل يعشق مهجتى   فبينهما فى كل هجر لنا وصل[3]

قيام أبى همام شميط بن عجلان :

الـ امق الولهان .. الواعظ الولهان .

● ـن يصف المتقين فيقول : -

« أتاهم من الله أمر وقذهم عن الباطل ، فأسهروا العيون وأجاعوا البطون ، وأظمأوا الأكباد ، وأنصبوا الأبدان ، واهتضموا الطارف والتالد ، باتوا على تصون ، أتاهم وعيد الله فناموا على خوف[4]

● وكان يصف أبناء الدنيا فيقول : دائم البطنة ، قليل الفطنة ، إنما همه بطنه

---

(١) حلية الأولياء ج ٣ ص ٩٧
(٢) حلية الأولياء ج ٣ ص ١١٧
(٣) اللطف فى الوعظ ص ١٤
(٤) حلية الأولياء ١٢٦/٣

وفرجه وجلده يقول : متى أصبح فآكل وأشرب ، وألهو ، وألعب ، ومتى أمسى فأنام ، جيفة بالليل بطال بالنهار . ويحك ألهذا خلقت ، أم بهذا أمرت ، أم بهذا تطلب الجنة وتهرب من النار .

وكان يقول : اللهم اجعل أحب ساعات الدنيا إلينا ساعات ذكرك وعبادتك ، واجعل أبغض ساعاتها إلينا ساعات أكلنا وشربنا ونومنا .

وكان يقول : إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن فى قلبه ولم يجعلها فى أعضائه ، أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك[1] .

قيام محمد بن المنكدر : « سيد القرّاء » :

كان محمد بن المنكدر ربما يقوم من الليل فيصلى ويقول : «كم من عين الآن ساهرة فى رزىء وكان له جار مبتلى فكان يرفع صوته من الليل يصيح ، وكان محمد يرفع صوته بالحمد فقيل له فى ذلك فقال : يرفع صوته بالبلاء وأرفع صوتى بالنعمة »[2] .

قيام صفوان بن سليم :

● قال عنه مالك بن أنس : «كان صفوان يصلى فى الشتاء فى السطح ، وفى الصيف فى بطن البيت ، يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ، ثم يقول : هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم ، وإنه لترم رجلاه حتى تعود مثل السفط من قيام الليل ويظهر فيها عروق خضر[3] وكان يصلى فى قميص لئلا ينام » . رحمه الله لو قيل له غداً القيامة ، ما كان عنده مزيد على ما هو عليه من العبادة ، وتعقدت

---

(١) حلية الأولياء ١٣٠/٣

(٢) حلية الأولياء ١٤٧/٣

(٣) حلية الأولياء ١٥٩/٣

ساقاه من طول القيام[1] .

أبو حازم رحمه الله :

• كان رحمه الله يقول : لقد أدركنا أقواماً كانوا فى العبادة على حد لا يقبل الزيادة[2] وكان يقول : كنت ترى حامل القرآن فى خمسين رجلاً فتعرفه قد مصعه[3] القرآن وأدركت القراء الذين هم القرّآء ، أما اليوم فليسوا بقرّاء ، ولكنهم خرّاء .

قيام أبى حمزة محمد بن كعب القرظى :

كانت أمه تقول له : يا بنى لولا أنى أعرفك صغيراً طيباً وكبيراً طيّباً لظننت أنك أحدثت ذنباً موبقاً لما أراك تصنع بنفسك فى الليل والنهار .

قال يا أماه : « وما يؤمننى أن يكون الله قد اطلّع علىّ وأنا فى بعض ذنوبى فمقتنى فقال اذهب لا أغفر لك ، مع أن عجائب القرآن تورد علىّ أموراً حتى إنه لينقضى الليل ولم أفرغ من حاجتى .

• وكان رحمه الله يقول : « لأن أقرأ فى ليلة حتى أصبح ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ والقارعة ، لا أزيد عليها وأتردد فيها وأتفكر ، أحب إلىّ من أهدر القرآن هدراً أو أنثره نثراً[4] .

قيام عمرو بن دينار : أبو محمد المتعبّد المتهجد :

قسّم عمرو بن دينار الليل ثلاثاً : ثلثاً ينام ، وثلثاً يتحدث ، وثلثاً يصلى[5]

---

(١) ، (٢) تنبيه المغتربين ص ١١٦ .

(٢) يريد به هنا الهزال

(٣) حلية الأولياء ٢١٤/٣ ، ٢١٥

(٤) حلية الأولياء ٣٤٨/٣ .

قيام يزيد بن أبان الرقاشى

كان رحمه الله يقول : إذا أنا نمت فاستيقظت ثم عدت فى النوم فلا أنام الله عينى[١] .

● وقال رحمه الله : « بطول التهجد تقرعيون العابدين ، وبطول الظمأ تفرح قلوبهم عند لقاء الله »[٢] .

قيام عمر بن المنكدر :

قالت له أمه : إنى لأشتهى أن أراك نائماً ، فقال : يا أمّه ، والله إن الليل ليرد علىّ فيهولنى فينقضى عنى وما قضيت منه أربى[٣] .

لسان حاله يقول :« ذُقِ الهوى وإنْ استطعت الملام لِمُ » .

قيام منصور بن زاذان : زين القرآء والفتيان ، الميسر له تلاوة القرآن :

كان يصلى الليل كله . وقالت أم ولده : كان يقوم هذا الليل فلا يضع جنبه ، وما كان يأتينى إلا كما يأتى العصفور ، ثم يغتسل ثم يعود إلى مصلاة فلا ينام هذا الليل[٤] .

● وكان رحمه الله لا يبيت كل ليلة حتى تبل عمامته بدموعه ، ثم يضعها كما قال عنه الحسن[٥] .

● وقالوا عنه : أنه كان يختم القرآن فى كل يوم وليلة[٦] .

قيام زين العابدين على بن الحسين : السجّاد ذى الثفنات

كانت لركبتيه ثفنات كثفنات البعير من كثرة صلاته ، وكان يقطعها فى العام

---

(١) مختصر قيام الليل ص ١٩
(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٨
(٣) مختصر قيام الليل ص ١٩
(٤) مختصر قيام الليل ص ٢٨
(٥) الزهد ص ٢٢٤
(٦) الحلية ٥٨/٣

مرتين وكان إذا فرغ من وضوئه للصلاة وصار بين وضوئه وصلاته اخذته رعده ونفضة .

● فقيل له فى ذلك : فقال : ويحكم أتدرون إلى مَنْ أقومْ ؟ ومن أريد أنْ أناجى !

وكان يسمى زين العابدين لعبادته . قال مالك : « لقد بلغنى أنه كان يصلى فى كل يوم وليلة ألف ركعة إلى أن مات »[1] .وكان أناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم ؟ فلمّا مات علىّ بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به فى الليل ، ولما مات وجدوا بظهره آثاراً ممّا كان يحمل بالليل جُرُب الدقيق إلى المساكين[1]

رحمك الله يا زين العابدين يتهمونك بالبخل وأنت تخفى الصدقات وتحملها إلى البيوت ليلاً حتى تؤثر جرب الدقيق فى ظهرك . قرنت التهجد بالصدقات .

يقول عنه الفرزدق :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته	عند الحطيم إذا ما جاء يستلم
إذا رأته قريش قال قائلها	إلى مكارم هذا ينتهى الكرمُ
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم	أو قيل مَنْ خير أهل الأرض : قيل همُ

قيام طاووس بن كيسان :

– كان رحمه الله يفرش فراشه ثم يضطجع عليه يتقلى كما تتقلى الحبة فى المقلاة ، ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول : طيّر ذكر جهنمّ نوم العابدين[3] .

● وكان يقول : ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل فيصبح وقد كتب له مائة

---

(١) تهذيب التهذيب ٣٠٦/٧

(٢) حلية الأولياء ١٣٧/٣

(٣) مختصر قيام الليل ص ٢٩

حسنة أو أكثر من ذلك[1] .

– وحبس الناس الأسد ليلة فى طريق الحج فدقّ الناس بعضهم بعضاً ، فلما كان السحر ذهب عنهم ، فنزل الناس يميناً وشمالاً فألقوا أنفسهم فناموا ، وقام طاوس يصلى فقال رجل لطاوس : فإنك قد نصبت منذ الليل ، فقال طاوس : ومنْ ينامُ فى السحر[2] .

قيام عمرو بن عتبة بن فرقد :

• كان رحمه الله يخرج على فرسه ليلاً فيقف على القبور فيقول : يا أهل القبور لقد طويت الصحف ، لقد رفعت الأعمال [لا تستعتبون من سيئة ، ولا تستزيدون من حسنة][3] ، ثم يبكى ، ثم يصف بين قدميه حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاة الصبح[4] .

• وكان يقول لأبيه : يا أبت إنما أنا عبد أعمل فى فكاك رقبتى فدعنى أعمل فى فكاك رقبتى[5] .

• وكان يخرج إلى العدو مع الناس فلا يتحارس الناس لكثرة صلاة عمرو ، ورأوه ليلة يصلى فسمعوا زئير الأسد فهربوا وهو قائم يصلى فلم ينصرف ، فقالوا له : أما خفت الأسد ؟ فقال : إنى لأستحى من الله أن أخاف شيئاً سواه[6] .

• لما مات عمرو دخل بعض أصحابه على أخته فقال : أخبرينا عنه ، فقالت : قام ليلة فاستفتح (حمٓ) فأتى على هذه الآية ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة** ﴾ فما جاوزها حتى أصبح[7] .

---

(١) حلية الأولياء ٦/٤

(٢) الزهد لابن حنبل ص ٣٧٧

(٣) مختصر قيام الليل

(٤) الزهد ص ٣٥٣

(٥) حلية الأولياء ١٥٦/٤ ، ١٥٧

(٦) حلية الأولياء ١٥٦/٤ ، ١٥٧

(٩) صفة الصفوة ٧٢/٣

قيام محمد بن عمرو بن عتبة بن فرقد :

عن سلمة بن علقمة عن محمد بن عمرو أنه أراداه أبواه أن يزوجاه فأبى ، فاستعانا عليه بعثمان بن عفان رضى الله عنه فقال له عثمان : ما لك لا تتزوج ؟ فقد تزوج النبى ﷺ وتزوج أبو بكر وتزوج عمر وتزوجت أنا ، فقال : ومنْ لى بمثل أعمالكم ، فقال عثمان : سبحان الله سبحان الله وأعرض بوجهه وستره بيده صُنع الرجل الذى إذا رأى شيئاً كرهه ـ وصف صنع عثمان رضى الله عنه ـ فلما أكثروا عليه قال فإنى أتزوج ، فخطب ابنة جرير ، فقال : إنى لا أتزوج امرأة حتى أكلمها ، قالوا نعم ، قال أبو الحسن يعنى مثنى ، فجاءوا بابنة جرير ، فقال لها : إنه لا حاجة لى فى النساء ، وإنّ أبواى قد أبيا علىّ إلا أن يزوجانى ، ولك عندهم من الطعام والكسوة ما تريدين ، قالت : قد رضيت ، قال : فلما أتوه بها قام يصلى من الليل ، وقامت تصلى خلفه حتى أصبح ، وأصبح صائماً ، وأصبحت صائمة ، قال قال عمرو : فإن كنت لأفتر فيمنعنى مكانها ، فقال له أبواه : إنا إنما زوّجناك نريد ولدك ، ولا نرى هذه تلدُ فطلّقْهَا ، فطلقها ثم خطب عليه امرأة أخرى فقال لا أتزوج امرأة حتى أكلمها فأتياه بها فقال لها مثل ما قال لابنة جرير ، ثم فترت فكان يوماً مضطجعاً يرى أنه نائم ، فقالت لها امرأة من أهلها : يا فلانة ما لك لا تلدين أعجزت ؟ قالت : أوتلد المرأة من غير بعل ؟ فلما سمع بذلك طلقها وتركه أبواه (١) .

قيام معضد أبى يزيد العجلى :

المتعبِّد المتهجِّد ، الشاهد المتشهِّد ، أبو يزيد العجلى معضد قال رحمه الله : لولا ثلاث : ظمأ الهواجر ، وطول ليل الشتاء ، ولذاذة التهجد بكتاب الله عز وجل ما باليت أن أكون يعسوباً (٢) .

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ٣٥٤ . خير الهدى هدى محمد ﷺ فللزوجه حق يعلم .
(٢) ذكر النحل .

وكان يقول فى سجوده : « اللهم أشفنى من النوم باليسير »[1] .

قيام أبى إسماعيل مرة بن شراحبيل : مُرّة الطيّب

المدمن للتعبد المواظب على التهجد الذى سمى « بالطيّب » كما يقول ـ يحيى ابن معين ـ لعبادته .

كانت مباركه كأنها مبارك الإبل وكنت ترى أثر السجود فى جبهته وكفّيه وركبتيه وقدميه[2] .

قيام همّام بن الحارث النخعي : المتعبد القوام ، المتلذذ بالسهر ، للذكر همام :

كان يصبح مترجلاً فقال بعض القوم : إنّ جمة همّام لتخبركم أنه لم يتوسدها الليل وكان رحمه الله صاحب صلاة .

وكان رحمه الله يدعو ويقول : « اللهم اشفنى من النوم باليسير ، وارزقنى سهراً فى طاعتك » فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد[3] .

قيام أبى مريم زر بن حبيش :

قال عاصم : أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل جملاً منهم زر بن حبيش[4] .

قيام أبى عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب :

● قال شمر : أخذ بيدى أبو عبد الرحمن السلمى ، فقال : كيف قوتك فى الصلاة ؟ فذكرت ما شاء الله أن أذكره ، قال أبو عبد الرحمن : كنت أنا مثلك أصلى العشاء ثم أقوم أصلى ، فإذا أنا حين أصلى الفجر أنشط منى أول مابدأت[5] .

---

(١) حلية الأولياء ١٥٩/٤

(٢) حلية الأولياء ١٦٢/٤

(٣) حلية الأولياء ١٧٨/٤

(٤) حلية الأولياء ١٨٤/٤

(٥) حلية الأولياء ١٩٢/٤ ، الزهد ٣٦٦

قيام عون بن عبدالله بن عتبة :

كان يقول فى بكائه « ويحى ! أزعم أن خطيئتى قد أقرحت قلبى ، ولا يتجافى جنبى ، ولا تدمع عينى ولا تسهر ليلى ! ويحى. هل ينام على مثلها مثلى ، ويحى ! لقد خشيت أن لا يكون هذا الصدق منى !

● وعن عون بن عبد الله : إن الله ليدخل الجنة قوماً فيعطيهم حتى يملّوا ، وفوقهم ناس فى الدرجات العلى ، فلما نظروا إليهم عرفوهم ، فيقولون : يا ربنا إخواننا كنا معهم ، فيم فضلتهم علينا ؟ فيقول : هيهات هيهات ! إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون ، ويظمأون حين تروون ، ويقومون حين تنامون ، ويشخصون حين تخفضون(١) .

قيام أبى عبد الله سعيد بن جبير : الفقيه البكّاء :

● قال يحيى بن عبد الرحمن : سمعت سعيد بن جبير يردّد هذه الآية : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ حتى يصبح .

● وقرأ رحمه الله القرآن فى ركعة فى الكعبة .

● قال خصيف : رأيت سعيد بن جبير يصلى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح فصليت إلى جنبه وسألته عن آية فلم يجبنى ، فلما صلىّ الصبح قال : إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلى الصبح(٢) .

● وكان له رحمه الله ديك يقوم إلى الصلاة إذا صاح ، فلم يصح ليلة من الليالى فأصبح سعيد ولم يصل ، قال : فشق ذلك عليه ، فقال له : ما له ؟ قطع الله صوته ، قال : فما سمع ذلك الديك يصيح بعدها ، فقالت له أمه : أىْ بنى لا تدْع على شىء بعدها .

---

(١) حلية الأولياء ٢٤٧/٤ ، ٢٥٥ ، مختصر قيام الليل ص ٢٤

(٢) صفة الصفوة ٧٨/٣ ، ٧٩

قيام أبي عبد الرحمن زبيد بن الحارث الأيامي :

لو رأيت وجهه رحمه الله لعلمت أن وجهه قد أخلقه طول القيام وسهر الليل . هذا الرجل المبارك الذى قال عنه سعيد بن جبير وهو مَنْ هُوَ : لو اخترت عبداً لله أكون فى مسلاخه لاخترت زبيد الأيامى .

وكان رحمه الله يقسّم الليل بينه وبين أبنيه ثلاثاً ، ويبدأ فيقوم ثلثه ، فإذا وجد من أحدهما أو منهما كسلاً قال : نم يا بنى فأنا أقوم عنك فيقوم ليلته حتى يصبح (1)

قيام منصور بن المعتمر : : حليف الصيام والقيام ، خفيف التطعم والمنام :

• يقول عنه أبو بكر بن عياش : رحم الله منصوراً كان صوّاماً قوّاماً .

كان رحمه الله يصلى فى سطحه فلما مات قال غلام لأمه : يا أمه الجذع الذى كان فى سطح آل فلان ليس أراه [يعنى آل منصور] .

قالت : يا بنى ليس ذلك جذعاً ، ذاك منصور قد مات . وفى رواية : أنه قدم على ربه عز وجل .

• وكانت أمه تقول له : إن لعينيك عليك حقاً ، ولجسمك عليك حقاً ، فكان يقول لها : دعى عنك منصور فإن بين النفختين نوماً طويلاً .

فإذا كان الصبح كحل عينيه ، ودهن رأسه ، وفرق شفتيه وخرج للناس (2) .

• وكان رحمه الله يصلى العتمة ثم يحوّل نعليه عن مقامه فيفتح الصلاة فيجىء القوم غدوة فإذا هو فى مكانه (3) .

---

(1) حلية الأولياء ٥/٣٢

(2) حلية الأولياء ٥/٤٠ ، ٤١

(3) مختصر قيام الليل ٢٨

• كانت جارة لمنصور بن المعتمر لها ابنتان لا تصعدان السطح إلاّ بعدما ينام الناس ، فقالت إحداهما ذات ليلة : يا أمّاه ، ما فعلت القائمة التى كنت أراها فى سطح بنى فلان ؟ فقالت : يا بنية لم تكن تلك قائمة ، إنما كان منصور يحيى الليل كله فى ركعة لا يسجد فيها ولا يركع .

• قال أبو الأحوص : إن منصور بن المعتمر كان إذا جاء الليل اتّزر وارتدى إن كان صيفاً ، وإن كان شتاء التحف فوق ثيابه ثم قام إلى محرابه كأنه خشبة منصوبة حتى يصبح .

• وقال زائدة بن قدامة : كان منصور بن المعتمر ، إذا رأيته قلت : رجل قد أصيب بمصيبة منكّس الطرف ، منخفض الصوت ، رطب العينين إن حركته جاءت عيناه بأربع[1] ، ولقد قالت له أمه يوماً : ماهذا الذى تصنع بنفسك ؟ تبكى عامّة الليل لا تكاد تسكت . لعلك يا بنى أصبت نفساً لعلك قتلت قتيلاً . قال : فيقول : يا أماه أنا أعلم ما صنعت بنفسى .

• وقال سفيان : كان يقولون فى ذلك الزمان : إن أطول أهل الكوفة تهجداً طلحة وزبيد وعبد الجبار بن وائل . قال الحميدى : فقلت : فمنصور ؟ قال : نعم إنما كان الليل عنده مطية من المطايا متى شئت أصبته قد ارتحله ، وقال الثورى : لو رأيت منصوراً يصلّى لقلت يموت الساعة .

• وقال تميم بن مالك : كان منصور إذا صلّى الغداة أظهر النشاط لأصحابه فيحدثهم ويكثر إليهم ، ولعله إنما بات قائماً على أطرافه ، كل ذلك ليخفى عليهم العمل .

• وقال سفيان : إن منصوراً صام ستين سنة . يقوم ليلها ويصوم نهارها .

• قال عطاء بن جبلة : سألوا أم منصور بن المعتمر عن عمله ، فقالت : كان

---

(١) أى لكثرة دموعه تفيض عيناه كأنها أربع عيون

ثلث الليل يقرأ ، وثلثه يبكى ، وثلثه يدعو[١] .

قيام أبي حيان بن سعيد التيمى :

قال عبد الله بن إدريس : ما رأيت الليل على أحد من الناس أخفّ منه على أبي حيان التيمى ، صحبناه مرة إلى مكة ، فكان إذا أظلم الليل فكأنه مثل هذه الزنابير إذا هيجت من عشها[٢] .

قيام الواعظ البر : أبي ذر عمر بن ذر :

كان رحمه الله إذا نظر إلى الليل قد أقبل قال : جاء الليل ، لليل مهابة ، والله أحق أن يهاب[٣] .

وانظر إليه رحمه الله كيف يستمطر الدمع حين يقول له ابنه ذر : ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكى أحداً فإذا تكلمت يا أبت سمعت البكاء من ها هنا وها هنا ؟

قال : يا بنى ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى .

- **مكحول :**

كان مكحول إمام أهل الشام يقول : « من أحيا ليلة فى ذكر الله أصبح كيوم ولدته أمه[٤] .

- **عبد الرحمن بن أبي نُعْمْ :**

كما يقول الشعبي كان يواصل حتى يعوده أصحابه ، وبلغ ذلك الحجاج فحبسه خمسة عشر يوماً فى بيت ، ثم فتح عنه فوجده قائماً يصلى فقال اذهب فأنت راهب العرب[٥] .

---

(١) صفة الصفوة ٣/١١٣ - ١١٥

(٢) صفة الصفوة ٣/١١٩

(٣) مختصر قيام الليل ٥/١١١

(٤) حلية الأولياء ٥/١٨٠ .

(٥) مختصر قيام الليل ص ٢٧

قيام الليل عند عطاء بن ميسرة « أبو عثمان » الخراسانى :

● قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : «كنا فى غزاة وكان عطاء الخراسانى يحيي الليل صلاة ، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه أقبل علينا ونحن فى فسطاطنا فنادى : قوموا فتوضئوا ، وصلوا صيام هذا النهار بقيام هذا الليل فهو أيسر من مقطعات الحديد وشراب الصديد ، الوحاء[1] الوحاء ثم النجاء النجاء ثم يقبل على صلاته .

● وكان رحمه الله يحيي الليل من أوله إلى آخره إلا نومه السحر .

● وقال رحمه الله : «كان يقال : قيام الليل محياة البدن ، ونور فى القلب ، وضياء فى البصر وقوة فى الجوارح ، وإن الرجل إذا قام من الليل متهجداً أصبح فرحاً يجد لذلك فرحاً فى قلبه ، وإذا غلبته عيناه فنام عن حزبه أصبح حزينًا منكسر القلب كأنه قد فقد شيئاً ، وقد فقد أعظم الأمور له نفعاً[2] .

قيام بلال بن سعد :

قال رحمه الله : « أدركتهم يشتدون بين الأغراض يضحك بعضهم إلى بعض فإذا كان الليل كانوا رهباناً[3] . وكان رحمه الله يقوم الليل فإذا نعس فى الشتاء ألقى بنفسه فى الماء البارد ولما عاتبوه قال : إن ماء البركة أهون من عذاب جهنم[4] .

قيام عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

ذى الشجن والأزيز ، نجيب بنى أمية .

---

(١) أى السرعة انظر الزهد لابن حنبل ص ٣٨٢ ، مختصر قيام الليل ص ١٩ ، حلية الأولياء ١٩٣/٥ .

(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٧ .

(٣) حلية الأولياء ٢٢٤/٥ ، مختصر قيام الليل ص ١٩

(٤) البداية والنهاية ٣٤٨/٩ .

• قالت زوجته فاطمة بنت عبد الملك للمغيرة بن حكيم : « يا مغيرة إني أعلم أنه قد يكون من الناس من هو أكثر صلاة وصوماً من عمر ، فإما أن أكون رأيت رجلاً أشد فرقاً من ربه عز وجل من عمر فإني لم أره ، كان إذا صلى العشاء الآخرة ألقى نفسه فى مسجده فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه ثم ينتبه فيدعو ويبكى حتى تغلبه عينه فهو كذلك حتى يصبح (١) .

• وكانت له ـ رحمه الله ـ درّاعة من شعر ، وغل ، وكان له بيت فى جوف بيت يصلى فيه لا يدخل فيه أحد ، فإذا كان فى آخر الليل فتح ذلك السفط ولبس تلك الدرّاعة ، ووضع الغل فى عنقه ، فلا يزال يناجى ربه ويبكى حتى يطلع الفجر (٢) .

• وكان رحمه الله يتمثل بهذه الابيات :

أيقظان أنت اليوم أمْ أنت نائمُ وكيف يطيق النوم حيران هائمُ
فلو كنت يقظان الغداة لحرَّقت محاجر عينيك الدموع السَّوَاجمُ
بل أصبحت فى النوم الطويل وقد دنت إليك أمور مفظعات عظائم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم ، والردى لك لازم
يغرّك ما يبلى ، وتشغل بالهوى كما عزّ باللذات فى النوم حالم
وتشغل فيما سوف تكره غبه كذلك فى الدنيا تعيش البهائم (٣)

رحمك الله يا أبا عبد الملك .. يا حليف السهر .. والله ما أبعد جرير حين نعاك فقال فى عجز بيت له : « تبكى عليك نجوم الليل والقمرا » (٤) .

• عن عطاء قال : دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فقلت لها : يا بنت عبد الملك أخبريني عن أمير المؤمنين ، قالت : أفعل ،

---

(١) الزهد لابن حنبل ص ٢٩٩ ، الحلية ٥/٢٦٠
(٢) حلية الأولياء ٥/٢٩١
(٣) حلية الأولياء ٥/٣١٩ ، ٣٢٠
(٤) الحلية ٣٢٠/٣٢١

ولو كان حياً ما فعلت ، إن عمر رحمه الله كان قد فرّغ نفسه وبدنه للناس ، كان يقعد لهم يومه ، فإن أمسى عليه بقية من حوائج الناس يومه وصله بليلته إلى أن أمسى مساء وقد فرغ من حوائج يومه ، فدعا بسراجه الذى كان يسرج له من ماله ، ثم قام فصلى ركعتين ثم أقعى[1] ، واضعاً رأسه بين يديه ، تسيل دموعه على خده ، يشهق الشهقة ، وأقول : قد خرجت روحه أو انصدعت كبده فلم يزل ليلته حتى برق له الصبح ثم أصبح صائماً[2]

● بكت فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز - حتى عشى بصرها ، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام إبنا عبد الملك فقالا : ما هذا الأمر الذى قدمت عليه ؟ أجزعك على بعلك ؟ فأحق من جزع على مثله ، أم على شىء فاتك من الدنيا ؟ فها نحن بين يديك ، وأموالنا وأهلونا فقالت : ما من كُلٍّ جزعت ، ولا على واحدة منها أسفت ، ولكنى والله رأيت منه ليلة منظراً فعلمت أن الذى أخرجه إلى ذلك ، الذى رأيت من هول عظيم ، قد أسكن قلبه معرفته . قالا : وما رأيت منه ؟ قالت : رأيته ذات ليلة قائماً يصلى ، فأتى على هذه الآية ﴿ **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش** ﴾ ، فصاح ، « واسوء صباحاه » ثم وثب فسقط فجعل يخور منى فظننت أن نفسه ستخرج ، ثم إنه هدا ، فظننت أنه قد قضى ، ثم أفاق إفاقة فنادى : « يا سوء صباحاه » ثم وثب فجعل يجول فى الدار ويقول : «ويلى من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش» ، قالت : فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ، ثم سقط كأنه ميت حتى أتاه الأذان للصلاة ، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتنى عيناى فلم أملك رد عبرتى[3]

---

(١) أقعى أى تساند إلى ما وراءه

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى ص ٢٢٣ تحقيق نعيم ررزور - دار الكتب العلمية ببيروت

(٣) سيرة ومناقب عمر بن العزيز لابن الجوزى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

• قرأ رحمه الله ليلة فى صلاته سورة ﴿والليل إذا يغشى﴾ فلما بلغ قوله: ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى﴾ بكى فلم يستطع أن يجاوزها مرتين أو ثلاثاً، ثم قرأ سورة أخرى غيرها (١).

• وكان رحمه الله يقول:

إنما الناس ظاعن ومقيم فالذى بان للمقيم عظة
ومن الناس من يعيش شقياً جيفة الليل غافل اليقظة
فإذا كان ذا حياء ودين راقب الموت واتقى الحفظة (٢)

ولقد راقبت الموت سيدى فأسهرت ليلك يا أشج بنى أمية ويا حفيد فاروق الإسلام. وكفتك خصالك الطيبة وأريجها الفوّاح النورانى المخبر:

• لمّا مات رحمه الله كان استودع مولى له سفطاً يكون عنده فجاءوه فقالوا: السفط الذى كان استودعك عمر. فقال: ما لكم فيه خير، فأبَوْا حتى رفعوا ذلك إلى يزيد بن عبد الملك فدعا بالسفط ودعا بنى أمية وقال: حبركم هذا قد وجدنا له سفطاً ووديعة قد استودعها. فدعا به فجاؤوا به ففتحوه، فإذا فيه مقطعات كان يلبسها بالليل (٣).

تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبت بماء فعادت بعدُ أبوالا

قيام أبى عثمان النهدى:

يصفه ابن كثير فيقول: كان صواماً قوّاماً يسرد الصوم، ويقوم الليل لا يتركه، وكان يصلى حتى يغشى عليه (٤).

---

(١) التخويف من النار لابن رجب ص ٧٩
(٢) الحلية ٣٨٣/٥
(٣) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز
(٤) ابن كثير البداية والنهاية ج ٩ ص ١٩٠ وانظر الزهاد الأوائل للدكتور محمد مصطفى حلمى ص ١٠٤

قيام عبد الله بن محيريز :

قال عنه الأوزاعى : « من كان مقتدياً فليقتد بمثله ، فإنّ الله لا يضل أمة فيها مثله »[1] .

● وكان يفرش له الفراش فلا ينام عليه.

واشتهر بعبادته بين أهل الشام حتى وصفه أحدهم بأنه « إنْ يفخر علينا أهل المدينة بعابدهم ابن عمر ، فإنا نفخر عليهم بعابدنا عبد الله بن محيريز »[2]

أبو اسحاق كعب الأحبار : صاحب الكتب والأسفار :

قال رحمه الله : « من تعبد لله ليلة حيث لا يراه أحد يعرفه خرج من ذنوبه كما يخرج من ليلته[3] .

قيام عتبة الغلام :

كان رحمه الله إذا توضأ من الليل قبل أن ينتصب للصلاة قال : « اللهم إنى قد حملت نفسى ما لا أطيق من المعاصى والقبائح حتى استحقيت الخسف والمسخ ودخول النار ، وها أنا أريد أن أقف بين يديك خلف كل عارض على وجه الأرض رجاء أن تغفر لأحد منهم فيصيبنى شىء من المغفرة »[4] .

● وجعل ـ رحمه الله ـ لله على نفسه ألا ينام من الليل من الليل والنهار إلا أقل من نبهه ، فقال له بعض أصحابه : لا تنم يا عتبة بالليل ونم بالنهار فى الساعات اللاتى لا تحل فيها الصلاة فهذا أقل من نبهك ووفاء لنذرك . فقال : أنا إذا أريد أن أطلب الحيل فيما بينى وبين ربى ، لا أنام ليلاً أو نهاراً إلا وأنا مغلوب ، فكنت إذا رأيته رأيته شبه الواله ، وما ظنك برجل لا ينام إلا مغلوباً[5] .

(١) الزهاد الأوائل ص ١٢٥ .
(٢) البداية والنهاية ج ٩ ص ١٨٥ ، الزهاد الأوائل ص ١٢٦ ، ١٢٧
(٣) الحلية ٥/٣٨٣
(٤) تنبيه المغترين
(٥) حلية الأولياء ٦/٢٣٢

• وكانت أمه تقول له : لو رفقت بنفسك يا ولدى ؟ فيقول لها : دعينى يا أماه أتعب فى عمر قصير ليوم طويل(١) .

• وكان رحمه الله يقطع الليل بثلاث صيحات : ولما سألوا جعفر الصادق عن ذلك ، قال : « لا تنظروا إلى صياحه وانظروا إلى ما صاح منه » أو « لا تنظر إلى صيحته ولكن انظر إلى الأمر الذى كان منه بين الصيحتين »(٢) .

• وكان يستقبل القبلة فلا يزال فى فكر وبكاء حتى يصبح .

• قال رياح القيسى : بات عندى عتبة الغلام فسمعته يقول فى سجوده : اللهم احشر عتبة بين حواصل الطير وبطون السباع .

رحمك الله يا عتبة فلأنت من رهبان الليل وفرسان النهار ولقد أكرمك الله بصدقك وتهجدك فنلت ما تتمنى .. نلت الشهادة .

رحمك الله يا عتبة لكأنما ربتك الأنبياء كما يقول مخلد بن الحسين .

قيام المغيرة بن حكيم الصنعانى .

كان المغيرة بن حكيم الصنعانى يحج من اليمن ماشياً ، وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن فيقف فيصلى حتى يفرغ من ورده ثم يلحق بالركب متى لحق فربما لم يلحقهم إلا فى آخر النهار .

سلام الله على تلك الأرواح رحمة الله على تلك الأشباح ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل

نزلوا بمكة فى قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل(٣)

قيام خليفة العبدى رحمه الله :

كان رحمه الله يقوم إذا هدأت العيون فيقول : اللهم إليك قمت أبتغى

(١) تنبيه المغترين ص ١١٥
(٢) الحلية ٢٣٤/٥ ، تنبيه المغترين ص ١١٦
(٣) لطائف المعارف

ما عندك من الخيرات ، ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلى حتى يطلع الفجر ، وكان يدعو فى سجوده فيقول :

« اللهم هب لى إنابة إخبات ، وإخبات منيب ، وزيّنى فى خلقك بطاعتك ، وحسّنى لديك بخدمتك ، وأكرمنى إذا وفد إليك المتقون ، فأنت خير مقصود وخير معبود وخير محمود وخير مشكور[1]

قيام عبد العزيز بن سلمان رحمه الله :

كانت رابعة رحمها الله تسميه « سيد العابدين » .

وقيل له ما بقى مما تلذ به ؟ قال : سرداب أخلو به فيه[2] .

● وكان رحمه الله يقول : ما للعابدين وما للنوم ! ! لا نوم والله فى دار الدنيا إلا نوم غالب .

● يقول عنه ابنه محمد : كان أبى إذا قام من الليل ليتهجد سمعت فى الدار جلبة شديدة ، واستقاء للماء الكثير ، قال : فنرى أن الجنّ كانوا يستيقظون للتهجد فيصلون معه[3] .

قيام هشام الدستوائى :

● كان شعبة يقول عنه : ما أقول لكم إن أحداً طلب الحديث يريد وجه الله تعالى إلا هشام الدستوائى .

● كان رحمه الله يقول « إن لله عباداً يدفعون النوم مخافة أن يموتوا فى منامهم »[4] .

● وكان رحمه الله لا يطفى سراجه بالليل فقالت له امرأته : « إن هذا السراج

---

(١) حلية الأولياء ٦/٣٠٣ ، ٣٠٤
(٢) حلية الأولياء ٦/٢٤٥
(٣) حلية الأولياء ٦/٢٤٥
(٤) مختصر قيام الليل ص ٢٩

يضرّ بنا إلى الصباح فقال : ويحك إنك إذا أطفيتيه ذكرت ظلمة القبر فلم أتقار »[1] .

قيام عبد الواحد بن زيد : « المتفلت من القيد ، المتصيِّد للصيد » :

● كان رحمه الله يقول لأهله : يا أهل الدار انتبهوا فما هذه دار نوم عن قريب يأكلكم الدود[2] .

● وقال عنه حصين بن القاسم : لو قسّم بث عبد الواحد بن زيد على أهل البصرة لوسعهم ، فإذا أقبل سواد الليل نظرت إليه كأنه فرس رهان مضمر ثم يقوم إلى محرابه فكأنه رجل مخاطب .

● وكان رحمه الله كثيراً ما يردد :

يـنام من شاء على غفلة ... والـنوم كـالموت فلا تـتـكـل
تـنـقـطـع الأعمال فـيـه كما ... تنقطع الدنيا عن المنتقل

● وكان رحمه الله يبكى ويقول :

فرّق النوم بين المصلين وبين لذّتهم فى الصلاة[3] .

وكان رحمه الله يقول : « وعزتك لا أعلم لمحبتك فرحاً دون لقائك ، والاشتفاء من النظر إلى جلال وجهك فى دار كرامتك ، فيا منْ أحلّ الصادقين دار الكرامة ، وأورث البطالين منازل الندامة ، اجعلنى ومن حضرنى من أفضل أوليائك زلفاً ، وأعظمهم منزلة وقربة ، تفضلاً منك علىّ وعلى إخوانى يوم تجزى الصادقين بصدقهم جنات قطوفها دانية متدلية عليهم ثمرها »[3] .

قيام الأوزاعى : شيخ الإسلام أبى عمرو :

رحمك الله أبا عمرو يا من تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبك فى نفسك .

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٧

(٢) تنبيه المغترين ص ٣٥

(٣) حلية الأولياء ١٥٥/٦

قال أبو مسهر : «كان الأوزاعى يحيى الليل صلاة وقرآناً وبكاء »[1]

ورُوى عنه رحمه الله أنه حجّ فما نام على الراحلة ، إنما هو فى صلاة ، فإذا نعس استند إلى القتب[2] .

ودخلت امرأة كانت لها صلة بزوج الأوزاعى فنظرت فوجدت بللاً فى مسجده فى موضع سجوده فقالت لها : ثكلتك أمك أراك غفلت عن بعض الصبيان حتى بال فى مسجد الشيخ فقالت لها : ويحك هذا يُصبح كل ليلة من أثر دموع الشيخ فى سجوده[3] .

● وكان رحمه الله يقول : من أطال القيام فى صلاة الليل هوّن الله عليه طول القيام يوم القيامة ـ أخذ ذلك من قوله تعالى ـ ﴿ **ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً** ﴾ ﴿ **إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً** ﴾[4]

قيام زياد بن عبد الله النميرى :

قال زياد رحمه الله : أتانى آت فى منامى فقال : قم يا زياد إلى عبادتك من التهجد ، وحظك من قيام الليل ، فهو والله خير لك من نومة توهن بدنك ، وينكسر لها قلبك ، قال فاستيقظت مرعوباً ، ثم عادنى والله النوم فأتانى ذلك ـ أو غيره ـ فقال : « قم يا زياد فلا خير فى الدنيا إلا للعابدين » فوثبت فزعاً[5] .

كهمس الدعاء :

كان يقوم بالليل ويكثر من القيام ، فإذا مل قال لنفسه : قومى يا مأوى كل سوء فوالله ما رضيتك لله ساعة قط[6] .

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى ١٧٩/١ طبعة دار الفكر العربى
(٢) البداية والنهاية ١١٧/١٠
(٣) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ٢١٨/١ ، البداية والنهاية ١١٧/١٠
(٤) البداية والنهاية ١١٧/١٠
(٥) الحلية
(٦) الحلية

رحمه الله يصلى ثم يستغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه .. إذا كان هذا حال المحسنين فى عباداتهم فكيف حال المسيئين مثلنا فى عباداتهم ارحموا من حسناتهم كلها سيئات وطاعاته غفلات .

قيام الليل عند الإمام أبى حنيفة رحمه الله :.

● قال أبو عاصم النبيل : كان أبو حنيفة يسمى الوتد لكثرة صلاته .

● وقال سفيان بن عيينة : ما قدم مكة رجل فى وقتنا أكثر صلاة من أبى حنيفة .

● وكان رحمه الله يحيى الليل ويبكى حتى يرحمه جيرانه .

● وتواترت الأخبار عنه أنه كان يحيى الليل كله حتى قال مغسله بعد الفراغ من غسله : لقد أتعبت من بعدك وفضحت القراء .

● وجاء رجل من أهل الكوفة فوقع فى أبى حنيفة فقال له ابن المبارك : ويحك أتقع فى رجل صلى خمساً وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد.؟ وكان يجمع القرآن فى ركعتين فى ليلة ، وتعلمت الفقه الذى من عندى من أبى حنيفة .

● وقال أبو يوسف : بينما أنا أمشى مع أبى حنيفة إذ سمع رجلاً يقول لرجل : هذا أبو حنيفة لا ينام الليل ، فقال أبو حنيفة : والله لا يتحدث عنى بما لا أفعل فكان يحيى الليل صلاة ودعاء وتضرعاً .

● وعن ابن الجويرية قال : صحبت حماد بن أبى سليمان ، ومحارب بن دثار ، وعلقمة بن مرثد وعون بن عبد الله ، وصحبت أبا حنيفة فما كان فى القوم رجل أحسن ليلاً من أبى حنيفة ، لقد صحبته أشهراً فما منها ليلة وضع فيها جنبه .

وكان رحمه الله إذا أراد أن يصلى من الليل تزين حتى يسرح لحيته .

● وعن مسعر بن كدام قال : أتيت أبا حنيفة فى مسجده فرأيته يصلى الغداة ثم يجلس للناس فى العلم إلى أن يصلى الظهر ، ثم يجلس إلى العصر فإذا صلى العصر

جلس إلى المغرب ، فإذا صلى المغرب جلس إلى أن يصلى العشاء ، فقلت فى نفسى : هذا الرجل فى هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة ؟ لأتعاهدنه الليلة قال فتعاهدته فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد فانتصب للصلاة إلى أن طلع الفجر ثلاث ليال ، كما يقول مسعر ، حتى قال مسعر : لألزمنه إلى أن يموت أو أموت .

• وقال مسعر : دخلت ذات ليلة المسجد فرأيت رجلاً يصلى فاستحليت قراءته فقرأ سبعاً ، فقلت يركع ، ثم قرأ الثلث ، ثم قرأ النصف ، فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله فى ركعة فنظرت فإذا هو أبو حنيفة .

• وقال خارجة بن مصعب : ختم القرآن فى الكعبة أربعة من الأئمة : عثمان بن عفان وتميم الدارى وسعيد بن جبير وأبو حنيفة .

• وظلّ ليلة يردد فى قيامه بعد العشاء قوله تعالى : ﴿ **فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم** ﴾ إلى الصبح .

• **وقال القاسم بن معين : قال أبو حنيفة ليلة بهذه الآية :** ﴿ **بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمرّ** ﴾ يرددها ويبكى ويتضرع .

• قال يزيد بن الكميت ـ وكان من خيار الناس ـ كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله ، فقرأ بنا على بن الحسين المؤذن ليلة فى عشاء الآخرة ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ ، وأبو حنيفة خلفه فظل أبو حنيفة قائماً إلى الصباح وهو يقول : يا من يجزى بمثقال ذرة خير خيراً ، ويا من يجزى بمثقال ذرة شر شراً ، أجِرِ النعمان عبدك من النار ، وما يقرب منها من السوء ، وأدخله فى سعة رحمتك [1] .

قيام هارون الرشيد :

كان يغزو عاماً ويحج عاماً .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٥٣ ، ١٥٧

قال الشاعر :

فمَنْ يطلب لقاءك أو يرده فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففى أرض العدو على طمر وفى أرض الترفه فوق كور
وما جاز الثغور سواك خلق من المتخلفين على الأمور

● كان إذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة السابغة والكسوة التامة .

● قال الحافظ ابن كثير : «كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة تطوعاً إلى أن فارق الدنيا إلاّ أن تعرض له علة » .

قال الفضيل : ليس موت أحد أعز علينا من موت الرشيد ، وإنى لأدعو الله أن يزيد فى عمره من عمرى ، قالوا : فلما مات الرشيد وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات ، وظهر القول بخلق القرآن فعرفنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك[1] .

هذا هو الخليفة المفترى عليه .. يغزو عاماً ويحج عاماً ويصلى مائة ركعة .. هذا هو هارون الذى أكثر الرعاع فيه القول وجعلوه نديماً للكاس والطاس .

● قال منصور بن عمار : « ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة : فضيل ابن عياض وأبو عبد الرحمن الزاهد وهارون الرشيد[2] .

أقلّوا عليه ويحكم لا أبالكم من اللوم أو سدّوا المكان الذى سدّا

وإن تعجب فأعجب من سيرة الخليفة أبى جعفر المنصور الذى تكلموا عنه كخليفة أحاط نفسه بالحجاب وكان شديداً .. وفشا الظلم ببابه ، ولقد أوردنا سيرته ليس كعلم من أعلام سلفنا وقدوة وإنما لنقول إن قيام السلف وعبادتهم أثرت وامتد أثرها إلى أبى جعفر المنصور الذى فعل وفعل وفعل ، ولا عجب فقد

(١) البداية والنهاية ٢١٣/١٠ - ٢٢٣

(٢) تاريخ بغداد ٨/١٤

كان خليفة على مثل مالك :

قيام أبي جعفر المنصور الخليفة العباسى :

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله :

«كان إذا صلى العشاء نظر فى الكتب والرسائل الواردة من الآفاق ، وجلس عنده من يسامره إلى ثلث الليل ، ثم يقوم إلى أهله فينام فى فراشه إلى الثلث الآخر ، فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى ينفجر الصباح ثم يخرج فيصلى بالناس » .

وكان يقول لابنه : يا بنى لا تجلس مجلساً إلا وعندك من أهل الحديث من يحدثك ، فإن الزهرى قال : علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكران الرجال ولايكرهه إلا مؤنثوهم ، وصدق أخو زهرة » ولقد كان فى شبيبته يطلب العلم من مظانه والحديث والفقه فنال جيداً وطرفاً صالحا .

وقد قيل له يوماً : يا أمير المؤمنين هل بقى شىء من اللذات لم تنله ؟ قال : شىء واحد ، قالوا : وما هو؟ قال : قول المحدث للشيخ من ذكرت رحمك الله ، فاجتمع وزراؤه وكتابه ، وجلسوا حوله ، وقالوا : ليمل علينا أمير المؤمنين شيئاً من الحديث ، فقال : لست منهم ، إنما هم الدنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، رواد الآفاق ، وقطاع المسافات ، تارة بالعراق وتارة بالحجاز وتارة بالشام وتارة باليمن ، فهؤلاء نقلة الحديث (١)

قيام إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله :

أما عن ليل الإمام مالك فما ظنك أخى بليل سيد من سادات المسلمين يقول : « ما بت ليلة إلا رأيت رسول الله ﷺ (٢) .

---

(١) البداية والنهاية ١٠/١٢٥ ، ١٢٦

(٢) حلية الأولياء ٦/٣١٧

قيام ابن أبي ذئب الإمام الثبت أبي الحارث :

قال عنه الذهبي : العابد شيخ الوقت :

قال أحمد بن حنبل : كان ابن أبي ذئب يشبه سعيد بن المسيب ، فقيل لأحمد : أخلّف مثله ؟ قال : لا ، وكان أفضل من مالك إلاّ أن مالكاً كان أشد تنقية للرجال منه .

- قال الواقدى : كان من أورع الناس ، وكانوا يرمونه بالقدر وما كان قدرياً ، وكان يصلى الليل أجمع ويجتهد فى العبادة ، ولو قيل له إن القيامة تقوم غداً ما كان فيه مزيد اجتهاد ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً .
- قال أحمد : هو أورع وأقوم بالحق من مالك ، دخل على المنصور فلم يهبه أن قال له الحق ، وقال : الظلم ببابك فاش ، وأبو جعفر أبو جعفر .
- ودخل المهدى مسجد النبي ﷺ فلم يبق إلا من قام إلاّ ابن أبي ذئب ، فقيل له : قم ، فهذا أمير المؤمنين ، قال : إنما يقوم الناس لرب العالمين .

قال المهدى : دَعُوه فقد قامت كل شعرة فى رأسى[1]

قيام الامام المرضى : سفيان الثورى :

- قال عنه أبو نعيم : سمعت سفيان يقول : إنى لأفرح بالليل إذا جاء .
- وعن زائدة عن سفيان قال : إذا جاء الليل فرحت ، وإذا جاء النهار حزنت[2]
- وقال أبو خالد الأحمر : أكل سفيان ليلة فشبع فقال : إن الحمار إذا زيد فى علفه زيد فى عمله فقام حتى أصبح[2] .

---

(١) انظر صفة الصفوة ج ٢ ص ١٧٤ ، ١٧٥ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٩٠ - ١٩٢ ، سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ١٤١

(٢) مقدمة الجرح والتعديل ١/٨٥ ، ٨٦

• قال عبد الرزاق : أضاف سفيان برجل من أهل مكة فقرب إليه الطعام فأكل أكلاً جيداً ثم قرّب إليه التمر فأكل أكلاً جيداً ، ثم قرّب إليه الموز فأكل أكلاً جيداً ، ثم قام فشدّ وسطه فقال : يُقال شبع الحمار ثم كده . فلم يزل منتصباً حتى أصبح(١)

• وقال أبو يزيد المعنى : كان سفيان إذا أصبح مد رجليه إلى الحائط ورأسه إلى الأرض كى يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل ، وكانت ساق سفيان كيمخت « يعنى من التورك فى الصلاة عليها »(٢) .

• وقال عنه محمد بن يوسف : كان الثورى يقيمنا الليل فيقول : قوموا يا شباب ، صلّوا ما دمتم شباباً(٣) . وفى رواية : إذا لم تصلوا اليوم فمتى ؟

• وكان رحمه الله يخرج يدور بالليل وينضح فى عينيه الماء حتى يذهب عنه النعاس(٣) .

• ولما قيل له : كيف تصنع فى ليلك قال : لها عندى أول نومة تنام ما شاءت لا أمنعها فإذا استيقظت فلا أقيلها والله (٤)

• وقرأ رحمه الله ليلة ﴿ إنا كنا قبل فى أهلنا مشفقين ﴾ فخرج فاراً على وجهه حتى لحقوه . واجتمعت بنوثور عليه وهو شاب يناشدونه مما كان فيه من العبادة أىْ أقصرْ عن هذا . وقال عبد الرحمن بن مهدى : ما عاشرت فى الناس رجلاً أرق من سفيان الثورى ، وكنت أرمقه فى الليلة بعد الليلة ينهض مذعوراً ينادى النار النار شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات(٤) رحمك الله يا إمام فقد كنت قواماً إذا أقبل الدجى .. بعبرة مشتاق وقلب عميد .

---

(١) الجرح والتعديل ٩٦/١ .

(٢) كيمخت : كلمة فارسية معناها جلد حمار الوحش ، الجرح والتعديل ٩٥/١

(٣) الحلية ٥٩/٧

(٤) تاريخ بغداد ج ٩ ص ١٥٧

قيام أبي سلمة مسعر بن كدام رحمه الله :

سماه شعبة المصحف .

قال محمد بن مسعر : كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن ، فإذا فرغ من ورْده لفّ رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة ، ثم يثب كما يثب الرجل الذى فقد منه شيء فهو يطلبه ، وإنما هو السواك والطهور ، ثم يستقبل المحراب فكذلك إلى الفجر ، وكان يجتهد على إخفاء ذلك جداً[1]

قيام سفيان بن عيينة أبي محمد رحمه الله :

كان رحمه الله يقول : إذا كان نهارى نهار سفيه وليلى ليل جاهل فما أصنع بالعلم الذى كتبت[2] .

قيام على والحسن ابنى صالح بن حي رحمهما الله :

● قال وكيع بن الجراح : كان على والحسن ابنا صالح بن حي وأمهما قد جزؤا الليل ثلاثة أجزاء فكان على يقوم الثلث ثم ينام ، ويقوم الحسن الثلث ثم ينام ، وتقوم أمهما الثلث ، ثم ماتت أمهما ، فجزئا الليل بينهما فكان يقومان به حتى الصباح ، ثم مات على فقام الحسن به ، وكان يقال : الحسن حية الوادى ـ يعنى لا ينام بالليل .

وكان يقول : إنى أستحيي من الله تعالى أن أنام تكلفاً حتى يكون النوم هو الذى يصير عنى فإذا أنا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائماً فلا أرقد الله عينىّ .

● قال أبو سليمان الداراني : ما رأيت أحداً الخوف أظهر على وجهه والخشوع من الحسن بن صالح قام ليلة فقرأ ﴿ عم يتساءلون ﴾ فغشى عليه فلم يختمها حتى طلع الفجر[3] .

---

(١) حلية الأولياء ٢١٦/٧

(٢) حلية الأولياء ٢٧١/٧

(٣) حلية الأولياء ٣٢٨/٧

قيام داود الطائى رحمه الله : الفقيه الواعى ، البصير الراعى ، العابد الطاوى :

كان أبو سليمان داود بن الطائى يقول : كفى بالعبادة شغلاً[1] .

وكان رحمه الله يقول : إنما الليل والنهار مراحل تنزل بالناس مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهى بهم ذلك إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تقدم فى كل يوم مرحلة زاداً لما بين يديك فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو ، والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك ، واقض ما أنت قاض من أمرك ، فكأن بالأمر قد بغتك[1] .

● قالت عنه أم سعيد بن علقمة ـ وكانت طائية ـ كان بيننا وبين داود الطائى جدار قصير فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ ، ولربما ترنم فى السحر بشىء من القرآن فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع فى ترنيمه تلك الساعة ، وكان لا يصبح ـ تعنى لايسرج[2] .

● وعنه رحمه الله قال : ما حسدت أحداً على شىء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل ، فإنى أحب أن أرزق وقتاً من الليل ، وكان رحمه الله إذا غلبته عيناه احتبى قاعداً .

● قال عنه أبو عبد الرحمن المذكر : كان داود يحيى الليل صلاة ثم يقعد بحذاء القبلة فيقول : يا سواد ليلة لا تضىء ، ويا بُعد سفر لا ينقضى ، ويا خلوتك بى تقول داود ألم تستح ؟[3] .

● وكان رحمه الله كما قال ابن السماك فى رثائه « آنس ما تكون إذا كنت بالله خالياً ، وأوحش ما تكون آنس ما يكون الناس » .

ووقف ابن السماك على قبره بعد دفنه : فقال : يا داود كنت تسهر ليلك إذا

---

(١) الحلية ٣٤٦/٧

(٢) الحلية ٣٥٦/٧

(٣) تاريخ بغداد ٣٥٣/٨

الناس ينامون ، فقال القوم : صدقت[1] .

قيام أبي اسحاق : إبراهيم بن أدهم : الحازم الأحزم ، العازم الألزم :

● كان مخلد بن الحسين يقول عنه : ما انتبهت من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله فأغتم ، ثم اتعزى بهذه الآية ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ﴾[2] .

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول : لولا ثلاث ما باليت أن أكون يعسوباً : ظمأ الهواجر وطول ليل الشتاء والتهجد بكتاب الله عز وجل[3] .

وكان رحمه الله يقول : إذا كنت بالليل نائماً ، وبالنهار هائماً ، وفى المعاصى دائماً ، فكيف ترضى من هو بأمورك قائماً[4] .

● قال إبراهيم بن بشار : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول هذا ويتمثل به إذا خلا فى جوف الليل بصوت حزين موجع القلوب :

ومتى أنت صغيراً وكثيراً أخو علل … فمتى ينقضى الردى ومتى ويحك العمل ؟

ثم يقول : يانفس إياك والغرّة بالله ، فقد قال الصادق « **لاتغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور** »

● **وقال رحمه الله :**

قم الليل يا هذا لعلك ترشد … إلى كم تنام الليل والعمر ينفد
أراك بطول الليل - ويحك - نائماً … وغيرك فى محرابه يتهجد
ولو علم البطال ما نال زاهد … من الأجر والإحسان ما كان يرقدُ
فصام وقام الليل والناس نوّم … ويخلو برب واحد متفرد

---

(١) تاريخ بغداد ٣٥٥/٨
(٢) الحلية ٢٢/٨
(٣) الحلية ٢٣/٨
(٤) الحلية ج ٨ ص ١١

بحزم وعـزم واجتهـاد ورغبـة ويعلمُ أن الله ذا العرش يُعبدُ
ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها لكان رسول الله حيـاً مخلدُ
أترقد يـامغرور والنـار توقدُ فلا حرّها يطفا ولا الجمر يخمد
فيا راكب العصيان ويحك خلّهـا ستحشر عطشاناً ووجهك أسود[1]

رحمك الله أبا اسحاق ولله درك حين تقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السرور والنعيم إذًا لجالدونا على ما نحن فيه بأسيافهم ... رحمك الله فقد طلبت بحبوحة الجنة .

قيام عثمان بن أبي دهرش :

• **يقول عنه عبد الله بن المبارك** : إنه كان إذا رأى الفجر أقبل عليه بثه[2] وقال : أصير الآن مع الناس فلا أرى ما أجنى على نفسى . وكان رحمه الله يقول : ما صليت صلاة قط إلا استغفرت الله من تقصيرى فيها[3] .

قيام أبي على : الفضيل بن عياض : الناقل من المهالك والسباخ إلى الغصون والرياض :

بلغ من مكانته أن أمير المؤمنين فى الحديث فى زمانه سفيان بن عيينة كان إذا ألتقى به قبّل يده كما يقول االذهبى[4] كانت آيات الذكر المتلو أثناء الليل سببا فى توبة هذا السيد من سادات المسلمين ، فلقد كان رحمه الله فى بداية أمره شاطراً ـ قاطع طريق ـ وكان يتعشق جارية فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جداراً إذ سمع قارئاً يقرأ : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله** ﴾ فقال بلى[5] . وتاب وصار جبلاً فى العبادة ونسيجا وحده فى التهجد .

---

(١) عقود اللؤلؤ والمرجان فى وظائف شهر رمضان
(٢) أحزنه
(٣) الزهد لابن حنبل ص ٣٥٦
(٤) البداية والنهاية ج ١٠
(٥) انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ـ شريط قيام الليل للشيخ الطحان الشريط الثالث الوجه الأول

● قال عنه إسحاق بن إبراهيم : « ما رأيت أحداً أخوف على نفسه ولا أرجى للناس من الفضيل » .

قال عنه عبد الله بن المبارك : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن .

وقال عنه هارون الرشيد : ما رأيت أهيب من مالك ولا أورع من الفضيل .

وانظر إلى أثر التهجد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

انظر إلى سيد من سادات المتهجدين الذى كان إذا وعظ قبّل ابن المبارك جبهته وقال : يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك .

انظر إليه حين يقول : « لأن يدنو الرجل من جيفة منتنة خير له من أن يدنو إلى هؤلاء ـ يعنى السلطان ـ وقال أيضاً : رجل لا يخالط هؤلاء ولا يزيد على المكتوبة أفضل عندنا من رجل يقوم الليل ويصوم النهار ويحج ويعتمر ويجاهد فى سبيل الله . واسمع يا أخى إلى الجبال حين تتكلم استمع إلى زواجر الكلم تلقى على مسامع الخليفة من قِبل متهجد وهو الفضيل : قال الفضل بن الربيع [1] : حج أمير المؤمنين فأتانى فخرجت مسرعاً فقلت : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ أتيتك ، فقال : ويحك قد حاك فى نفسى شىء فانظر لى رجلاً أسأله ، فقلت ههنا سفيان بن عيينة ، فقال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعنا الباب فقال : من ذا ، قلت : أجب أمير المؤمنين ، فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ أتيتك ، فقال : خذ لما جئناك له رحمك الله . فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ فقال : نعم . قال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، انظر لى رجلاً أسأله قلت : ههنا عبد الرزاق بن همام ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فقرعنا الباب فخرج مسرعاً فقال : من هذا ، قلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ لأتيتك ، قال : خذ لما جئناك له ، فحادثه ساعة ، ثم قال له عليك دين ؟ قال : نعم ،

---

(١) انظر إلى القصة فى الحلية ١٠٥/٨ ١٠٧ .

قال أبا عباس اقض دينه ، فلما خرجنا قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، انظر لى رجلاً أسأله ، قلت : ههنا الفضيل بن عياض ، قال : امض بنا إليه ، فأتيناه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها ، فقال اقرع الباب ، فقرعت الباب فقال : منْ هذا؟ قلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال : مالى ولأمير المؤمنين؟ فقلت : سبحان الله ، أما عليك طاعة؟ أليس قد روى عن النبى ﷺ أنه قال : «**ليس للمؤمن أن يذل نفسه**» فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت ، فدخلنا فجعلنا نجول بأيدينا ، فسبقت كف هارون قبلى إليه فقال : يالها من كف ، ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل . فقلت فى نفسى : ليكلمنه الليلة بكلام من تقى قلب نقى ، فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب ورجاء بن حيوة فقال لهم : إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علىّ ، فعدّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة ، فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة من عذاب الله فصم الدنيا ، وليكن إفطارك منها الموت ، وقال له محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المؤمنين عندك أباً وأوسطهم أخاً وأصغرهم عندك ولداً ، فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك ، وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت إذا شئت ، وإنى أقول لك فإنى أخاف عليك أشد الخوف يوماً تزل فيه الأقدام ، فهل معك رحمك الله مثل هذا؟ أومَنْ يشير عليك بمثل هذا ، فبكى هارون الرشيد بكاء شديداً حتى غُشى عليه ، فقلت له : ارفق بأمير المؤمنين ، فقال : يا ابن الربيع تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا !! ، ثم أفاق فقال له : زدنى رحمك الله فقال : ياأمير المؤمنين بلغنى أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شكى فكتب إليه عمر : يا أخى أذكرك طول سهر أهل النار مع خلود الأبد ، وإياك أن ينصرف بك من عند الله

فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . قال : فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعت قلبي بكتابك لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله عز وجل قال : فبكى هارون بكاء شديداً . ثم قال له : زدني رحمك الله ، فقال : يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أَمِّرْني على إمارة ، فقال له النبي ﷺ : « **إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت أن لا تكون أميراً فأفعل** » . فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً ، فقال له : زدني رحمك الله قال : يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة فإياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لأحد من رعيتك ، فإن النبي ﷺ قال : « **من أصبح لهم غاشاً لم يرح رائحة الجنة** » فبكى هارون الرشيد وقال له : عليك دين ؟ قال : نعم ! دين لربي لم يحاسبني عليه ، فالويل لى إن سألنى ، والويل لى إن ناقشنى ، والويل لى إن لَمْ أُلهم حجتى ، قال : إنما أعنى من دين العباد ؟ قال : إن ربى لم يأمرنى بهذا ، إنما أمرنى أن أصدق وعده وأطيع أمره فقال جل وعز ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ فقال له : هذه ألف دينار فأنفقها على عيالك وتقوّ بها على عبادتك ، فقال : سبحان الله ! أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك ، ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده ، فلما صرنا على الباب قال هارون : إن دللتنى على رجل فدلنى على مثل هذا . هذا سيد المسلمين » .

كانت قراءته حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنساناً ، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة تردد فيها وسأل ، وكانت صلاته بالليل أكثر ذلك قاعداً ، تلقى له حصير فى مسجده فيصلى من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه ، فيلقى نفسه على الحصير فينام قليلاً ، ثم يقوم فإذا غلبه النوم نام ثم يقوم هكذا حتى يصبح ،

وكان دأبه إذا نعس أن ينام (١).

● وكان رحمه الله يقول : «كان يقال من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار ، الطاهرة قلوبهم ، خلائق ثلاثة : الحلم والإنابة وحظ من قيام الليل» (٢).

● وأخذ الفضيل رحمه الله بيد الحسين بن زياد وقال : يا حسين : ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول الرب : [كذب من ادعى محبتى ، فإذا جنّه الليل نام عنى ؟!! أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه ؟ ها أنذا مُطَّلِعٌ على أحبائى إذا جنهم الليل ، مثلت نفسى بين أعينهم فخاطبونى على المشاهدة ، وكلَّمُونى على حضورى ، غدًا أقر أعين أحبائى فى جناتى] (٣).

● وقال رحمه الله : أدركت أقواماً يستحيون من الله سواد الليل من طول الهجعة ، إنما هو على الجنب ، فإذا تحرك قال : ليس هذا لك ، قومى خذى حظك من الآخرة (٤).

● وكان رحمه الله يقول : « إنى لأقوم الليلة فيطلع الفجر فيرجف قلبى وأقول : جاء النهار بما فيه من الآفات (٥).

قيام أبى عبد الرحمن عبد الله بن المبارك : المتزود من الوداد ، أليف القرآن والحج والجهاد :

إمام المسلمين كما يقول أبو إسحاق الفزارى .. الطيب المبارك .. يقول عنه الأوزاعى : لو رأيته لقرت عينك به .

● قال على بن الحسن بن شقيق : لم أر أحداً من الناس أقرأ من ابن المبارك

---

(١) حلية الأولياء ٨/٨٦.
(٢) حلية الأولياء ٨/٩٥.
(٣) الحلية ٨/١٠٠
(٤) الحلية ٨/١٠١
(٥) تنبيه المغترين ص ٣٤

ولا أحسن قراءة ، ولا أكثر صلاة منه ، كان يصلى الليل كله فى السفر وغيره .

وكان يرتل القراءة ويمدها ، وإنما ترك النوم فى المحمل لأنه كان يصلى وكان الناس لا يدرون .

● انظروا إلى قول سفيان الثورى : «لو جهدت جهدى أن أكون فى السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك لم أقدر» ، وقال عبد الرحمن بن مهدى : كان نسيجًا وحده .

● قال محمد بن أعين وكان صاحب ابن المبارك فى الأسفار وكان كريماً عليه ـ قال : كان ذات ليلة ونحن فى غزاة الروم ذهب ليضع رأسه ليرينى أنه ينام ، فقلت : أنا برمحى فى يدى قبضت عليه ووضعت رأسى على الرمح كأنى أنام كذلك ، قال : فظن أنى قد نمت فقام فأخذ فى صلاته فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر وأنا أرمقه ، فلما طلع الفجر أيقظنى وظن أنى نائم ، وقال : يا محمد فقلت : إنى لم أنم . قال فلما سمعها منى ما رأيته بعد ذلك يكلمنى ولا ينبسط إلىّ فى شىء من غزاته كلها كأنه لم يعجبه ذلك منى لما فطنت له من العمل ، فلم أزل أعرفها فيه حتى مات ، ولم أر رجلاً أسر بالخير منه[1]

إذا سار عبد الله من مروَ ليلة ... فقد سار منها نورها وجمالها

إذا ذُكر الأحبار فى كل بلدة ... فهم أنجم فيها وأنت هلالها

قيام عبد العزيز بن أبى رواد : أبى عبد الرحمن العابد السجّاد :

كان رحمه الله يفرش له الفراش فيضع يده عليه ويقول : ما ألينك ولكن فراش الجنة ألين منك ثم يقوم إلى صلاته[2]

محمد بن النضر الحارثى :

وكان من أعبد أهل زمانه وكان يقول : أكره أن أعطى عينى فى الدنيا سؤلها فى النوم[3]

---

(١) الجرح والتعديل ١/٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) تنبيه المغترين ص ٣٤

(٣) الحلية ٨/٢١٩

● قيل له : أما تستوحش ؟ قال : كيف أستوحش وهو يقول : أنا جليس من ذكرنى .

نعم أبا عبد الرحمن .. أيها الصالح بمولاك فافرح وبذكره فتنعم .

محمد بن يوسف الأصبهانى : « عروس العبّاد » :

● كما سماه بذلك ابن المبارك لم يكن رحمه الله يضع جنبه ، وفى ليالى الشتاء كان يتمدد من جلوس ثم يقوم ويتمسح إذا طلع الفجر[1]

قيام يوسف بن أسباط :

قال رحمه الله : عجبت كيف تنام عين مع المخافة[2]

قيام أبى معاوية الأسود :

كان رحمه الله يقول فى جوف الليل :

« من كانت الدنيا أكبر همه طال غداً فى القبر غمه ، ومن خاف الوعيد لها فى الدنيا عمّا يريد يا مسكين إن كنت تريد لنفسك فلا تنام من الليل إلا القليل . ثم بكى رحمه الله بكاءً شديداً ثم قال : أوه من يوم يتغير فيه لونى ويتلجلج فيه لسانى ويقل فيه زادى[3] .

● وكان يقول إذا قام من الليل يستقى الماء : ما ضرّهم ما أصابهم فى الدنيا ، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة[4] .

وقال رحمه الله : شمروا طلاباً وشمروا هداباً ، لم يضرهم ما أصابهم فى الدنيا ، جبر الله لهم كل مصيبة بالجنة[5] .

قيام على بن الفضيل بن عياض :

قال الفضيل : أشرف ليلة علىّ وهو فى صحن الدار وهو يقول : النار ،

---

(١) الحلية ٢٣٤/٨

(٢) الحلية ٢٣٨/٨ ومختصر قيام الليل ص ١٨

(٣، ٤، ٥) الحلية ٢٧٢/٨ ، ٢٧٣ .

ومتى الخلاص من النار.

وكان رحمه الله يصلى حتى يزحف إلى فراشه ثم يلتفت إلى أبيه فيقول: يا أبت سبقنى المتعبدون(١).

قيام أبى نصر بشر بن الحارث الحافى:

قيل له مرة: ألا تستريح لك فى الليل ساعة؟ فقال إن رسول الله ﷺ قد قام حتى تورمت قدماه وقطر منهما الدم مع أن الله تعالى قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فكيف أنام وأنا ولم أعلم أن الله غفر لى ذنباً واحداً(٢).

كان رحمه الله لا ينام الليل ويقول أخاف أن يأتى أمر وأنا نائم.

رقد السّمّار وأرّقه همّ للبين يردده
فبكاه النجم ورقّ له مما يرعاه ويرصده

قيام وكيع بن الجراح:

- قال ابن حنبل: لو رأيت وكيعاً لعلمت أنك ما رأيت مثله.
- قال يحيى بن أكثم: صحبت وكيعاً فى السفر والحضر وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة.
- وقال يحيى بن معين: ما رأيت أفضل من وكيع، كان يستقبل القبلة ويحفظ حديثه ويقوم الليل ويسرد الصوم.
- وقال عنه أصحابه الذين كانوا يلزمونه: كان وكيع لا ينام حتى يقرأ ثلث القرآن، ثم يقوم فى آخر الليل فيقرأ المفصّل، ثم يجلس فيأخذ فى الاستغفار حتى يطلع الفجر فيصلى ركعتين.
- وقال ابنه إبراهيم: كان أبى يصلى الليل فلا يبقى فى دارنا أحد إلا صلّى حتى

---

(١) الحلية ٢٩٨/٨.
(٢) تنبيه المغترين ص ٣٤

إن جارية لنا سوداء تصلى .

● وقال الحسين بن أبى يزيد : صاحبت وكيع بن الجراح إلى مكة فما رأيته متكئاً ، ولا رأيته نائماً فى محمله [١] .

قيام أمير المؤمنين فى الحديث : شعبة الخير .. أبى بسطام .. شعبة بن الحجاج :

كان الثورى يقول : أستاذنا شعبة .

وكان يعقوب يقول : حدّثنى الضخم عن الضخام شعبة الخير أبو بسطام .

● قال عفان : كان شعبة من العباد [٢] .

● وقال عبد السلام بن مطهر : ما رأيت فى الفقهاء مثل شعبة أيبس ولا أمعن فى العبادة منه .

● قال أبو بحر البكراوى : ما رأيت أعبد من شعبة .. لقد عبد الله حتى جَفّ جلده على عظمه ليس بينهما لحم .

● وقال عمر بن هارون : كان شعبة يصوم الدهر كله لا يرى عليه .

● وقال أبو قطن : ما رأيت شعبة ركع قطّ إلا ظننت أنه قد نسى ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه قد نسى .

● وقال أبو قطن أيضًا : كانت ثياب شعبة لونها لون التراب ، وكان كثير الصلاة ، كثير الصيام سخى النفس .

● وقال مسلم بن إبراهيم : ما دخلت على شعبة فى وقت صلاة قطّ إلا رأيته يصلى [٣] .

قيام الإمام يحيى بن سعيد القطان :

قال الإمام أحمد لم تر عينى مثل يحيى بن سعيد .

---

(١) صفة الصفوة ١٧٠/٣ ـ ١٧٢

(٢) انظر الجرح والتعديل والحلية وصفة الصفوة

(٣) صفة الصفوة ٣٤٩/٣

قال على : كان يحيى يختم القرآن فى كل يوم وليلة .

وقال يحيى بن معين : أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن فى كل ليلة [1] .

قيام عبد الرحمن بن مهدى .. الإمام المبجل :

قال على بن المدينى : أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن بن مهدى .

قال على بن المدينى : كان عبد الرحمن بن مهدى يختم فى كل ليلتين ، كان ورده فى كل ليلة نصف القرآن [2] .

قيام ناصر السنة الإمام المطلبى الشافعى رحمه الله :

- قال الربيع بن سليمان : كان الشافعى جزّأ الليل ثلاثة أجزاء : الأول يكتب ، والثانى يصلى ، والثالث : ينام .

- وحدّث حسين الكرابيسى فقال : بت مع الشافعى ، فكان يصلى نحو ثلث الليل ، وما رأيته يزيد على خمسين آية ، فإذا أكثر فمائة ، وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله لنفسه وللمؤمنين أجمعين ، ولا يمر بآية عذاب إلاّ تعوّذ بالله منه ، وسأل النجاة لنفسه ولجميع المؤمنين فكأنما جمع له الرجاء والرهبة معاً [3] .

- وقال عنه الربيع بن سليمان : كان يحيي الليل إلى أن مات ، وكان يختم فى كل ليلة ختمة [4] ـ يعنى فى الصلاة ـ فرحم الله أستاذ الأستاذين الإمام القرشى سيد الفقهاء ولله در ابن حنبل حين يقول : :

«كان الشافعى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس ، فانظر هل لهذين من

---

(١) الجرح والتعديل ، صفة الصفوة ، الحلية.

(٢) تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٤٧.

(٣) معرفة السنن والآثار للبيهقى ١٢١ ، ١٢٢ تحقيق السيد أحمد صقر طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية انظر تاريخ بغداد ٦٢/٢

(٤) تاريخ بغداد ٦٣/٢ ، ٦٤

خلف ، أو منهما عوض » .

● يقول الشافعى واصفاً المتهجد :

فلله در العارف الندب إنه تفيض لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم إذا ما الليل مدّ ظلامه على نفسه من شدة الخوف مأتما
فصار قرين الهم طول نهاره أخا السهد والنجوى إذا الليل أظلما
يقول حبيبي أنت سؤلى وبغيتى كفى بك للراجين سؤلا ومغنما
ألست الذى غذيتنى وهديتنى ولا زلت منّآنا علىّ ومنعما
فنى يقظتى شوق وفى غفوتى مُنىً تلاحق خطوى نشوة وترنما [1]

قيام إمام أهل السنة معلم الخير أبى عبد الله أحمد بن حنبل :

● يقول إبراهيم بن شماسَ العابد الزاهد الذى مات فى غزوة خرج لها من أقصى ثغور الإسلام فى سمرقند سنة ٢٢١هـ «كنت أرى أحمد بن حنبل يحيى الليل وهو غلام» [2] .

● وعن عبد الله بن أحمد قال : كان أبى يقرأ فى كل يوم سبعاً ، يختم فى كل سبعة أيام ، وكانت له ختمة فى كل سبع ليال سوى صلاة النهار ، وكان ساعة يصلى عشاء الآخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلى ويدعو [3] .

وتعالى معى يا أخى لترى حال سيد من سادات المتقين الذى قال له عبد الرزاق الصنعانى حافظ اليمن : جزاك الله عن نبيك خيراً [4] .

● قال أبو بكر المروزى : كنت مع أبى عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر ، ولا يدع قيام الليل وقرآن النهار ، فما علمت بختمة ختمها وكان يسر ذلك [5] .

---

(١) ديوان الشافعى ص ١١٥ تحقيق دكتور محمد عبد المنعم خفاجة نشر مكتبة الكليات الأزهرية
(٢) أحمد بن حنبل إمام أهل السنة لعبد الحليم الجندى ص ٤٠ طبعة دار المعارف
(٣) الحلية ١٨١/٩
(٤) طبقات الحنابلة ٢٠٩/١ للقاضى أبى يعلى - طبعة دار المعرفة ببيروت
(٥) مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزى ص١٩٥ . طبعة دار الآفاق الجديدة ببيروت .

رحمك الله أبا عبد الله فقد كنت آية فى الإخلاص وستر التعبد والصدق وكنت تقول : بهذا ارتفع القوم .

وكان رحمه الله يقول : يا نفس انصبى وإلا فستحزنى .

وقال عبد الصمد بن سليمان بن أبى مطر : بت عند أحمد بن حنبل فوضع لى ماء ، فلما أصبح وجدنى لم أستعمله فقال : صاحب حديث لا يكون له ورد فى الليل ؟ قال قلت : أنا مسافر قال : وإن كنت مسافرًا ! ! حج مسروق فما نام إلا ساجدًا (١) .

● وحدّث أبو عصمة بن عصام البيهقى قال : بت ليلة عند أحمد بن حنبل فجاء بالماء فوضعه ، فلما أصبح نظر إلى الماء فإذا هو كما كان فقال : سبحان الله ! ! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد من الليل (٢) .

● وقال لمحمد بن الإمام الشافعى : أبوك أحد الستة الذين أدعو لهم سحرًا .

● وقال هلال بن العلاء : خرج الشافعى ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة ، فلما أن صاروا بمكة نزلوا فى موضع ، فأما الشافعى فإنه استلقى ، ويحيى بن معين أيضًا استلقى ، وأحمد بن حنبل قائم يصلى ، فلما أصبحوا قال الشافعى : لقد عملت للمسلمين مائتى مسئلة ، وقيل ليحيى بن معين : أى شىء عملت : قال : نفيت عن النبى ﷺ : مائتى كذاب ، وقيل لابن حنبل : فأنت ؟ قال : صليت ركعات ختمت فيها القرآن (٣) .

● وقال القاضى أبو يعلى : ختم إمامنا أحمد القرآن فى ليلة بمكة مصليًا به (٤) .

● وحدّث عنه ابنه صالح : كانت لأبى قلنسوة قد خاطها بيده فيها قطن ، فإذا قام من الليل لبسها ، وكنت أسمع أبى كثيرًا يتلو سورة الكهف (٥) .

● يقول عنه إبراهيم بن هانى ـ وكان أبو عبد الله حيث توارى من السلطان ـ توارى عنده : كان يصلى بعد العشاء الآخرة ركعات ثم ينام نومة خفيفة ، ثم يقوم فينطهر

(١ ، ٢) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٧٩ .

(٣) مناقب الإمام ص ٢٨٧ .

(٤) طبقات الحنابلة ص ٩ .

(٥) مناقب الإمام ص ٢٨٧ .

ولا يزال يصلى حتى يطلع الفجر ثم يوتر بركعة ، وكان هذا دأبه طول مقامه عندى . ما رأيته فتر ليلة واحدة ، وكنت لا أقوى معه على العبادة[1] .

واسمع أخى إلى قولهم عن الإمام الشيبانى وصديق الأمة الثانى فلا يعرف قدر الرجال إلا الرجال .

يقول على بن المدينى : قال لى سيدى أحمد بن حنبل : لا تحدث إلا من كتاب ابن المدينى يقول هذا وقد قال البخارى عن ابن المدينى : ما استصغرت نفسى عند أحد إلا عند على بن المدينى ، وقيل للبخارى ما تشتهى : قال أن أدخل بغداد فيحدثنى على وأحدثه .

رحمك الله يا ابن حنبل يا من قال عنك الذهبى أنك : شيخ الإسلام وسيد المسلمين .

ولله در القائل :

أضحى ابن حنبل محنة مأمونة ... وبحب أحمد يعرف المتنسك

وإذا رأيت لأحمد متنقصاً ... فاعلم بأن ستوره ستهتك

قيام أمير المؤمنين فى الحديث أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى :

● كان يقرأ فى السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن فيختم عند السحر فى كل ثلاث ليال[2] .

● قال عنه محمد بن أبى حاتم الورّاق : كان أبو عبد الله إذا كنت معه فى سفر يجمعنا بيت واحد إلاّ فى القيظ أحياناً ، فكنت أراه يقوم فى ليلة واحدة خمس عشرة مرة إلى عشرين مرة فى كل ذلك يأخذ القدّاحة فيورى ناراً بيده ويسرج ، ثم يخرج أحاديث فيعلم عليها ثم يضع رأسه ، وكان يصلى فى وقت السحر ثلاث عشرة ركعة يوتر منها بواحدة ، وكان لا يوقظنى فى كل ما يقوم ، فقلت له : إنك تحمل على نفسك كل هذا ولا توقظنى ؟ قال : أنت شاب فلا أحب أن أفسد عليك نومك .

(١) مناقب الإمام ص ٢٨٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١٢/١ ، هدى السارى لابن حجر ص ٤٨١ .

انظروا عباد الله وخبرونى : كيف يكون ليل هذا الإمام العابد الذى لو كان فى الصحابة لكان آية .. يقوم فى الليلة الواحدة خمس عشرة مرة.

اللهم : إنا لسنا بأهل أن نكتب عن هؤلاء القمم فغفرانك :

ويرحم الله أهل بغداد حين كتبوا للبخارى :

المسلمون بخير ما بقيت لهم   وليس بعدك خير حين تفتقد

ليله عبادة ممزوجة بعلم ودعاء ، فلقد كتب « التاريخ الكبير » فى الليالى المقمرة عند قبر رسول الله ﷺ ، وما كتب ترجمة من تراجم الجامع الصحيح إلا تطهر وصلى ركعتين . انظروا إلى المتهجد العابد مستجاب الدعوة الذى ضاق بتغير أخلاق الناس فيختار الدعاء فى ليلة من الليالى بعد فراغه من صلاة الليل ويقول فى دعائه : « اللهم إنه قد ضاقت علىّ الأرض بما رحبت فاقبضنى إليك فما أتمّ الشهر حتى قبضه الله إليه رحمه الله تعالى »(1) .

قيام الليل عند أبى سليمان الدارانى رحمه الله :

● كان يقول لأحمد بن الحوارى تلميذه : « جوع قليل ، وعرى قليل ، وسهر قليل ، وذل قليل ، وبرد قليل ، وصبر قليل يقطع عنك الدنيا »(2) .

● وقال له ابن الحوارى إن ابن داود قال : « ليت الليل أطول مما هو » قال « قد أحسن وقد أساء ، قد أحسن حين تمنى طول الليل للطاعة ، وأساء حين تمنى طول ما قصره الله ، إنه إن مضت عنا هذه فله فى التى تأتى عوض » .

● وكان رحمه الله يقول لتلميذه ابن الحوارى : يا أحمد كن كوكبًا ، فإن لم تكن كوكبًا فكن قمرًا ، فإن لم تكن قمرًا فكن شمسًا   فقال له ابن الحوارى : يا أبا سليمان القمر أضوأ من الكواكب ، والشمس أضوأ من القمر . قال : يا أحمد كن مثل الكوكب طلع أول الليل إلى الفجر ، فقم أول الليل إلى آخره ، فإن لم تقو على قيام الليل فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره ، فإن لم تقدر على قيام الليل فلا تعص الله

---

(1) تاريخ بغداد ١/١٣ ، ٣٤ .

(2) الحلية ٩/٢٥٧ .

بالنهار [١] .

● وقال له ابن الحوارى : تبيت عندنا ؟ قال : ما أحبكم تشغلونى بالنهار وتريدون أن تشغلونى بالليل [٢] .

● وكان يقول لابن الحوارى : لترك الشهوات ثواب . وللمداومة ثواب . وإنما أنا وأنت ممّن يقوم ليلة وينام ليلتين . ويصوم يومًا ويفطر يومين . وليس تستنير القلوب على هذا [٣] .

رحمك الله يا أبا سليمان : ونحن فما نفعل .. نحثو على وجوهنا التراب .

● وكان رحمه الله يقول : ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة أرددها وأطالب نفسى بالعمل بما فيها ، ولولا أن الله تعالى يمنّ على بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمرى لأن لى فى كل تدبر علماً جديداً والقرآن لا تنقضى عجائبه [٤] .

قيام الليل عند علىّ بن بكّار : ـ

المرابط الصبّار والمجاهد الكرّار .. بكى حتى عمى . كانت الجارية تفرش له فراشه فيلمسه بيده ويقول : والله إنك لطيب . والله إنك لبارد ، والله لا علوتك ليلتى ، ويصلى حتى الفجر [٥] . قال موسى بن طريف : كان يصلى الفجر بوضوء العتمة [٦] .

قيام أبى الفيض ذى النون المصرى :

كان رحمه الله يردد :

لم تشتكى ألم البلا ... وأنت تنتحل المحبه
إن المحب هو الصبو ... ر على البلاء لمن أحبه
حب الإله هو السرو ... ر مع الشفاء لكل كربه

(١) الحلية ٢٦١/٩ .
(٢) الحلية ٢٦٣/٩ .
(٣) الحلية ٢٧١/٩ .
(٤) تنبيه المغترين ١٢٠ .
(٥) الحلية ٣١٨/٩ .
(٦) تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٣٨٦ .

قال رحمه الله : ثلاثة من أعلام العبادة : حب الليل للسهر بالتهجد والخلوة ، وكراهة الصبح لرؤية الناس والغفلة ، والبدار بالصالحات مخافة الفتنة [1] .

وأنشد رحمه الله :

عجباً لقلبك كيف لا يتصدع ... ولركن جسمك كيف لا يتضعضعُ
فاكحل بملمول السهاد لدى الدجى ... إن كنت تفهم ماتقول وتسمع
منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها لا تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه ... فهمًا تذل له الرقاب وتخضع [2]

رحمك الله أبا الفيض فمن ذاق عرف ، وهذا الكلام لا يصدر إلا عن نفس أنست بالله فى ظلم الدياجى .

● كان رحمه الله مرة على ساحل البحر فلما جنّ الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال سبحان الله ما أعظم شأنكما ، بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما . فلما تهوّر الليل لم يزل ينشد هذين البيتين :

اطلبوا لأنفسكم مثل ماوجدت أنا
قد وجدت لى سكناً ليس فى هواه عَنَا
إن بعدت قرّبنى أو قربت منه دنا

إن لله تعالى عباداً تعلى قلوبهم بالأذكار والترنم بالقرآن فى الدياجى كما تعلى الأطيار فى الأوكار ، لو فتشت منهم القلوب لما وجدت فيها غير حب المحبوب .

انظر يرحمك الله إلى ذى النون وهو يقول :

وأذكر أصنافاً من الذكر حشوها ... وداد وشوق يبعثان على الذكر
فذكر أليف الحب ممتزج بها ... يحل محل الروح فى طرفها يسرى
وذكر علا منى المفاوز والذرى ... يجل عن الأوصاف بالوهم والفكر

ومَنْ كان هذا شأنه حق له أن يقول مناجيًا مولاه :

---

(١) الحلية ٣١٨/٩ .

(٢) الحلية ٣٦٢/٩ .

موت وما ماتت إليك صبابتى ... ولا رويت من صدق حبك أوطارى
تحمل قلبى فيك مالا أبثه ... وإن طال سقمى فيك أو طال إضرارى
وبين ضلوعى منك مالك قد بدا ... ولم يبد باديه لأهل ولا جار

يحيى بن معاذ :

أما يحيى الذى استلذ السهاد تحريًا للوداد .. فقال : « طوبى لعبد أصبحت العبادة حرفته ، والفقر منيته والعزلة شهوته ، والآخرة همته ، وطلب العيش بلغته ، وجعل الموت فكرته ، وشغل بالزهد نيته ، وأمات بالذل عزته ، وجعل إلى الرب حاجته ، يذكر فى الخلوات خطيئته ، وأرسل على الوجنة عبرته ، وشكى إلى الله غربته ، وسأله بالتوبة رحمته ، طوبى لمن كان ذلك صفته ، وعلى الذنوب ندامته ، جآر الليل والنهار ، وبكاءٌ إلى الله بالأسحار ، يناجى الرحمن ويطلب الجنان ويخاف النيران[1] .

وأنشد رحمه الله :

نفس المحب إلى الحبيب تطلع ... وفؤاده من حبه يتقطع
عز الحبيب إذا خلا فى ليله ... بحبيبه يشكو إليه ويضرع
ويقوم فى المحراب يشكو بثه ... والقلب منه إلى المحبة ينزع[1]

رحمك الله حين تقول : أبناء الآخرة يجدون لذة الكلام .

قيام السرى السقطى .. ذى القلب التقى .. الورع الخفى :

وهو خال الجنيد وأستاذه.

كان رحمه الله يقول :

مَنْ لم يبت والحب حشو فؤاده ... لم يدر كيف تفتت الأكباد[2]

وكان يقول عن العباد : أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرق.

---

(١) الحلية ٥٨/١٠ .
(٢) الحلية ١١٩/١٠ .

ويقول :

مافى النهار ولا فى الليل لى فرح فما أبالى أطال الليل أم قصرا

قال الجنيد : كان السرى يقول لنا ونحن حوله « أنا لكم عبرة ، يا معشر الشباب اعملوا فإنما العمل فى الشبوبية » .

وكان إذا جنّ عليه الليل دافع أوله ثم دافع ، فإذا غلبه الأمر أخذ فى النحيب والبكاء(١) .

كان إمام أهل السنة أحمد بن حنبل يقول عنه دائماً : الشيخ الذى يعرف بطيب الغذاء .

قيام الحكم بن أبان « سيد أهل اليمن » .

كان يصلى الليل فإذا غلبه النوم ألقى بنفسه فى البحر وقال : « أسبّح الله مع الحيتان »(٢) .

سهل بن عبد الله رحمه الله :

قال أبو الحسن بن سالم : عرفت سهلاً سنين من عمره كان يقوم الليل حتى يصبح يناجى ربه . كان رحمه الله يقول : « إذا جنك الليل فلا تأمل النهار حتى تسلم ليلتك لك ، وتؤدى حق الله فيها »(٣)

العباس بن مساحق :

قال رحمه الله فى علامات المحبين : « جَفَوْا والله مضاجعهم ، وخربوا من العمارة فروشهم ، وعملوا إلى الرحيل إلى سيدهم ، وعمروا بالأبدان محاريبهم ، وبالقلوب درجاتهم(٤) .

الجنيد سيد الطائفة رحمه الله :

رأى محمد بن إبراهيم الجنيد سيد الطائفة فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات ، وفنيت تلك العلوم ، ونفدت

---

(١) الحلية ١٠/١٢٦ .

(٢) الحلية ١٠/١٤١ .

(٣) الحلية ١٠/١٩٥ .

(٤) الحلية ١٠/٢٢٦ .

تلك الرسوم ، وما نفعنا إلاّ ركيعات كنا نركعها فى الأسحار[1] .

وكان رحمه الله يقول : العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك[2] .

سمنون بن حمزة رحمه الله :

كان رحمه الله يقول :

أحنّ بأطراف النهار صبابة   وفى الليل يدعونى الهوى فأجيبُ
وأيامنا تفنى وشوق زائد   كأن زمان الشوق ليس يغيب[3]

أبو عبد الله الجلاّء :

سُئل أبو عبد الله الجلاء : كيف تكون ليالى الأحباب فأنشأ يقول :

مَنْ لم يبت والحب حشو فؤاده   لم يدر كيف تفتت الأكباد

إبراهيم الخوّاص :

قال رحمه الله : « دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين »[4] .

قيام محمد بن جحادة الأودى مولى لبنى أود :

عن سفيان قال :

كان محمد بن جحادة من العابدين وكان يقال إنه لا ينام من الليل إلاّ أيسره . قال : فرأت امرأة من جيرانه كأن حللاً فرّقت على أهل مسجدهم ، فلما انتهى الذى يفرّقها إلى محمد بن جحادة دعا بسفط مختوم فأخرج منه حلة صفراء . قالت : فلم يقم لها بصرى فكساه إياها وقال له : هذه لك بطول السهر . قالت : تلك المرأة : فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأخالها عليه[5]

---

(١) الحلية ٢٥٧/١٠ . رآه : أى فى المنام .
(٢) المصدر السابق ص ٢٥٧ .
(٣) الحلية ٣١١/١٠ .
(٤) الحلية ٣٢٧/١٠ .
(٥) صفة الصفوة ١١١/٣

قيام يزيد بن هارون :

- قال عنه على بن المدينى : ما رأيت رجلاً قط أحفظ من يزيد بن هارون .
- قال أحمد بن سنان : ما رأيت عالماً قط أحسن صلاة من يزيد بن هارون ، يقوم كأنه أسطوانة ، وكان يصلى بين المغرب والعشاء والظهر والعصر لم يكن يفتر من صلاة الليل والنهار ، هو وهشيم جميعًا معروفان بطول الصلاة بالليل والنهار .
- وقال عاصم بن على : كان يزيد بن هارون إذا صلى العتمة لا يزال قائماً حتى يصلى الغداة بذلك الوضوء نيفًا وأربعين سنة .
- وقال له رجل : كم حزبك ، فقال : وأنام من الليل شيئًا ؟ إذاً لا أنام الله عينى ، وظل يبكى حتى ذهبت عيناه وكان من أحسن الناس عينين(١) .

قيام الإمام أبى زكريا محيى الدين النووى :

- قال فى « البدر المسافر وكان كثير العبادة ، حكى لى البدر بن جماعة أنه سأله عن نومه فقال : إذا غلبنى النوم استندت إلى الكتب لحظة وأنتبه .

وذكر لى صاحبنا الفاضل أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح البعلى الحنبلى فى حياة الشيخ قال : كنت ليلة فى أواخر الليل بجامع دمشق والشيخ واقف يصلى إلى سارية فى ظلمة وهو يردد قوله تعالى : ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ مرارًا بخوف وخشوع حتى حصل عندى من ذلك أمر عظيم »(٢)

- قشّر له أحد أصحابه خيارة ليطعمه إياها فامتنع من أكلها وقال أخشى أن ترطب جسمى وتجلب النوم .
- وكان يجرى دمعه فى الليل ويقول :

لئن كان هذا الدمع يجرى صبابة
على غير ليلى فهو دمع مضيّع

---

(١) صفة الصفوة ٣/١٧ ، ١٨ .

(٢) كتاب ترجمة شيخ الإسلام : أبى زكريا محيى الدين النووى للحافظ السخاوى ص ٣٦ مطبعة جمعية النشر والتأليف بالأزهر

• وقال عنه الحافظ الذهبي : « الشيخ الإمام القدوة الحافظ الزاهد العابد الفقيه المجتهد الرباني شيخ الإسلام حسنة الأنام محيي الدين صاحب التصانيف التي سارت بها الركبان .. إلى أن قال :

لازم الاشتغال والتصنيف محتسبًا في ذلك مبتغيًا وجه الله مع التعبد والصوم والتهجد والذكر والأوراد وحفظ الجوارح وذم النفس والصبر على العيش الخشن ملازمة كلية لا مزيد عليها » أ . هـ . وكان السبكي بعد تقلده مدرسة دار الحديث خلفًا للنووي يمرغ وجهه على البساط الذي كان يطأ عليه النووي ويقول :

وفي دار الحديث لطيف معنى على بسط منها أصبو وآوي
عسى أني أمس بحر وجهي مكانًا مسّه قدم النواوي

قيام الليل عند شيخ الإسلام ابن تيمية :

قال الحافظ المزي : ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه . وما رأيت أحد أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا اتبع لهما منه .

قال عنه الذهبي : « شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام ، مفتي الفرق قدوة الأمة أعجوبة الزمان بحر العلوم حبر القرآن تقي الدين سيد العباد » .

• وقال قاضي القضاة كمال الدين بن الزَّمْلِكاني :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة أنوارها أرْبت على الفجر

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي عنه :

« لا يستطيع أي إنسان أن يتذوق العبادة وينهمك فيها مالم يشعر بلذتها ويذوق طعمها ، ومالم تحتل العبادة محل الدواء والنزاع والقوة ، ويصل إلى

درجة تصبح الصلاة فيها لعينه قرة ولروحه مسرة ، أما الشيخ ابن تيمية فيشهد معاصروه والمطلعون على أحواله بأنه كان له القدح المعلى فى هذه الثروة الغالية ، وكان له ذوق خاص فى العبادة والمناجاة والخلوة . وكان شديد الشغف بهذه الناحية ، عظيم الانهماك فيهما جاء فى « الكواكب الدرية » . وكان فى ليله منفرداً عن الناس كلهم خاليًا بربه ، ضارعًا مواظبًا على تلاوة القرآن العظيم ، مكرراً لأنواع التعبدات الليلية والنهارية ، وكان إذا دخل فى الصلاة ترتعد فرائصه وأعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة » . ويقول العلامة الذهبي : « لم أر مثله فى ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه » ويقول أيضًا « وله أوراد وأذكار يدمنها بكيفية وجمعية » أ . هـ .

- وقال عنه الذهبي « نشأ رحمه الله فى تصون تام وعفاف وتأله وتعبد » .

وقال بعض قدماء أصحابه : « برًا بأمه ورعاً عفيفاً عابداً ناسكاً صواماً قوّاماً ، ذكر الله تعالى فى كل أمر وعلى كل حال » .

يقول عنه تلميذه الحافظ ابن عبد الهادى لمّا سجن وأخرج ما معه من الكتب .

« ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق ، حمل إلى القاضى علاء الدين القونوى وجعل تحت يده فى المدرسة العادلية .

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد حتى أتاه اليقين ، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة انتهى فى آخر ختمة إلى آخر اقتربت الساعة ﴿ **إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** ﴾ » أ هـ .

ولا غرو أن مدحه الشيخ مجيرالدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط الجوخى فقال :

« كم له فى حنادس الخطب والخلق نيام حتى الضحى من قيام »(1)

(1) العقود الدرية جـ ٣٦٨ للحافظ ابن عبد الهادى دار الكتب العلمية ببيروت .

وقال بدر الدين حسن بن محمود النحوى الماردانى فى رثائه :

عجبت لقبر ضم جسمك تُربه ... أيحوى الثرى فى تربه الشمس والبحرا
نقلت من الدنيا إلى ظل روضة ... وجُزْت الذى أمَّلت بالمقلة السهرا
إذا قال فى علياك أمعن قائل ... فما حاط من معشار ما نلته العُشرا
وماذا يقول المادحون بوصفه ... وقدْرك فوق الشعر حل عن الشعرى
وإن أودعوك السجن منهم جهالة ... فقد زدت قدرًا ، عندما نقصوا القدرا
فما يجتنى إلا الجواهر فى الورى ... ومن ظلم الأصداف يستخرج الدرا
سقاك حيًا . ومن وابل الغيث سحرة ... وحيًا ندىً قد ضم من كفك البحرا
ونَوّر نوار الربيع ربوعه ... وأطلع فى أرجائه الزهر والزهر(١)

ويقول عنه أيضا :

نثرت على فرق الزمان جواهرًا ... ودرًّا على جيد الليالى تنظما
بفضل صلاة مع صلاتك فى الدجى ... وجودك والإحسان أربحت مغنما
متى صَيّر المعراج للخلد فى الدجى ... بأوراده ، لمّا تسلم سلما(٢)

ويقول عنه شمس الدين الحنبلى :

لتبكينك دار كنت تسكنها ... وتشتكى فقدك الأسحار والأصل(٣)

ويقول أيضاً :

ولم يزل فى قيام الدين مجتهدًا ... وإن خلا فى الدياجى فهو مبتهل

رحمك الله أبا العباس ، حين تقول : « ماذا يصنع أعدائى بى .. أنا جنتى وبستانى فى صدرى أينما رحت فهى معى .. إن معى كتاب الله وسنة نبيه .. إن قتلونى فقتلى شهادة .. وإن نفونى عن بلدى فنفيى سياحة وإن سجنونى فأنا فى خلوة مع ربى .. إن المحبوس من حبس عن ربه ، وإن الأسير من أسره هواه » .. نعم يا شيخ الإسلام ويا زين المتهجدين .. كما يصفك ويرثيك الإمام زين الدين عمر بن الحسام الشبلى :

(١ ، ٢ ، ٣) انظر العقود الدرية .. ماقيل من مراثى فى شيخ الإسلام ابن تيمية .

يجفو المضاجع راكعاً وساجداً أو ذاكـراً لله فى الظلماء

وكما يقول عنه الشيخ ابن الحضرى الحنبلي :

متزهداً متعبداً متهجداً متخشعاً متورعاً متدينا

ويقول الشيخ شهاب الدين التبريزى الحنفى فى سجن شيخ الإسلام :

غار الإله عليه من أغياره فزواه عنهم والمحب غيور
فخلا به يتلو عليه كلامه وله الحبيب مؤانس وسمير
حتى إذا اشتد التشوق زفّه زف العروس وذيلها مجرور
ولقد سرى فوق الرقاب سريره فعجبت كيف الراسيات تسير
ماكنت أعلم قبل يوم وفاته أن البحار الزاخرات تغور
ولقد سرت لسريره لما سرى سير لها حتى النشور نشور
وكذا جنازته تعالى الله لم ينظر لها فى العالمين نظير
ومن العجائب أنها نطقت على صمت بما هو كامن مستور

نعم ... قولوا لأهل البدع .. بيننا وبينكم يوم الجنائز ... نعم من غَسّله من الحفّاظ ، وكم شيعه من الناس .

يقول الشيخ تقى الدين الدقوقى البغدادى المحدث :

مضى الزاهد الندب ابن تيمية الذى أقرّ له بالعلم والفضل ضده
يحنّ إليه فى النهار صيامه ويشتاقه فى ظلمة الليل ورده[1]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية للملك الناصر الذى يقول له : أنت تفكر فى الحصول على الملك ، فيجيبه : « أنا أفعل ذلك ؟ والله إن ملكك وملك المغول لا يساوى عندي فلساً »[2] .

قيام ابن قيم الجوزية :

لقد كان شيخ الإسلام ابن القيم والحافظ ابن عبد الهادى آية من آيات شيخ

---

(١) انظر العقود الدرية .

(٢) الكواكب الدرية ص ١٦٦

الإسلام ابن تيمية . وللشيخ شيخ الإسلام ابن القيم : روحانية لا تُجارى وهو بحق حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح

يقول عنه ابن رجب الحنبلى تلميذه :

« وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة إلى الغاية القصوى ولم أشاهد مثله فى عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الإيمان ، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر فى معناه مثله ، وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيخه شيخ الإسلام تقى الدين فى المرة الأخيرة بالقلعة منفردًا عنه ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ، وكان فى مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكر ففتح عليه من ذلك خير كثير وحصل له جانب عظيم من الأذواق والمواجيد الصحيحة وتسلط بسبب ذلك على الكلام فى علوم أهل المعارف والخوض فى غوامضهم وتصانيفه ممتلئة بذلك وحج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته .. » أ . هـ[(1)]

قيام الإمام الصالح : ابن بطة الحنبلى صاحب كتاب « الإبانة » :

قال عنه الذهبى : صاحب أحوال وإجابة دعوة ، وقال ابن ماكولا : إنه أحد الزهاد العباد .

وقال ابن العماد : إنه « العبد الصالح » .

● ذكر ابن الجوزى بسنده أن أحمد بن محمد الدلوى قال : « لما رجع أبو عبد الله بن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة فلم يُر خارجاً فى سوق ، ولا رؤى مفطراً إلا يومى الأضحى والفطر . وكان قيام الليل أمراً عادياً بالنسبة للشيخ فكأنه جُبل على ذلك ، فقد ذكر ابن العماد عنه[(2)] « أنه كان يقوم الليل كله فكان يجعل عشاءه قبل الفجر بيسير ولاينام حتى يصبح » .

---

(١) المنتظم ١٩٤/٧ . انظر كتاب الشرح والإبانة والمقدمة للدكتور رضان بن نعسان معطى ص ٣٣ ، ٣٤

(٢) الشذرات ١٢٣/٣

قيام أحمد بن مهدى :

المحدث الأمين ، حليف العبادة والسهر ، أليف السنة والأثر ، كان رحمه الله ذا مال كثير فأنفقه كله على العلم ، نحو ثلاثمائة ألف درهم ، وذكر أنه لم يعرف له فراش أربعين سنة(١) .

قيام عرفجة :

عن خلف بن تميم قال : كان فتى من أهل الكوفة متعبد يقال له عرفجة وكان يحيى الليل صلاة ، فاستزاره بعض إخوانه ذات ليلة فاستأذن أمه فى زيارته فأذنت له ، قالت العجوز : فلما كان من الليل وأنا فى منامى فإذا أنا برجال قد وقفوا علىّ فقالوا يا أم عرفجة : لم أذنت لإمامنا الليلة ؟ (٢) .

قيام شداد المجذوم :

قال مخلد بن الحسين : كان بالبصرة رجل يقال له شداد أصابه الجذام فانقطع ، فدخل عليه عوّاده من أصحاب الحسن فقالوا كيف تجدك ؟ قال : بخير ، ما فاتنى حزبى من الليل منذ سقطت ، وما بى إلا أنى لا أقدر على أن أحضر صلاة الجماعة(٣) .

قيام عابد من عباد الكوفة ... واقتيل جُهَنَّمَاه :

قال منصور بن عمّار : نزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت فى ليلة مظلمة مستحلكة فإذا أنا بصوت شاب يدعو ويبكى وهو يقول : « إلهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ، ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرّض ولا بنظرك مستخف ولكن سوّلت لى نفسى فأعانتنى عليها شقوتى ، وغرّنى سترك المرخىّ علىّ ، فقد عصيتك وخالفتك بجهلى ، فإلى من أحتمى ، ومَنْ مِنْ عذابك يستنقذنى ، ومن أيدى زبانيتك من

---

(١) حلية الأولياء جـ ١٠ ص ٣٩٧ .

(٢) حلية الأولياء جـ ١٠ ص ١٣٥ .

(٣) حلية الأولياء جـ ١٠ ص ١٤٦ .

يخلصني . ويحبل مَنْ اتصل إذا أنت قطعت حبلك عني ، واسوءتاه إذا قيل للمُخفّين جوزوا وللمثقلين حطّوا . فياليت شعري مع المثقلين نحط أم مع المخفّين نجوز وننجوا .. كلما طال عمري وكبر سني كثرت ذنوبي وكثرت خطاياي ، فيا ويلي كم أتوب وكم أعود ولا أستحي من ربي ــ واشباباه واشباباه واشباباه ــ

قال منصور فلما سمعتُ هذا الكلام وضعت فمي على باب داره وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة**﴾ الآية . قال منصور ثم سمعت للصوت اضطرابًا شديدًا وسكن الصوت فقلت إن هناك بلية فعَلّمت على الباب علامة ومضيت لحاجتي فلمّا رجعت من الغد إذ أنا بجنازة منصوبة وأكفان تصلح وعجوز تدخل الدار وتخرج باكية ، فقلت يا أمة الله مَنْ هذا الميت منك ؟ قالت : إليك عني لا تجدد عليّ أحزاني ، قلت : إني رجل غريب أخبريني ، قالت والله لولا أنك غريب ما أخبرتك ، هذا ولدي ومن زلّ عن كبدي ومَنْ كنت أظن به سيدعولي مِنْ بعدي .. كان ولدي إذا جن عليه الليل قام في محرابه يبكي على ذنوبه وكان يعمل هذا الخوص فيقسّم كسبه أثلاثًا فثلث يطعمني وثلث للمساكين وثلث يفطر عليه فمرّ علينا البارحة رجل لا جزاه الله خيرًا فقرأ عند ولدي آية فيها ذكر النار فلم يزل يضطرب ويبكي حتى مات رحمه الله .. قال منصور : هذه صفة الخائفين إذا خافوا السطوة(1) .

قيام الأسود بن يزيد بن قيس « تابعي »

كان رحمه الله يختم القرآن في غير رمضان في ست ليال .

قال عمارة : ماكان الأسود إلا راهبًا من الرهبان .

وكان رحمه الله يجهد نفسه في الصوم والعبادة حتى يخضرّ جسده ويصفرّ ، وكان علقمة يقول له : ويحك لِمَ تُعذّب هذا الجسد فيقول : إنّ الأمرَ جَدّ ، إن الأمر جد .

---

(1) حلية الأولياء جـ ١٠ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

وقال علقمة بن مرثد : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم الأسود بن يزيد .

لَـمّا احتضر بكى فقيل له ما هذا الجزع فقال : لا أجزع ! ! ومَنْ أحقّ بذلك مني ، والله لو أُتيتُ بالمغفرة من الله عز وجل لأهمّني الحياء منه بما قد صنعتُ ، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحياً منه(١)

قيام أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي : « تابعي » :

عن مغيرة : كنت إذا رأيت أبا إسحاق ذكرتُ به الصدر الأوّل .

قال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول : ذهبت الصلاة مني ، وضعفتُ ورقّ عظمي ، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلاّ البقرة وآل عمران .

وكان رحمه الله قد ضعف عن القيام فكان لا يقدر أن يقوم إلى الصلاة حتى يُقام ، فإذا أقاموه فاستتمّ قائمًا قرأ ألف آية وهو قائم .

وقال سفيان : كان أبو إسحاق يقوم ليل الصيف كله وأمّا الشتاء فأوله وآخره . وبين ذلك هجعة .

وقال رحمه الله : ما أقلت عيني غمضًا منذ أربعين سنة ، إذا استيقظت لم أقلها . قال له عون بن عبد الله : ما بقي منك ؟ قال : أصلي فأقرأ البقرة في ركعة ، قال : ذهب شرّك وبقي خيرك(٢) .

قيام حجير بن الربيع العدوي « تابعي » :

قال هلال بن حق : كان حجير بن الربيع يصلي حتى ما يأتي فرشه إلا زحفاً وما يعدّونه من أعبدهم.

---

(١) صفة الصفوة جـ٣ ص٢٣ .

(٢) صفة الصفوة جـ٣ ص ١٠٤ ، تذكرة الحفاظ للذهبي جـ١ ص ١١٥ .

قيام رجال من بيت النبوة

قيام على بن عبدالله بن عبّاس : السجاد ... قمر قريش :

قال ابن سعد : كان من أجمل قريش على وجه الأرض .. وكان يدعى السجّاد لكثرة صلاته .

قال مصعب الزبيرى : سمعت رجلاً من أهل العلم يقول : إنما كان سبب عبادته أنه رأى عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان وعبادته فقال لأنا أولى بهذا منه وأقرب إلى رسول الله ﷺ وآله وسلم رحما فتجرّد للعبادة .

قال على بن أبى حملة : كان على بن عبد الله يسجد كل يوم ألف سجدة .

وعن أبى سنان : كان على بن عبد الله معنا بالشام وكان يصلى كل يوم ألف ركعة[1] .

قيام موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين « موسى الكاظم » :

كان موسى بن جعفر يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده وكان إمامًا من أئمة المسلمين . قال الخطيب : « روى أصحابنا أنه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة فى أول الليل ، وسُمع وهو يقول فى سجوده : عظِم الذنب عندي فليحسن العفو عندك . يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة ، فجعل يرددها حتى أصبح .

● قال عمار بن أبان : حُبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندى ، فسألته أخته أن تتولى حبسه ـ وكانت تتدين ـ ففعل ، فكانت تلى خدمته ، فحكى لنا أنها قالت : كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه ، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل ، فإذا زال الليل قام يصلى حتى يصلى الصبح ، ثم يذكر قليلاً حتى تطلع الشمس ، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ، ثم يتهيأ ويستاك ويأكل ، ثم يرقد إلى قبل الزوال ، ثم يتوضأ ويصلى حتى يصلى العصر ، ثم

---

(١) تهذيب التهذيب جـ٧ ص ٣٥٨ .

يذكر فى القبلة حتى يصلى المغرب ، ثم يصلى ما بين المغرب والعتمة فكان هذا دأبه ، فكانت أخت السندى إذا نظرت إليه قالت : خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل وكان عبداً صالحاً[1] .

قيـــام المجاهــــدين

قيام القسيم .. الملك الشهيد
نور الدين محمود زنكى

الملك الشهيد .. قاهر الصليبيين :

قال ابن الأثير : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين .

قال عنه الحافظ ابن كثير :

«كان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب .

جمع الشجاعة والخشوع لديه ما أحسن الشجعان فى المحراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الأتابك معين الدين تكثر القيام فى الليل ، فنامت ذات ليلة عن وردها ، فأصبحت وهى غضبى فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذى فوّت عليها وردها ، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبلخانة فى القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل ، وأعطى الضارب على الطبلخانة أجرًا جزيلاً وجراية كثيرة .

فألبس الله هاتيك العظام وإن بُلينَ تحت الثرى عفواً وغفرانا

سقى ثرى أودعوه رحمة ملأت مثوى قبورهم روحاً وريحانا[2]

وقال أيضًا الحافظ ابن كثير عن الملك الشهيد :

---

(١) تاريخ بغداد جـ١٣ ص ٣١ .

(٢) البداية والنهاية ١٢/٢٧٩ .

« وكان مدمنا لقيام الليل ، يصوم كثيرا ، مجاهدا فى الفرنج صحيح الاعتقاد » .

وقال عنه أيضًا : «كان كثير الصلاة بالليل ، كثير الابتهال فى الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل فى أموره كلها».

قال الفقيه : أبو الفتح الأشرى معيد النظامية ببغداد وجامع المختصر فى سيرة نور الدين :

« بلغنا عن جماعة من الصوفية مِمّنْ يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام أخذ القدس الفرنج فسمعهم يقولون : إن القسيم بن القسيم ـ يعنون نور الدين ـ له مع الله سر ، فإنه لم يظفر وينصر علينا بكثرة جنده وجيشه وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل ، فإنه يصلى بالليل ويرفع يده إلى الله ويدعو فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا ـ قال ـ فهذا كلام الكفار فى حقه »(١) .

انظروا بربكم إلى كلام أعدائه .. « إنه يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل » .. فضل قيام الليل عرفه حتى الكفار وأقروا به لمن أراد النصر.

ويرحم الله من قال عن الملك الشهيد :

ومدرسة ستدرس كل شيء وتبقى فى حمى علم ونسك
تضوّع ذكرها شرقاً وغرباً بنور الدين محمود بن زنكى

كان رحمه الله يقول فى سجوده : « اللهم ارحم المكّاس العشّار الظالم محمود ».

أما عن شجاعته فيقول ابن كثير : « إنه لم يُر على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه ، وكان شجاعاً صبوراً فى الحرب ، يضرب المثل به فى ذلك ، وكان يقول : « لقد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لى ذلك ، ولو كان فىّ خير ، ولى عند الله قيمة لرزقنيها والأعمال بالنية » .

---

(١) البداية والنهاية ١٢/٢٨٣ .

وقال له يومًا قطب الدين النيسابورى : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك ، فإنك لو قتلت قتل جميع من معك ، وأخذت البلاد وفسد حال المسلمين ، فقال له : اسكت يا قطب الدين فإن قولك إساءة أدب على الله ، ومن هو محمود ؟ ومن كان يحفظ الدين والبلاد قبلى غير الذى لا إله إلا هو؟ ومن هو محمود ؟ قال فبكى من كان حاضرًا »[1] .

تلك المكارم لا قعبان من لبن   وذلك السيف لاسيف بن ذى يزن

أما عن زوجته عصمت الدين بنت معين الدولة كثيرة التهجد ، وأحسن النساء فى عصرها وأعفهن وأكبرهن صدقة ، فقد تزوجت تلميذه صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٧٢ هـ بعد موت أستاذه نور الدين .. وامرأة صالحة كهذه لا تكون تحت إلاّ من هو مثل ابن زنكى وصلاح الدين الأيوبى .

قيام الناصر صلاح الدين بطل حطين وقاهر الصليبيين :

قال القاضى بهاء الدين ـ المعروف بابن شدّاد الذى عاصر صلاح الدين ـ عن بطلنا صلاح الدين :

« وأما الصلاة فإنه كان رحمه الله شديد المواظبة عليها حتى أنه ذكر يومًا أنه من سنين ما صلّى إلاّ جماعة ، وكان يواظب على السنن والرواتب ، وكان له صلوات يصليها إذا استيقظ من الليل ، وإلاّ أتى بها قبل قيام الفجر ، وكان رحمه الله يحب سماع القرآن العظيم ، وكان خاشع القلب غزير الدمعة ، إذا سمع القرآن يخشع قلبه وتدمع عينه فى معظم أوقاته »[2] .

وإن تعْجَبْ فاسمع حديث البطل جملة :

قال صاحب كتاب طبقات الشافعية : « وسمع صلاح الدين الحديث من الحافظ أبى طاهر السلفى ، وأبى الطاهر بن عوف ، والشيخ قطب الدين

---

(١) البداية والنهاية ١٢/٢٨٠ .

(٢) صلاح الدين الأيوبى بطل حطين للشيخ عبد الله ناصح علوان ص ١٤٠ ، ١٤١ . الناشر دار السلام للطباعة والنشر.

النيسابورى وعبد الله بن برى النحوى وجماعة .. وكان فقيهًا يقال : إنه يحفظ القرآن الكريم والتنبيه فى الفقه والحماسة فى الشعر » .

ألا تعجب يا أخى من رجل رقيق القلب سريع الدمعة عند سماع الحديث ، بل يواظب على سماع الحديث حتى أنه يسمع فى بعض مصافه جزء وهو بين الصفّين فكان يتبجح بذلك ويقول : هذا موقف لم يسمع أحد فى مثله حديثا [1] .

رحمك الله يا صلاح الدين .

أما عن غيرته وبطولته وجهاده للدفاع عن معاقل الإسلام فهيهات أن تلد النساء مثله :

الجراحات تستغيث وتشكو ملء سمع الوجود قم يا صلاحُ

فصلاح الدين لو كان فى الرعيل الأول لكان آية ، فهم دينه كما فهمه السلف .

لم يعرفوا الدين أوراداً ومسبحة بل أشبعوا الدين محراباً وإيمانا

يقول عنه القاضى بهاء الدين :

«كان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال ، وهو كالوالدة الثكلى يجول بفرسه من طلب إلى طلب ، ويحث الناس على الجهاد ، ويطوف بين الأطلاب وينادى : يا للإسلام ! .. وعيناه تذرفان بالدموع ، وكلما نظر إلى عكا ، وما حلّ بها من البلاء ، وما يجرى على ساكنيها من المصاب العظيم ، اشتد فى الزحف ، والحث على القتال ، ولم يطعم فى ذلك اليوم طعامًا ألبتة . وإنما شرب أقداح دواء كان يشير بها الطبيب ، ولقد أخبرنى بعض أطبائه أنه بقى من يوم الجمعة إلى يوم الأحد لم يتناول من الغذاء إلا شيئاً يسيراً لفرط اهتمامه [2] .

وكان إذا سمع أن العدو قد دهم المسلمين ، فكان يُرى ساهراً مهتمًا مغتمًا ساجداً لله

---

(١) البداية والنهاية ١٣/٥ .

(٢) صلاح الدين الأيوبى ص ١٦٤ .

داعيًا فى سجوده بهذا الدعاء « إلهى قد انقطعت أسبابى الأرضية فى نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك ، والإعتصام بحبلك والإعتماد على فضلك أنت حسبى ونعم الوكيل » ويقول القاضى بهاء الدين : « ورأيته ساجدًا ودموعه تتقاطر على شيبته ثم على سجادته ولا أسمع ما يقول ، ولم ينقض ذلك اليوم إلا ويأتيه أخبار النصر على الأعداء »(١) .

وقال مرة للقاضى ابن شداد وهو يركب البحر : « أما أحكى لك شيئًا فى نفسى .. إنه متى يسّر الله تعالى فتح بقية الساحل قسّمتُ البلاد وأوصيت وودعت ، وركبت هذا البحر إلى جزائره ، واتبعتهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت . ثم قلت ـ أى ابن شداد ـ :
ما هذه إلا نية جميلة ولكن المولى يسيّر فى البحر العساكر وهو سور الإسلام ومنعته فلا ينبغى أن يخاطر بنفسه ، فقال : أنا أستفتيك ما أشرف الميتتين ؟ فقلت : الموت فى سبيل الله ، فقال : غاية مافى الباب أن أموت أشرف الميتتين » فانظر إلى هذه الطوية ما أطهرها ، وإلى هذه النفس ما أشجعها ويرحم الله أبا الحسن بن الجوينى حين يقول :

إذا طوى الله ديوان العباد فما ... يطوى لأجر صلاح الدين ديوان

ويرحم الله من قال :

فُتح الشام وطُهِّر القدسُ الذى ... هو فى القيامة للأنام المحشر
يا يوسف الصديق أنت لفتحها ... فاروقها عمر الإمام الأطهرُ
ولأنت عثمان الشريعة بعده ... ولأنت فى نصر النبوة حيدرُ

ويرحم الله من قال :

ونور الدين فى عكا ويافا ... له صول كزمجرة الرعود
ويرفع فى روابيها « صلاح » ... بنود النصر تخفق بالنشيد

---

(١) صلاح الدين الأيوبى ص ١٤٢ .

فيا قدساه .. يا جرحنا الدامى مَنْ من أحفاد الركع السجود الذين تهجدوا وتبتلوا لربهم .. مَنْ من أحفاد الناصر وزنكى لك ، وتُرى يا قدس يرجع الماضى .

صلاح الدين فى أعماق أعماقى ينادينى
ورایاتی التی طُوِیَتْ علی ربوات حطین
وأطفالى هناك هناك فى عمر الرياحين
وآلاف من الأسرى وآلاف المساجين
وصوت مؤذن الأقصى يهيب بنا أغيثونى

رهبان الليل وفرسان النهار :

ما عرف الإسلام أبناءه إلا كذلك ... متهجدين قادة .. سجلوا بأحرف من نور فتوحات تضىء الدنيا من لألاء نورها ..

السلطان المجاهد محمد بن مراد الفاتح فاتح القسطنطينية :

ذلكم السلطان الذى دك صلبان العالم وفتح القسطنطينية وحول كنيسة أيا صوفيا إلى مسجد أيا صوفيا .. ذلكم السلطان تلميذ الشيخ آق شمس الدين ... ذلكم السلطان الذى قاد بنفسه الهجوم على القسطنطينية وقال لجنوده : يا أبنائى ، هاأنا ذا مستعد للموت فى سبيل الله فمن رغب فى الشهادة فيلحق بى .

وقبلها بيوم يسجل لك التاريخ أيها البطل أنك صمت اليوم السابق ليوم الفتح ، وندبت جندك إلى الصيام .. وبعد العشاء الآخرة .. تمضى الساعات بجنودك بين قائم يصلى أو متهجد يبتهل . وتتحدث كتب التاريخ بأنك كنت صوّاماً قواماً :

«كان رضى الله عنه وأرضاه ، صواماً قواماً يجد الأنس والسكينة فى طاعة الله ، كلما حزبه أمر واشتد به عنت ، وكان يقدم بين يدى كل معركة يخوضها

بالإكثار من الطاعات صياماً وقياماً ودعاءً ومناجاة »[1] صدق الشيخ أبو الحسن الندوى حين يقول : على رأس كل حركة جهاد وكفاح شخصية روحية قوية ، وإن التضحية والإيثار والفداء من غير روحانية صافية مشرقة حلم لا يتحقق وغاية لا تنال .. وإليك المثال .

الأمير عبد القادر الجزائرى :

هذا الأمير الذى رفع راية الجهاد فى الجزائر ضد الفرنسيين وأطلق الشرارة الأولى فيها ولم يهدأ له بال من عام ١٨٣٢ إلى ١٨٣٧ م حتى أقض مضاجع الفرنسيين وقد أثنى عليه مؤرخو الغرب وعلى شجاعته وعدله ورفقه وعلمه وفضله .

يقول عنه الأمير شكيب أرسلان فى كتابه « حاضر العالم الإسلامى » .. يتحدث عن أيامه فى دمشق :

« وكان كل يوم يقوم الفجر ويصلى الصبح فى مسجد قريب من داره فى محلة العمارة ، لا يتخلف عن ذلك إلا لمرض ، وكان يتهجد الليل »[2] .

أسد برقة .. ابن السنوسية .. الشيخ الشهيد عمر المختار :

ويذكر لنا التاريخ الزوايا السنوسية ومؤسسها الإمام السنوسى وطلابه وتلاميذه العبّاد المتهجدين المجاهدين ... بلغوا الذروة فى الروحانية والمثل فى التضحية والجهاد ويكفى أن نذكر أن أسد برقة ـ كما يسميه محمد أسد بكتابه « الطريق إلى الإسلام » ـ الشهيد عمر المختار الذى لم يستسلم قط بالرغم من ضراوة أعدائه الذين عرضوا عليه إنقاذ حياته بعد أن أسروه بشرط إعلانه التخلى عن كفاحه ، قال للقائد الإيطالى : « لن أتوقف عن قتالك وقومك حتى تغادروا بلادى أو أفارق حياتى ، وأقسم لك بالله الذى يعلم ما فى القلوب أنه لو لم تكن يداى مغلولتين فى هذه اللحظة بالذات ، إذن لقاتلتك بيدى العزلاء أنا الشيخ

(١) السلطان المجاهد محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ص١٩٣ زياد أبو غنيمة ـ دار الفرقان .
(٢) « ربانية لا رهبانية » للشيخ أبى الحسن الندوى ص ١٢٠ .

المحطم العجوز»[1] .

رهبان فرسان مجهولون :

وكما يسطر لنا التاريخ ويروى عن القادة فهناك رجال الليل وفرسان النهار المغمور ذكرهم ، العبق حديثهم منهم :

سعيد بن الحارث والخالدة :

عن رافع بن عبد الله قال قال لى هشام بن يحيى الكنانى : لأحدثنك حديثاً رأيته بعينى وشهدته بنفسى ونفعنى الله عز وجل به فعسى الله أن ينفعك به كما نعمنى ، قلت : حدثنى يا أبا الوليد قال : غزونا أرض الروم فى سنة ثمان وثلاثين وعلينا مسلمة بن عبد الملك وعبد الله بن الوليد بن عبد الملك وهى الغزوة التى فتح الله عز وجل فيها الطوانة ، وكنا رفقة من أهل البصرة وأهل الجزيرة فى موضع واحد وكنا نتناوب الخدمة والحراسة وطلب الزاد والعلوفات وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث ذو حظ من عبادة يصوم النهار ويقوم الليل ، وكنا نحرص أن نخفف عنه من نوبته ونتولى ذلك فيأبى إلا أن يكون فى جميع الأمور بحيث لا يخلى شيئاً من عبادته ، وما رأيته فى ليل ولا نهار إلا فى حال اجتهاد ، فإن لم يكن وقت الصلاة أوكنا نسير لم يفتر عن ذكر الله تعالى ودراسة القرآن ، قال هشام : فأدركنى وإياه النوبة ذات ليلة فى الحراسة ونحن محاصرون حصناً من حصون الروم قد استصعب علينا أمره فرأيت من سعيد فى تلك الليلة فى شدة الصبر على العبادة ما احتقرت معه نفسى وعجبت من قوة جسمه على ذلك ، وعلمت أن الله يؤتى الفضل من يشاء . وأصبح كالاً من التعب فقلت له : يرحمك الله إن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولقد علمت أن رسول الله ﷺ قال : «**اكلفوا من العمل ما تطيقون**» وذكرت له شبه هذا من الأحاديث فقال لى : ياأخى إنما هى أنفاس تعدّ وعمر يفنى وأيام تنقضى ، وأنا رجل

(١) التصوف والاتجاه السلفى فى العصر الحديث للدكتور مصطفى حلمى ص ٢٣١ نقلا عن كتاب «الطريق إلى الإسلام» لمحمد أسد .

أرتقب الموت وأبادر خروج نفسي . فأبكاني جوابه ودعوت الله عز وجل له بالعون والتثبيت ، ثم قلت له : نم قليلاً تستريح فإنك لا تدرى ما يحدث من أمر العدو فإن حدث شيء كنت نشيطاً فنام إلى جانب الخباء . وتفرق أصحابنا فمنهم من هو فى القتال ، ومنهم من هو فى غير ذلك ، وأقمت فى موضعى أحرس رحالهم ، وأصلح لهم طعامهم فأنا كذلك إذ سمعت كلاماً فى الخباء وعجبت مع أنه ليس فيه غير سعيد نائماً وظننت أن أحداً دخله ولم أره فدخلت فلم أجد أحداً غيره وهو نائم بحاله إلا أنه يتكلم وهو يضحك فى نومه فأصغيت إليه وحفظت من كلامه ما أحب أن أرجع ، ثم مدّ يده اليمنى كأنه يأخذ شيئاً ثم ردّها بلطف وهو يضحك ثم قال : فالليلة ثم وثب من نومه وثبة استيقظ لها وهو يرتعد فاحتضنته إلى صدرى مدة وهو يلتفت يميناً وشمالاً حتى سكن وعاد له فهمه وجعل يهلل ويكبر ويحمد الله تعالى فقلت له يا أخى : ما شأنك فقال : خير يا أبا الوليد ، قلت : إنى قد رأيت منك شيئاً وسمعت منك كلاماً فى نومك فحدِّثنى بما رأيت . فقال : أوتعفينى من ذلك ، فذكرته حق الصحبة ، فقلت حدِّثنى يرحمك الله فعسى الله أن يجعل لى فى ذلك عظة وخيراً . فحدَّثه عما رأى فى منامه من قول رجلين له لم ير قط مثل صورتهما كمالاً وحسناً : يا أبا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى فى حياتك فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم .

وظل سعيد يسرد ما رأى من القصور والحور وترحيبهن به ، والجوارى ، حتى انتهى إلى سرير عليه واحدة من الحور العين كأنها اللؤلؤ المكنون فقالت له : قد طال انتظارنا إياك ، فقلت لها أين أنا ؟ قالت : فى جنة المأوى . ومن أنت : قالت : أنا زوجتك الخالدة . قال : فمددت يدى إليها فردتها بلطف وقالت : أما اليوم فلا . إنك راجع إلى الدنيا ، فقلت ما أحب أن أرجع . فقالت : لا بد من ذلك وستقيم ثلاثاً ثم تفطر عندنا فى الليلة الثالثة إن شاء الله تعالى . فقلت : فالليلة الليلة ، قالت : إنه كان أمراً مقضياً ، ثم نهضت عن مجلسها ووثبت

لقيامها فإذا أنا قد استيقظت ، قال هشام : فقلت يا أخى أحدِث لله شكراً فقد كشف لك عن ثواب عملك ، فقال لى : هل رأى أحد غيرك مثل ما رأيت منى ، فقلت لا . فقال : أسألك بالله عز وجل إلا سترت علىّ مادمت حيًا فقلت نعم . فقال : ما فعل أصحابنا فقلت : بعضهم فى القتال وبعضهم فى الحوائج فقام فتطهر واغتسل ومسّ طيبًا وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال وهو صائم فلم يزل يقاتل حتى الليل ، وانصرف أصحابه وهو فيهم ، فقالوا لى : يا أبا الوليد لقد صنع هذا الرجل شيئًا ما رأيناه صنع مثله قط ولقد حرص على الشهادة وطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم وكل ذلك ينبو عنه ، فقلت فى نفسى لو تعلمون شأنه لتنافستم فى مثل صنيعه ، قال : وأفطر على شىء من الطعام وبات ليلته قائمًا وأصبح صائمًا فصنع كصنيعه بالأمس ، وانصرف من آخر النهار فذكر عنه أصحابه مثل ما ذكروه بالأمس ، حتى إذا كان اليوم الثالث وقد مضت ليلتان انطلقت معه وقلت لابد أن أشهد أمره وما يكون منه ، فلم يزل يلقى نفسه تحت مكايد العدو نهاره كله ولا يصل إليه شىء وهو يؤثر فيهم الآثار ، وأنا أرعاه من بعيد لا أستطيع الدنو منه ، حتى إذا نزلت الشمس للغروب وهو أنشط ماكان فإذا برجل من فوق حائط الحصن قد تعمده بسهم فوقع فى نحره فخر صريعًا وأنا أنظر إليه ، فصحت بالناس فابتدروه واجتذبوه وبه رمق وجاءوا به يحملونه فلما رأيته قلت له : هنيئاً لك بما تفطر عليه الليلة ياليتنى كنت معك . فعضّ شفته السفلى ، وأومأ إلىّ ببصره وهو يضحك يعنى اكتم أمرى حتى أموت .

ثم قال : الحمد لله الذى صدقنا وعده فوالله ما تكلم بشىء غيرها ، ثم قضى رحمه الله عليه قال هشام : فقلت بأعلى صوتى : يا عباد الله لمثل هذا فليعمل العاملون ، اسمعوا ما أخبركم به عن أخيكم هذا ، فاجتمع الناس إلىّ فحدّثتهم بالحديث على وجهه فما رأيت قط أكثر من تلك الساعة باكيًا ، ثم كبروا تكبيرة اضطرب لها العسكر ، وأقبلوا للصلاة عليه ، وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك

فقال : يصلى صاحبه الذى عرف من أمره ما عرف قال هشام : فصليت عليه ودفناه فى موضعه ، وبات الناس يذكرون حديثه ويحرض بعضهم بعضاً ثم أصبحوا فنهضوا إلى الحصن بنيات مجددة وقلوب مشتاقة إلى لقاء الله عز وجل فما أضحى النهار حتى فتح الله الحصن ببركته رحمه الله تعالى(١) .

رحمة الله على تلك الأنفس المتهجدة .. المشتاقة إلى الحور .. إن أحدهم يداعب جرحه الصغير فيقول : إنك لصغير وقد يبارك الله فى الصغير فيصبح كبيرًا يتمنى أن يلقى ربه شهيدًا وقد بات ليله متهجدًا ..

كم شهيد مضى على خفقاتِ   من صلاة بجوف ليل قانى
كم شهيد مضى فخفّت له الحو   ر بشرى عرائس وغوانى
صنعتهم من الكتاب تراتيـ   ـل قيام بمدمع هتان
فمضيتم معالماً فى طريق   ومنارًا للتائه الحيران

الشجاعة تُسقى بدمع التهجد :

انظر رحمك الله إلى عبّاد بن بشر وسيرته .

وإلى سالم مولى أبى حذيفة الذى مرّ تهجده ـ خشى الصحابة أن يهزموا لمّا حمل لواء المهاجرين فقال : بئس حامل القرآن أنا إذاً فقطعت يمينه ، فأخذ اللواء بيساره فقطعت يساره ، فاعتنق اللواء وهو يقول **﴿وما محمد إلا رسول﴾**(٢) ، **﴿وكأى من نبى قاتل معه ربيون كثير﴾**(٣ ٤) .

● وقد مـرّ بك تهجد عمرو بن عتبة بن فرقد فانظر إلى طرف من شجاعته وجهاده .

---

(١) فضائل الجهاد المسمى فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق اختصار الشيخ محمود العالم ص ٨٦ ـ ٩٠ طبع مكتبة القاهرة .

(٢) الآية ١٤٤ من آل عمران .

(٣) الآية ١٤٦ من آل عمران .

(٤) «كتاب الجهاد» للإمام عبد الله بن المبارك ص ١٠٢ ـ سلسلة البحوث الإسلامية .

خرج رحمه الله فى غزاة كان فيها أبوه فلبس جبة بيضاء وهو يقول ما أحسن حمرة الدم على البياض ، فسمع أبوه ذلك ، فقال : أقسمت عليك لتنزلن . قال : فنزل ، ثم اعتزل عن الصف ، فقام يصلى ، فجعل يدعو ، فالتفت إليه عتبة فقال لمن معه : هذا عمرو يستشفع علىّ بربه ، اركب يابنى إن شئت فركب ... ومرّوا بمرج حسن فقال عمرو : ما أحسن هذا المرج ، وما أحسن هذا الآن لو أن مناديًا نادى : يا خيل الله اركبى ، فما كان أسرع من أن نادى المنادى : يا خيل الله اركبى .. وأصيب عتبة بجرح صغير.. فقال : والله إنك لصغير ، وإن الله عز وجل ليبارك فى الصغير ، دعونى فى مكانى هذا حتى أمسى ، فإن أنا عشت فارفعونى ، فمات شهيدًا فى مكانه ذلك[1] .

● وصلة بن أشيم الذى أحيى ليلة بنائه إلى الصباح شهدته ساحات الوغى مجاهدًا . خرج غازيًا هو وابنه فقال صلة لابنه : يا بنى إلى أمك . فقال ابنه : يا أبت ، أتريد الخير لنفسك ، وتأمرنى بالرجعة ، أنت والله كنت خيراً لأمى منى . قال : أمَّا إذا قلت هذا فتقدم ، قال : فتقدم ، فقاتل حتى أصيب فرمى صلة عن جسده ، وكان رجلاً راميًا حتى تفرقوا عنه ، وأقبل يمشى حتى قام عليه ، فدعا له ، ثم قاتل حتى قتل[2] .

قيام الصحابى الجليل أبى رفاعة العدوى تميم بن أسد :

قال ابن عبد البر كان من فضلاء الصحابة بالبصرة قتل بكابل سنة أربع وأربعين[3] .

كان أبو رفاعة إذا صلّى وفرغ من صلاته ودعا ، كان فى آخر ما يدعو به : اللهم أحينى ماكانت الحياة خير لى ، وإذا كانت خيرًا لى ، فتوفّنى وفاة طاهرة

---

(١) كتاب الجهاد للإمام عبد الله بن المبارك ص ١١٤ - ١١٧ .

(٢) كتاب الجهاد للإمام عبد الله بن المبارك ص ١٢٩ .

(٣) الإصابة جـ ٤ ص ٧١ .

طيبة يغبطنى بها من سمع بها من إخوانى المسلمين من عفتها وطهارتها وطيبها .
واجعله قتلاً فى سبيلك ، واجدعنى(١) عن نفسى . قال : فخرج فى جيش عليهم عبد الرحمن بن سمرة ، فخرجت من ذلك الجيش سرية ، عامتهم من بنى حنيفة ، فقال : إنى منطلق مع هذه السرية . قال أبو قتادة : ليس ههنا أحد من بنى ... ، ليس فى رحلك أحد . قال : إن هذا الشيء قد عزم لى عليه ، إنى لمنطلق . فانطلق معهم ، فأطافت السرية بقلعة فيها العدو ليلاً ، وبات يصلى ، حتى إذا كان من آخر الليل توسَّد ترسه فنام فأصبح أصحابه ينظرون من أين يأتون ، من أين يأتونها ، ونَسَوْه نائماً حيث كان ، فبصر به العدو وأنزلوا عليه ثلاثة أعلاج(٢) منهم ، فأتوه فأخذوا سيفه ، فقال أصحابه : أبو رفاعة نسيناه حيث كان فرجعوا إليه ، فوجدوا الأعلاج يريدون أن يسلبوه فأزاحوهم عنه واجتزوه ، فقال عبد الله بن سمرة ، ما شعر أخو بنى عدى بالشهادة حتى أتـــــــه(٣) .

وكان أبو رفاعة يقول : ماغزبت(٤) عنى سورة البقرة منذ علمّنيها الله عز وجل ، أخذت معها ما أخذت من القرآن ، وما رفعت ظهرى من قيام ليلى قط ، وكان يسخن لأصحابه الماء فى السفر فيقول : أحسنوا الوضوء من هذا ، وسأحسن أنا من هذا ، فيتوضأ البارد(٥) . وصدق القائل إذا يقول :

واللـيل يعرفهم عباد هجعته والحرب تعرفهم فى الروع فرسانا

(١) أى اقطعنى . (مقاييس اللغة ٤٣٢/١) .
(٢) جمع علج وهو الرجل القوى الضخم ، وقد يراد بالعلج الرجل من كفار العجم وغيرهم « النهاية ١٢١/٣» .
(٣) كتاب الجهاد ص ١٣٢ .
(٤) ما غابت عن علمى . (لسان العرب ٥٩٦/١) .
(٥) كتاب الجهاد ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

ابن قدامة صاحب المغنى شيخ الحنابلة :

قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية « ما دخل الشام بعد الأوزاعى أفقه من الشيخ الموفق » قال الحافظ عمر بن الحاجب فى معجمه : كان مجلسه عامرًا بالفقهاء والمحدثين وأهل الخير . وصار فى آخر عمره يقصده كل أحد . وكان كثير العبادة دائم التهجد لم ير مثله ولم يرهو مثل نفسه »[1] .

قال عنه ابن بدران : كان متعبدًا يغلب عليه الاشتغال بالعلم والفقه . وقال سبط ابن الجوزى : « من رآه كأنما رأى بعض الصحابة وكأن النور يخرج من وجهه . كثير العبادة يقرأ كل يوم وليلة سبعًا من القرآن ولا يصلى السنة إلا فى بيته » .

الحافظ الذهبى :

« الحافظ الهمام مفيد الشام ومؤرخ الإسلام » كما يقول عنه ابن ناصر الدين .. سيد الحفاظ وإمام المحدثين ..

شرب العسقلانى من زمزم ودعا الله أن يرزقه منزلة الذهبى فى الحديث وكفى فى هذا مدحًا له وشرفًا .

مازلت بالسمع أهواكم وما ذكرت أخباركم قط إلا ملت من طرب
وليس من عجب إن ملت نحوكم فالناس بالطبع قد مالوا إلى الذهب

قال عنه تلميذه : تقى الدين ابن رافع السلامى : « كان خيرًا صالحًا متواضعًا حسن الخلق حلو المحاضرة ، غالب أوقاته فى الجمع والاختصار والاشتغال بالعبادة . له ورد بالليل وعنده مروءة وعصبية وكرم »[2] .

---

(١) ترجمة ابن قدامة للشيخ ابن بدارن من مقدمة روضة الناظر وشرحها نزهة الخاطر العاطر ص ٥٢٤ طبع مكتبة المعارف .

(٢) انظر رونق الألفاظ الورقة ١٨٠ لسبط ابن حجر .. النقل من كتاب « الذهبى ومنهجه فى كتابه تاريخ الإسلام للدكتور بشار عواد معروف ص ١٣٢ .

الحافظ العراقى شيخ ابن حجر العسقلانى : أستاذ الأئمة :

«كان لايترك قيام الليل، بل صار له كالمألوف، وكان كثير التلاوة إذا ركب» قال ابن حجر «وقد لازمته، فلم أره ترك قيام الليل بل صار كالمألوف».

إمام وجبل فى الحفظ والحديث ولا يترك قيام الليل [1] وهذا درس لطلبة العلم الذين يهملون العبادة وليقرأوا عن عبادة الخطيب البغدادى أيضاً.

قيام الحافظ نور الدين الهيثمى صاحب «مجمع الزوائد» :

تلميذ الحافظ العراقى وزوج ابنته :

قال له ابن حجر العسقلانى : «وكان كثير الاستحضار للمتون، يسرع الجواز بحضرة الشيخ فيعجب الشيخ ذلك، وكان تزوّج إبنة الشيخ ورزق منها أولاده، وقد عاشرتهما مدة فلم أرهما يتركان قيام الليل».

طلاب الحديث : انظروا إلى حرص الحافظ ابن حجر فى ترجمته لشيخه والهيثمى على التنويه بعدم تركهما لقيام الليل «واسمعى يا جارة» [2].

قيام أستاذ الأستاذين الحافظ ابن حجر صاحب «فتح البارى شرح صحيح البخارى» :

بفتح البارى انشرح صدر البخارى.

«كان ملازماً لقيام الليل وسنة الضحى ويسرد الصوم، وواظب أخيراً على صوم يوم وإفطار يوم، وكان كثير البر الفقراء» [3].

قيام الإمام الشيرازى أبى إسحاق المتوفى سنة ٤٧٦ هـ :

حبر المسلمين فى زمانه.

غسّله إمام الحنابلة ابن عقيل.

---

(١) مقدمة تعليق التعاليق دراسة وتحقيق سعيد بن عبد الرحمن موسى القزقى ص ١٣٧ طبع المكتب الإسلامى.

(٢) مقدمة تعليق التعاليق ص ١٤٢.

(٣) مقدمة تعليق التعاليق ص ٦٠.

كان إذا جاءه الليل يقوم يناجي رب العالمين جل وعلا بالصلاة والقرآن والذكر وبأبيات رقيقة من نظمه فيقول :

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا
وقمت أشــكو إلى مولاى مــا أجــد

وقلت يا عدتى فى كل نائبة ... ومَنْ عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ... مالى على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدى بالذل معترفاً ... إليك يا خير مَنْ مُدَّت إليه يد
فلا تــردنها يــارب خــائبــة ... فبحر جودك يروى كل من يرد

يردد هذا ويبكى عليه رحمه الله[1]

عبـــاد آخـــرون

رياح بن عمرو القيس : [2]

قال محمد بن الحر بن عبد ربه القيسى وكان ذا قرابة لرياح :

«كنت أدخل عليه المسجد وهو يبكى ، وأدخل عليه البيت وهو يبكى وآتيه فى الجبان وهو يبكى فقلت له يوماً : أنت دهرك فى مأتم فبكى ثم قال : يحق لأهل المصائب والذنوب أن يكونوا هكذا» .

وكان يبكى ويقول ، إلى كم يا ليل يا نهار تحطّان من أَجَلى وأنا غافل عما يراد بى .

قال محمد بن مسعر : كان لرياح القيسى غل من حديد قد اتخذه وكان إذا جنّه الليل وضعه فى عنقه وجعل يتضرع ويبكى حتى يصبح .

---

(١) شريط قيام الليل للشيخ الطحان .

(٢) رياح بن عمرو القيسى : تكلم فيه الحافظ ابن حجر العسقلانى ووصفه بأنه من زهاد المبتدعة . ولقد أثنى عليه الشيخ الطحان فى شريط قيام الليل ، وأثنى كذلك على زوجته .

« وعن عثمان قال : أخبرتني محة وكانت إحدى العوابد قالت : رأيت رباح بن عمرو القيسي ليلة خلف المقام فذهبت فقمت خلفه حتى أزحفت ، ثم اضطجعت وهو قائم وأنا أنظر إليه فقلت بصوت حزين : سبقني العابدون وبقيت وحدي والف نفساه ، فإذا رباح قد شهق وانكبّ على وجهه مغشياً عليه ، فامتلأ فمه رملاً فما زال كذلك حتى أصبحنا ثم أفاق[1].

وبعد يا أخي فهذي قطرة من بحر.. وهذي نفحة من شذى سيرتهم..كلهم يصدق فيهم قول الشيخ صلاح الدين أبو عيسى المقدسي لمارثي الموفق ابن قدامة :

قد كنت عبدا طائعا لا تنثني عن باب ربك في العبادة توسع
كم ليلة أحييتها وعمرتها والله ينظر والخلائق هجع
تتلو كتاب الله في جنح الدجى كزبور داود النبي ترجّع

(١) صفة الصفوة ٣/٣٦٧ ـ ٣٦٩ .

• **قيام عثمان بن مظعون رضي الله عنه :**

قال الذهبي : « من سادة المهاجرين ، ومن أولياء المتقين الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم فصلى عليهم ، وكان أبو السائب رضى الله عنه أول من دفن بالبقيع »(1).

عن أبي بردة : دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبى ﷺ فرأينها سيئة الهيئة ، فقلن لها : ما لك ؟ فما في قريش أغنى من بَعْلك ! قالت : أما ليله فقائم ، وأما نهاره فصائم ، فلقيه النبى ﷺ فقال :« أما لك بي أسوة » الحديث(2) قال : فأتتهن بعد ذلك عطرة كأنها عروس .

غلبت عليه العبادة من صيام وقيام حتى همّ أن يختصى .

قال سعيد بن المسيب : سمعت سعدًا يقول : « رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أذن له لاختصينا »(3).

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قبَّل عثمان بن مظعون وهو ميت ، ودموعه تسيل على خد عثمان بن مظعون(4).

عن أبي النضر قال : لما مُرّ بجنازة عثمان بن مظعون قال رسول الله ﷺ : « ذهبت ولم تَلَبّس منها بشيء »(5).

---

(1) « الاستيعاب » ٦٣/٨ و« الإصابة » ٣٩٥/٦ ، سير أعلام النبلاء ١٥٤/١ .

(2) رجاله ثقات أخرجه ابن سعد وعبد الرزاق .

(3) حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي .

(4) الحديث حسن بشواهده : أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه وقال الترمذي : حديث صحيح ، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي ، وفيه « عاصم بن عبيد الله » وهو ضعيف ، لكن الحديث حسن بشواهده عند البزار من حديث معاذ بن ربيعة .

(5) أخرجه مالك في الجنائز مرسلا . وقال الزرقاني : وصله ابن عبد البر من طريق يحيى بن سعيد ، عن القاسم عن عائشة .

تميم الداري :

عن المنكدر بن محمد عن أبيه : أن تميما الداريّ نام ليلة لم يقم يتهجد ، فقام سنة لم ينم فيها ، عقوبة للذي صنع(1) .

عبد الله بن رواحة :

قال عبد الله بن رواحة :

أفلح من يعالجُ المساجدا ويقرأ القرآن قائما وقاعد
ولا يبيت الليل عنه راقدا(2)

● قال سهل بن أساف في صفة الصحابة :

رجال من الأحباب تاهت نفوسهم ينادونه خوفا ويدعونه قصدا
وقاموا بليل والظلام مُغَلِّلُ إلى منزل الأحباب فاستعملوا الكدَّا
يحثون حثّ الشوق نحو مليكهم وقصدهم الفردوس كي يرزقوا الخلدا
أولئك قوم في العبادة أخلصوا فتاهوا به شوقا وماتوا به وجدا

● قيام سهيل بن عمرو رضي الله عنه :

خطيب قريش ، وفصيحهم ، ومن أشرافهم .

تأخر إسلامه إلى يوم الفتح ، ثم حسن إسلامه . كان سمحًا جوادًا مفوّهًا . وقد قام بمكة خطيبًا عند وفاة رسول الله ﷺ ، بنحو من خطبة الصدّيق بالمدينة ، فسكّنهم وعظم الإسلام .

---

(1) سير أعلام النبلاء ٤٤٥/٢ ، تهذيب ابن عساكر ٣٥٩/٣ وابن أبي الدنيا في « محاسبة النفس » .

(2) شعر الدعوة الإسلامية لعبد الله بن حامد الحامد – كلية اللغة العربية بالرياض .

قال الزبير بن بكار : كان سهيل بعدُ كثير الصلاة والصوم والصدقة ، خرج بجماعته إلى الشام مجاهدا ، ويُقال : إنه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغيّر ، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن.. وكان أميرا على كردوس يوم اليرموك .

قال المدائني وغيره : استشهد يوم اليرموك . وقال الشافعي : مات في طاعون عمواس[1] .

• قيام أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه صاحب النبي ﷺ :

قال البخاري : اسمه جُرهم ويقال : جرثوم بن ناشم . وهو من أهل بيعة الرضوان . وأسهم له النبي ﷺ يوم خيبر ، وأرسله إلى قومه .

قال أبو الزاهرية : سمعت أبا ثعلبة يقول : إني لأرجو ألّا يخنقني الله كما أراكم تخنقون . فبينا هو يصلي في جوف الليل ، قبض وهو ساجد فرأت بنته أن أباها قد مات ، فاستيقظت فزعة ، فنادت أمها أين أبي ؟ قالت : في مصلاه ، فنادته فلم يجبها ، فأنبهته فوجدته ميتا »[2] .

• قيام راهب قريش « أبي بكر بن عبد الرحمن » :

ابن الحارث بن هشام بن المغيرة القرشي ، أحد الفقهاء السبعة . كان صالحا عابدا متألها ، وكان يقال له:راهب قريش[3] .

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ١٩٤/١ ، ١٩٥ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ٥٧٠/٢ – ٥٧١ ، الإصابة .

(٣) تذكرة الحفاظ ٦٣/١ – ٦٤ .

• **قيام عمرو بن ميمون الأودي :**

كـان إذا رُئِيَ ذُكر الله تعالى .

قال إبراهيم : كان عمرو بن ميمـون لمّا كبر أوتد له في الحائط ، فإذا سئم من القيام لله تعالى ، استعان بالوتد[1] .

• **قيام يزيد بن الأسود الجرشي :**

من سادة التابعين بالشام . أسلم في حياة النبي ﷺ . قيل:إنه قال : قلت لقومي : اكتبوني في الغزو . قالوا : قد كبرت . قال : سبحان الله ، اكتبوني فأين سوادي في المسلمين ؟ قالوا : أما إذ فعلت ، فأفطر وتقوّ على العدو ، قال : ما كنت أراني أبقى حتى أعاتب في نفسي . والله لا أشبعها من الطعام ، ولا أوطئها من منام حتى تلحق بالله[2] .

عن سليم بن عامر قال : خرج معاوية يستسقي، فلما قعد على المنبر، قال : أين يزيد بن الأسود ؟ فناداه الناس ، فأقبل يتخطّاهم . فأمره معاوية ، فصعد المنبر ، فقال معاوية : اللهم إنا نستشفع إليك بخيرنا وأفضلنا يزيد بن الأسود ، يا يزيد ، ارفع يديك إلى الله .فرفع يده ورفع الناس فما كان بأوشك من أن ثارت سحابة كالترس ، وهبّت ريح فسُقينا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم .

عن عبد الله بن يزيد قال : حدثني بعض المشيخة أن يزيد بن الأسود كان يسير في أرض الروم هو ورجل ، فسمع هاتفا يقول : يا يزيد ، إنك لمن المقربين ، وإن صاحبك لمن العابدين ، وما نحن بكاذبين[3] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٦٥/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣٦/٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣٧/٤ .

• **سعيد بن المسيب :**

عن ابن حرملة ، قلت لبرد مولى ابن المسيب : ما صلاة ابن المسيب في بيته ؟ قال : ما أدري ، إنه ليصلي صلاة كثيرة ، إلا أنه يقرأ بـ ﴿ **صٓ والقرآن ذي الذكر** ﴾[(1)].

قال عاصم بن العباس الأسدي : « وكان سعيد بن المسيب يُذكِّر ويُخوِّف . وسمعته يقرأ في الليل على راحلته فيُكثر ، وسمعته يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، وكان يحب أن يسمع الشعر ، وكان لا ينشده ، ورأيته يمشى حافيا »[(2)] .

• **قيام أبي رجاء العُطَاردي :**

الإمام الكبير ، شيخ الإسلام ، عِمْرَان بن مِلحان التميمي ، من كبار المخضرمين ، أدرك الجاهلية ، وأسلم بعد فتح مكة ولم ير النبي ﷺ .

قال ابن الأعرابي : كان أبو رجاء عابدا ، كثير الصلاة وتلاوة القرآن ، كان يقول : ما آسى على شيء من الدنيا إلَّا أن أعفِّر في التراب وجهى كل يوم خمس مرات . وكان يختم بالناس في قيام رمضان لكل عشرة أيام[(3)] .

• **قيام أبي جعفر الباقر :**

الإمام سيد بنى هاشم في وقته محمد الباقر بن على بن الحسين شُهر بالباقر مِنْ : بَقَر العلمَ ، أي شَقَّه فعرف أصله وخفِيّه . ولقد كان أبو جعفر إمامًا مجتهدًا تاليًا لكتاب الله ، كبير الشأن .

---

(١) الطبقات ١٣٢/٥ .

(٢) يمشى حافيا أحيانا وهذا من هدي رسولنا ﷺ . سير أعلام النبلاء ٢٤٠/٤ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٥٣/٤ – ٢٥٧ .

قال عبد الله بن يحيى : رأيت على أبي جعفر إزارا أصفر ، وكان يُصلى كل يوم وليلة خمسين ركعة بالمكتوبة .

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل : بلغنا أن أبا جعفر كان يصلي في اليوم والليلة مئة وخمسين ركعة .

قال فيه مالك بن أعْيَن :

إذا طلب الناسُ علم القرآ ن كانت قريش عليه عيالا
وإن قيل : أين ابن بنت الرسو ل نِلتَ بذلك فَرْعا طُوالا
نجوم تُهَلِّلُ للمُدلجينَ جبالٌ تُوَرِّثُ عِلْماً جبالا[1]

عنه قال : أتاني جابر بن عبد الله ، وأنا في الكتاب . فقال لي : اكشف عن بطنك ، فكشفت، فألصق بطنه ببطني ، ثم قال : أمرني رسول الله أن أقرئك منه السلام .

• قيام عاصم بن سليمان الأحول :

الحافظ قاضي المدائن :

قال الثوري : حفاظ الناس أربعة : إسماعيل بن أبي خالد ، وعاصم الأحول ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وعبد الملك بن سليمان ، وأبَى أن يجعل الأعمش معهم .

قال محمد بن عباد : أنا أبي قال : ربما كان عاصم الأحول صائما فيفطر ، فإذا صلى العشاء تنحّى يصلى فلا يزال يصلى حتى يطلع الفجر[2] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٠١/٤ - ٤٠٥ ، تذكرة الحفاظ ١٢٤/١ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٤٩/٤ - ١٥٠ .

• **قيام الوليد بن عبد الملك :**

الخليفة الأموي .

فتح بَوّابة الأندلس ، وبلاد الترك ، وكان لُحَنة ، وحرص على النحو أشهرا ، فما نفع ، وغزا الروم مرات في دولة أبيه ، وكان فيه عسف وجبروت وقيام بأمر الخلافة ، وقد فرض للفقهاء والأيتام والزمنى والضعفاء وضبط الأمور . فالله يسامحه .

قيل : كان يختم في كل ثلاث ، وختم في رمضان سبع عشرة ختمة وكان يقول : لولا أن الله ذكر قوم لوط ما شعرت أن أحدًا يفعل ذلك[1] .

• **الضحّاك بن مزاحم :**

صاحب التفسير :

قال عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء « كان من أوعية العلم ، وليس بالمجوِّد لحديثه ، وهو صدوق في نفسه » .

عن قيس بن مسلم : كان الضحّاك إذا أمسى بكى فيقال له ، فيقول : لا أدري ما صعد اليوم من عملي[2] .

• **قيام طَلْق بن حبيب العَنَزِيّ :**

من العلماء العاملين .

قال ابن الأعرابي : كان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وحلْم مسلم بن يسار ، وعبادة طلق .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٣٤٧ – ٣٤٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤/٥٩٩ – ٦٠٠ .

قال ابن عيينة : سمعت عبد الكريم يقول : كان طلق لا يركع إذا افتتح سورة « البقرة » ، حتى يبلغ « العنكبوت » ، وكان يقول : أشتهي أن أقوم حتى يشتكي صلبي .

وعن أيوب : ما رأيت أحدًا أعبد من طلق بن حبيب. وعن غندر قال: حدثنا عوف، عن طلق بن حبيب أنه كان يقول في دعائه : « اللهم إني أسألك علم الخائفين منك ، وخوف العالمين بك ، ويقين المتوكلين عليك ، وتوكل الموقنين بك ، وإنابة المخبتين إليك ، وإخبات المنيبين إليك ، وشكر الصابرين لك ، وصبر الشاكرين لك ، ولحاقا بالأحياء المرزوقين عندك » .

عن ابن أبي نجيح : لم يكن ببلدنا أحد أحسن مداراة لصلاته من طلق بن حبيب[1] .

• قيام وهب بن مُنَبِّه :

الإمام العلامة الأخباري القصصي أخي همام بن منبه .

قال العجلي وأبو زرعة والنسائي: ثقة. له حديث واحد في الصحيحين.

عن كثير أنه سار مع وهب ، فباتوا بصَعْدة عند رجل ، فخرجت بنت الرجل فرأت مصباحا ، فاطلع صاحب المنزل فنظر إليه صافا قدميه في ضياء كأنه بياض الشمس ، فقال الرجل : رأيتك الليلة في هيئة ؛ وأخبره فقال : اكتم ما رأيت .

عن المثنى بن الصباح قال : لبث وهب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئا فيه الروح ، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءاً .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦٠١/٤ – ٦٠٣ ، حلية الأولياء ٦٣/٣ – ٦٤ .

وعن عبد الصمد بن معقل بن منبه قال : صحبت عمى وهبا أشهرا يصلى الغداة بوضوء العشاء .

وعن مسلم الزنجي : لبث وهب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش ، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءاً .

وعن عبد الرزاق بن همام عن أبيه ، قال : رأيت وهبا إذا قام في الوتر قال : « لك الحمد السرمد ، حمدا لا يحصيه العدد ، ولا يقطعه الأبد ، كما ينبغي لك أن تحمد ، وكما أنت له أهل ، وكما هو لك علينا حق » .

وعن عبد الرزاق قال : سمعت أبي يقول : حجّ عامة الفقهاء سنة مئة ، فحج وهب ، فلما صلوا العشاء ، أتاه نفر فيهم عطاء والحسن ، وهم يريدون أن يذاكروه القدر ؛ قال : فافتنَّ في باب من الحمد ، فما زال فيه حتى طلع الفجر ، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء[1] .

رحمك الله يا وهب . تحمد مولاك من العشاء إلى الفجر .

• ثابت البناني :

قال حماد بن سلمة : قرأ ثابت : ﴿ **أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا** ﴾ [الكهف : ٣٧] وهو يصلي صلاة الليل وينتحب ويرددها .

قال بكر المزني : من أراد أن ينظر إلى أعبد أهل زمانه فلينظر إلى ثابت البناني ، فما أدركنا الذي هو أعبد منه .

وقال حماد بن زيد : رأيت ثابتا يبكى حتى تختلف أضلاعه[2] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/٥٤٤ – ٥٥٦ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥/٢٢٤ – ٢٢٥ .

• قيام أبي جعفر القارى :

يزيد بن القعقاع المدنى أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات .

قال نافع القارىء : كان أبو جعفر يقوم الليل ؛ فإذا قرأ يَنْعُس ، فيقول لهم : ضعوا الحصى بين أصابعي وضموها ، فكانوا يفعلون ذلك ، والنوم يغلبه فقال : إذا نمت ، فمدوا خصلة من لحيتي . قال : فمرّ به مولاه ، فيرى ما يفعلون به . فيقول : أيها الشيخ ، ذهبت بك الغفلة ، فيقول أبو جعفر : هذا في خلقه شيء ، دوروا بنا وراء القبر .

عن نافع ، قال : « لما غُسِّل أبو جعفر ، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف ، فما شك من حضره أنه نور القرآن »[(١)] .

رحمك الله من صاحب قرآن وصاحب ليل .

• عابد وقصته مع ابن المنكدر :

قال محمد بن المنكدر : «إني لليلة مواجه هذا المنبر في جوف الليل أدعو ، إذا إنسان عند اسطوانة مقنع رأسه ، فأسمعه يقول : أي رب إن القحط قد اشتد على عبادك ، وإني مقْسم عليك يا رب إلا سقيتهم ، قال : فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت ، ثم أرسلها الله ، وكان عزيزا على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير ، فقال : هذا بالمدينة ولا أعرفه !! فلما سلم الإمام تقنع وانصرف واتبعه ، ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس ، فدخل موضعا ، ففتح ودخل . قال : ورجعت ، فلما سبحت[(٢)] ، أتيته ، فقلت : أدخل ؟ قال : ادخل ، فإذا هو يُنَجِّر أقداحا ، فقلت : كيف أصبحت

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٢) في حلية الأولياء ٣/١٥١ - ١٥٢ ، وقوله : فلما سبحت أي : صليت الضحى .

أصلحك الله ؟ قال : فاستشهرها وأعظمها مني ، فلما رأيت ذلك ، قلت : إني سمعت إقسامك البارحة على الله ، يا أخي هَلْ لك في نفقة تغنيك عن هذا ، وتُفرِّغك لما تريد من الآخرة ؟ قال : لا . ولكن غير ذلك ، لا تذكرني لأحد ، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت ، ولا تأتني يا بن المنكدر ، فإنك إن تأتني شهرتني للناس ، فقلت : إني أحب أن ألقاك قال: القني في المسجد ، قال : وكان فارسيًا ، فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل.

قال ابن وهب : بلغني أنه انتقل من تلك الدار ، فلم يُر ، ولم يُدر أين ذهب . فقال أهل تلك الدار : الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنا الرجل الصالح[1] .

الأتقياء الأخفياء إذا طُلبوا هربوا ... ماذا عليهم ألا يعرفهم أهل الأرض ... وهم سادة عند أهل السماء .

• قيام كُرْز بن وبرة الحارثي :

الزاهد القدوة . كان له الصيت البالغ في النسك والتعبد .

عن محمد بن فضيل ، عن أبيه قال : دخلت على كرز بيته ، فإذا عند مصلاه حفيرة قد ملأها تبنا وبسط عليها كساء من طول القيام ، فكان يقرأ في اليوم والليلة القرآن ثلاث مرات .

وعن ابن فضيل عن أبيه : أن كرزا كان له عود عند المحراب يعتمد عليه إذا نعس .

وعن فضيل بن غزوان : كان كرز يصلي حتى ترم قدماه ، فيحفر الحفيرة – يعني: تحت رجليه .

(١) سير أعلام النبلاء ٣٥٦/٥ – ٣٥٧ .

وقال أبو سليمان المُكتب : صحبت كرزا إلى مكة ، فاحتبس يوما وقت الرحيل ، فانبثوا في طلبه ، فأصبته في وَهْدَة يُصلي في ساعة حارة ، وإذا سحابة تظله ، فقال لي : اكتم هذا واستحلفني .

وعن أبي حفص السائح عن أبي بشر قال : كان كرز بن وبرة من أعبد الناس ، وكان قد امتنع من الطعام ، حتى لم يوجد عليه من اللحم ، إلا بمقدار ما يوجد على العصفور ، وكان إذا دخل في الصلاة لا يرفع طرفه يمينا ولا شمالا ، وكان من المحبين المخبتين لله ، قد وله من ذلك ، فربما كُلّم فيجيب بعد مدة من شدة تعلق قلبه بالله واشتياقه إليه .

قال الذهبي في ترجمة كرز : « هكذا كان زهاد السلف وعبادهم ، أصحاب خوف وخشوع ، وتعبد وقنوع ، ولا يدخلون في الدنيا وشهواتها ، ولا في عبارات أحدثها المتأخرون من الفناء ، والمحو ، والاصطلام ، والاتحاد ، وأشباه ذلك ، مما لا يسوغه كبار العلماء » .

أنشد ابن شبرمة :

لو شئت كُنت ككرز في تعبده ... أو كابن طارق حول البيت في الحرم
قد حال دون لذيذ العيش خوفهما ... وسارعا في طلاب الفوز والكرم[1]

• قيام ربيعة بن أبي عبد الرحمن ... ربيعة الرأى :

الإمام مفتي المدينة ، وعالم الوقت . كان من أئمة الاجتهاد .

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : مكث ربيعة دهرًا طويلًا عابدًا ، يصلي الليل والنهار ، صاحب عبادة ، ثم نزع ذلك إلى أن جالس القوم ، قال : فجالس القاسم ، فنطق بلب وعقل .

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٨٤ – ٨٦ .

قال مالك : ذهبت حلاوة الفقه ، منذ مات ربيعة وكان يحيى بن سعيد يجالس ربيعة ، فإذا غاب ربيعة ، حدّثهم يحيى بن سعيد أحسن الحديث . وكان كثير الحديث ، فإذا حضر ربيعة ، كفّ يحيى إجلالًا لربيعة ، وليس ربيعة أسنّ منه ، وهو فيما هو فيه ، وكان كل واحد منهما مبجلا لصاحبه[١] .

• عطاء بن السائب :

محدث الكوفة . كان من كبار العلماء ، لكنه ساء حفظه قليلا في أواخر عمره .

قال أبو بكر بن عياش : كنت إذا رأيت عطاء بن السائب وضرار بن مرّة رأيت أثر البكاء على خدودهما[٢] .

• شيخ الإسلام سليمان بن طرْخان التيمي :

أبو المعتمر الإمام .

قال ابن سعد : « من العباد المجتهدين ، كثير الحديث ثقة ، يصلى الليل كله بوضوء عشاء الآخرة ، وكان هو وابنه يدوران بالليل في المساجد ، فيصليان في هذا المسجد مرة ، وفي هذا المسجد مرة ، حتى يصبحا » .

وعن محمد بن عبد الأعلى قال لي معتمر بن سليمان : لولا أنك من أهلي ما حدثتك بذا عن أبي . مكث أبي أربعين سنة يصوم يوما ، ويفطر يوما ، ويصلى صلاة الفجر بوضوء عشاء الآخرة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩٢/٦ ، تذكرة الحفاظ ١٥٧/١ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١١٠/٦ - ١١٢ .

عن معاذ بن معاذ قال : كنتُ إذا رأيت التيمي كأنه غلام حدث ، قد أخذ في العبادة . كانوا يرون أنه أخذ عبادته عن أبي عثمان النهدي .

عن مثنى بن معاذ عن أبيه قال : ما كنت أشبه عبادة سليمان التيمي إلا بعبادة الشـاب أول ما يدخل في تلك الشدة والجدة .

عن يحيى القطان قال : خرج سليمان التيمي إلى مكة ، فكان يصلى الصبح بوضوء عشاء الآخرة .

روى المسيب بن واضح عن عبد الله بن المبارك أو غيره ، قال : أقام سليمان التيمي أربعين سنة إمام الجامع بالبصرة يصلى العشاء والصبح بوضوء واحد .

وعن حماد بن سلمة قال : لم يضع سليمان التيمي جنبه بالأرض عشرين سنة[1] .

• قيام عمران بن مسلم :

القصير الرباني ، العابد أبي بكر البصري .

يروى عنه أنه عاهد الله تعالى ألَّا ينـام إلا عن غلبة[2] .

• قيام الحارث بن يعقوب بن عبد الله :

من فضلاء التابعين وعبادهم .

كان الحارث ربما أحيى الليل صلاة . وكان أبوه يعقوب من العابدين أيضا . وابنه عمرو بن الحارث عالم الديار المصرية ومفتيها .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/١٩٥ - ٢٠٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/٢٢٥ .

عن شعيب بن الليث عن أبيه قال : كان بين عمرو بن الحارث وبين أبيه الحارث بن يعقوب كما بين السماء والأرض في الفضل . فالحارث أفضل . وكان بينه وبين أبيه يعقوب في الفضل كما بين السماء والأرض[1] .

• قيام أبي شُجاع القِتْبَاني :

الإمام القدوة بركة الوقت سعيد بن يزيد الحميرى الإسكندري .

قال ليث بن عاصم : رأيته إذا أصبح عصب ساقه بمُشَاقةٍ[2] وبزركتان من طول التهجد رضي الله عنه : وقال الحافظ ابن يونس : كان من العباد المجتهدين[3] .

• قيام مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير :

الإمام القدوة أبي عبد الله الأَسَدي الزبيري المدني كان من أعبد أهل زمانه . صام هو وأخوه نافع من عمرهما خمسين سنة قالت عنه ابنته أسماء بنت مصعب :كان أبي يصلى في اليوم والليلة ألف ركعة .

وقال يحيى بن مسكين : ما رأيت أحدا قط أكثر صلاة من مصعب ابن ثابت ، كان يصلى في كلْ يوم وليلة ألف ركعة ، ويصوم الدهر .

وقال مصعب بن عثمان وخالد بن وضاح : كان مصعب بن ثابت يصوم الدهر ، ويصلى في اليوم والليلة ألف ركعة ، يبس من العبادة ، وكان من أبلغ أهل زمانه[4] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٣٤٩ – ٣٥٤ .
(٢) المشاقة من الكتان والقطن : ما خلص منه .
(٣) سير أعلام النبلاء ٦/٤١٠ – ٤١١ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/٢٩ .

• **قيام أبي بكر بن أبي مريم :**

قال عنه الذهبي : « الإمام ، المحدث ، القدوة ، الرباني شيخ أهل حمص » ضعفه أحمد بن حنبل وغيره من قبل حفظه .

قال يزيد بن هارون : كان من العباد المجتهدين .

وقال بقية : قال لنا رجل في قرية أبي بكر بن أبي مريم – وهي كثيرة الزيتون – ما في هذه القرية من شجرة إلا وقد قام أبو بكر إليها ليلته جمعاء .

وقيل : كان في خديه أثر من الدموع ، رحمة الله عليه[1] .

• **الأوزاعي :**

قال الوليد بن مَزْيد : كان الأوزاعي من العبادة على شيء ما سمعنا بأحد قوى عليه .

وعن الوليد بن مسلم : ما رأيت أكثر اجتهادا في العبادة من الأوزاعي .

وعن سلمة بن سلّام : نزل الأوزاعي على أبي ، ففرشنا له فراشا ، فأصبح على حاله[2] .

• **قيام فتح الموصلي الكبير :**

زاهد زمانه : فتح بن محمد بن وشاح الأزدي الموصلي ، أحد الأولياء . كانت له أحوال ومقامات وقدم راسخة في التقوى كان لا ينام إلا قاعدا . وكان بكّاءً ، خوّافا ، متهجدًا[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦٥/٧ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١١٩/٧ .
(٣) سير أعلام النبلاء ٣٤٩/٧ .

• **قيام سعيد بن عبد العزيز :**

الإمام القدوة مفتى دمشق :

قال الحاكم : سعيد بن عبد العزيز لأهل الشام ،كمالك لأهل المدينة في التقدم والفقه والإمامة .

قال الوليد بن مسلم : كان سعيد بن عبد العزيز يحيى الليل ، فإذا طلع الفجر ، جدّد وضوءه وخرج إلى المسجد .

قال أبو النضر إسحاق بن إبراهيم : كنت أسمع وقع دموع سعيد بن عبد العزيز على الحصير في الصلاة .

قال أبو عبد الرحمن الأسَدي :« قلت لسعيد بن عبد العزيز : ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة ؟ فقال : يا ابن أخي ، وما سؤالك عن ذلك ؟ قلت : عسى الله أن ينفعني به ، فقال : ما قمت إلى صلاة إلا مثلت لي جهنم . وكان رحمه الله إذا فاتته الجماعة بكى »[1] .

رحمة الله عليك يا أبا محمد من أجل علمك وعبادتك كان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة وأنت حاضر قال : سلوا أبا محمد . فلا يعرف الفضل لذوى الفضل إلا أهل الفضل .

• **قيام هُشَيْم :**

الإمام شيخ الإسلام أبي معاوية السُّلَمي .

قال عمرو بن عون : مكث هشيم يصلى الفجر بوضوء العشاء قبل أن يموت عشرين سنة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٢/٨ - ٣٥ .

قال ابن حنبل : لزمت هشيما أربع سنين ، أو خمسا ، ما سألته عن شيء ، إلا مرتين هيبة له ، وكان كثير التسبيح بين الحديث ، يقول بين ذلك : لا إله إلا الله ، يمد بها صوته[1] .

• قيام إسماعيل بن عياش[2] :

محدث الشام . كان من بحور العلم صادق اللهجة ، متين الديانة صاحب سنة ، واتباع ، وجلالة ووقار .

عن أبي اليمان قال :« كان منزل إسماعيل إلى جانب منزلي ، فكان يحيى الليل ، وكان ربما قرأ ، ثم يقطع ، ثم رجع ، فقرأ من الموضع الذي قطع منه ، فلقيته يوما ، فقلت : يا عمّ ، قد رأيت منك في القراءة كَيْتَ وكَيْتَ ، قال : يا بني ، وما سؤالك ؟ قلت : أريد أن أعلم . قال : يا بنّي ، إني أصلى فأقرأ ، فأذكر الحديث في الباب من الأبواب التي أخرجتها ، فأقطع الصلاة ، فأكتبه فيه ، ثم أرجع إلى صلاتي ، فأبتدىء من الموضع الذي قطعت منه »[3] .

• ابن المبارك :

قال نعيم بن حمّاد : قال رجل لابن المبارك : قرأت البارحة القرآن في ركعة ، فقال : لكني أعرف رجلا لم يزل البارحة يكرر ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ﴾ إلى الصبح ، ما قدر أن يتجاوزها – يعني نفسه[4] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٩٠/٨ .

(٢) قال الذهبي فى سير أعلام النبلاء : ٣٢١/٨ : حديث إسماعيل عن الحجازيين والعراقيين لا يحتج به . وحديثه عن الشاميين صالح من قبيل الحسن ، ويحتج به إن لم يعارضه أقوى منه .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣١٥/٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٩٧/٨ .

• **علي بن الفضيل بن عياض :**

من كبار الأولياء . مات قبل أبيه ، كان قانتا لله ، خاشعا ، وجلا ربانيا ، كبير الشأن .

قال ابن المبارك لفضيل بن عياض : يا أبا علي ما أحسن حال من انقطع إلى الله ، فسمع ذلك عليّ ، فسقط مغشيا عليه .

وقال الفضيل : أشرفت ليلة على عليّ ، وهو في صحن الدار ، وهو يقول : النار النار ، ومتى الخلاص من النار ؟ وقال لي : يا أبة سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني لك في الآخرة . ثم قال : لم يزل منكسر القلب حزينا ، ثم بكى الفضيل ، ثم قال : كان يساعدني على الحزن ، يا ثمرة قلبي ، شكر الله لك ما قد علمه فيك .

قال ابن عيينة : ما رأيت أخوف من الفضيل وابنه وقال الفضيل : اللهم إني اجتهدت أن أؤدب عليا ، فلم أقدر على تأديبه ، فأدِّبه أنت لي .

قال أبو سليمان الداراني : كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ ﴿ **القارعة** ﴾ ولا تقرأ عليه .

قال الفضيل بن عياض : بكى عليّ ابنى . فقلت : يا بنى ما يبكيك ؟ قال : أخاف ألا تجمعنا القيامة .

وقد مات عليّ رحمه الله من جرّاء آية وهي قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد** ﴾[الأنعام : ٢٧] [(١)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٤٤٢ – ٤٤٦ .

• **قيام أبي بكر بن عيَّاش :**

شيخ الإسلام وبقية الأعلام :

عن أبي عبد الله النخعي قال : لم يُفْرَش لأبي بكر بن عيّاش فراش خمسين سنة .

وقال يزيد بن هارون : كان أبو بكر بن عياش خيِّرا فاضلا ، لم يضع جنبه على الأرض أربعين سنة ، وكان رحمه الله يقول : الدخول في العلم سهل ، لكن الخروج منه إلى الله شديد . وكان يقول : يا مَلَكَيّ ادعوا الله لي ، فإنكما أطوع لله مني . وقد روى من وجوهٍ متعددة ، أن أبا بكر مكث أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة .

قال الذهبي : وهذه عبادة يُخضع لها ، ولكن متابعة السنة أولى[1] .

• **قيام القاضي أبي يوسف :**

الإمام المجتهد تلميذ أبي حنيفة وصاحبه .

عن ابن سماعة قال : كان وِرد أبي يوسف في اليوم مئتى ركعة[2] .

• **قيام الرقاشي :**

الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد البصري حدّث عن حماد بن زيد ومالك بن أنس .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٤٩٥ - ٥٠٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٥٣٧ .

قال العجلي : ثقة ، من عباد الله الصالحين . يقال : إنه كان يصلي في اليوم والليلة أربعمائة ركعة رحمه الله[1] .

• قيام جرير بن عبد الحميد :

شيخ الإسلام الإمام الحافظ القاضي .... شيخ الرى .

قال علي بن المديني : كان جرير بن عبد الحميد صاحب ليل ، وكان له رش ، يقولون : إذا أعْيَى ، تعلق به – يريد أنه كان يصلى[2] .

• قيام بشر بن المُفَضَّل :

الإمام الحافظ أبو إسماعيل الرقاشي .

قال ابن المديني : كان بشر يصلى كل يوم أربعمائة ركعة ويصوم يوما ويفطر يوما[3] .

• قيام إسماعيل بن عُلَيَّة :

الإمام الحافظ .

قال الذهبي : « كان موصوفا بالدين والورع والتأله ، منظورا إليه في الفضل والعلم ، وبدت منه هفوات خفيفة ، لم تغير رتبته إن شاء الله » .

وكان شعبة يسميه : ريحانة الفقهاء .

قال محمد بن المثنى : بت ليلة عند ابن علية ، فقرأ ثلث القرآن[4] .

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤٦٢/٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/٩ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٧/٩ ، تذكرة الحفاظ ٣١٠/٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١١٦/٩ .

• **قيام عبد الرحمن بن القاسم :**

عالم الديار المصرية ومفتيها صاحب الإمام مالك . له قدم في الورع والتأله، ذُكر عند الإمام مالك فقال : مثله كمثل جراب مملوءٍ مسكاً .

كان رحمه الله يقول : اللهم امنع الدنيا مني ، وامنعني منها .

عن أسد بن الفرات قال : كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ختمتين . قال : فنزل بى حين جئت إليه عن ختمة رغبة في إحياء العلم.قال سحنون : كنت إذا سألت ابن القاسم عن المسائل ، يقول لي : يا سُحْنُون ، أنت فارغ ، إني لأحس في رأسي دويا كدويّ النحل – يعني:من قيام الليل – قال : وكان قلما يعرض لنا إلا وهو يقول : اتقو الله ، فإن قليل هذا الأمر مع تقوى الله كثير ، وكثيره مع غير تقوى الله قليل(١) .

• **قيام أبي عُبيد القاسم بن سلّام :**

الإمام الحافظ . قال أبو بكر بن الأنباري : كان أبو عبيد رحمه الله يقسم الليل أثلاثا ، فيصلى ثلثه ، وينام ثلثه ، ويصنف الكتب ثلثه(٢) .

• **قيام أحمد بن حرب :**

الإمام القدوة ، شيخ نيسابور ، كان من كبار الفقهاء والعبّاد .

قال أبو عمرو محمد بن يحيى : مر أحمد بن حرب بصبيان يلعبون ، فقال أحدهم : أمسكوا ، فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل ، فقبض على لحيته ، وقال : الصبيان يهابونك وأنت تنام ؟ فأحيى الليل بعد ذلك حتى مات .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢١/٩ – ١٢٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٩٧/١٠ .

قال زكريا بن حرب : ابتدأ أخي بالصوم وهو في الكتّاب ، فلما راهق ، حج مع أخيه الحسين بن حرب ، فأقاما بالكوفة للطلب ، وبالبصرة وبغداد . ثم أقبل على العبادة لا يفتر . وأخذ في الوعظ والتذكير ، وحث على العبادة ، وأقبلوا على مجلسه .

كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدي الحجّام ليحفى شاربه ، يسبح فيقول له الحجّام : اسكت ساعة ، فيقول : اعمل أنت عملك ، وربما قطع من شفته ، وهو لا يعلم .

قال أحمد بن حرب : عبدت الله خمسين سنة ، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركتُ ثلاثة أشياء : تركت رضى الناس حتى قدرت أن أتكلم بالحق ، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين ، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة[1] .

• قيام داود بن رُشَيد :

الإمام الحافظ الرحّال الجوّال :

عن إبراهيم الحربي :

قال داود بن رشيد : قمت ليلة أصلي ، فأخذني البرد لما أنا فيه من العرى ، فأخذني النوم ، فرأيت كأن قائلا يقول : يا داود ، أنمناهم وأقمناك فتبكي علينا ؟ قال الحربي : فأظن داود ما نام بعدها ، يعني : ما ترك تهجد الليل[2] .

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٣٢ - ٣٤ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/١٣٣ - ١٣٤ .

• **قيام راهب الكوفة : هَنّاد بن السَّرِي :**

الإمام الحجة القدوة زين العابدين أبي السّرى .

قال أحمد بن سلمة النيسابوري الحافظ : كان هناد رحمه الله كثير البكا ء ، فرغ يوما من القراءة لنا ، فتوضأ ، وجاء إلى المسجد ، فصلى إلى الزوال ، وأنا معه في المسجد ، ثم رجع إلى منزله ، فتوضأ ، وجاء فصلى بنا الظهر ، ثم قام على رجليه يصلى إلى العصر ، يرفع صوته بالقرآن ويبكى كثيرا . ثم إنه صلى بنا العصر ، وأخذ يقرأ في المصحف ، حتى صلى المغرب . قال : فقلت لبعض جيرانه : ما أصبره على العبادة ، فقال : هذه عبادته بالنهار منذ سبعين سنة ، فكيف لو رأيت عبادته بالليل ،وكان يقال له : راهب الكوفة[١].

• **أحمد بن أبي الحواري :**

عن فياض بن زهير : سمعت يحيى بن معين ، وذكر أحمد بن أبي الحواري فقال : أظن أهل الشام يسقيهم الله به الغيث .

وعن عبد الله بن أحمد بن أبي الحواري : كنّا نسمع بكاء أبي بالليل حتى نقول : قد مات .

وعن محمد بن عوف الحِمْصِيّ : رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس[٢] فلما صلى العتمة قام يصلى فاستفتح بـ﴿ **الحمد لله** ﴾ إلى ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ، فطفت الحائط كله ، ثم رجعت فإذا هو لا يجاوزها ثم نمت ، ومررت في السحر وهو يقرأ ﴿ **إياك نعبد** ﴾ فلم يزل يرددها إلى الصبح[٣] .

(١) سير أعلام النبلاء ٤٦٥/١١ – ٤٦٦ ، تذكرة الحفاظ ٥٠٧/٢ – ٥٠٨ .

(٢) بلد من سواحل بحر الشام – نقلا عن معجم البلدان .

(٣) سير أعلام النبلاء ٨٧/١٢ – ٨٨ .

• السري السَّقَطِيّ :

الإمام القدوة شيخ الإسلام كما نعته الذهبي :

قال الجنيد : ما رأيت أعبد لله من السري ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة ما رئي مضطجعا إلا في علة الموت[١] .

• أبو أحمد القلانسي :

القدوة مصعب بن أحمد البغدادي .

قال ابن الأعرابي : حضرنا ليلة عرسه ومعنا الجنيد ، ورويم ومعنا قارىء يقول قصائد في الزهد ، فما زال أبو أحمد عامة ليله في النحيب[٢] .

• أبو قِلابة :

الحافظ القدوة العابد محدث البصرة عبد الملك بن محمد بن عبد الله الرقاشي قال أحمد بن كامل القاضي : قيل إن أبا قلابة كان يصلى في اليوم والليلة أربعمائة ركعة[٣] .

قيل : إن أم أبي قلابة أُريت وهي حامل به كأنها ولدت هدهدا فقال لها عابر : إنْ صدقت رؤياك تلدين ولدا يكثر الصلاة .

• قيام المُسْتَملي أبي عمرو « حكمويه » :

الحافظ الزاهد العابد المجاب الدعوة أحمد بن المبارك .

قال الحاكم : كان مجاب الدعوة وراهب عصره .

(١) سير أعلام النبلاء ١٨٦/١٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٧١/١٣ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٧٨/١٣ – ١٧٩ ، تاريخ بغداد ٤٢٦/١٠ .

وقال أيضا : سمعت أبا بكر الصبغي يقول : كان أبو عمرو يصوم النهار ويحيى الليل ، ثم قال : أخبرني غير واحد أن الليلة التي قتل فيها أحمد بن عبد الله– يعني :الظالم الذي استولى على نيسابور – صلى أبو عمرو العتمة ثم صلى طول ليلة وهو يدعو على أحمد بصوت عال : اللهم شق بطنه اللهم شق بطنه[1] .

• قيام محمد بن عبد السلام الورّاق :

تلميذ يحيى بن يحيى التميمي النيسابوري .

قال ولده عبدان : كان أبي يقول : نحن في مرحلة . وكان يصوم النهار ويقوم الليل ، ويقول : هذا ما أوصانا به يحيى بن يحيى[2] .

• قيام علي بن حَمْشاذ :

الإمام الحافظ شيخ نيسابور .

قال عبد الله ولده : ما أعلم أن أبي ترك قيام الليل.قال أبو بكر بن إسحاق : صحبت عليّ بن حمشاذ في الحضر والسفر ، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة[3] .

• قيام ابن الحدّاد :

شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الكناني المصري الشافعي صاحب « كتاب الفروع » في المذهب .

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/٣٧٤ – ٣٧٥ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٣/٤٦٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء ١٥/٣٩٨ – ٣٩٩ ، تذكرة الحفاظ صـ٨٥٥ .

قال عنه ابن زُولاق – وكان من أصحابه –: كان يختم القرآن في كل يوم ويصوم يوما ويفطر يوما وكان من محاسن مصر .

يقول ابن الحداد : أخذت نفسي بما رواه الربيع عن الشافعي ، أنه كان يختم في رمضان ستين ختمة ، سوى ما يقرأ في الصلاة ، فأكثر ما قدرت عليه تسعا وخمسين ختمة ، وأتيت في غير رمضان بثلاثين ختمة .

وقال المسبِّحي : كان فقيها عالما كثير الصلاة والصيام ، يصوم يوما ، ويفطر يوما ، ويختم القرآن في كل يوم وليلة قائما مصليا(١) .

وفي ابن الحداد يقول أحمد بن محمد الكحّال :

الشافعيّ تفقهاً والأصعمـــي تقننـــا والتابـــعين تزهـــدا(١)

• قيام الصِّبْغي :

شيخ الإسلام أبي بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب النيسابوري الشافعي .

قال الحاكم : سمعت محمد بن حَمْدُون ، يقول : صحبت أبا بكر بن إسحاق سنين ، فما رأيته ترك قيام الليل لا في سفر ولا حضر(٢) .

• قيام العسَّال :

الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني القاضي .

ذكر أبو غالب أنه كان مرة مع صهره فدخل مسجدًا ، وشرع في الصلاة فختم القرآن في ركعة .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/٤٤٥ – ٤٥٠ ، طبقات الشافعية ٣/٨١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥/٤٨٥ ، طبقات الشافعية ٣/١٠ .

قال ابنه إبراهيم : لما مات القاضي ، وجلس بنوه للتعزية ، فدخل رجلان في لباس سواد ، وأخذا يولْوِلان ويقولان : واإسلاماه ، فسئلا عن حالهما ، فقالا : إنا وردنا من أغمات[1] من المغرب ، لنا سنة ونصف في الطريق في الرحلة إلى هذا الإمام لنسمع منه ، فوافق ورودنا وفاته[2] .

• قيام الغطريفي :

الإمام الحافظ الرّحال أبي أحمد ، محمد بن أحمد بن حسين الغطريفي الجرجاني الرباطي الغازي :

كان مع علمه وحفظه صوّاما قوّاما متعبدا[3] .

• قيام حُسَيْنَك « ابن مُنَيْنَة » :

الإمام الحافظ الأنبل القدوة أبي أحمد ، الحسين بن علي بن محمد النيسابوري .

قال الحاكم : هو شيخ العرب في بلدنا ، صحبته حضرا وسفرا ، فما رأيته ترك قيام الليل من نحو ثلاثين سنة ، فكان يقرأ سبعا كل ليلة ، وكانت صدقاته دارّة سرا وعلانية . أخرج مرة عشرة من الغزاة بآلتهم عوضا عن نفسه ، ورابط غير مرة . وكان ابن خزيمة يبعثه إذا تخلف عن مجلس السلطان ينوب عنه . وكان يعزه ويقدمه على أولاده ، وفي حجره تربّى[4] .

---

(١) أغمات : ناحية من بلاد المغرب قرب مراكش « معجم البلدان » .

(٢) سير أعلام النبلاء ١١/١٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣٥٤/١٦ – ٣٥٥ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٤٠٧/١٦ – ٤٠٨ .

• **قيام ابن جِنْزَابة**[1] :

الإمام الحافظ الوزير الأكمل ، أبي الفضل ، جعفر بن الوزير الفضل بن جعفر كان متعبدا يصوم ثم يفطر ثم ينام ، ثم ينهض في الليل ، ويدخل بيت مصلاه ، فيصف قدميه إلى الفجر[2] .

• **قيام عطية بن سعيد** :

الإمام الحافظ القدوة الكبير ، شيخ الوقت ، أبي محمد الأندلسي القَفْصي .

قال الخطيب : حدثنا عنه أبو الفضل عبد العزيز بن المهدي قال : وكان زاهدًا لا يضع جنبه على الأرض ، إنما ينام محتبيا[3] .

• **البُنْدار** :

الشيخ الصالح القدوة ، أبو محمد ، عبد الخالق بن هبة الله بن القاسم الحريمي .

قال عنه ابن النجّار : كان صالحا ، زاهدا ، كثير العبادة ، حسن السمت ، على منهاج السلف ، كأنَّ النور يلوح على وجهه ، ويجد الناظر إليه رَوْحا في نفسه[4] .

---

(١) جِنزابة : جارية هي والدة الفضل الوزير ، وفي اللغة : هي القصيرة السمينة .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٨٥/١٦ - ٤٨٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٤١٢/١٧ - ٤١٣ ، تاريخ بغداد ٣٠٣/١٠ - ٣٠٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٢٨/٢١ - ٣٢٩ .

• **قيام الإمام عبد الغني المقدسي :**

العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الأثري عالم الحفاظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي .

كان يصلي ويلقّن القرآن ، وربما أقرأ شيئا من الحديث تلقينا ، ثم يقوم فيتوضأ ، ويصلي ثلاثمائة ركعة بالفاتحة والمعوذتين إلى قبل الظهر ، وينام نومة ثم يصلي الظهر ، ويشتغل إما بالتسميع أو بالنسخ إلى المغرب ، فإن كان صائما أفطر ، وإلا صلى من المغرب إلى العشاء ، ويصلي العشاء ، وينام إلى نصف الليل أو بعده ، ثم يقوم كأن إنسانا يوقظه ، فيصلي لحظه ، ثم يتوضأ ويصلي إلى قرب الفجر ، وربما توضأ سبع مرات أو ثمانيا في الليل ، وقال : ما تطيب لي الصلاة إلّا ما دامت أعضائي رطبة ، ثم ينام نومة يسيرة إلى الفجر ، وهذا دأبه .

وقال محمود بن سلامة التاجر الحرّاني : كان الحافظ عبد الغني نازلا عندي بأصبهان ، وما كان ينام من الليل إلا قليلا ، بل يصلي ويقرأ ويبكي وسمعت الحافظ يقول : أضافني رجل بأصبهان ، فلما تعشينا كان عنده رجل أكل معنا ، فلما قمنا إلى الصلاة لم يصل ، فقلت : ماله ؟ قالوا : هذا رجل شمسي[١] ، فضاق صدري ، وقلت للرجل : ما أضفتني إلا مع كافر !، قال : إنه كاتب ، ولنا عنده راحة ، ثم قمت بالليل أصلي وذاك يستمع ، فلما سمع القرآن تزفر ، ثم أسلم بعد أيام ، وقال : لما سمعتك تقرأ وقع الإسلام في قلبي .. الله الله يا لصدق الحافظ وأكرم بها من كرامة للشيخ الذي كان يملك العادل عنه : دخل عليّ فخُيّل إلي أنه أسد[٢] .

---

(١) يعبد الشمس .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٥٣/٢١ – ٤٥٥ ، ٤٦٣ – ٤٦٤ .

ذكر أبو المظفر الواعظ في « مرآة الزمان » عن الحافظ عبد الغني المقدسي أنه كان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، ويقوم الليل ويحمل ما أمكنه إلى بيوت الأرامل واليتامى سرًا ، وضعف بصره من كثرة البكاء والمطالعة .

• قيام الإمام أبي عُمر المقدسي :

المحدث البركة شيخ الإسلام محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ، واقف المدرسة .

قال عنه الحافظ الضياء : كان لا يسمع دعاءً إلا حفظه في الغالب ، ودعا به ، ولا حديثا إلا وعمل به ، ولا صلاة إلا صلَّاها ، كان يصلى بالناس في النصف[1] مئة ركعة وهو مسنّ ، ولا يترك قيام الليل من وقت شُبُوبيته ، وإذا رافق ناسا في السفر ناموا وَحَرَسهم يصلى .

قال الذهبي : كان قدوة صالحا، عابدا قانتا لله ، ربانيا ، خاشعا مخلصا عديم النظير ، كبير القدر ، كثير الأوراد والذكر ، والمروءة والفتوة والصفات الحميدة ، قَلَّ أن ترى العيون مثله .

كان ربما تهجد فإن نعس ضرب على رجليه بقضيب حتى يطير النعاس . ويتلو كل ليلة سُبْعا مرتلا في الصلاة ، وفي النهار سُبْعا بين الصلاتين ، ويصلى طويلا بين العشاءين ، ويصلى صلاة التسبيح كل ليلة جمعة . كانت نوافله في كل يوم وليلة اثنتين وسبعين ركعة . يقول عنه الشيخ الموفق : ربانا أخرى وعلمنا ، وحرص علينا وكان للجماعة كالوالد يحرص عليهم ويقوم بمصالحهم وهو الذي هاجر بنا وهو سَفَّرنا إلى بغداد ، وحين رجعنا زوجنا وبنى لنا دورا ، وكان قلما يتخلّف عن غزاة[2] .

---

(١) يعني في نصف شعبان .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢/٦ - ٧ .

● **قيام الحافظ أحمد بن مهدي بن رستم :**

الزاهد العابد أبي جعفر الأصبهاني . سمع أبا نعيم وقبيصة وروى عنه محمد بن يحيى بن منده .

قال أبو نعيم : كان صاحب أموال أنفق على أهل العلم ثلاثمائة ألف درهم .

قال عنه محمد بن يحيى بن منده : لم يحدث ببلدنا منذ أربعين سنة أوثق منه ، صنف المسند ، ولم يعرف له فراش منذ أربعين سنة ، صاحب عبادة .

روى أبو الشيخ عن أبي على أحمد بن محمد بن إبراهيم أن أحمد بن مهدي ذكر أنه جاءته امرأة ببغداد ليلة فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت : فبالله استرني ، وقد أكرهت ، وأنا حبلى فلا تفضحني ، فقد قلت : إنك زوجتي ، فسكت ، فبعد أيام جاءني إمام المحلة والجيران يهنئوني بالولد فشكرتهم ، ووزنت دينارين ليوصلها للمرأة نفقة ، وكنت أعطيها كل شهر دينارين إلى أن صار للولد سنتان . فمات فجاءوا يعزونني فأظهرت التسليم لله ، ثم بعد أيام جاءت بالذهب وقالت : سترك الله خذ ذهبك ، فقلت : هذه الدنانير كانت صلة مني للصغير وأنت قد ورثتيه .

سترك الله يا إمام بما سترت على المسلمين وأورثك جنات النعيم .

● **قيام شيخ الإسلام : بقي بن مخلّد :**

الإمام الحافظ أبي عبد الرحمن القرطبي صاحب المسند الكبير والتفسير الجليل الذي قال فيه ابن حزم : ما صنف تفسير مثله أصلا .

قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ ٢ /٦٣٠ -٦٣١ « كان إماما علما قدوة مجتهدا لا يقلد أحدا صالحا عابدا متهجدا أوّاها عديم النظير في زمانه ،

ذكره أحمد بن أبي خيثمة فقال : ما كنّا نسميه إلا المكنسة ، وهل يحتاج بلد فيه بقّي أن يأتي منه إلينا أحد ؟ .

قال بقي عن نشره للحديث وإظهاره مذهب أهل الأثر : لقد غرست للمسلمين غرسا بالأندلس لا يقلع إلا بخروج الدجال .

وذُكر عن بقّي خير ونسك وإيثار حتى بثوبه ، وكان مجاب الدعوة وقيل : إنه كان يختم القرآن كل ليلة في ثلاث عشرة ركعة ، ويسرد الصوم ، وحضر سبعين غزوة » . وهكذا أهل الله .

• قيام الحصيري :

الحافظ الإمام أبي محمد جعفر بن أحمد النيسابوري .

سمع إسحاق بن راهويه . وهو أحد أئمة هذا الشأن .

قال الحاكم : قال لي سبطه محمد بن أحمد السكري : كان جدي قد جزأ الليل ، ثلثا يصلي ، وثلثا ينام ، وثلثا يصنف ، وكان مرضه ثلاثة أيام لا يفتر فيها من قراءة القرآن[١] .

• قيام الجويني :

الحافظ أبي عمران موسى بن العباس صاحب المسند الصحيح على هيئة صحيح مسلم .

قال عنه الحسن بن أحمد : كان أبو عمران الجويني في دارنا وكان يقوم الليل ويصلي ويبكي طويلًا[٢] .

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/٧٠٢ – ٧٠٣ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٣/٨١٨ .

• قيام ابن زياد :

الحافظ المجود العلّامة أبي بكر عبد الله بن زياد بن واصل النيسابوري الفقيه الشافعي .

قال يوسف القواس: سمعت أبا زكريا النيسابوري يقول : تعرف من قام أربعين سنة لم ينم الليل ، ويتقوت كل يوم بخمس حبّات ، يصلي الغداة على طهارة العشاء الآخرة ؟ ثم قال : أنا هو ، وهذا كله قبل أن أعرف أم عبد الرحمن ، أيش أقول لمن زوّجني ؟ ثم قال : ما أراد إلّا الخير[1].

• قيام أبي النضر شيخ الشافعية :

الإمام الحافظ شيخ الإسلام محمد بن محمد بن يوسف الطوسي .

قال عنه الحاكم : رحلت إليه مرتين ، وسألته متى يتفرغ للتصنيف مع هذه الفتاوى ؟ فقال : جزّأت الليل ، فثلثه أصنف ، وثلثه أقرأ القرآن ، وثلثه للنوم . وما رأيت في مشايخنا أحسن صلاة منه ، وكان يصوم الدهر ويقوم الليل[2] .

• قيام النرسي :

الحافظ محدث الكوفة أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون المقرىء .

قال عنه ابن ناصر : كان النرسي حافظًا ثقة متقنًا ما رأينا مثله ، كان يتهجد ويقوم الليل[3].

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٢٠ .

(٢) تذكرة الحفاظ ٨٩٣/٣ .

(٣) تذكرة الحفاظ ١٢٦٠/٤ - ١٢٦١ .

• **قيام الإمام الحازمي :**

الحافظ أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الهمذاني :

قال ابن النجار : سمعت أبا القاسم المقرىء جارنا يقول – وكان صالحًا – : كان الحازمي في رباط البديع ، وكان يدخل بيته فى كل ليلة يطالع ويكتب إلى الفجر ، فقال البديع للخادم : لا تدفع إليه الليلة بزرا للسراج فلعله يستريح الليلة ، فلما جن الليل اعتذر إليه الخادم لانقطاع البزر ، فدخل بيته وصفّ قدميه ، ولم يزل يصلي ويتلو إلى أن طلع الفجر ، وكان الشيخ خرج ليعلم خبره فوجده في الصلاة(١) .

• **قيام ابن الحصري :**

الإمام الحافظ شيخ القرّاء برهان الدين أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج نزيل مكة وإمام الحطيم .

قال عنه ابن النجار : كان حافظا حجة نبيلا من أعلام الدين جم العلم كثير المحفوظ كثير التعبد والتهجد(٢) .

• **قيام ابن دقيق العيد :**

الإمام الفقيه المجتهد الحافظ شيخ الإسلام أبي الفتح محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي الصعيدي المالكي الشافعي .

قال عنه الذهبي : كان من أذكياء زمانه واسع العلم كثير الكتب مديمًا للسهر مكبّا على الاشتغال ساكنا وقورا ورعا قلّ أن ترى العيون مثله .

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٣٦٣/٤ – ١٣٦٤ .

(٢) تذكرة الحفاظ ١٣٨٢/٤ – ١٣٨٣ .

وقال عنه الحافظ قطب الدين الحلبي : كان الشيخ تقي الدين إمام أهل زمانه وممن فاق بالعلم والزهد على أقرانه ، عارفا بالمذهبين ، إماما في الأصلين ، آية في الحفظ والإتقان والتحري شديد الخوف دائم الذكر لا ينام الليل إلا قليلا ويقطعه فيما بين مطالعة وتلاوة وذكر وتهجد حتى صار السهر له عادة ، أوقاته كلها معمورة لم ير في عصره مثله(١) .

• قيام أسد الشام اليونيني :

الزاهد العابد .

قال عنه الحافظ الذهبي : كان شيخا طويلا مهيبا شجاعا حادّ الحال ، كان يقوم نصف الليل إلى الفقراء ، فمن رآه نائما وله عصا اسمها العافية ضربه بها ، ويحمل القوس والسلاح ، وكان أمارا بالمعروف لا يهاب الملوك حاضر القلب ، دائم الذكر ، بعيد الصِّيت .

قال الشيخ على القصار : كنت أهابه كأنه أسد ، فإذا دنوت منه وددت أن أشق قلبى وأجعله فيه(٢) .

• قيام أبى محمد الروابطّي :

من كبار الزهاد بالأندلس .

أخذ عنه ابن مَسْدِيّ وقال : كان يسيح بثغور الأندلس ، يأوى في مساجد البر ، له كرامات ، أُسر إلى طرطوشة وقيّدوه ، فقام النصراني ليلة

---

(١) تذكرة الحفاظ ١٤٨١/٤ - ١٤٨٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء ١٠١/٢٢ - ١٠٢ ، انظر كتابنا « فرسان النهار » .

فرآه يصلى ، وقَيْده إلى جنبه ، فتعجب ، فلما أصبح رآه في رجله ، فرقبه ثاني ليلة فكذلك ، فذهب فأخبر القسس ، فقالوا : احضروه فجاء به ، وجرت بينه وبينهم محاورة ، ثم قالوا : لا يحل أن نأسرك فاذهب ، ولطرطوشة نهر تعمل فيه السفن ، فلقيه أسير فقال: بالله خذني فأخذ بيده وخاض إلى نصف الساق ، فتعجبت النصاري ، وشاعت القصة[1] .

... أخي : ويمضي ركب المتهجدين يخفى سرهم ظلام الليل وتتباهى الأيام بما وصل إلينا من أريجهم الفوّاح ... وما أكثرهم وأطيبهم وأنداهم . والمجهولون الذين لا نعرفهم لا يضرهم ذلك ، فإن الذي أكرمهم بالقيام يعرفهم وإنْ جهلهم من شملتهم الغفلة مثلي وغاب عن دربهم ، ونأت به المعصية عن ركبهم .. فلعلّ صوت حاديهم أن يزعجنا يوما للسفر إلى دارهم

(١) سير أعلام النبلاء ٣٢٩/٢٢ - ٣٣٠ .

قيام الراكعات

الساجدات

أما لك بالرجال أسوة   أتسبقك وأنت رجل نسوة

سنقص عليك طرفاً من ذكر العابدات المتهجدات الراكعات الساجدات اللاتى أضناهن طول القيام لَعَلّ عزائم الرجال تستيقظ فينا

كذاك الفخرُ يا همم الرجالِ تَعَالىْ فانظرى كيف التعالى

ويزين المقال ذكر أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ ، فقد كان ﷺ يوقظهن لصلاة الليل .

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها :

فى الصحيحين عن عائشة أن رسول الله ﷺ بشّر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب . وعن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « **أتانى جبريل فقال يا رسول الله هذه خديجة أتتك ومعها إناء فيه طعام وشراب فإذا هى أتتك فاقرأ عليها من ربها السلام ومنى** » وهى رضى الله عنها أول من آمن بالله من الرجال والنساء كما قال الزهرى وقتادة عبد الله بن محمد بن عقيل وإسحاق وجماعة من العلماء .

نزلت على الرسول ﷺ وهى معه آيات سورة المزمل............بأمر الله عز وجل نبيه بقيام الليل فقام وقامت معه وقام الصحابة اثنا عشر شهراً حتى انتفخت أرجلهم ثم نزل التخفيف فى نهاية السورة .. آمنت برسالة زوجها ﷺ حين كفر الناس وصدّقته إذ كذّبه الناس .. حتى يتوجها ربها بنزول ملك الوحى جبريل لرسول الله ﷺ قائلاً له « **اقرأ خديجة من ربها السلام** » قالت عائشة : ماتت قبل أن تفرض الصلاة يعنى قبل أن يعرج بالنبى ﷺ .

أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق : عائشة بنت أبي بكر رضى الله عنها :

قال القاسم : «**كانت عائشة تصوم الدهر**»[1] .

وعنه قال : «**كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة رضى الله عنها ، فأسلِّم عليها ، فغدوت يومًا فإذا هى قائمة تسبح ، وتقرأ : ﴿ فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ﴾ وتدعو وتبكى وترددها ، فقمت حتى مللت القيام ، فذهبت إلى السوق لحاجتى ، ثم رجعت ، فإذا هى قائمة كما هى تصلى وتبكى**»[2] .. إذا كانت هذا نهارها فكيف تكون إذا جنّ الليل .. يكفى من قيامها ما قاله ابن عباس عنها وشهادته تاج فوق جبينها : « أعلم الناس بوتر رسول الله ﷺ » أعلم الناس بليل رسول الله ﷺ وقيامه .. تقصه وتوضحه لأهل الأرض جميعًا .. فهل يأتى علمها من نومها أم من يقظتها وقيامها رضى الله عنها . وإذا كان رسول الله ﷺ سيد العابدين فالصديقة العالمة بليله وقيامه ووتره سيدة المتهجدات .

أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها :

عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « **قال جبريل : راجع حفصة فإنّها صوّامة قوّامة** »[3] .

- وعن نافع قال : ماتت حفصة حتى ما تفطر[4] .

---

(١) « الإجابة » للزركشى ص ٦٧ .

(٢) « السمط الثمين » ص ٩٠ .

(٣) جسن : أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أنس وعن قيس بن زيد ، وأبو نعيم فى الحلية عن عمار ابن ياسر ، وأبو نعيم فى الحلية والحاكم فى المستدرك عن قيس بن زيد مرسلاً ، وابن سعد عن قيس مرسلاً وحسّنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم « ٤٢٢٧ » .

(٤) أخرجه ابن سعد بسند صحيح كما قال ابن حجر فى الإصابة جـ ٤ ص ٢٧٣ .

وأى شهادة أعظم من شهادة المولى عز وجلّ وجبريل لابنة الفاروق بأنها صوّامة قوّامة ..

انظر رحمك الله كيف كان تهجد حفصة رضى الله عنها وصيامها سبباً لإبقائها زوجًا لرسول ﷺ فى الدنيا والآخرة . وكيف لا تكون قوّامة وهى بنت أبيها ولله در من قال :

وهل ينبت الخطىّ إلا وشيجهُ ويزرع إلا فى منابته النخلْ

قيام أم المؤمنين : زينب بنت جحش رضى الله عنها .

فى الإصابة قالت عنها عائشة عند موتها : لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل . ومن حديث أم سلمة بسند موصول فيه الواقدى أنها ذكرت زينب فترحمت عليها وقالت : وكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معجبة وكانت يستكثر منها[1] . وكانت صالحة صوامة قوامة صناعًا تصدق بذلك كله على المساكين . وعند البخارى : دخل النبى ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت فقال النبى ﷺ : « **لا حُلُّوه ، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد** »[2] رضى الله عنك أم المؤمنين يا من زوّجك الله من فوق سبع سماوات .

قيام أم الصهباء معاذة بنت عبد الله العدوية زوجة صلة بن أشيم :

كانت رحمها الله تلميذة لعائشة رضى الله عنها فبوركت بصحبتها لأم المؤمنين .

---

(١) الإصابة لابن حجر .

(٢) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى كتاب التهجد .

● كانت رحمها الله تصلى الليل الطويل ، فكانت تكلّ الرجال وهى لا تكلّ[1] .

● لمّا أهديت معاذة العدوية إلى زوجها صلة بن أشيم أدخله ابن أخيه الحمام ، ثم أدخله بيتاً مطيّباً ، فقام يصلى حتى أصبح ، وفعلت معاذة كذلك ، فلما أصبح عاتبه ابن أخيه على فِعْلِه ، فقال له : إنك أدخلتنى بيتاً أذكرتنى به النار ، ثم أدخلتنى بيتاً أذكرتنى به الجنة فما زالت فكرتى فيهما حتى أصبحت[2].

رحمكم الله أهل بيت علت بهم هممهم .. أى كلام يترجم فعلهم .. امرأة تحيي الليل كله ليلة بنائها .. فما بال النسوة فى زماننا هذا جهلن ما علمته الأوّاهة التقية معاذة ،بل ما بال الرجال فى قرننا العشرين

أما الخيام فإنها كخيامهم   وأرى نساء الحى غير نسائها

● كانت رحمها الله إذا جاء النهار قالت : هذا يومى الذى أموت فيه ، فما تنام حتى تمسى ، وإذا جاء الليل قالت : هذه ليلتى التى أموت فيها فلا تنام حتى تصبح ، وإذا جاء البرد لبست الثياب الرقاق حتى يمنعها البرد من النوم[3]

وكانت رحمها الله تحيي الليل صلاةً فإذا غلبها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول : « يا نفس ، النوم أمامك ، لو قدمت لطالت رقدتك فى القبور على حسرة أو سرور » . وكانت تقول : « عجبت لعين تنام ، وقد عرفت طول الرقاد فى ظلم القبور » .

● وقالت لابنة لها من الرضاع : « يا بنية كونى من لقاء الله على حذر ورجاء ، وإنى رأيت الراجى له محفوفاً بحسن الزلفى لديه يوم يلقاه ، ورأيت

---

(١) تنبيه المغترين ص ١١٧ .
(٢) التخويف من النار لابن رجب الحنبلى ص ٢٣ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٢ ، مختصر قيام الليل ص ٢٦ .

الخائف له مؤملاً للأمان يوم يقوم الناس لرب العالمين » ثم بكت حتى غلبها البكاء .

● وإن تعجب من حالها وتقواها فما تقول فى خبرها هذا الذى يرويه ثابت البنانى يوم أن بلغها نبأ استشهاد زوجها وابنها فأتت النساء يواسينها فى مصابها .

«اجتمعت النساء عند معاذة العدوية فقالت : مرحباً ، إن كنتنّ جئتنّ لتهنئننى فمرحباً بكنّ ، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن» .

يا لجلال الموقف .. أى صنف من النساء أنت منهن أيتها التقية ..

لا عجب يا أخى فقد بوركت عابدتنا بالسهر والتهجد ولقاء أم المؤمنين عائشة والرواية عنها فسمت إلى هذا الموقف الذى يعجز عنه الرجال .

● ولما مات زوجها شهيداً لم توسد فراشاً بعده كما قال الحسن

وقالت لابنتها من الرضاعة : «والله يابنية ماحبتى للبقاء فى الدنيا للذيذ عيش ، ولا لروْح نسيم ، ولكن والله أحب البقاء لأتقرب إلى ربى عز وجل بالوسائل لعله يجمع بينى وبين أبى الصهباء وولده فى الجنة» .

كفى حزناً أن لا أعاين بقعة
من الأرض إلاّ ازددت شوقاً إليكمُ
وأنى متى ما طاب لى خفض عيشة
تذكرت أياماً مضت لى لديكمُ

● وقالت عفيرة العابدة عنها : «لما احتضرها الموت بكت ثم ضحكت ، فقيل لها مِمَّ بكيت ثم ضحكت ؟ فمِمّ البكاء ومِمَّ الضحك ؟ قالت : أما البكاء الذى رأيتم فإنى ذكرت مفارقة الصيام والصلاة والذكر فكان البكاء لذلك ، وأما الذى رأيتم من تبسمى وضحكى فإنى نظرت إلى أبى الصهباء قد أقبل فى صحن الدار وعليه حُلتان خضراوان فى نفر والله ما رأيت لهم فى الدنيا شبهًا ،

فضحكت إليه ولا أراني أدرك بعد ذلك فرضًا . قالت : فماتت قبل أن يدخل وقت الصلاة » [1] .

حفصة بنت سيرين : أمّ الهذيل رحمها الله :

كانت رحمها الله تسرج سراجها من الليل ثم تقوم فى مصلاها فربما طفىء السراج فيضىء لها البيت حتى تصبح ، ومكثت فى مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلاّ لحاجة أو قائلة ، وكانت تدخل مسجدها فتصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ، ولا تزال فيه حتى يرتفع النهار فتركع ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها .

● وكانت رحمها الله تقول : يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإنى والله ما رأيت العمل إلا فى الشباب .

وقرأت رحمها الله القرآن وهى بنت ثنتى عشرة سنة ، وكان ابن سيرين إذا أشكل عليه من القرآن شىء قال : اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأه .

● كان الهذيل ابنها يجمع الحطب فى الصيف فيكسره ويأخذ القصب فيفلقه ، فإذا وجدت حفصة أمه برداً فى الشتاء جاء بالكانون فوضعهُ خلفها ، وهى فى مصلاّها ثم يقعد فيقد بذلك الحطب والقصب وقودًا لا يؤذيها دخانه ويدفئها فمكث كذلك ما شاء الله . قالت حفصة : وعنده ما يكفيه لو أراد ، قالت : فربما أردت أن أنصرف إليه فأقول : يا بنى ارجع إلى أهلك ثم أذكر ما يريد فأدعه ، قالت : فلما مات رزقنى الله عليه من الصبر ما شاء أن يرزقنى ، غير أنى كنت أجد غصة [2] لا تذهب فبينا أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية : ﴿**ولاتشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم**

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٢ ـ ٢٤ .

(٢) حزن .

تعلمون ماعندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزينّ الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾ فأعدتها فأذهب الله عنى ما أجد[١]

• وعن هشام بن حسّان قال : اشترت حفصة جارية سِنْدية فقيل لها : كيف رأيت مولاتك ؟ فذكرت كلاماً بالفارسية معناه : إنها امرأة صالحة ، إلاّ أنها أذنبت ذنبًا عظيمًا فهى الليل كله تبكى وتصلى .

• وقال عبد الكريم بن معاوية : ذُكر لى عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن فى كل ليلة ، وكانت تصوم الدهر وتفطر أيام العيدين والتشريق[٢] .

• عن عاصم بن الأحول : كنا ندخل على حفصة بنت سيرين ، وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها : رحمك الله قال الله تعالى : ﴿ **والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة** ﴾ وهو الجلباب ، قال : فتقول لنا : أى شىء بعد ذلك ؟ فنقول : ﴿**وأن يستعففن خير لهن**﴾ فتقول : هو إثبات الجلباب[٣] .

وكانت رحمها الله راوية للحديث .

قيام أم الدرداء (الصغرى) هُجيْمة ـ جُهَيْمة ـ بنت حُيَى الأوصابية رحمها الله :

كانت رحمها لله إذا حدّثت بحديث عن زوجها قالت : حدّثنى سيدى ـ يعنى أبا الدرداء ـ .

• عن يونس بن ميسرة قال : كنا نحضر أم الدرداء وتحضرها نساء متعبدات يقمن الليل كله حتى إن أقدامهن قد انتفخت من طول القيام[٤]

---

(١) مختصر قيام الليل ص١٩ ، صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٦ ،

(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٤ .

(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

● عن جبير بن نفير عن أم الدرداء أنها قالت لأبي الدرداء : إنك خطبتنى إلى أبوىّ فى الدنيا فأنكحونى ، وإنى أخطبك إلى نفسك فى الآخرة ، قال : فلا تنكحى بعدى ، فخطبها معاوية فأخبرته بالذى كان ــ فقال عليك : بالصيام [١] .

ــ وفى رواية أخرى ــ ولست أريد بأبى الدرداء بدلاً [٢] .

قيام ابنة أم حسان الأسدية رحمها الله:

عن سفيان الثورى قال : دخلت علىّ بنت أم حسان الأسدية وفى جبهتها مثل ركبة العنز من أثر السجود ، وليس به خفاء .

قال سفيان : وكان إذا جنّ عليها الليل دخلت محراباً لها ، وأغلقت عليها ثم نادت : إلهى خلا كل حبيب بحبيبه ، وأنا خالية بك يا محبوب ، فما كان من سجن تسجن به من عصاك إلا جهنّم ، ولا عذاب إلاّ النار [٣] .

قيام رابعة العدوية رحمها الله :

ومن هؤلاء الناسكات رابعة العدوية البصرية ، وكانت مضرب المثل فى تَدَلُّه القلب واحتراق الكبد حبّا لله وإيثاراً لرضاه ، وكانت تواصل صيامها وقيامها ، وتتابع زفراتها ، وتدفق عبراتها ، تستقل كل ذلك فى جنب الله ، قال يوماً شيخ الزهاد سفيان الثورى وهو عندها : « واحزناه » فقالت : « لا تكذب ! بل قل : واقلة حزناه ، ولو كنت محزوناً لم يتهيأ لك أن تتنفس » .

● قالت عنها أشبه الناس بها فى نسكها وعبادتها خادمتها عبدة بنت أبى شوال ــ وكانت من خيار إماء الله : «كانت رابعة تصلى الليل كله ، فإذا طلع الفجر

---

(١) تهذيب التهذيب جـ ٢ ص ٤٦٦ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٩٦ .

(٣) حلية الأولياء جـ ٧ ص ٩ .

هجعت فى مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر . فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهى فزعة : يا نفس كم تنامين ، وإلى كم تقومين . يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلاّ لصرخة يوم النشور »(١)

قالت عبدة : وكان هذا دأبها أمد دهرها حتى ماتت ، ولما حضرتها الوفاة دعتنى ، وقالت : « يا عبدة ! لا تؤذنى بموتى أحداً . وكفننى فى جبتى هذه » ـ وهى جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون .

قال ابن كثير رحمه الله :

« وقد ذكروا لها أحوالاً وأعمالاً صالحة ، وصيام نهار ، وقيام ليل ، ورؤيت لها منامات صالحة ، فالله أعلم » ، وقال أيضاً : « وأثنى عليها أكثر الناس ، وتكلم فيها أبو داود السجستانى ، واتهمها بالزندقة ، فلعله بلغه عنها أمر »(٢) .

قيام عجردة العمية رحمها الله :

قال رجاء بن مسلم العبدى : كنا نكون عند عجردة العَمية فى الدار فكانت تحيى الليل صلاة . وربما قال : تقوم من أول الليل إلى السحر ، فإذا كان السحر نادت بصوت لها محزون :

« إليك قطع العابدون دجى الليالى بتكبير الدلج إلى ظُلَمَ الأسحار ، يستبقون إلى رحمتك وفضل مغفرتك ، فبك إلٓهى لا بغيرك أسألك أن تجعلنى فى أول زمرة السابقين إليك ، وأن ترفعنى إليك فى درجة المقربين ، وأن تلحقنى بعبادك الصالحين فأنت أكرم الكرماء ، وأرحم الرحماء ، وأعظم العظماء ، ياكريم » ثم تخر ساجدة فلا تزال تبكى وتدعو فى سجودها حتى يطلع الفجر

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) البداية والنهاية ١٠/١٨٦ ـ ١٨٧ وانظر عودة الحجاب للشيخ محمد بن إسماعيل جـ ٢ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

فكان ذلك دأبها ثلاثين سنة .

● وحدثت آمنة بنت يَعْلى بن سُهَيْل قالت : كانت عجردة العمية تغشانا فتظل عندنا اليوم واليومين ، قالت : فكانت إذا جاء الليل لبست ثيابها وتقنعت ثم قامت إلى المحراب فلا تزال تصلى إلى السحر ثم تجلس فتدعو حتى يطلع الفجر ، فقلت لها ـ أو قال لها بعض الدار لو نمت من الليل شيئًا ، فبكت وقالت : ذكر الموت لا يدعنى أنام[1]

قيام حبيبة العدوية رحمها الله :

● قال عبد الله المكى أبو محمد : كانت حبيبة العدوية إذا صلت العتمة قامت على سطح فشدت عليها درعها وخمارها فقالت : « إلٰهى غارت النجوم ، ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامى بين يديك » .

ثم تقبل على صلاتها ، فإذا كان السحر قالت : اللهم وهذا الليل قد أدبر ، وهذا النهار قد أسفر ، فليت شعرى هل قبلت منى ليلتى فأُهَنَّى ، أم رددتها علىّ فأُعَزَّى ، فوعزتك لهذا دأبى ودأبك أبدًا ما أبقيتنى ، وعزتك لو انتهرتنى مابَرِحت عن بابك ، ولا وقع فى قلبى غير جودك وكرمك[2] .

وكانت تقول : اللهم اغفر لى سوء أدبى فى صلاتى[3] .

قيـام عفيرة العابدة وليلها :

قيل لها : إنك لا تنامين بالليل فبكت ثم قالت : ربما اشتهيت أن أنام فلا

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣١ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٢ .
(٣) تنبيه المغترين ص ١١٦ .

أقدر عليه ، وكيف ينام أو يقدر على النوم من لا ينام حافظاه عنه ليلاً ولا نهاراً(١)

وكانت رحمها الله لا تضع جنبها إلى الأرض فى ليل وتقول : أخاف أن أؤخذ على غرة وأنا نائمة ، وكانت لا تملّ من البكاء فقيل لها : أما تسأمين من كثرة البكاء فقالت : كيف يسأم إنسان من دوائه وشفائه(٢) .

● وكانت تقول فى مناجاتها « عصيتك بكل جارحة منى على حدتها ، والله لئن أعنتَ لأُطيعنَّك ما استطعتُ بكل جارحة عصيتك بها »(٣) .

● وقدم ابن أخ لها طالت غيبته فبُشِّرت به ، فبكت ، فقيل لها : ما هذا البكاء ؟ اليوم يوم فرح وسرور ، فازدادت بكاءً ثم قالت : والله ما أجد للسرور فى قلبى مسكناً مع ذكر الآخرة ، ولقد ذكرنى قدومه يوم القدوم على الله فَمِنْ بين مسرور ومثبور »(٣) .

● ودخل عليها قوم فقالوا : ادعى الله لنا . فقالت : « لو خرس الخطّاءون ما تكلمت عجوزكم ، ولكن المحسن أمر المسىء بالدعاء ، جعل الله قراكم من نبق الجنة ، وجعل الموت منى ومنكم على بال ، وحفظ علينا الإيمان إلى الممات وهو أرحم الراحمين »(٤)

عمرة امرأة حبيب العجمى :

● انتبهت ليلة وزوجها نائم فأنبهته فى السحر وقالت له : قم يا سيدى [رجل] فقد ذهب الليل وجاء النهار ، وبين يديك طريق بعيد ، وزاد قليل ،

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٩ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٤ ، تنبيه المغترين ص ١١٦ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٤ .
(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٣ ومختصر قيام الليل ص ٢٩ .

وقوافل الصالحين قد سارتْ قدّامنا ونحن قد بقينا [1] .

جارية خالد الورّاق :

قال خالد الوراق : كانت لى جارية شديدة الإجتهاد فدخلت عليها يوماً فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير العمل ، فبكت ثم قالت : يا خالد إنى لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة ، وإنى لأعلم أن فى كرم الله مستغاثاً لكل مذنب ، ولكن كيف لى بحسرة السباق ؟ قال : قلت : وما حسرة السباق ؟ قالت : «غداة الحشر إذا بعثر مافى القبور ، وركب الأبرار نجائب الأعمال فاستبقوا إلى الصراط ، وعزة سيدى لا يسبق مقصر مجتهداً أبداً ، ولوْ حبا المجدُّ حَبْواً ، أم كيف لى بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون ، وقد رفعتْ أعلام المحسنين ، وجاز الصراط المشتاقون ، ووصل إلى الله المحبون ، وخلّفت مع المسيئين المذنبين ؟؟ ثم بكت

انظر يا أخى : إن أريج العبادة ورائحة الظمأ والسهر لتبدو من هذا الكلام .

شعـــوانة رحمها الله :

كانت تترنم بهذين البيتين :

أذرى جـفـونك إمّــا كـنـت شـاجـيـة
إن الـنـيـاحـة قـد تشفى الحزيـنـيـنـا

جـدّى وقـومـى وصـومـى الـدهـر دائـبـة
فـإنما الـدّوب مـن فـعـل المطـيـعـيـنـا

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٥ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٦ ، ٤٧ .

وكانت تقول : أنبتَّ لكل داءٍ دواءً فى الجبال ، ودواء المحبين فى الجبال لم ينبت .

ولقد بكت حتى خافوا عليها العمى ، فقالوا لها فى ذلك ، فقالت « أعمى والله فى الدنيا من البكاء أحبّ إلىّ من أن أعمى فى الآخرة من النار» .

وكانت تقول : من استطاع منكم أن يبكى ، وإلاّ فليرحم الباكى ، فإن الباكى إنما يبكى لمعرفته بما أتى إلى نفسه .

وكانت تقول : وددت أنى أبكى حتى تنفد دموعى ، ثم أبكى الدماء حتى لا تبقى فى جسدى جارحة فيها قطرة من دم ، وأنىّ لى البكاء[1] ، فلم تزل تردد « وأنيّ لى البكاء » حتى غشى عليها .

ريحانـــــة رحمها الله :

كانت تقوم أول الليل وتقول :

قـــام المحب إلى المؤمّـــل قومـــةً
كـــاد الـــفـؤاد من السرور يــــطـــيـــرُ

وفى جوف الليل تقول :

لا تَـــأْنَسنّ بمن توحشك نـــظـــرتُـــه
فـتُـمْـنَـعَـنَّ من الـتَّـذكارِ فى الظُّـلـم
واجهد وكدّ وكن فى الليل ذا شجن
يـسـقـيك كـأس وداد الـعـز والكـرم

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٥٥ ، ٥٦ .

ثم نادت : واحرَباه وَاَسلباه . فقيل لها ممّ ذا ؟ قالت :

ذهب الظلام بأنسه وبألفه
ليت الظلام بأنسه يتجدّدُ[1]

منيفة بنت أبى طارق :

وكانت بالبحرين ، وكانت رحمها الله إذا هجم عليها الليل قالت : « بخ بخ يا نفسُ قد جاء سرور المؤمن ، فتقوم فى محرابها فكأنها الجذع القائم حتى تصبح. وعن أم عمار بنت مليك البحرانى قالت : بت ليلة عند منيفة ابنة أبى طارق فما زادت على هذه الآية ترددها وتبكى ﴿**وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله؟؟ ومن يعتصم بالله فقد هُدِىَ إلى صراط مستقيم**﴾[2] .

قيام بردة الصريمية وبكاؤها رحمها الله :

كانت بالبصرة ، وكانت تقوم الليل ، فإذا سكنت الحركات وهدأت العيون نادت بصوت لها حزين : هدأت العيون ، وغارت النجوم ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وقد خلوت بك يا محبوبى ، أفتراك تعذبنى وحبك فى قلبى ؟ لا تفعل يا حبيباه[3] .

وكانت تقول : ربما سمعتُ القرآن فأرى مُلك بنى مروان قد حوى لى .

وكانت تبكى حتى يرحمها من رآها ، ولقد بكت حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك فقالت : لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم إن هذا البكاء كاللعب[4] .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٥٧ .
(٢) آل عمران الآية ١٠١ . انظر صفة الصفوة جـ ٤ ص ٧٣ ، ٧٤ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٦ .
(٤) تنبيه المغترين ص ١١٦ .

وكانت تقول للحسن : يا أبا سعيد إنْ أكنْ من أهل الجنة فسيبدلنى الله بصرًا خيرًا من بصرى ، وإنْ أكنْ من أهل النار فأبْعَدَ الله بصرى .

وكانت إذا قيل لها كيف أصبحت ؟ تقول : « أصبحنا أضيافاً مُنتجعين بأرض غربة ننتظر إجابة الداعى » .

أم طلق رحمها الله :

أمّا أم طلق فكانت تكثر التهجد وتقول : ما ملكت نفسى ما تشتهى منذ جعل الله لى عليها سلطاناً وكانت تقول لابنها طلق : ما أحسن صوتك بالقرآن فليته لا يكون عليك وبالاً يوم القيامة (١) .

أم حيّان السُّلَمِية رحمها الله :

قال أبو خلدة : ما رأيت رجلاً قط ولا امرأة أقوى ولا أصبر على طول القيام من أم حيان السلمية ، إن كانت لتقوم فى مسجد الحى كأنها نخلة تصفقها الرياح يميناً وشمالاً (٢) .

وكانت تقرأ القرآن فى يوم وليلة .

حسنـــة العابـــدة :

كانت رحمها الله جميلة ، ولقد تركت نعيم الدنيا وأقبلت على العبادة فكانت تصوم النهار وتحيى الليل وليس فى بيتها شىء .

قالت لها امرأة تزوجى فقالت : هات رجلاً زاهداً لا يكلفنى من أمر الدنيا شيئًا ولا أظنك تقدرين عليه ، فوالله ما فى نفسى أن أعبد الدنيا ولا أتنعم مع رجال الدنيا ، فإن وجدت رجلاً يبكى ويُبكينى ، ويصوم ويأمرنى ، ويتصدق

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٧ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٨ .

ويحضنى عليها فبها ونعمت ، وإلاّ فعلى الرجال السلام[1] ، رحمها الله أى أنها لا ترغب إلاّ فى الزواج مِمَّنْ يَمَّمَ وجهه صوب الدار الآخرة .

زجلة العابدة مولاة معاوية رحمها الله :

عن سعيد بن عبد العزيز قال : ما بالشام ولا بالعراق أفضل من زجلة .

دخل عليها نفر من القرّاء فكلّموها فى الرفق بنفسها فقالت : مالى وللرفق بها ؟ فإنما هى أيامٌ مبادرة . فمنْ فاته اليوم شيء لم يدركه غداً . والله يا إخوتاه لأُصلينّ ما أقلّتنى جوارحى ، ولأصومن له أيام حياتى ، ولأبكين له ما حملت الماء عيناى . ثم قالت : أيّكم يأمر عبده بأمرٍ فيحب أن يقصّر فيه ؟

ولقد قامت رحمها الله حتى أُقعدت ، وصامت رحمها الله حتى اسودّت ، وبكت حتى عمشت ، وكانت تقول : « علمى بنفسى قرّح فؤادى ، وكلم قلبى ، والله لوددت أن الله لم يخلقنى ولم أك شيئاً مذكوراً »[2] وكانت رحمها الله تخرج إلى الساحل فتغسل ثياب المرابطين فى سبيل الله .

غصنة وعالية رحمها الله :

وكانتا من عابدات البصرة .

قال أبو الوليد العبدى : ربما رأيت غصنة وعَالية تقوم إحداهما من الليل فتقرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف فى ركعة[3] .

غنضكـــة رحمها الله :

وهى من عابدات البصرة : وكانت تصلى عامة الليل ، ثم تقول : « أعوذ

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٩ ، ٤٠ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٠ ، ٤١ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤١ .

بالله من ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » فإذا قضت صلاتها قالت : هذا الجهد مني وعليك التكلان[1] .

إمرأة أبي عمران الجوني رحمها الله :

من عابدات البصرة ، كانت رحمها الله تقوم من الليل تصلى حتى تعصب ساقيها بالخرق ، فيقول لها أبو عمران الجونى : دون هذا يا هذه . فتقول : « هذا عند طول القيام فى الموقف قليل » فيسكت عنها[2] .

جارية عبيد الله بن الحسن العنبرى قاضى البصرة رحمها الله :

قال عبيد الله بن الحسن العنبرى : كانت عندى جارية أعجمية وضيئة وكنتُ بها معجباً ، فكانت ذات ليلة نائمة إلى جنبي ، فانتبهت فلم أجدها ، فالتمستها فإذا هي ساجدة تقول : بحبك لى اغفر لى ، فقلت : يا جارية لا تقولى بحبك لى ، قولى : بحبي لك اغفر لى[3] ، فقالت : يا بطال ، حُبّه لى أخرجنى من الشرك إلى الإسلام ، فأيقظ عيني وأنام عينك . فقلت اذهبي فأنت حرة لوجه الله . فقالت : يا مولاى أسأت إليّ ، كان لى أجران فصار لى أجر واحد[4] .

الماوردية رحمها الله :

من عابدات البصرة ، كانت عجوزاً صالحة تكتب وتقرأ وتعظ النسوان ، ولم تأكل خبزاً ولا رُطباً ولا تمراً ، وإنما تطحن لها باقِلاً وتخبز لها خبزاً تقتات به ،

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٣ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٣ .
(٣) دلّها على التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح وترك غيره .
(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٦ .

وتأكل التين اليابس دون الرطب ، وتنال من الزيت والعنب واللحم الشيء اليسير ، وظلت خمسين سنة لا تنام من ليلها .

عابـــدة وأيتامها :

وانظر أخي إلى أثر التهجد والعبادة وكيف أنها تورث الزهد في الدنيا والقناعة والرضا عن الله عزوجل. قال حماد بن سلمة : « ألحّ المطر علينا سنة من السنين ، وفي جوارى امرأة من المتعبدات ، لها بنات أيتام فوكف السقف عليهن فسمعتها تقول : يا رفيق ارفق بي ، فسكن المطر ، فأخذت صرة فيها عشرة دنانير وقرعت بابها ، فقالت : اجعله حماد بن سلمة . فقلت : أنا حمّاد ، سمعتك وقد تأذيت بالمطر فقلت يارفيق ارفق بنا ، فما بلغ من رفقه ؟ قالت : سكّن المطر ، وأدفأ الصبيان ، وجفّ البيت ، قال : فأخرجت الدنانير وقلت انتفعي بها ، فخرجت صبية عليها مدرعة من صوف تستبين خروقها وقالت : ألا تسكت يا حمّاد ، تعترض بيننا وبين ربنا ومولانا ؟ ثم قالت : يا أماه قد علمنا أنّا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن بابه ، ثم ألصقت خدها بالتراب ثم قالت : أمّا أنا ، وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني .

ثم قالت : يا حمّاد رُدّ عافاك الله دنانيرك إلى الموضع الذى أخرجتها منه ، فإنا رفعنا حوائجنا إلى مَنْ يقبل الودائع ولا يبخس المعاملين »(١) .

عابـــدة من البصرة :

كانت تقول :

زهـد الـزاهـدونـا والـعـابـدونـا   إذ لمولاهـم أجـاعـوا الـبـطـونـا

---

(١) صفة الصفوة جـ٤ ص٥٠.

أسهروا الأعين القريحة فيه ۞ فمضى ليلهم وهم ساهرونا
حيّرتهم محبّة الله حتى ۞ علم الناس أن فيهم جنونا
هُمْ أَلِبَّا ذوو عقولٍ ولكن ۞ قد شجاهم جميع ما يعرفونا(1)

ماجدة القرشية :

وهي عابدة من قريش وكانت تسكن البحرين . وكانت تقول رحمها الله : لم ينل المطيعون ما نالوا من حلول الجنان ورضا الرحمن إلا بتعب الأبدان لله . والقيام لله بحقه في المنشط والمكره .

وكانت تقول : كفى المؤمنين طول اهتمامهم بالمعاد شغلاً .

وتقول : طوى أملي طلوع الشمس وغروبها ، فما من حركة تُسمع ولا من قدم توضع إلا ظننت أن الموت في أثرها .

وكانت تقول : « سكان دار أُوذنوا بالنقلة ، وهم حيارى يركضون في المهلة كأن المراد غيرهم ، أو التأذين ليس لهم والمعنى بالأمر سواهم . آه من عقول ما أنقصها ، ومن جهالة ما أتمها ، بؤساً لأهل المعاصي .. ماذا غُرّوا به من الإمهال والاستدراج .

وتقول : بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم ، ولو نصبوا الآجال وطوّوا الآمال خفّت عليهم الأعمال »(2) .

لبابة العابدة ببيت المقدس رحمها الله :

قالت رحمها الله : ما زلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستروح بها ، وإذا

---

(1) صفة الصفوة جـ٤ ص٥١ .
(2) صفة الصفوة جـ٤ ص٧٤ .

تعبت من لقاء الخلق آنسنى بذكره ، وإذا أعيانى الخلْق روّحنى التفرّغ لعبادة الله عز وجل والقيام إلى خدمته[١]

فاطمة بنت عبد الرحمن بن عبد الغفّار الحرّانى رحمها الله :

● وكانت من المصطفيات العابدات فى مصر ، وما كانت تنام إلا فى مصلاها فوق ستين سنة[٢] .

منيرة السدوسيـــــة :

وكانت من عابدات العرب وأهل البادية . وكانت تقول إذا جاء الليل : قد جاء الهول قد جاءت الظلمة ، قد جاء الخوف ، ما أشبه هذا بيوم القيامة ثم تقوم فلا تزال تصلى حتى تصبح[٣] .

هُنيـــدة رحمها الله :

● وكانت عابدة من أهل البادية ، كانت تقوم إذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فتوقظ ولدها وزوجها وخدمها فتقول لهم : قوموا فتوضؤا وصلوا ، فستغتبطون بكلامى هذا ، فكان هذا دأبها حتى ماتت ، فرأى زوجها فى منامه : إن كنت تحب أن تَزَوَّجها هناك فاخلفها فى أهلها بمثل فعلها ، فلم يزل دأب الشيخ حتى مات فأتى أكبر ولده فى منامه فقيل له : إن كنت تحب أن تجاور أبويك فى درجتهما من الجنة فاخلفهما فى أهلهما بمثل عملهما ، قال : فلم يزل دأبه حتى مات ، فكانوا يُدْعون « القوّامين »[٤] .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٥١ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٣١ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٨٨ .
(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٩١ .

عابدات الشام

البيضاء بنت المفضل :

سألتها أسماء الرملية وكانت عابدة : يا أختى : هل للمحب لله دلائل يعرف بها ؟ قالت : يا أختى ، والحبُّ للسيد يخفى ! ! ، لو جهد المحب للسيد أن يخفى ماخفىَ ، قالت : صفية لى . قالت : « لو رأيت المحب لله عز وجل لرأيت عجباً عجيباً من والهٍ ما يقرّ على الأرض ، طائر مستوحش ، أُنسه فى الوحدة ، قد مُنِع الراحة طعامه الحب عند الجوع ، وشربه الحب عند الظمأ ؟ لايملّ من طول الخدمة لله تعالى(١) .

أم هــارون :

قالت رحمها الله : قد أنزلت الدنيا منزلتها ، وكانت تقول : بأبى الليلُ ما أطيبه ، إنى لأغتمّ بالنهار حتى يجئ الليل ، فإذا جاء الليل قمت أوّلهُ ، فإذا جاء السّحر دخل الرّوح قلبى(٢) .

رابعة زوجة أحمد بن أبى الحوارى رحمها الله :

قال أحمد : قلت لرابعة وقد قامت بليل : قد رأينا أبا سليمان وتعبّدنا معه ، ما رأينا من يقوم من أول الليل . فقالت : سبحان الله مثلك يتكلم بهذا ؟ إنما أقوم إذا نوديت قال : وجلست آكل وجعلت تذكرنى ، فقلت لها : دَعينا يَهنينا طعامُنا . قالت : ليس أنا وأنت مِمَّنْ يتنغّص عليه الطعام عند ذكر الآخرة .

قال زوجها ريحانة الشام : ربما نظرت إلى وجهها ورقبتها فيتحرك قلبى على رؤيتها مالا يتحرك مع مذاكرتى أصحابنا من أثر العبادة .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٥٠ .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٠٣

وقالت لى : لست أحبك حب الأزواج .. إنما أحبك حب الإخوان ، وإنما رغبت فيك رغبة فى خدمتك ، وإنما كنت أحب وأتمنى أن يأكل مِلْكِى ومَالِى مثلك ومثلُ إخوانك . قال أحمد : وكان لها سبعة آلاف درهم فأنفقتها

عليّ ، فكانت إذا طبخت قدراً قالت : كلها يا سيدى فما نضجت إلا بالتسبيح ، وقالت لى : لست أستحل أن أمنعك نفسى[1] وغيرى ، اذهب فتزوّجْ ، قال : فتزوجت ثلاثاً ، وكانت تطعمنى اللحم وتقول : اذهب بقوتك إلى أهلك .

وكانت رحمها الله تقول : « ماسمعت الأذان إلاّ ذكرت منادى القيامة ، ولا رأيت الثلج إلا رأيت تطاير الصّحف ، ولا رأيت جراداً إلا ذكرت الحشر[2] » يا سبحان الله : امرأة تزوج زوجها من مالها ثلاث من النسوة .. ولا تقوم إلاّ إذا نوديت .

لاتقعدان لذكرنا فى ذكرهم ... ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

امرأة الهيثم بن جماز :

قال الهيثم : «كانت لى امرأة لاتنام الليل ، وكنت لا أصبر معها على السهر ، فكنت إذا نعست ترشّ عليّ الماء فى أثقل ما أكون من النوم وتنبهنى برجلها وتقول : « أما تستحى من الله . إلى كم هذا الغطيط » فوالله إن كنت لأستحى مما تصنع .

(١) لا يفهم من هذا الكلام .. عصيانها لزوجها فهذا ليس من حسن الظن بزوجة تلميذ أحمد بن حنبل ومعنى كلامها والله أعلم « شعورها بتقصيرها فى حق زوجها أو خوفها من أن تكون مقصرة فى حقه ، فزوجته عليها ما مالها ثلاث من النسوة .. والله أعلم » .

(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٠٢ .

جوهرة العابدة البراثية زوج أبي عبدالله البراثي رحمهما الله :

قال زوجها : كانت جوهرة تنبهني من الليل وتقول : يا أبا عبدالله قد سارت القافلة .

ورأت في منامها خياماً مضروبة فقالت : لمن ضُربت هذه الخيام ؟ فقيل للمتهجدين بالقرآن . فكانت بعد ذلك لا تنام[1]

فاطمة بنت بزيع امرأة أبي عثمان :

عن رباح بن الجراح قال : رأيت فاطمة بنت بزيع امرأة أبي عثمان وكانت من العابدات وكانت تصلي أكثر الليل ، ماكنت أنتبه من الليل فأفقد صوتها في القراءة والصلاة حتى تصلي الصبح بوضوء العتمة[2] .

عابدة : تزوّجت عابدة من العابدات رجلاً فرأته نائماً طوال الليل ، توقظه عدة مرات في الليل فيتناعس هو ليرى عبادتها فقالت له : « مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم » ليت شعري مَنْ غرّني بك ؟

[قال أبو يوسف البزاز : تزوّج رياح القيسي امرأة فبنى بها ، فلما أصبحت قامت إلى عجينها فقال : لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا فقالت : إنما تزوجت رياحًا القيسي ، ولم أرني تزوجت جبارًا عنيدًا ، فلما كان الليل نام ليختبرها فقامت ربع الليل ، ثم نادته ، قم يا رياح فقال : أقوم ، فقامت الربع الآخر ثم نادته فقالت : قم يا رياح ، فقال أقوم ، فلم يقم فقامت الربع الآخر ، ثم نادته فقالت :

قم يا رياح فقال أقوم ، فقالت : مضى الليل وعسكر المحسنون وأنت نائم !! ليت شعري مَنْ غرّني بك يا رياح .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٢ ص ٥٢١ .

(٢) الزهد الكبير للبيهقي ص ٣١٨ .

قال : وقامت الربع الباقى .

قال رياح : ذُكرت لى امرأة فتزوجتها فكانت إذا صلّت العشاء الآخرة تطيبت وتدخنت ولبست ثيابها ثم تأتينى فتقول ألك حاجة ؟ فإن قلت نعم ، كانت معى ، وإن قُلت لا ، قامت فنزعت ثيابها ثم صفت بين قدميها حتى تصبح][1] .

رياح بن عمرو القيسى وهو من العباد يستصغر نفسه أمام زوجه الصالحة « ذؤابة » .. يتناعس حتى يرى قيامها « يا عبد الله إن الجنس يألفه الجنس إذا كنت طيبًا فلن يقرنك الله إلا بطيب فاطمئن » ، وتأتى نتيجة الامتحان : امتحان ذؤابة من زوجها المبارك رياح « يا ليت شعرى من غرّنى بك يا رياح ؟ » .

فياليت نساءنا يسلكن هذا المسلك فيقلن للرجال : يا ليت شعرنا من غرنا بكم ، من غرنا بك عندما أفسدتنا وما اتقيت الله فينا ، وجعلت بيتنا قطعة من باريس »[2]

عابدة من بنى عبد القيس :

كانت إذا جاء الليل تحرمت ثم قامت إلى المحراب ، وكانت تقول : «المحب لا يسأم من خدمة حبيبه ، وكانت تقول : « عاملوا الله على قدر نعمه عليكم وإحسانه إليكم ، فإن لم تطيقوا فَعَلَى قدر سَتْرِه ، فإن لم تطيقوا فعلى الحياء منه ، فإن لم تطيقوا فعلى الرجاء لثوابه ، فإن لم تطيقوا فعلى خوف عقابه »[3]

عابـــدة :

نظرت عابدة أعرابية إلى فتى حسن الوجه بضّه فقالت : إنى لأرى وجهاً

---

(١) صفة الصفوة ٤٣/٤ ـ ٤٤ .

(٢) انظر إلى شريط قيام الليل للشيخ الطحان وثناؤه على ذؤابة وزوجها رياح .

(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٩١ .

ما غضّنه[١] بدد وضوء السحر[٢] .

عابـــدة : قال السرى : بلغنى أن امرأة كانت إذا قامت من الليل قالت : « اللهم إن إبليس عبد من عبيدك ، ناصيته بيدك ، يرانى من حيث لا أراه ، وأنت تراه من حيث لا يراك ، اللهم إنك تقدر على أمره كله ، وهو لا يقدر من أمرك على شيء ، اللهم إن أرادنى بشرٍّ فأَرِدْه ، وإن كادنى فكده ، أدرأ بك فى نحره ، وأعوذ بك من شره[٣] » .

عابـــدة : كانت تصلى بالليل لا تستريح وكانت تقول لزوجها : قُمْ ويحك إلى متى تنام ؟ قم يا غافل قم يا بطّال ، إلى متى أنت فى غفلتك ، أقسمت عليك ألا تكسب معيشتك إلا من حلال ، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلى ، برَّ أمك ، صل رحمك ، لا تقطعهم فيقطع الله بك[٤] .

عابـــدة : كانت لا تنام من الليل إلا يسيرًا ، فعوتبت فى ذلك فقالت : « كفى بالموت وطول الرقدة فى القبور للمؤمنين رقادًا » . وكانت تصوم حتى يسودّ وجهها وتقول : « إنما أدور على طول الرىّ والشبع فى الآخرة »[٥] .

عابـــدة : قالت عابدة لذى النون المصرى : أول المحبة يبعث على الكد الدائم حتى إذا وصلت أرواحهم إلى أعلى الصفا جرّعهم من محبته لذيذ الكؤوس[٦] .

---

(١) أى : جعّده .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٩٥ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٤٠ .
(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٣٧ .
(٥) صفة الصفوة جـ ٣ ص ١٩٥ .
(٦) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٢٩ .

عابـــدة : قال ذو النون المصرى : خرجت ليلة من وادى كنعان ، فلما علوت الوادى إذا سواد مقبل علىّ وهو يقول ﴿ **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** ﴾ ويبكى ، فلما قرب منى النسواد إذا هى امرأة عليها جبة صوف . وبيدها ركوة ، فقالت : من أنت ؟ غير فزعة منى ، فقلت : رجل غريب . فقالت : يا هذا ! وهل يوجد مع الله غربة ؟ قال : فبكيت لقولها فقالت لى : ما الذى أبكاك ؟ فقلت : « قد وقع الدواء على داء قد قرح ، فأحسن فى نجاحه » ، قالت « فإن كنت صادقًا فلم بكيت ؟ » قلت : « يرحمك الله والصادق لا يبكى ؟ » ، قالت : « لا .. إن الصادق لا يبكى لأن البكاء راحة القلب وملجأ يلجأ إليه ، وماكتم القلب شيئًا أحق من الشهيق والزفير ، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب ، وهذا نقص » فسكت متعجبًا من قولها . ثم قالت : اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه ، فإن له يومًا يتجلى فيه لأوليائه ، وإنه تعالى سقاهم فى الدنيا من محبته كأسًا لا يظمؤون بعدها أبدًا ثم قالت :

إذا كـان داء الـعـبـد حب مـلـيـكه
فمن دونـه يـرجـو طـبـيـبًا مداويا ؟[1]

سريـــة العابـــدة :

قال أبو هاشم القرشى : « قدمت علينا امرأة من أهل اليمن يقال لها : « سرية » فنزلت فى بعض ديارنا ، قال : فكنت أسمع لها من الليل أنينًا وشهيقًا ، فقلت يومًا لخادم لى : « أشرف على هذه المرأة ، ماذا تصنع ؟ » ، قال : فأشرف عليها ، فما رآها تصنع شيئًا غير أنها لا ترد طرفها عن السماء وهى مستقبلة القبلة ، تقول : « خلقت سرية ، ثم غذيتها بنعمتك من حال إلى حال ، وكل أحوالك لها حسنة ، وكل بلائك عندها جميل ، وهى مع ذلك

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، عودة الحجاب جـ ٢ ص ٣٠٠ ، تنبيه المغتربين ص ٣٥ .

متعرضة لسخطك بالتوثب على معاصيك فلتة بعد فلتة ، أتراها تظن أنك لا ترى سوء فعالها وأنت عليم خبير ، وأنت على كل شيء قدير »[1] .

فخرية بنت عثمان البصرية :

«كانت من أسرة عريضة الجاه موفورة الغنى ، ولكنّ ذلك كله لم يطب لها ، فخرجت وتزهدت وتنسكت ، وهجرت الراحة والمنام إلى الصلاة والقيام ، وقنعت من العيش برغيف وقدح ماء فذلك قوتها كل يوم .

وكانت أشبه الناس برابعة فى الوحشة من الدنيا والتدله . هاجرت إلى بيت المقدس وأقامت أربعين عاماً تقف الليل كله بباب المسجد الأقصى تصلى حتى يفتح الباب فتكون أول داخل وآخر خارج »[2] .

عبـدة البصريـــة :

وهى امرأة عكفت على العبادة وأفرطت فى السهر وأسرفت فى البكاء حتى كف بصرها .

سمعت قائلاً يقول : « ما أشد العمى على من كان بصيراً » ! فقالت : « يا عبد الله ، عمى القلب عن الله أشد من عمى العين ، ووددت أن الله وهب لى كنه محبته ، وأن لم يبق منى جارحة إلا أخذها »[3]

فلو كان النساء كما ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

جاريـــة الحسن بن صالح :

كان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجاريته فباعها لقوم فلما صلّت العشاء

---

(١) عودة الحجاب جـ ٢ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
(٢) عودة الحجاب جـ ٢ ص ٣٠٤ نقلاً عن المرأة العربية ٩٨/٣ .
(٣) عودة الحجاب جـ ٢ ص ٣٠٣ نقلاً عن « المرأة العربية ٩٧/٣ » .

افتتحت الصلاة فما زالت تصلى إلى الفجر ، وكانت تقول لأهل الدار كل ساعة تمضى من الليل : يا أهل الدار قوموا يا أهل الدار صلوا ، فقالوا لها : « نحن لا نقوم إلى الفجر ، فجاءت إلى الحسن بن صالح وقالت : بعتنى لقوم ينامون الليل كله وأخاف أن أكسل من شهود نومهم .. فردها الحسن إليه رحمة بها ووفاءً بحقها »[1] البدار البدار يا أخى وليكن لك فى ذلك أسوة .. أتسبقك وأنت رجل نسوة .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٣ ص١٩٥ .

عَبِيـــــر

مِنْ مَوَاعِـــظ المُتَهجِّـــدين

«ليســت النــائحة الثــكلى كالمستعــارة»

«لا يـعـرف الشوق إلاّ من يـكـابـدهُ

ولا الصــبـابـة إلاّ مـن يعانيهـــا»

ولأن الثكلى ليست كالنائحة المستعارة ، وكما يقول القائل :

مَنْ لم يبت والحب حشو فؤاده
لم يدر كيف تفتت الأكباد

فلقد تركنا المجال لهم حتى يصلك عبير وأريج من كلام القانتين المتهجدين الركع السجود فانظر مقالهم ، وإليك شذى من كلامهم :

● قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : « لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا » .

وكان رحمه الله يقول : لأهل الطاعة في ليلهم ألذّ من أهل اللهو بلهوهم .

ودخل عليه ابن أبي الحواري فوجده باكياً فقال له ابن أبي الحواري : ما يبكيك ، فقال أبو سليمان : « ويحك يا أحمد ، كيف لا أبكي وقد بلغني أنه إذا جنّ الليل وهدأت العيون ، وخلا كل خليل بخليله ، واستنارت قلوب العارفين ، وتلذذت بذكر ربهم ، وارتفعت هممهم إلى ذي العرش وافترش أهل المحبة أقدامهم بين يدي مليكهم في مناجاته ، وردّدوا كلامه بأصوات محزونة جرت دموعهم على خدودهم ، وتقطرت في محاريبهم خوفاً واشتياقاً ، فأشرف عليهم الجليل جل جلاله ، فنظر إليهم فأمدّهم محابة وسروراً ، فقال لهم : أحبابي والعارفين بي ، اشتغلوا بي ، وألقوا عن قلوبكم ذكر غيري ، أبشروا فإن لكم عندي الكرامة والقربى يوم تلقوني ، فينادي الله جبريل : يا جبريل بعيني من تلذّذ بكلامي واستراح إليّ ، وأناخ بفنائي ، وإني لمطلع عليهم في خلواتهم ، أسمع أنينهم وبكاءهم ، وأرى تقلبهم واجتهادهم ، فناد فيهم يا جبريل : ما هذا البكاء الذي أسمع ، وما هذا التضرع الذي أرى منكم ؟ هل سمعتم أو أخبركم عني أحد أن حبيباً يعذب أحباءه ؟ أوما علمتم أني كريم فكيف لا أرضى ؟ أيشبه كرمي أن أردّ قوماً قصدوني ؟ ، أم كيف أذل قوماً تعززوا بي ؟ أم كيف أحجب غداً أقواماً آثروني على جميع خلقي وعلى أنفسهم وتنعموا

بذكرى ؟ أم كيف يشبه رحمتى ؟ أوكيف يمكن أن أُبيت أقواماً تملقوا إلىّ وقوفاً على أقدامهم[1] وعند البيات أخزوهم ، أم كيف يجمل بى أن أعذِّب قوماً إذا جنّهم الليل تملقونى وانقطعوا إلىّ واستراحوا إلى ذكرى ، وخافوا عذابى ، وطلبوا القربة عندى ، فبى حلفت لأرفعنّ الوحشة عن قلوبهم ، ولأكوننّ أنيسهم إلى أن يلقونى ، فإذا قدموا علىّ يوم القيامة فإن أول هديتى إليهم أن أكشف لهم عن وجهى حتى ينظروا إلىّ وأنظر إليهم ، ثمّ لهم عندى مالا يعلمه غيرى » ، يا أحمد إن فاتنى ما ذكرت لك فيحق لى أن أبكى دماً بعد الدموع . قال أحمد : فأخذت معه فى البكاء ، وكنت أرى أثر ذلك عليه حتى الممات ، وكنت إذا سألته عن شىء من الحديث يقول : ماكفاك الذى سمعت .

ثم بكى ابن الحوارى وقال : وآحرماناه ، وآشؤم خطيئتاه ، مضى القوم وبقينا بعد حين قد أمضيناه ، فالناس ظفروا بما طلبوا ولا ندرى ما ينزل بنا ، فواخطراه وجعل يبكى .

● وقال عمر بن ذرّ : « لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ، ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فُرُشهم ورجعوا إلى ملاذهم من النوم ، قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حُسن عادة السهر وطول التهجد ، فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشروا الأرض بصفاح وجوههم ، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذتهم من التلاوة ، ولا ملّت أبدانهم من طول العبادة ، فأصبح الفريقان وقد ولّى عنهم الليل بربح وغبن ، أصبح هؤلاء قد ملّوا النوم والراحة ، وأصبح هؤلاء متطلعين إلى مجىء الليل للعادة ، شتان ما بين الفريقين ، فاعملوا لأنفسكم رحمكم الله فى هذا الليل وسواده ، فإن المغبون من غُبن خير النهار والليل ، والمحروم من حُرِم خيرهما ، إنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم ، ووبالاً على الآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحيُوا أنفسكم بذكر الله ، فإنما تحيى

---

(١) حلية الأولياء جـ ١٠ ص ١٦ ، ١٧ .

القلوب بذكر الله ، كم من قائم لله فى هذا الليل قد اغتبط بقيامه فى ظلمة حفرته ، وكم من نائم فى هذا الليل قد ندم على طول نومه عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدًا ، فاغتنموا ممر الساعات والأيام رحمكم الله »[1]

وقال الربيع بن عبد الرحمن : « إن لله عبادًا أخمصوا له البطون عن مطاعم الحرام ، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام ، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام ، رجاء أن ينير لهم ذلك ظلمة قبورهم إذا تضمنتهم الأرض بين أطباقها ، فهم فى الدنيا مكتئبون ، وإلى الآخرة متطلعون ، نفذت أبصار قلوبهم بالغيب إلى المكتوب ، فرأت فيه ما رجت من عظيم ثواب الله فازدادوا بذلك لله جداً واجتهاداً عند معاينة أبصار قلوبهم ما انطوت عليه آمالهم ، فهم الذين لا راحة لهم فى الدنيا ، وهم الذين تقر أعينهم غداً بطلعة ملك الموت عليهم » ثم بكى حتى بلّ لحيته بالدموع »[2]

قطع الليل رجال ورجالٌ وصلوه
رقدوا فيه أناس وأناس وصلوه

لا يميلون إلى النوم ولا يستعذبوه
فكأن النوم شيء لم يكونوا يعرفوه
لبسوا ثوبًا من الخدمة حتى خلعوه
مع جلباب من الحزن فما إن نزعوه

● قيل للحسن البصْرى : ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا ؟ قال : « لأنهم خَلَوْا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره » .

● وقال سفيان : « شر حالات المؤمن أن يكون نائماً ، وخير حالات الفاجر أن يكون نائماً ، لأن المؤمن إذا كان مستيقظاً فهو متحل بطاعة الله فهو خير له من

(١) مختصر قيام الليل ص ١٧ .
(٢) مختصر قيام الليل ص ٢٩ .

نومه ، والفاجر إذا كان مستيقظاً فهو متحل بمعاصى الله فنومه خير من يقظته .

وقال سفيان رحمه الله عَمَّنْ نام الليل ومَنْ قامه : تراه كسلان ضجراً قد بات جيفة على فراشه ، وأصبح نهاره يحتطب على نفسه لعباً ولهواً ، وترى صاحب الليل منكسر الطرف ، فرح القلب .

مواعظ لذى النون المصرى تدمى القلوب والأجفان :

قال رحمه الله : « إن لله عبادًا ملأ قلوبهم من صفاء محض محبته ، وهيّج أرواحهم بالشوق إلى رؤيته ، فسبحان من شوّق إليه أنفسهم ، وأدنى منه هممهم ، وَصَفَتْ له صدورهم ، سبحان موفقهم ومؤنس وحشتهم وطبيب أسقامهم ، إلهى لك تواضعت أبدانهم منك إلى الزيادة ، وانبسطت أيديهم ما طيبت به عيشهم ، وأدمت به نعيمهم ، فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك ، ففتحت لهم أبواب سماواتك ، وأتحت لهم الجواز فى ملكوتك ، بك أنست محبة المحبين ، وعليك معول وشوق المشتاقين ، وإليك حنّت قلوب العارفين ، وبك أنست قلوب الصادقين ، وعليك عكفت رهبة الخائفين ، وبك استجارت أفئدة المقصرين ، قد بسطت الراحة من فتورهم ، وقلّ طمع الغفلة فيهم ، لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعنيهم ، ولا يفتروا عن التعب والسهر يناجونه بألسنتهم ، ويتضرعون إليه بمسكنتهم ، يسألونه العفو عن زلاّتهم ، والصفح عمّا وقع الخطأ به فى أعمالهم ، فهم الذين أذابت قلوبهم الأحزان ، وخدموه خدمة الأبرار الذين تدفقت قلوبهم ببره ، وعاملوه بخالص من سره كنت لهم سيدى مؤيداً ولعقولهم مؤدباً ، ذهبت الآلام عن أبدانهم لما أذاقهم من حلاوة مناجاته ، ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده .

فيا حسنهم والليل قد أقبل بحنادس ظلمته ، وهدأت عنهم أصوات خليقته ، وقدموا إلى سيدهم الذين له يأملون ، فلو رأيت أيها البطّال أحدهم ، وقد قام إلى صلاته وقراءته ، فلما وقف فى محرابه واستفتح كلام سيده ، خطر

على قلبه أن ذلك المقام هو المقام الذى يقوم فيه الناس لرب العالمين ، فانخلع قلبه ، وذهل عقله ، فقلوبهم فى ملكوت السموات معلقة ، وهمومهم بالفكر دائمة ، فما ظنك بقوم خيار أبرار وقد خرجوا من رق الغفلة ، واستراحوا من وثائق الفترة ، وأنسوا بيقين المعرفة ، وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة ، بلغنا الله وإياكم هذه الدرجة »[1] .

● وقال رحمه الله عن المتهجدين : « عبدوه سرًا فأوصل إلى قلوبهم طرائف البر ، عملوا ببعض ما علموا ، فلما وقفوا فى الظلام بين يديه ، هَدَى قلوبهم إلى مالا يعلمون فحسرت ألبابهم لمعرفة الوقوف بين يديه »[2]

يا مؤنس الأبرار فى خلواتهم   يا خير من حطّت به النُّزَّالُ

وانظر إليه كيف يستمطر الدمع حين يصف المتهجدين فيقول :

« قد هدّ أجسامهم الوعيد ، وغيرّ ألوانهم السهر الشديد ، يتلذذون بكلام الرحمن ، ينوحون به على أنفسهم نوح الحمام ، فرحين فى خلواتهم ، لا نفتر لهم جارحة فى الخلوات ، ولا تستريح لهم قدم تحت سطور الظلمات ، فيالها نفوس طاشت بهممها ، والمسارعة إلى محبتها لما أملت من اتصال النظر إلى ربها .

رجال أطاعوا الله فى السهر والجهر
فما باشروا اللذات حينًا من الدهر
يراعون نجم الليل ما يرقدونه
فباتوا بإدمان التهجد والصبر
فداخل هموم القوم للخلق وحشة
فصاح بهم أنس الجليل إلى الذكر[3]

---

(١) الحلية جـ ٩ ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .
(٢) الحلية جـ ٩ ص ٣٥٥ .
(٣) الحلية جـ ٩ ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

فأجسادهم فى الأرض هونًا مقيمة
وأرواحهم تسرى إلى معدن الفخر
فهذا نعيم القوم إن كنت تبتغى
وتعقل عن مولاك آداب ذوى القدر

انظر رحمك الله إلى طبيب القلوب ذى النون وهو يصف نفسًا عليّة فيقول : « نفس على الجوع صبرت ، وفى سربال الظلام خطرت . نفس تدرّعت رهبانية القلق ، ورعت الدجا إلى واضح الفلق ، فما ظنك بنفس فى وادى الحنادس سلكت ، وهجرت اللذات فملكت ، وإلى الآخرة نظرت ، وإلى العيناء أبصرت وعن الذنوب أقصرت ، وعلى الذر من القوت اقتصرت ، ولجيوش الهوى قهرت ، وفى ظلم الدياجى سهرت ، فهى بقناع الشوق مختمرة ، وإلى عزيزها فى ظلم الدجا مشتمرة ، قد نبذت المعايش . هذه نفس خدوم ، عملت ليوم القدوم ، وكل ذلك بتوفيق الحى القيوم »(١) .

● – ويقول رحمه الله :

« إن لله عبادًا أسكنهم دار السلام ، فأخمصوا البطون عن مطاعم الحرام وأغمضوا الجفون عن مناظر الآثام ، وقيدوا الجوارح عن فضول الكلام ، وطووا الفرش وقاموا فى جوف الظلام ، وطلبوا الحور الحسان من الحى الذى لا ينام ، فلم يزالوا فى نهارهم صيامًا ، وفى ليلهم قيامًا حتى أتاهم ملك الموت عليه السلام »(٢) .

« إن لله عبادًا علموا الطريق إليه ، والوقوف غدًا بين يديه ، فثارت القلوب إلى محجوب الغيوب ، فجرعوا مرارة مذاق خوف ، واستعملوا الظلام فى رضى

---

(١) الحلية جـ ٩ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
(٢) الحلية جـ ٩ ص ٣٦٠ .

صاحب السموات ، فسقاهم من أعين العلم والزيادات . وغوّصهم فى بحار السلامات ، فهم غدًا يسلمون من هؤلاء الزلازل والسطوات ويسكنون الغرفات[1].

● أخى :

كن كالطير الوحدانى يأكل من رؤوس الأشجار ويشرب من ماء القراح . إذا جنّه الليل أوى إلى كهف من الكهوف استئناسًا بمولاه . واستيحاشًا ممّن عصاه وكن مع قوم ـ إن عجزت أن تكون منهم ـ وصفهم أبو الفيض ذو النون فقال : « هم يا أخى قوم قد ذوّب الحزن أكبادهم ، وأنحل الخوف أجسامهم ، وغيّر السهر ألوانهم ، وأقلق خوف البعث قلوبهم ، قد سكنت أسرارهم إليه ، وتذللت قلوبهم عليه ، فنفوسهم عن الطاعات لا تسلو . وقلوبهم عن ذكره لا تخلو ، وأسرارهم فى الملكوت تعلو ، الخشوع يخشع لهم إذا سكنوا . والدموع تخبر عن خفى حرقتهم إذا كمدوا ، قد نَسَوْا فرج الشهوات بحلاوة المناجاة ، فليس للغفلة عليهم مدخل ، ولا للهوّ فيهم مطمع ، قد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات ، وحالت العصمة بينهم وبين اللذات ، فهم على بابه يبكون وإليه يبكون ومنه يبكون فطوبى للعارفين ما أغنى عيشهم وما ألذ شربهم وما أجلّ حبيبهم »[2] .

رحمك الله أبا الفيض صاحب العبارات الوثيقة ، والإشارات الدقيقة فهذا الكلام لا يصدر إلا عن سيد حطّت همة قلبه فى عاريات التقى حتى أناخت فى رياض النعيم ، وسرحت روحه فى العلا ، وشرب من الحكمة وطارت همته فى ملكوت السموات فعادت بظرائف الفوائد ، ولكم عزفت على أوتار القلوب

---

(١) الحلية جـ ٩ ص ٣٧٠ .
(٢) الحلية جـ ٩ ص ٣٨٠ .

وجعلت القلوب تحن إلى مولاها وتشتاق للسهر ، فطيّب الله قبرك وسقاك من أنهار الجنة .

● قال الأوزاعى رحمه الله : «كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله بشىء كأنما على رؤوسهم الطير مقبلين على أنفسهم حتى لو أنّ حميمًا لأحدهم قد غاب عنه حينًا ثم قدم ما التفت إليه » .

● وكان أحد الصالحين فى بعض المغازى يحيى الليل حيث كان على ظهر دابته ، أو على الأرض وكان إذا نظر إلى الفجر يلمع ضوءه قال : « يا إخوتاه عند بلوغ الماء يفرح الواردون بتعجيل الرواح » .

● وقال شيخ من بنى تيم الله لفتيان الحى ونسّاكه : « يا إخوتاه قوموا قيام قوم قد يئسوا من المعاودة لمجلسهم خوفاً من خطفات الموكّل بالنفوس فيبكى ويُبَكّى ».

● وعن عاصم بن أبى النجود قال : أدركت أقوامًا كانوا يتخذون هذا الليل جملاً .

● أما علىّ بن بكار فيقول : منذ أربعين سنة ما أحزننى إلا طلوع الفجر .

● وقال السرى : رأيت الفوائد تَرِدُ فى ظلم الليل .

● عن طلحة بن مصرف قال : بلغنى أن العبد إذا قام من الليل للتهجد ناداه ملكان : طُوباك سلكت منهاج العابدين قبلك » .

● وقال محمد بن قيس : « بلغنى أن العبد إذا قام من الليل للصلاة تناثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه ، وهبطت عليه الملائكة لتستمع إلى قراءته ، واستمع له عمّار داره ، وسكان الهواء ، فإذا فرغ من صلاته ، وجلس للدعاء أحاطت به الملائكة تؤمن على دعائه فإن هو اضطجع بعد ذلك نودى : نم قرير العين مسروراً .. نم خير نائم على خير عمل .

● وقال وهب بن منبه : « لن يبرح المتهجدون من عرصة القيامة حتى يُؤْتَى بنجائب من اللؤلؤ قد نفخ فيها الروح ، فيقال لهم : انطلقوا إلى منازلكم من الجنة ركباناً ، فيركبونها فتطير بهم متعالية ، والناس ينظرون إليهم . يقول بعضهم لبعض : من هؤلاء الذين قد منّ الله عليهم مِنْ بيننا ، فلا يزالون كذلك حتى ينتهى بهم إلى مساكنهم من الجنة .

● وعن إسحاق بن سويد : «كانوا يَرَوْن السياحة : صيام النهار وقيام الليل .

● وقال يزيد الرقاشى لحبيب العجمى : ما أعلم شيئاً أقرّ لعيون العابدين فى الدنيا من التهجد فى ظلمة الليل ، وما أعلم شيئاً من نعيم الجنة وسرورها ألذّ عند العابدين ولا أقرّ لعيونهم من النظر إلى ذى الكبرياء العظيم إذا رُفعت تلك الحجب وتجلّى لهم الكريم . فصاح حبيب عند ذلك ، وخرّ مغشياً عليه .

بكى الباكون للرحمن ليلاً وباتوا دمعهم لا يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم تحن متى عليها يسجدونا

● قال كرز بن وبرة : بلغنى أن كعبًا قال : إن الملائكة ينظرون من السماء إلى الذين يتهجدون بالليل كما تنظرون أنتم إلى نجوم السماء[1] .

● وفى بعض الآثار يقول الله عز وجل فى كل ليلة : يا جبريل أقم فلاناً ، وأنم فلاناً .

● قيل لبعضهم كيف الليل عليك ؟ قال : هو ساعة أنا فيها بين حالين ، أفرح بظلمته إذا جاء ، وأُغْتَمُّ بفجره إذا طلع ، ما تَمّ فرحى به قط ولا اشتفيت منه قط .

● قال بعض الصالحين : ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة إلاّ ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة .

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٠٥ .

• وقال بعضهم : قيام الليل والتملق للحبيب والمناجاة للقريب فى الدنيا ، ليس من الدنيا ، هو من الجنة ، أُظْهِر لأهل الله تعالى فى الدنيا لا يعرفه إلا هم ، ولا يجده سواهم رَوْحًا لقلوبهم .

• « بأبى وأمى قوم يراعون الظلام بالنهار ، كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحنّ الطير إلى أوكارها بعد الغروب ، فإذا جنّهم الليل ، واختلط الظلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الأسِرّة ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، نصبوا لله أقدامهم ، وافترشوا له وجوههم ، وناجوْه بكلامه ، وتملقوا له بإنعامه ، فَبَيْن صارخ وباك ، ومتأوه وشاكى ، وبين قائم وقاعد ، وبين راكع وساجد ، بعينى مولاهم ما يتحملون لأجله ، وبسمعه ما يشتكون من حبه » .

• نعم يا أخى هم قوم أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى .

• كان عمير بن حبيب يقول لأهله : « يا أهلاه الدُّلجة الدُّلْجة .. إنه مَنْ يُسبَق إلى الماء يظمأ .. يا أهلاه الدلجة الدلجة .. إنه مَنْ يُسبَق إلى الظلّ يضحى ..

لله درك ما أجمل هذا الكلام يا عمير .

• قال المسيح عليه السلام للحواريين وقد رأى النور على وجوههم : يا أبناء الآخرة ما تنعم المتنعمون إلا بفضل نعيمكم .

• وكان الفضيل رحمه الله يقول : « أفرح بالليل لمناجاة ربى وأكره النهار للقاء الخلق ..

• قالت أم غزوان له : أَمَا لفراشك عليك حق .. أما لنفسك عليك حق ؟ قال : يا أماه إنما أطلب راحتها .. أبادر طى صحيفتى (١) .

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٧ .

● يا أخي : اصرف أربعة أشياء إلى أربعة مواضع وخذ الجنة : النوم إلى القبر ، والراحة إلى الصراط ، والفخر إلى الميزان ، والشهوات إلى الجنة[1] .

● قال إبراهيم الهروى :

« من أراد أن لا يُحجب دعاؤه من السماء فليتعاهد من نفسه خمسة أشياء :

أولا : أن يكون أكلة غُلبة ، لا يأكل إلاّ مالا بُدّ منه . ولباسه غلبة ، لا يلبس إلا مالابد منه ، ونومه غلبة لا ينام إلا مالا بدّ منه ، وكلامه غلبة لا يتكلم إلاّ مالا بد منه ، والخامس : أن يكون متضرعًا حافظاً لإرادته دائماً حافظاً لأعضائه كلها »[2] .

● ووصف عابد جماعة من المتهجدين فقال :

« قد يئسوا من الدنيا ويئست الدنيا منهم ، قد لصقوا بمقام الأرض ، وتلفّقوا بالخرق ، فلو رأيتهم لرأيت رجالاً إذا جنّهم الليل بسكاكين السهر إنّ القوم أعطوا المجهود من أنفسهم ، فلما دبرت المفاصل من الركوع ، وقرحت الجباه من السجود ، وتغيرت الألوان من السهر ، ضجّوا إلى الله بالإستغاثة ، فهم أحلاف اجتهاد ، لا يسكنون إلى غير الرحمن ، فعليك بمنابذة نفسك إذا دعتك إلى الفترة فإن لها مكراً وخداعاً »[3] .

● نعم يا أخي .. لو رأيت المتهجدين لرأيت قوماً ذبلاً شفاههم ، خمصًا بطونهم ، حزينة قلوبهم ، ناحلة أجسامهم ، باكية أعينهم ، ذبحهم الليل

(١) الحلية جـ ١٠ ص ٥٠ .
(٢) الحلية جـ ١٠ ص ٤٣ .
(٣) الحلية جـ ٩ ص ٣٨١ .

بسكاكين السهر ، وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب ، خمص لطول السرى ، شعث لفقد الكرى ، قد وصلوا الكلال بالكلال للنقلة والارتحال[1] .

● ومما جاء فى وصف المتهجد

توجع بأمراض وخوف مطالب ... وإشفاق محزون وحزن كئيب
ولوعة مشتاق وزفرة واله ... وسقطة مسقام بغير طبيب
وفطنة جوّال ، وبطأة غائص ... ليأخذ من طيب الصفا بنصيب
ألمّ بقلب حيّرته طوارق ... من الشوق حتى ذلّ ذل غريب
يكاتم لى وجدًا ، ويخفى حمية ... شوق فاستكنت فى قرار لبيب
يقول إذا ما شفّه الشوق وآجدى ... بك العيش يا أنس المحب يطيب
فهذا لعمرى عبد صدق مهذب ... صفى فاصطفى فالرب منه قريب

● ويقول آخر عن حاله وتهجده

أراعى النجوم ولا علم لى ... بعدّ النجوم بحيث الظلامْ
وكيف ينام فتىً لا ينام ... إذا نام عنه عيون الحمامْ
أسير يسير إليه هواه ... فيضحى الأسير قتيل الغرامْ
فلم يبق منه سوى اسمه ... يقال له « عابد » والسلامْ
بفرط النحول وحب القليل ... وحزن مذيب بطول السّقامْ[2]

(١) الحلية جـ ٩ ص ٣٤٦ .
(٢) الحلية جـ ١٠ ص ٣١٨ .

وأنشد سمنون البصري :

أحنّ بأطراف النهار صبابة وبالليل يدعوني الهوى فأجيبُ
وأيامنا تفنى وشوق زائد كأنّ زمان الشوق ليس يغيب[1]

• قال يحيى بن معاذ : « دواء القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتفكر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين[2] .

وسئل رحمه الله : ما العبادة ؟ قال : حرفة حانوتها الخلوة وربحها الجنة[3] .

• قال أحمد الموصلي لأحمد الميموني ـ من ولد ميمون بن مهران ـ :

«يا أحمد إن تعملْ فقد عمل العاملون قبلك ، وإن تعبد فقد تعبّد المتعبدون قبلك ، أولئك الذين قرّبوا الآخرة ، وباعدوا الدنيا ، أولئك الذين وَلِيَ الله إقامتهم على الطريق ، فلم يأخذوا يميناً ولا شمالاً ، فلو سمعت نغمة من نغماتهم المختمرة في صدورهم ، المتغرغرة في حلوقهم لغُيّبت عليك عيشك ، ولطردت عنك البطالة أيام حياتك »[4] .

• والمتهجدون يا أخي كما قال عبد العزيز بن عمير : « ترى نور الجلال عليهم ، وأثر الخدمة بين أعينهم . إن الرجل لينقطع إلى بعض ملوك أهل الدنيا فيُرَى أثره عليه ، فكيف بمنْ ينقطع إلى الله عز وجل كيف لا يرى أثره عليه ! ! »[5] .

---

(١) الحلية جـ ١٠ ص ٣١١ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٩٢ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٩٧ .
(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ١٨٩ .
(٥) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٣٤ .

● قال بشر بن الحارث : يا أخي بادر بادر ، فإن ساعات الليل والنهار تذهب بالأعمار[1] .

● وقال القاسم بن عثمان الجوعي : « أصل الدين الورع ، وأفضل العبادة مكابدة الليل ، وأفضل طرق الجنة سلامة الصدر »[2]

● قيل لرجل من عباد بيت المقدس وكان يبيت ليله يصلي فإذا طلع الفجر مدّ بصوت له : « عند الصباح يغبط القوم السرى ـ : « ألا ترفق بنفسك » ؟

فقال : « إنما هي نفسي أبادرها أن تخرج .

هجرت الورى في حُبّ من جاد بالنعم | وعِفْت الكَرَى شوقاً إليه فلم أَنَمْ
فلما رأيت الشوق والحب بائحاً | كشفت قناعي ثم قلت : نعمْ نعمْ
فإن قيل مجنون فقد جنّني الجوى | وإن قيل مِسقامٌ فما بي من سقمْ
فقد لامني الواشون فيك جهالة | فقلت لطرفي : أفصِح العُذْر فاحتشم
فعاتبهم طرفي بغير تكلم | وأخبرهم أن الجوى يورث السقم[3]

فاركض يا أخي في ميدان السباق ، وشمّرْ تشمير الحذّاق .

● قال يوسف بن أسباط : « عجبت كيف تنام عين مع المخافة ! ! أو يغفل قلب مع اليقين بالمحاسبة ! ! . مَنْ عرف وجوب حق الله عز وجل على عباده لم تستحل عيناه أبداً إلا بإعطاء المجهود من نفسه ، خلق الله تعالى القلوب مساكن الذكر فصارت مساكن للشهوات . والشهوات مفسدة للقلوب وتلف للأموال ،

---

(١) صفة الصفوة جـ٢ ص٣٢٦.
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٣٦ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٤٩ .

وإخلاق للوجوه ، ولا يمحو الشهوات من القلوب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق »[١] .

وكتب إلى حذيفة المرعشي : « احسر عن رأسك قناع الغافلين ، وانتبه من رقدة الموتى ، وشمر للسباق غداً فإن الدنيا ميدان المتسابقين » .

● وقال عابد بجبال بيت المقدس : « ذهبت الآلام عن أبدان الخُدّامْ ، وولهت بالطاعة عن الشراب والطعام ، وألفت أبدانهم طول القيام بين يدى الملك العلاّم[٢] .

● أسلم رجل كان عابداً للصنم ، فقال لمن أسلم على أيديهم حين رآهم بعد أن جنّ عليهم الليل وصلوا العشاء أخذوا مضاجعهم ـ قال : هذا الإله الذى دللتمونى عليه إذا جنّ عليه الليل ينامْ ؟ فقالوا : هو عظيم قيوم لا ينام . قال : بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام[٣] .

ومشتاق وليس له قرار ... نفور ليس يملِكُه العِذارُ
ومؤنس قلبه ليل طويل ... يلذّ به ويوحشه النهار
قضى وطراً به فأفاد علماً ... فنهمته التعبد والفرار
ألا صبرًا على دنياك صبرًا ... فكل أمورها فيها اعتبار[٤]

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٦١ ـ ٣٦٣ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٥١ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٦١ .
(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٧٣ .

وصف المتهجدين وليلهم

بقلم ابن القيم

إذا أردت أن تعرف قدر سلفنا وقدر شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية فهذا كلامهم .. فمن نظر فيه وفى سيرهم عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال . كانوا والله كهيئة الروحانيين ، تجد الرجل منهم معلّق القلب بما هناك ، ليست له فى الدنيا راحة ، ولكلماتهم مذاق خاص لأنهم أرادوا بها عز الآخرة ورضا الرحمن .. فاسمع رحمك الله مواعظهم التى تدمى القلوب قبل الأجفان استمع إلى حالهم بقلم يشع منه النور ويفيض روحانية وهو يصف المتهجدين . يقول طبيب القلوب وحادى الأرواح إلى بلاد الأفراح :

« أمّا السابقون المقربون فنستغفر الله الذى لا إله إلا هو ، أوّلاً من وصف حالهم وعدم الاتصاف به ، بل ما شممنا له رائحة ، ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها ، وإن كانت النفوس متخلفة منقطعة عن اللحاق بهم . فاسمع الآن وصف القوم واحضر ذهنك لشأنهم العجيب وخطرهم الجليل فإن وجدت من نفسك حركة وهمّة إلى التشبه بهم فاحمد الله وادخل فالطريق واضح والباب مفتوح :

إذا أعجبتك خصال امرىء فكُنْهُ تكنْ مثل ما يعجبكْ
فليس على الجود والمكرما ت إذا جئتها حاجب يحجبكْ

فنبأ القوم عجيب ، وأمرهم خفى إلا على من له مشاركة مع القوم ، فإنه يطلع على ما يريه إياه القدر المشترك . وجملة أمرهم أنهم قوم قد امتلأت قلوبهم من معرفة الله ، وغمرت بمحبته وخشيته وإجلاله ومراقبته ، فسرت المحبة فى أجزائهم فلم يبق فيها عرق ولا مفصل إلا وقد دخله الحب .

فإذا وضع أحدهم جنبه على مضجعه صعدت أنفاسه إلى إلهه ومولاه ،

واجتمع همه عليه ، متذكراً صفاته العلى وأسمائه الحسنى ، مشاهداً له فى أسمائه ، قد تجلت على قلبه أنوارها ، فانصبغ قلبه بمعرفته ومحبته ، فبات جسمه على فراشه يتجافى عن مضجعه ، وقلبه قد آوى إلى مولاه وحبيبه فآواه إليه . وأسجده بين يديه خاضعاً خاشعاً ذليلاً منكسراً من كل جهة من جهاته ، فيالها سجدة ما أشرفها من سجدة ، لا يرفع رأسه منها إلى يوم اللقاء . وقيل لبعض العارفين : أيسجد القلب بين يدى ربه ؟ قال : أى والله ، بسجدة لا يرفع رأسه منها إلى يوم القيامة ، فشتان بين قلب يبيت عند ربه قد قطع فى سفره إليه بيداء الأكوان ، وخرق حجب الطبيعة ، ولم يقف عند رسم ، ولا سكن إلى علم ، حتى دخل على ربه فى داره ، فشاهد عز سلطانه وعظمة جلاله وعلو شأنه وبهاء كماله . فإذا صارت صفات ربه وأسماؤه مشهداً لقلبه أَنْسَتْهُ ذكر غيره ، وشغلته عن حب من سواه ، وبالجملة فيبقى قلب العبد ـ الذى هذا شأنه ـ عرشاً للمثل الأعلى ـ أى عرشاً لمعرفة محبوبه ومحبته . وناهيك بقلب هذا شأنه فياله من قلب مِنْ ربه ما أدناه ! !

فهؤلاء قلوبهم قد قطعت الأكوان وسجدت تحت العرش وأبدانهم فى فرشهم كما قال أبو الدرداء : « إذا نام العبد المؤمن عرج بروحه حتى تسجد تحت العرش ، فإن كان طاهرا أذن لها فى السجود ، وإنْ كان جنبًا لم يؤذن لها بالسجود » وهذا ـ والله أعلم ـ هو السر الذى لأجله أمر النبى ﷺ الجنب إذا أراد النوم أنْ يتوضأ .

فإذا استيقظ هذا القلب من منامه ، صعد إلى الله بهمه وحبه وأشواقه ، مشتاقًا إليه ، طالبًا له محتاجًا إليه عاكفًا عليه ، فحاله كحال المحب الذى غاب عنه محبوبه الذى لا غنى له عنه ، ولا بد له منه ، وضرورته إليه أعظم من ضرورته إلى النّفس والطعام والشراب . فإذا نام غاب عنه ، فإذا استيقظ عاد إلى الحنين إليه وإلى الشوق الشديد والحب المقلق ، فحبيبه آخر خطراته عند منامه

وأولها عند استيقاظه كما قال بعض المحبين لمحبوبه

وآخر شيء أنت في كل هجعة وأول شيء أنت عند هبوبي

فأُفٍّ لقلب لا يصلح لهذا ولا يصدق به ، لقد صُرف عنه خير الدنيا والآخرة .

● فإذا استيقظ أحدهم ، وقد بدر إلى قلبه هذا الشأن ، فأول ما يجرى على لسانه ذكر محبوبه والتوجه إليه ، واستعطافه والتملق بين يديه ، والاستعانة به أن لا يخلى بينه وبين نفسه وألا يكله إليها فيكله إلى ضعة وعجز وذنب وخطيئة ، بل يكلأه كلاءة الوليد الذى لا يملك ضرًا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

فأول ما يبدأ به « الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » متدبراً لمعناها من ذكر نعمة الله عليه بأن أحياه بعد نومه الذى هو أخو الموت وأعاده إلى حاله سويًا سليماً محفوظاً مما لا يعلمه ولا يخطر بباله من المؤذيات والمهلكات التى هو عرض وهدف لسهامها كلها ، التى تقصده بالهلاك أو الأذى ، والتى من بعضها شياطين الإنس والجن . فمن الذى كلأه وحرسه وقد غاب عنه حسه وعلمه وسمعه وبصره ، فإذا تصور العبد ذلك فقال « الحمد لله » كان حمده أبلغ وأكمل من حمد الغافل عن ذلك ، ثم تفكر فى أن الذى أعاده بعد هذه الإماتة قادرًا على أن يعيده بعد موتته الكبرى ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله » ثم يدعو ويتضرع ثم يقوم إلى الوضوء بقلب حاضر مستصحب لما فيه ، ثم يصلى ما كتب الله له صلاة محب ناصح لمحبوبه ، متذلل منكسر بين يديه ، لا صلاة مُدِلّ بها عليه ، يرى من أعظم نعم محبوبه عليه أن أقامه وأنام غيره ، واستزاره وطرد غيره ، وأهَّلَهُ وحرم غيره ، فهو يزداد بذلك محبة إلى محبته ، ويرى أن قرة عينه وحياة قلبه وجنة روحه ونعيمه ولذته وسروره فى تلك الصلاة فهو يتمنى طول ليله ، ويهتم بطلوع الفجر كما يتمنى

المحب الفائز بوصل محبوبه ذلك فهو كما قيل :

يود أنّ ظلام الليل دام له   وزيد فيه سواد القلب والبصر

فهو يتملق فيها مولاه تملق المحب محبوبه العزيز الرحيم ، ويناجيه بكلامه معطياً لكل آية حظها من العبودية، فتجذب قلبه وروحه إليه آيات المحبة والوداد ، والآيات التى فيها الأسماء والصفات ، والآيات التى تعرّف بها إلى عباده بآلائه وإنعامه عليهم ، وإحسانه إليهم ، وتطيب له السير آيات الرجاء والرحمة وسعة البر والمغفرة فتكون له بمنزلة الحادى الذى يطيب له السير ويهونه ، وتقلقه آيات الخوف والعدل والانتقام وإحلال غضبه بالمعرضين عنه العادلين به غيره ، المائلين إلى سواه ، فيجمعه عليه ويمنعه أن يشرد قلبه عنه ، فتأمل هذه الثلاثة وتفقه فيها ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وبالجملة فيشاهد المتكلم سبحانه وقد تجلّى فى كلامه ، ويعطى كل آية حظها من عبودية قلبه الخاصة الزائدة على مجرد تلاوتها والتصديق بأنها كلام الله ، بل الزائدة على نفس فهمها ومعرفة المراد منها . ثم شأن آخر لو فطن له العبد لعلم أنه كان قبل يلعب ، كما قيل:

وكنت أرى أن قد تناهى به الهوى   إلى غاية ما بعدها لى مذهب
فلما تلاقينا وعاينت حسنها   تيقنت أنى إنما كنت ألعب

فوآأسفاه وواحسرتاه كيف ينقضى الزمان وينفد العمر والقلب محجوب ما شم لهذا رائحة ، وخرج من الدنيا كما دخل إليها وما ذاق أطيب ما فيها ، بل عاش فيها عيش البهائم ، وانتقل منها انتقال المفاليس ، فكانت حياته عجزاً وموته كمداً ومعاده حسرة وأسفاً ، فإذا صلى ما كتب الله له جلس مطرقاً بين يدى ربه هيبة له وإجلالاً ، واستغفره استغفار من قد تيقن أنه هالك إن لم يغفر له ويرحمه ، فإذا قضى من الاستغفار وطراً وكان عليه بعد ليل اضطجع على شقه

الأيمن مجماً لنفسه مريحاً لها مقوياً لها على أداء وظيفة الفرض فيستقبله نشيطاً بجده وهمته كأنه لم يزل نائماً طول ليلته لم يعمل شيئاً »(١) أ . هـ . انتهى كلام طبيب القلوب وريحانة المتهجدين ابن القيم رحمه الله .

● روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : ـ

« وأيم الله ـ يميناً أستثنى فيها بمشيئة الله ـ لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القُرص(٢) إذا قدرت عليه مطعوماً ، وتقنع بالملح مأدوماً(٣) ، ولأدعنّ مُقْلتي كعين ماء نضب معينها ، مستفرَغة دموعُها . أتمتلى السائمة من رعيها(٤) فتبرك ، وتشبع الربيضة(٥) من عشبها فتربض ؟ ويأكل عليٌّ من زاده فيهجع ؟ ! قرت إذاً عينه(٦) إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة(٧) والسائمة المرعية ! ! »

طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها ، وعركت بجنبها بؤسها(٨) ، وهجرت في الليل غمضها ، حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها ، وتوسدت كفها ، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم ، وتجافت عن مضاجعها جنوبهم ، وهمهمت(٩) بذكر ربهم شفاههم ، وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم

---

(١) طريق الهجرتين من ص ٢٠٥ ـ ٢١١ طبعة السلفية .

(٢) أى تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدة ما حرمها .

(٣) أى مأدوماً به الطعام .

(٤) الرعى : ما ترعاه الماشية .

(٥) الربيضة : الغنم مع رعاتها إذا كانت فى مرابضها ، والربوض للغنم كالبروك للإبل ، يقال ربضت الغنم : طوت قوائمها ولصقت بالأرض .

(٦) دعاء على نفسه ببرود العين أى جمودها من فقد الحياة .

(٧) الهاملة : المرسلة ، والهمل من الغنم ترعى نهاراً بلا راع .

(٨) البؤس : الضر ، وعركه بالجنب : الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه ، ويقال : فلان يعرك الأذى إذا كان صباراً .

(٩) الهمهمة : الصوت يردد فى الصدر ، وأراد منه الأعم ، انقشع الغمام : انجلى .

﴿**أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾[(1)] أ . هـ .

● وروى عنه أنه كتب إلى الأشتر النخعى فقال له :

« اعط لله من بدنك فى ليلك ونهارك . ووفّ ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص بالغاً من بدنك ما بلغ »[(2)] .

قال يحيى بن معاذ :

كــل محبوب سوى الله سرف	وهموم وغــــموم وأسف
كــل محبوب فمنه لى خــلف	ما خلا الرحمن ما منه خلف
إن لـــلـــحب دلالات إذا	ظهرت من صاحب الحب عُرِف
صاحب الحب حزين قلبه	دائم الغصة مغموم دنف
همه فى الله لا فى غيره	ذاهب العقل وبالله كلف
أشعث الرأس خميص بطنه	أصفر الوجه وفى الطرف ذرف
دائم التذكار من حُب الذى	حبه غاية غايات الشرف
فـإذا أمـعن فى الحب لـه	وعلاه الشوق مما قد كشف
بـاشر المحراب يشكو بثه	وأمـــام الله مولاه وقف
قـائم قـدامه منتصبـًا	لهجًا يتلو بآيات الصحف
راكعًا طورًا وطورًا ساجدًا	باكيًا والدمع فى الأرض يكف
أورد القلب على حب الذى	فيه حب الله حقـًا فعرف
ثم جالت كفه فى شجر	ينبت الحب فسمى واقتطف
إن ذا الحب لمن يعنى به	لا بـــدار ذات لهو وطـــرف

---

(1) نهج البلاغة ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ .

(2) نهج البلاغة ص ٣٤٤ .

وقال آخر :

تشاغل قوم بدنياهم ... وقوم تخلوا لمولاهم
فألزمهم باب مرضاته ... وعن سائر الخلق أغناهم
فما يعرفون سوى حبه ... وطاعته طول محياهم
يصفون بالليل أقدامهم ... وعين المهيمن ترعاهم
فطوراً يناجونه سجداً ... ويبكون طوراً خطاياهم
إذا فكروا فى الذى أسلفوا ... أذاب القلوب وأبكاهم
وإن يسكن الخوف لاذوا به ... وباحوا إليه بشكواهم
وأصبحوا صياماً على جهدهم ... تبارك مَنْ هو قوّاهم
هم القوم أعطوا مليك الملو ... ك صدق القلوب فوالاهم
هم المجتبون بنسياتهم ... أرادوا رضاه فأعطاهم
وأسكنهم فى فراديسه ... وأعلا المنازل بوّاهم
فنالوا المراد وفازوا به ... فطوبى لهم ثم طوباهم

وقال آخر :

قليل العزاء كثير الندم ... طويل النحيب على ما اجترم
جرى دمعه فبكى جفنه ... فصار البكاء بدمع ودم
يخاف البيات بهجم المات ... وفقد الحياة بضر السقم
ويخفى محبة رب العلى ... فتظهر أنفاسه ما اكتتم
وأسبل من طرفه عبرة ... على الصحن من خده فانسجم
وبات محارب محرابه ... ولما تزل قدم عن قدم
فلما تفتتت أحشاؤه ... من الشوق رقا عليه الألم
وكم ليلة رام فيها المنام ... فصاح به حبه لا تنم
وناح على جسد ناحل ... أطال النحول به فانهدم
أناب إلى الله مستغفرًا ... فصار له من أعز الخدم(١)

---

(١) « استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس » للحافظ ابن رجب ص ٨ طبع دار الفتح .

دُمُـــوع المُتَهَجِّدِينَ
وَمُنَـــاجَاتِهِم

سبحانك سبحانك .. لك الجلال والجمال ولك الكمال ... أنت أنت ..
سبحانك قدستك ألسن التماديح وأفواه التسابيح

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا
وتذبل حتى ما تجيب المناديا
وتنحل حتى ما يُبَقى لك الهوى
سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

* * *

نزف البكاء دموع عينك فاستعر
عينًا لغيرك دمعها مدرار
من ذا يُعيرك عينه تبكى بها
أرأيت عينًا للدموع تعار !!

اعلم رحمك الله أن البكاء هو من أعظم ما تقرب به العابدون ، واسترحم به الخائفون ، ولا يذكر التهجد إلاّ ويذكر البكاء ، ولا يذكر الليل إلا وقارنه ذكر الدموع . وَمَنْ أرقّ من المتهجدين أفئدة حين اتخذوا من الدمع رسولهم لربهم . فالدمع ألح شفعائهم ، وهم كاتبوا الله بدموعهم وهم ينتظرون الجواب

صحائفنا إشارتنا وأكثر رسلنا الحرق
لأن الكتب قد تُقْرَا بغير الدمع لا نشق

قال ﷺ :

« عينان لا تمسها النار أبدا : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله » [1] .

● ضرب عامر بن عبد قيس بيده على عينه فقال : جامدة شاخصة لاتندى [2] .

● وقيل لصفوان بن محرز عند طول بكائه وتذكر أحزانه : إن ذلك يورث العمى ، فقال : ذلك لها شهادة فبكى حتى عمى [3] .

ولكم تحلو مناجاة المتهجدين لمولاهم وقد خالطها الدموع .. لكم يحلو البكاء وتحلو المناجاة وقد أرخى الليل سدوله ، وكأنّ القوم جعلوا شعارهم قول يحيى بنُ معاذ :

« ليكنْ بيتك الخلوة ، وطعامك الجوع ، وحديثك المناجاة ، فإمّا أن تموت بدائك ، وإما أن تصل إلى دوائك » [3] .

● عن ثور بن زيد قال : قرأت فى التوراة أن عيسى عليه السلام قال :

---

(١) صحيح : رواه الضياء عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم ٣٩٩٢ .
(٢) البخلاء للجاحظ ص ٦ طبع دار المعارف تحقيق طه الحاجرى الطبعة السادسة .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٩١ .

« يا معشر الحواريين كلّموا الله كثيرًا ، وكلّموا الناس قليلاً . قالوا : كيف نكلم الله كثيرًا ؟ قال : « اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه »[1] .

● وقال أحد الصالحين فى مناجاته لربه :

« إذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسأم محبوك من مناجاتك وذكرك »[2] .

● قال عابد باليمن : « سرور المؤمن ولذته فى الخلوة بمناجاة سيده »[3] .

● وعن عبد العزيز بن سليمان الراسبى ـ وكانت رابعة تسميه سيد العابدين ـ أنه قيل له : « ما بقى مما يتلذذ به ؟ قال : سرداب أخلو بربى فيه »[4] .

● وعن مسلم العابد قال : ما يجد المطيعون لله لذة فى الدنيا أحلى من الخلوة بمناجاة سيدهم ، ولا أحب لهم فى الآخرة من عظيم الثواب أكبر فى صدورهم وألذ فى قلوبهم من النظر إلى الله عز وجل ثم غشى عليه »[5] .

● وقال بكر المزنى : « مَنْ مثلك يا ابن آدم ، خُلِّىَ بينكَ وبين المحراب والماء ؛ كلما شئت دخلت على الله عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان »[8] .

● قال نصر : اجتمعنا ليلة على الساحل ومعنا مسلم أبو عبد الله فقال رجل من الأزد :

ما للمحب سوى إرادة حبه ... إن المحب بكل بر يضرع

قال : فبكى مسلم حتى خشيت والله أن يموت[6] .

---

(١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس لابن رجب ص ٤٥ .
(٢) استنشاق نسيم الأنس ص ٣٧ .
(٣) استنشاق نسيم الأنس ص ٤٦ .
(٤) استنشاق نسيم الأنس ص ٤٧ .
(٥) استنشاق نسيم الأنس ص ٤٦ .
(٦) استنشاق نسيم الأنس ص ٣٩ .

وعن حبيب أبي محمد أنه كان يخلو فى بيته ثم يقول :

« من لم تقر عينه بك فلا قرت ، ومن لم يأنس بك فلا أنس »[1] .

انظر أخى إلى دموع البكائين ومناجاة قلوبهم تجد لسان حالهم يقول :

نزف البكاء دموع عينك فاستعر
عيناً لغيرك دمعها مدرار
من ذا يعيرك عينه تبكى بها
أرأيت عيناً للدموع تعار

حتى نصيح بأعيننا الجامدة ... « لماذا الجفاف يا عين » .

● كان داود الطائى يقول فى جوف الليل : « اللهم همك عطّل علىّ الهموم ، وحالف بينى وبين السهاد ، وشوقى إلى النظر إليك أوثق منى ، وحال بينى وبين اللذات ، فأنا فى سجنك أيها الكريم مطلوب » .

قالوا تشاغل عنا واصطفى بدلاً
مِنّا وذلك فِعْلُ الخائن السالى
وكيف أشغل قلبى عن محبتكم
بغير ذكركمُ ياكلّ أشغالى

● قال عبد الرحمن بن مهدى : « ما عاشرت فى الناس رجلاً أرق من سفيان الثورى ، وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة ، فما كان ينام إلا أول الليل ثم ينتفض فزعاً مرعوباً ينادى : النار النار شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات ، ثم يتوضأ ويقول على أثر وضوئه : « اللهم إنك عالمٌ بحاجتى غير معلم ، وما أطلب إلا فكاك رقبتى من النار ، إلهى إن الجزع قد أرّقنى ، وذلك من نعمك

---

(١) استنشاق نسيم الأنس ص ٤٦ .

السابغة علىّ . إلهى لو كان لى عذر فى التخلى ما أقمت مع الناس طرفة عين » ثم يقبل على صلاته وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إن كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه »[1] .

● – وكانت خنساء بنت خدّام : إذا جنّ عليها الليل وهدأت العيون وسكنت الحركات تقول : « يا حبيبَ المطيعين ، إلى كم تحبس خدود المطيعين فى التراب ؟ ابعثهم حتى ينجزوا موعدك الصادق الذى أتعبوا له أنفسهم ثم نصبوا » فتبكى الدور التى حولها .

● قال الحسن البصرى : يا حُسنَ عين بكت فى جوف الليل من خشية الله عز وجل[2] .

● كانت مع هشام بن عطية جارية فى الدار فكانت تقول : أى ذنب عمل هذا ؟ مَنْ قتلَ هذا ؟ فتراه الليل كله يبكى .

وكيف تنام العين وهى قريرة
ولم تدر فى أىّ المحلين تنزل

● قال الحسن بن عرفة ليزيد بن هارون : يا أبا خالد : ما فعلت العينان الجميلتان ؟ قال : « ذهب بهما بكاء الأسحار » وحين سئل عن حزبه قال : وأنام من الليل شيئًا ! ! إذاً لا أنام الله عينى .

● وكان حبيب العجمى أبو محمد رقيقًا ، من أكثر الناس بكاءً ، فبكى ذات ليلة بكاءً كثيراً ، فقالت عمرة – زوجته – لم تبكى يا أبا محمد ؟ فقال لها : دعينى فإنى أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه من قبل[3] .

(١) الحلية جـ٧ ص ٦٠ .
(٢) الزهد لابن حنبل ص ٢٨٢ .
(٣) الحلية جـ٦ ص ١٥٤ .

وكان عمر بن المنكدر لا ينام الليل يكثر البكاء على نفسه ، فشقّ ذلك على أمه فقالت لأخيه محمد بن المنكدر : إن الذى يصنع عمر يشقّ عليّ فَلَوْ كلّمته فى ذلك ، فاستعان عليه بأبى حازم ، فقالا له : إن الذى تصنع يشق على أمك . فقال : فكيف أصنع ؟ إن الليل إذا دخل عليّ هالنى فأستفتح بالقرآن ، وما تنقضى نهمتى فيه . قالا : فالبكاء ؟ قال : آية من كتاب الله أبكتنى . قالا : وما هى ؟ قال : قوله عز وجل ﴿ **وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون** ﴾ .

● — وكان عتبة الغلام يقول فى ليله على ساحل البحر : « إن تعذبنى فإنى لك محب ، وإن ترحمنى فإنى لك محب » فلم يزل يرددها ويبكى حتى مطلع الفجر . وكان رحمه الله يبكى من السّحر بكاءً شديدًا ويقول لمّا يُسأل فى ذلك : « إنى والله ذكرت يوم العرض على الله ، ثم يقول وقد غشى عليه : « قطّع ذكر يوم العرض على الله أوصال المحبين » ، ويقول تراك مولاى تعذب محبيك وأنت الحى الكريم .

ويقول عنه عبد الواحد بن زيد : ربما سهرت مفكرًا فى طول حزن عتبة ، وقد كلّمته ليرفق بنفسه فقال : « إنما أبكى على تقصيرى » ، وكان لا ينقطع بكاؤه فى مجلس عبد الواحد فكلموا عبد الواحد وقالوا : إنا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة . فقال : فأصنع ماذا ؟ يبكى عتبة على نفسه وأنهاه أنا لبئس واعظ قوم أنا ! ![1] .

● لما رأت أم الربيع بن خيثم ما يلقى الربيع من البكاء والسهر نادته فقالت :

« يا بنى لعلك قتلت قتيلاً ؟ فقال : نعم يا والدة ، قتلت قتيلاً . فقالت : ومن هذا القتيل يا بنى نتحمل على أهله فيعفوك ، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك ، فيقول : يا والدتى هى نفسى » .

---

(١) صفة الصفوة جـ١ ص٣٧٠ ، ٣٧١ .

• أما منصور بن المعتمر فقد قسّم الليل ثلاثاً : فكان ثلث الليل يقرأ ، وثلثه يبكي ، وثلثه يدعو .

• بكى مسعر بن كدام فبكت أمه فقال لها مسعر : ما أبكاك يا أماه ؟ فقالت : يا بني رأيتك تبكي فبكيت . فقال : يا أماه لمثل ما نهجمُ عليه غداً فلنطل البكاء ، قالت : وما ذاك فانتحب فقال : القيامة وما فيها . قال ثم غلبه البكاء فبكى(١) .

رحمك الله يا مسعر ، ولله در سفيان بن عيينة حين يفتخر بك وبالصالحين من أحبابه فيقول :

أجاعتهم الدنيا فخافوا ولم يزل ... كذلك ذو التقوى عن العيش ملجما
أخوطيء داود منهم ومسعر ... ومنهم وهيب والعريب ابن أدهما
وحسبك منهم بالفضيل مع ابنه ... ويوسف إن لم يأل أن يتسلما
وفي ابن سعيد قدوة البر والنهى ... وفي الوارث الفاروق صدقاً مقدما
أولئك أصحابي وأهل مودتي ... فصلى عليهم ذو الجلال وسلّما
فما ضرّ ذو التقوى نصال أسنّةٍ ... ومازال ذو التقوى أعز وأكرما(٢)

• كان أنس بن مالك يقول لثابت البناني : ما أشبه عينك بعيني رسول الله ﷺ ، ولما كان كثير البكاء اشتكى عينه فقال له الطبيب : اضمن لي خصلة تبرأ عينك . قال : وما هي ؟ قال : لا تبك . قال : وما خير عين لا تبكي(٣) .

---

(١) صفة الصفوة جـ ٣ ص ١٣٠ .

(٢) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول ص ٤٩٨ للدكتور مجاهد مصطفى ـ منشورات وزارة الأوقاف بالعراق .

(٣) صفة الصفوة جـ ٣ ص ٢٦٢ .

ولقد بكى وَرّاد العجلى فى مجلس وعظ ابن ذر فقال ابن ذر : ما الذى قصر بنا وكلم قلبه حتى أبكاه ؟ والله إنْ هذا يا أخا بنى عجل إلا من صفاء قلبك وتراكم الذنوب على قلوبنا .

ولما سُئِلت أخته وكانت أصغر منه عن ليله قالت : كان يبكى عامة الليل ؛ فقالوا لها : فتحفظين من دعائه شيئاً . قالت : نعم . كان إذا كان السحر أو قريب من طلوع الفجر سجد ثم بكى ثم قال : « مولاى . عبدك يحب اجتناب سخطك فأعنه على ذلك بمنّك أيها المنان . مولاى . عبدك يحب الإتصال بطاعتك ، فأعنه عليها بتوفيقك يا أيها المنان ، مولاى ، عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح الفائزون ، فلا يزال كذلك حتى يصبح »[1] .

● وبكى أسيد الضبى حتى عمى ، وكان إذا عوتب على البكاء قال : الآن حين لا أهدأ ، وأنا أموت غداً ، والله لأبكين ثم لأبكيَنّ ، فإن أدركت بالبكاء خيرًا فمن الله وفضله علىّ ، وإن تكن الأخرى فما بكائى فى جنب ما ألقى غداً[2] .

● ولقد بكى بديل بن ميسرة العقيلى حتى قرحت مآقيه ولمّا عوتب قال : إنما أبكى خوفاً من طول العطش يوم القيامة[3] .

● وقالت جارية محمد بن واسع فى بكائه : هذا رجل إذا جاء الليل لو كان قتل أهل الدنيا مازاد[4] .

● ولما عوتب عطاء السليمى فى كثرة البكاء قال :

إنى إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه تمثلت لى نفسى بهم ، فكيف لنفس تُغَلّ يدها إلى عنقها وتُسحب فى النار ؟ ألا تصيح فتبكى ؟

---

(١) صفة الصفوة جـ٣ ص ١٦٢ .
(٢) صفة الصفوة جـ٣ ص ١٦٣ .
(٣) صفة الصفوة جـ٣ ص ٢٦٥ .
(٤) صفة الصفوة جـ٣ ص ٢٦٧ .

وكيف لنفس تعذب ؟ ألا تبكى ؟ ويحك وما أقل غناء البكاء عن أهله إن لم يرحمهم الله .

وكان رحمه الله يقول : الموت فى عنقى ، والقبر بيتى ، وفى القيامة موقفى ، وعلى جسر جهنم طريقى ، وربى لا أدرى ما يصنع بى .

وكان يقول أشتهى أن أبكى حتى لا أقدر أن أبكى(١) .

● أخى حتى متى نسهو ونلعب وليلنا ليل البطّالين وملك الموت فى طلبنا لا يكفّ .

● وبكى يزيد بن مرثد .. يسأله عبد الرحمن بن يزيد بن جابر : مالى أرى عينك لا تجف ؟ قال : وما مسألتك عنه ؟ قلت : عسى الله أن ينفعنى به . قال : يا أخى : إن الله توعّدنى إن عصيته أن يسجننى فى النار ، والله لو لم يوعدنى أن يسجننى إلا فى الحمّام لكنت حريًا أن لا تجف لى عين ، قلت له : فهكذا أنت فى صلاتك ؟ قال : وما مسألتك عنه ؟ قلت : عسى الله أن ينفعنى به . قال : والله إن ذلك ليعرض لى حين أسكن إلى أهلى فيحول بينى وبين ما أريد ، وإنه ليوضع الطعام بين يدى فيعرض لى ، فيحول بينى وبين أكله حتى تبكى امرأتى وتبكى صبياننا ما يدرون ما أبكانا ، وربما أضجر ذلك امرأتى فتقول : يا ويحها ما خصت به من طول الحزن معك فى الحياة الدنيا ، ما يقر لى معك عين(٢) .

قال مسمع بن عاصم : « بت أنا وعبد العزيز بن سليمان وكلاب بن جرى وسليمان الأعرج على ساحل من بعض السواحل فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت ، ثم بكى عبد العزيز لبكائه ثم بكى سليمان لبكائهما ، وبكيتُ والله

---

(١) صفة الصفوة جـ ٣ ص ٣٢٧ .

(٢) التخويف من النار ص ١٩ ، ٢٠ ، انظر الزهد لابن حنبل وابن المبارك .

لبكائهم لا أدرى ما أبكاهم ، فلمّا كان بعد سألتُ عبد العزيز فقلت : يا أبا محمد ما الذى أبكاك ليلتئذ ؟ قال : إنى والله نظرت إلى أمواج البحر تموج وتجيل فذكرت أطباق النيران وزفراتها فذلك الذى أبكانى ، ثم سألت كلاباً أيضاً نحواً مما سألت عبد العزيز فوالله لكأنما سمع قصته فقال لى مثل ذلك .

ثم سألت سلمان الأعرج نحوًا مما سألتهما فقال : ماكان فى القوم شرّ منى ، ما كان بكائى إلا لبكائهم رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم رحمهم الله تعالى »(1) .

● أمّا الحسن البصرى شيخ البكّائين الذى وصفوه بأنه إذا بكى فكأنّ النار لم تخلق إلا له ، لما قيل له ما يبكيك ؟ قال : أخاف أن يطرحنى غدًا فى النار ولا يبالى(2). وفى رواية « وما يؤمننى أن يكون اطلع على فىّ بعض زلاتى فقال : اذهب فلا غفرت لك .

لعلك غضبان وقلبى غافل سلام على الدارين إن كنت راضيا

رحمك الله يا أبا سعيد يامن يصدق فيك قولهم « أهل مكة أعلم بشعابها » حين تقول : « إن المؤمنين قوم ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتى حسبهم الجاهل مرضى ، وهم والله أصحاب القلوب ، ألا تراه يقول ﴿ **وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن** ﴾ والله لقد كابدوا فى الدنيا حزنًا شديدًا وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم ، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار »(3).

نعم يا سيدى .. أبكاهم ما أبكى العابدين قبلهم .

وإذا أردت أن تعلم حزن الحسن فانظر إلى قول أم ضيغم بن مالك :

---

(1) التخويف من النار لابن رجب ص ٨٣ ، ٨٤ .
(2) التخويف من النار لابن رجب ص ٢١ .
(3) التخويف من النار لابن رجب ص ٢٣ .

● خذ يا أخي حديث واحد من البكائين وهو ضيغم بن مالك رحمه الله : كان يقول : لو أعلم أن رضاه أن أقرض لحمي لدعوتُ بالمقراض فقرضته .

قال عنه سيار : رأيت ضيغمًا صلى نهاره وليله أجمع حتى بقي راكعًا لا يقدر أن يسجد ، وكان يرفع رأسه إلى السماء ويقول : « قرة عيني » ، وكان رحمه الله إذا سجد يقول : إلهي كيف عزفت قلوب الخليقة عنك ! ! ، وكان ، مما أصابته الفترة . فإذا وجد ذلك اغتسل ثم دخل بيتاً فأغلق بابه وقال : إلهي إليك جئت .

وقال رجل لأم ضيغم : ما أطول حزن ضيغم ، فبكت وقالت : لمثل ما نُدب إليه فليحزن ، ذهب الحسن وأصحابه بالحزن وهل رأيت يا بني محزونًا .

وكانت أم ضيغم تقول له تحب الموت ؟ قال : لا يا أماه . قالت : لم يا بني ؟ قال : لكثرة تفريطي وغفلتي عن نفسي فتبكي أمه ويبكي هو .

● وبكى ليلة من أول الليل إلى آخره لم يسجد فيها سجدة ولم يركع فيها ركعة ، ولما سُئل عن ذلك بكى وقال : « لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غداً مالذّوا بعيش أبدًا . والله إني لما رأيت الليل وهوله وشدّة سواده ، ذكرت به الموقف وشدة الأمر هناك ، وكل أمرىء يومئذ تهمه نفسه ﴿ **لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً** ﴾ ثم يشهق رحمه الله ويضطرب .

● وكان رحمه الله يقول : احذر نفسك على نفسك ، فإني رأيت هموم المؤمنين في الدنيا لا تنقضي ، وأيم الله لئن لم تأت الآخرة المؤمن بالسرور لقد اجتمع عليه الأمران : همّ الدنيا وشقاء الآخرة . فقال له مولاه أبو أيوب : بأبي أنت ، وكيف لا تأتيه الآخرة بالسرور ، وهو ينصب لله في دار الدنيا ويدأب ؟ فقال : يا أبا أيوب : فكيف القبول ؟ وكيف بالسلامة ؟ كم من رجل يرى أنه

قد أصلح شأنه قد أصلح قربانه ، قد أصلح همّته ، قد أصلح عمله ، يُجمع ذلك يوم القيامة ، ثم يضرب به وجهه[1] .

رحمك الله يا ضيغم وأجزل لك المثوبة وأمّنك يوم الفزع الأكبر .

● تعبد رحمه الله قائماً حتى أقعد ، وقاعداً حتى استلقى ، ومستلقيًا حتى أفحم ، فلما جهد رفع بصره إلى السماء وقال : سبحانك ، عجبًا للخليقة كيف أرادت بك بدلاً ، سبحانك عجبًا للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر غيرك ، وعجبًا للخليقة كيف أنست بسواك[2] .

قال الربيع بن أبي راشد ـ الذى قال عنه عمر بن ذر : كنت إذا رأيت الربيع بن أبي راشد كأنه مخمار من غير شراب[3] ـ : « فلولا ما يأمل المؤمنون من كرامة الله عز وجل لهم بعد الموت لانشقت فى الدنيا مرائرهم ولتقطعت أجوافهم » .

● أخي : لقد وعى المتهجدون قول مولاهم ﴿ **أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون** ﴾[4] فبكت عيونهم دواماً .

قال عبد الله بن المبارك :

إذا ما الليل أظلم كابدوه ... فيسفر عنهم وهمُ ركوعُ
أطار الخوف نومهمُ فقاموا ... وأهل الأمن فى الدنيا هجوعُ
لهم تحت الظلام وهم سجود ... أنين منه تنفرج الضلوع
وخرسٌ بالنهار لطول صمت ... عليهم من سكينتهم خشوع[5]

---

(١) صفة الصفوة جـ ٣ ص ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ .
(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى .
(٣) صفة الصفوة جـ ٣ ص ١٠٩ ، ١١٠ .
(٤) الأعراف آية ٩٦ .
(٥) التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى ص ٤٩٣ .

● – كانت آمنة بنت أبى الورع من العابدات الخائفات ، وكانت إذا ذكرت النار قالت : أُدخلوا النار ، وشربوا من النار وعاشوا ، ثم تبكى وكأنها حبة على مقلى [1] .

● ويبكى أحد العباد بالليل ويقول : « إن أقل ما ينبغى أن يكون لنفسى عندى أن أبكيها وأبكى عليها أيام الدنيا لعلمى بما يمر عليها غداً »[2] .

● كان فضالة بن صيفى كثير البكاء ، فدخل عليه رجل وهو يبكى فقال لزوجته : ما شأنه ؟ قالت : « زعم أنه يريد سفرًا بعيدًا وماله زاد »[3] .

● وكانت عابدة من أحسن الناس عينًا ، فأخذت فى البكاء فقيل لها : تذهب عيناك . فقالت : إن يكن لى عند الله خير فسيبدلنى خيرًا منهما ، وإن تكن الأخرى فوالله لا أحزن عليهما

قد كنت أشفق من دمعى على بصرى

فاليوم كل عزيز بعدكم هانا

بكاء المتهجدين وسهرهم خوفاً من النار :

ومن المتهجدين من منعه خوف جهنم من النوم :

منهم شداد بن أوس وقد مضى ذكره ، وطاوس والربيع بن خيثم وعامر بن عبد الله والثورى ومالك بن دينار :

● كان صفوان بن محرز إذا جنّه الليل يخور كما يخور الثور ويقول منع خوف النار منى الرقاد .

---

(١) التخويف من النار ص ٢٠ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٨١ .
(٣) المدهش لابن الجوزى ص ٢٠٥ .

● وكان رجل من الموالى يقال له صهيب يسهر الليل ويبكى . فعوتب على ذلك ، وقالت له مولاته : أَفْسَدت على نفسك ، فقال : إن صهيبًا إذا ذكر الجنة طال شوقه وإذا ذكر النار طار نومه .

● قال ابن المبارك يصف انتظار المتهجدين وتأهبهم للانتقال وخوفهم :

مستوفدين على رحل كأنهم
ركب يريدون أن يمضوا وينتقلوا
عفّت جوارحهم عن كل فاحشة
فالصدق مذهبهم والخوف والوجل [(1)]

يقول ابن المبارك عن منع خوف جهنم نوم المتهجدين :

وما فرشهم إلا أيامن أزرهم	وما وسدهم إلا ملاء وأذرعُ
وما ليلهم فيهن إلا تخوف	وما نومهم إلا عشاش مروع
وألوانهم صفر كأن وجوههم	عليها جساد وهى بالورس مشبع
نواحل قد أذرى بها الجهد والسرى	إلى الله فى الظلماء والناس هجّعُ
ويبكون أحياناً كأن عجيجهم	إذا نوّم الناس الحنين المرجع
ومجلس ذكر فيهم قد شهدته	وأعينهم من رهبة الله تدمع [(2)]

رحمك الله يا ابن المبارك فهذا الكلام لا يخرج إلا من فمك الطاهر الذى أدمن التلاوة ، ومن روحك التى أقلقها الخوف من القيامة ، فجزاك الله خيراً عن نبيك .

---

(1) التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى ص ٤٩٣ .
(2) التخويف من النار والتعريف بحال أهل البوار لابن رجب ص ٢٦ ، ٢٧ . الناشر مكتبة الإيمان ـ عابدين .

• عن القاسم بن محمد قال : كنا نسافر مع ابن المبارك ، فكثيرًا ما كان يخطر ببالى فأقول فى نفسى : بأى شىء فُضِّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر فى الناس هذه الشهرة ؟ إن كان يصلى إنا نصلى ، ولئن كان يصوم إنّا لنصوم ، وإن كان يغزو فإنا لنغزو . وإن كان يحج إنا لنحج ، قال : فكنا فى بعض مسيرنا فى طريق الشام ليلة نتعشى فى بيت إذ طفىء السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح فمكث هنيهة ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلت من الدموع فقلت فى نفسى : بهذه الخشية فُضِّل هذا الرجل علينا ، ولعلّه حين فقد السراج ، فصار إلى الظلمة ذكر القيامة(١) .

• وعوتب يزيد الرقاشى على كثرة بكائه وقيل له : لو كانت النار خُلِقَتْ لك ما زدت على هذا فقال : وهل خُلقت النار إلاّ لى ولأصحابى ولإخواننا من الجن والإنس ، أما تقرأ ﴿ **سنفرغ لكم أيها الثقلان** ﴾(٢) ، أما تقرأ ﴿ **يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران** ﴾(٣) ، فقرأ حتى بلغ ﴿ **يطوفون بينها وبين حميم آن** ﴾ فجعل يجول فى الدار ويبكى(٤) .

• أما منصور بن المعتمر وهو سيد من سادات المتهجدين فإنه لما مات صاحت أمه : واقتيل جهنماه ما قتل ابنى إلا خوف جهنم(٥) .

• قال أبو عاصم العبّادانى عن عابد من بنى سعد : كان يصلى الليل والنهار لا يكاد يفتر ، فإذا كان السحر احتبى ، واستقبل البحر فجعل يبكى وينوح على

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ١٤٥ .
(٢) الرحمن آية رقم ٣١
(٣) الرحمن آية رقم ٣٥
(٤) التخويف من النار ص ٢٣ .
(٥) التخويف من النار ص ٣١ .

نفسه ، قال : فإذا أحس بإنسان أمسك ، قال : فخرجت ذات ليلة إلى الساحل فإذا أنا بصوته وإذا هو يبكى ويقول فى بكائه :

ألا يا عين ويحك أسعدينى بطول الدّمع فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى بخير الدهر فى تلك العلالى[1]

● وقال عباد بن زياد يرثى إخوة له متعبدون :

فتية يعرف التخشع فيهم كلهم أحكم القرآن غلاما
قد برى جلده التهجد حتى عاد جلدًا مصفرًّا وعظاما
تتجافى عن الفراش من الخوف إذا الجاهلون باتوا نياما
بأنين وعبرة ونحيب ويظلون بالنهار صياما
يقرأون القرآن لا ريب فيه ويبيتون سجدًا وقياما[2]

● كان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول فى مناجاته فى الليل : « اللهم إن خطيئتى تعذبنى ، وتوبتى تذوبنى فعيشتى طول دهرى بين تعذيب وتذويب »[3] .

● إلهى وسيدى مولاى :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

● بكى أحد العباد من أهل البحرين فى جوف الليل وهو على ساحل البحر وقال : قرة عينى وسرور قلبى ، ما الذى أسقطنى من عينك يا مانح العصم ، ثم يبكى ويقول :

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٥٩ .
(٢) التخويف من النار ص ٢٨ .
(٣) تنبيه المغترين للشعرانى ص ١٠٦ .

« طوبى لقلوب ملأتها خشيتك ، واستولت عليها محبتك ، فمحبتك مانعة لها من كل لذة غير مناجاتك ، والاجتهاد فى خدمتك ، وخشيتك قاطعة لها عن كل معصية خوفاً لحلول سخطك ثم بكى وقال : يا إخوتاه ابكوا على خوف فوات الآخرة حيث لا رجعة ولا حيلة »[1] .

بكى الباكون للرحمن ليلاً وباتوا دمعهم لا يسأمونا
بقاع الأرض من شوق إليهم تحنّ متى عليها يسجدونا

● وكانت شعوانة تقول فى مناجاتها :

« إلهى ما أشوقنى إلى لقائك ، وأعظم جزائى لجزائك ، وأنت الكريم الذى لا يخيب لديك أمل الآملين ، ولا يبطل عندك شوق المشتاقين ، إلهى إن كان دنا أجلى ، ولم يقرّبنى منك عملى ، فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عللى ، فإن عفوت فمن أولى منك بذلك ؟ وإن عدلت فمن أعدل منك هنالك ! إلهى قد جرتُ على نفسى فى النظر لها ، وبقى لها حسن نظرك ، فالويل لها إن لم تسعدها ، إلهى إنك لم تزل بى برًّا أيام حياتى ، فلا تقطع عنى برك بعد مماتى ، ولقد رجوت ممن تولانى فى حياتى بإحسانه ، أن يسعفنى عند مماتى بغفرانه ، إلهى كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتى ، ولم تولنى إلا الجميل فى حياتى ، إلهى إن كانت ذنوبى قد أخافتنى ، فإن محبتى لك قد أجارتنى ، فتول من أمرى ما أنت أهله ، وعُدْ بفضلك على من غرّه جهله ، إلهى لو أردت إهانتى لما هديتنى ، ولو أردت فضيحتى لم تسترنى ، فمتّعنى بما له هديتنى ، وأدم لى مابه سترتنى ... »[2] .

واسمع يا أخى إلى مناجاة غريبة فى جوف الليل لأحد المتهجدين وهو أبو

---

(١) صفة الصفوة جـ٤ ص٧٣ .
(٢) عودة الحجاب القسم الثانى للشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل ص ٣٠١ .

محمد فتح بن محمد الموصلي : كان رحمه الله يجمع عياله فى ليالى الشتاء ويقول بكسائه عليهم ثم يقول : « اللهم أفقرتنى وأفقرت عيالى ، وجوّعتنى وجوّعت عيالى ، وأعريتنى وأعريت عيالى ، بأى وسيلة توسلتها إليك ، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح ؟

ودخل ليلة إلى أهله وهو صائم فلم يجد عندهم شيئاً ولا ما يسرجون به فجلس يبكى من الفرح ويقول : إلهى مثلى يُترك بلا عشاء ولا سراج ، بأىّ يدٍ كانت منى ، فما زال يبكى إلى الصباح(١)

رحمك الله يا موصلى تدعو بهذا الدعاء الجميل ، أنت من قوم علموا أن لطف اللطيف لا ينفك عنه أبداً ، وأن الرحمن رحمان على الدوام فصار المنع عندهم عين العطاء ، ورضوا من مولاهم أن يكون جزاؤهم على الطاعة الابتلاء ، بل صار نعتهم الصبر عند السراء والشكر عند الضراء ، فربما كان الرخاء استدراجًا من الله عز وجل ولله در أبى تراب النخشبى :

لا تخدعن فللمحب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائلُ
منها تنعمه بمر بلائه وسروره فى كل ما هو فاعلُ
فالمنع منه عطية مقبولة والفقر إكرام وبر عاجل(٢)

معشر المتوجهين إليه ما ضرّكم ما فاتكم من الدنيا إذا كان الله لكم حظاً .
وما ضرّكم من عاداكم إذا كان الله لكم سلماً : ولله در القائل :

هنيئًا لمن أضحى وأنت حبيبه ولو أن لوعات الغرام تذيبه
وطوبى لصبٍّ أنت ساكن سرِّه ولو بان عنه إلفه وقريبه

(١) استنشاق نسيم الأنس ص ٧٦ ، ٧٧ .
(٢) استنشاق نسيم الأنس ص ٧٦ .

وما ضرّ صبًّا أن يبيت وماله نصيب من الدنيا وأنت نصيبه
ومن تك راض عنه فى طىّ غيبه فما ضرّه فى الناس من يستغيبه
فيا علة فى الصدر أنت شفاؤها ويا مرضًا فى القلب أنت طبيبه
عُبيدك فى باب الرجا متضرع إذا لم تجبه أنت من ذا يجيبه
بعيد عن الأوطان يبكى بذلة وهل ذاق طعم الذل إلا غريبه
تصدّق على من ضاع منه زمانه ولم يدر حتى لاح منه مشيبه
غدا خاسرًا فالعار يكفيه والعنا وقد آن من ضوء النهار مغيبه[1]

وتتعدد ألوان مناجاتهم :

● فهذا عابد آخر « عتبة الغلام » إذا جنّه الليل لبس المسح ، وغلّ نفسه وناجي مولاه قائلاً : احشرنى من حواصل الطيور . فاستجاب الله دعاءه ، ولقى ربه شهيدًا وأكلت الطيور لحمه[2] .

● أما أبو صخر يزيد بن أبى سمية الأيلى : فكان يصلى ليله ويبكى وكانت معه فى الدار امرأة يهودية ساكنة فكانت تبكى رحمة له ، فقال ليلة فى دعائه : « اللهم إن هذه اليهودية قد بكت رحمة لى ودينها مخالف لدينى ، فأنت أولى برحمتى[3] .

● وكان أحد العباد يناجى مولاه فى جوف الليل ويقول : « يا سيدى وأملى ، ومؤملى ومَنْ به تمّ عملى ، أعوذ بك من بدن لا ينتصب بين يديك ، وأعوذ بك من قلب لا يشتاق إليك وأعوذ بك من دعاء لا يصل إليك ، وأعوذ بك من عينٍ لا تبكى عليك » .

(١) استنشاق نسيم الأنس ص ١٠٤ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٣٥ .

وآخر يدعو ويناجى مولاه فيقول : « سبحان من أخرج قلوب المشتاقين فى رياض الطاعة بين يديه ، سبحان من أوصل الفهم إلى عقول ذوى البصائر فهى لا تعتمد إلا عليه ، سبحان مَنْ أورد حياض المودّة نفوس أهل المحبة فهى لا تحنّ إلا إليه » ثم يقول : « إن لله عز وجل عبادًا قدح فى قلوبهم زند الشغف ونار الومق ، فأرواحهم لشدة الاشتياق تسرح فى الملكوت ، وتنظر إلى ما ذُخر لها فى حجب الجبروت »(١) .

● بربك يا أخى خبّرنى عن هذه المناجاة ألا تهطل المدامع وتهيج بلابل الشوق إلى المولى عز وجل

أبدا نفوس الطالبين إلى رياضكم تحنّ
وكذا القلوب بذكركم بعد المخافة تطمئن
حنّت بحبكم ومَنْ ناجى الحبيب ولا يحن ؟(٢)

● وعابد آخر يناجى فى جوف الليل بصوت محزون :

« يا منْ آنسنى بقربه ، وأوحشنى من خلقه ، وكان عند مسرّتى ارحم اليوم عبرتى (٣) .

● وآخر يناجى فيقول : « شهد لك قلبى فى النوازل بمعرفة الفضل لك ، وكيف لا يشهد لك قلبى بذلك ، ولا يحسن بقلبى أن يألف غيرك ، هيهات ، لقد خاب لديك المقصّرون عنك »(٣) .

● فانظر يا أخى إلى هذه الأنفس الطاهرة ، صافوْا مولاهم بالعقول ، ودققوا له الفطن ، فسقاهم من كأس حبه شربة فظلوا فى عطشهم أورياء ، وفى ريّهم عطاشاً .

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٤١ .
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٤١٩ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٤٧ .

أمّا أهل زماننا فقد توعرت الطريق ، وقلّ السالكون وهُجرت الأعمالُ ، وقَلّ الراغبون فيها ، وقلّ الحق ودرس هذا الأمر فلا نراه إلا فى لسان كل بطّال ينطق بالحكمة ويفارق الأعمال ، قد افترش الرخصة وتمهد للتأويل ، واعتل بزلل العاصين ، وسكنت القلوب إلى روح الدنيا وانقطعت عن روح ملكوت السموات وإنا لله وإنا إليه راجعون .

● وعابد آخر يبكى بالليل ويقول فى بكائه :

« أتُرى بكائى نافعى عندك ، ومنقذ رقبتى من حكمك ، أتراك آخذاً من نفسى بحقك وموبّخها على رؤوس الأشهاد بما ضيعتْ من أمرك . آوّه لكشف سترك عنى ، آوّه لوقوفى بين يديك »[1] .

● وآخر يناجى ويبكى على الساحل بالليل : « جرمى عظيم وعفوك كثير فاجمع بين جرمى وعفوك يا كريم »[2] .

● وآخر يقول فى مناجاته : « يا سيدى بك تفرد المتفردون فى الخلوات ، ولعظمتك سبّحت الحيتان فى البحار الزاخرات ، ولجلال قدسك اصطفقت الأمواج المتلاطمات أنت الذى سجد لك سواد الليل وضوء النهار ، والفلك الدوّار ، والبحر الزخّار ، والقمر النوّار ، وكل شىء عندك بمقدار

يا مؤنس الأبرار فى خلواتهم   يا خير من حطّتْ به النزّال[3]

وآخر يقول :

ألوذ بباب من أدعوه فردًا   وآمل أن أُقرَّب من حبيبى
إذا نامت عيون الناس طرًّا   قرعت الباب بالقلب الكئيب

---

(١) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٦٥ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٧٠ .
(٣) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٣٧٤ .

وآخر يناجى فيقول :

« عجبت للخليقة كيف أنست بسواك ، بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبهم بذكر سواك .

● قال ابن قتيبة : بلغنى عن الوليد بن مسلم عن عثمان بن أبى العاتكة قال :

كان داود النبى عليه السلام يقول فى مناجاته :

« سبحانك إلهى ، إذا ذكرت خطيئتى ضاقت علىّ الأرضُ برحبها ، وإذا ذكرت رحمتك ارتد إلىّ روحى ، سبحانك إلهى أتيتُ أطباء عبادك ليداووا لى خطيئتى فكلهم عليك يدلّنى »[1] .

● « سبحانك .. ما أضيق الطريق على مَنْ لم تكن دليله ، سبحانك .. ما أوحش الطريق على منْ لم تكن أنيسه » .

سبحانك سبحانك ، لك الجمال والجلال ولك الكمال .. سبحانك أنت أنت سبحانك قدستك ألسن التماديح وأفواه التسابيح .

● كان على بن سهل المدائنى رحمه الله يقوم إذا هدأت العيون فينادى بصوت له محزون « يا من اشتغلت قلوب خلقه عنه بما يعقبهم عند لقائه ندمًا ، ويا مَنْ سَهَتْ قلوب عباده عن الاشتياق إليه إذ كانت أياديه إليهم قبل معرفتهم به » ثم يبكى حتى تبكى لبكائه جيرته ، ثم ينادى : « ليت شعرى سيدى ، إلى متى تحبسى ؟ ابعثنى سيدى إلى حسن وعدك ، وأنت العليم أن الشوق قد برّح بى ، وطال علىّ الانتظار » ثم يخر مغشيًا عليه فلا يزال كذلك حتى يحرك لصلاة الصبح[2] .

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى .

(٢) الطريق إلى الله « الصدق » لأبى سعيد الخرّاز تحقيق دكتور عبد الحليم محمود ص ١١٨ الناشر دار الإنسان .

● وكان الحارث بن عمير رحمه الله يقول إذا أصبح : « أصبحت ونفسى وقلبى مصر على حبك سيدى ، ومشتاق إلى لقائك فعجّل بذلك قبل أن يأتينى سواد الليل » ، فإذا أمسى قال مثل ذلك ، فلم يزل على مثل هذه الحال ستين سنة [1].

● وكان أحد العبّاد يقوم الليل حتى إذا برق عمود الصبح وثب قائماً على قدميه ونادى بأعلى صوته : ذهب الليل بما فيه ، وأقبل النهار بدواهيه ، ولم أقض من خدمتك وطراً ، آخر خسر من أتعب لغيرك بدنه ، وألجأ إلى سواك همه » ثم أنشد يقول :

مَنْ عامَلَ الله بتقواه ... وكان فى الخلوة يرعاه
سقاه كأساً من صفى حبه ... يسلبه لذة دنياه
فأبعد الخلق وأقصاهم ... وانفرد العبد بمولاه [2]

● وانظر هاهو أبو سليمان الدارى تسمع قوم عليه ليلاً فسمعوه يقول :

« إن طالبتنى بسريرتى طالبتك بتوحيدك ، وإن طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك ، وإن جعلتنى من أهل النار أخبرت أهل النار بحبى إياك » [3].

قال ذو النون فى مناجاته لربه : ـ

« اللهم متّع أبصارنا بالجولان فى جلالك ، وسهِّرنا عما نامت عنه عيون الغافلين ، واجعل قلوبنا معقودة بسلاسل النور ، وأطلقنا من الأسر لنجول فى

---

(١) الطريق إلى الله ص ١١٩ .
(٢) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .
(٣) الحلية جـ ٩ ص ٣٥٥ .

خدمتك مع الجوّالين »[1] .

لله در القائل :

قوم تخلّلهم زهو بسيدهم | والعبد يزهو على مقدار مولاه
تاهوا به عمّنْ سواه له | يا حسن رؤيتهم فى حُسن ما تاهوا

● وكان خليفة العبدى : يقوم إذا هدأت العيون فيقول : « اللهم إليك قمت أبتغى ما عندك من الخيرات » ثم يعمد إلى محرابه فلا يزال يصلى حتى يطلع الفجر ، وكان يدعو فى السحر يقول :

« هب لى إنابة إخبات وإخبات منيب ، وزيّنى فى خلقك بطاعتك ، وحسّنى لديك بحسن خدمتك ، وأكرمنى إذا وفد إليك المتقون ، فأنت خير مسئول وخير معبود وخير مشكور وخير محمود » . وكان إذا دعا فى السحر يقول : « قام البطّالون وقمت معهم ، قمنا إليك ونحن متعرضون لجودك فكم من ذى جرم قد صفحت له عن جرمه ، وكم من ذى كرب عظيم قد فرجت له عن كربه ، وكم من ذى ضر كبير قد كشفت له عن ضرّه ، فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعد ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذى عرّفتنا من جودك وكرمك ، فأنت المؤمل لكل خير ، والمرجوّ عند كل نائبة »[2] .

ومن مناجاتهم : « سيدى قصدَك عبدٌ روحه لديك ، وقياده بيديك ، واشتياقه إليك ، وحسراته عليك ، ليله أرقٌ ، ونهاره قلق ، وأحشاؤه تحترق ، ودموعه تستبق ، شوقاً إلى رؤيتك ، وحنيناً إلى لقائك ، ليس له راحة دونك ، ولا أمل غيرك » .

● ويقول يحيى بن معاذ « أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك ، وأعذب الكلام على

---

(١) الحلية ٩/ ٣٥٨ .

(٢) الحلية ٦/٣٠٣ ـ ٣٠٤

لسانى ثناؤك ؛ وأحب الساعات إلىّ ساعة يكون فيها لقاؤك » .

• ويقول آخر :

ارحم حشاشة نفس فيك قد ذهبت قبل الممات فهذا آخر الرمق
ولو مضى الكل منى لم يكن عجباً وإنما عجبى للبعض كيف بقى

ويقول آخر :

ألا خلوة أشكو إليك صبابة لها بين جلدى والعظام دبيبُ

ويقول آخر :

زمانى كله بهم سرور وهم عيشى وهم سمعى وهم بصرى

ويقول آخر :

فروحى وريحانى إذا كنت حاضرًا وإن غبت فالدنيا علىّ محابس
إذا لم أنافس فى رضاك ولم أغر لدينك فيمن ليت شعرى أنافس ؟

• ويقول آخر :

فكيف يصنع من أقصاه مالكه فليس ينفعه طب الأطباء
مَنْ غصّ داوى بشرب الماء غصّته فكيف يصنع مَنْ قد غصَّ بالماء ؟

وكان أحد الصالحين يناجى ربه فى سجوده فى جوف الليل فيقول :

« إلهى ، أغلقت الملوك أبوابها ، وبابك مفتوح للسائلين ، إلهى ، غارت النجوم ، ونامت العيون ، وأنت الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم ، إلهى فُرِشت الفُرُش ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وأنت حبيب المتهجدين وأنيس المستوحشين .

• إلهى إن طردتنى عن بابك فإلى باب من ألتجى ، وإنْ قطعتنى عن خدمتك فخدمة من أرتجى .

• إلهى إن عذّبتنى فإنى مستحق العذاب والنِّقَم ، وإن عفوت عنى فأنت أهل الجود والكرم ، يا سيدى لك أخلص العارفون ، وبفضلك نجا الصالحون ، وبرحمتك أناب المقصرون ، يا جميل العفو أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك ، وإن لم أكن أهلاً لذلك فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة » .

ولله در أحمد بن زيد البحرانى حيث يقول :

محب نفى ما التذّ من غمضه الفكرُ — فـأعـقـبـه ضـرًا وأنهكه الضرُّ
وبـات يـراعـى أنجمًا بـعـد أنجم — ويرعد من خوف إلى أن بدا الفجر
ويخدم مولاه بـألـطـف خـدمـة — ويسعده فى حسن خدمته الصبر
به وبمن ساواه فى الزهد والتقى — إذا الجدب عم الأرض يستنزل القطر
محب خلا بالحب خلوة واجد — خلا بحبيب ، والظلام له ستر
يقول بذلت الحب يا منتهى المنى — ويا نور قلبى أنت لى سيدى ذخر
فلا تخزنى يارب وارحم تضرعى — فقد وعظيم العفو أثقلنى الوزر
وقد خفت من يوم المعاد مخافة — تيقنت أنى ليس لى فيهما عذر
بفضلك زدنى منك قرباً وأدننى — إلـيك دنوًا لا يـغـيـرّه الدهر
شفائى مقامى فى الهوى وهو قاتلى — وبين سقامى والشفا ينفد العمر
وفى كبدى مما أقاسى من الهوى — ومن زفرات الحب يا واحدى جمر
غزا الحب قلبى قاصدًا بجيوشه — لـيـأسره قسرًا فـأذهـلـه الأسر
وحقك لا أنساك مادمت باقيًا — وهل يتسلى من محبته فخر[1]

المحب إن كتم حاله نطق به دمعه

ظفرتم بكتمان اللسان فمَنْ لكم — بكتمان عين دمعها الدهر ينزف[2]

---

(١) استنشاق نسيم الأنس ص ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٢) استنشاق نسيم الأنس ص ١٠٨ .

معاتبة نفس ومناجاة متهجد

هذى مناجاة متهجد .. نفثات صدر وأشجان قلب يمّم وجهه شطر الدار الآخرة مستراح العابدين يبثها فى خشوع وصدق تابعى جليل ، من القرون الخيرية ، من تلامذة الصحابة ، تربى وصُنع على أعينهم .. شرب من سلسبيل القرآن والسنة وكحّل أجفان قلبه بهما . فانظر إليه كيف يستمطر الدمع حين يقول فى مناجاته ، يقول عون بن عبد الله بن عتبة :

« ويحى بأى شىء لم أعصى ربى

ويحى إنما عصيته بنعمته عندى

ويحى من خطيئةٍ ذهبت شهوتُها وبقيت تبعتُها عندى فى كتاب كتبه كُتّابٌ لم يغيبوا عنى .

واسوأتاه ، لم أستحيهم ولم أراقب ربى ، ويحى نسيت مالم ينسوا منى . ويحى غفلت ولم يغفلوا عنى ، لم أُستحيهم ولم أراقب .

واسوأتاه ! ويحى ! حفظوا ما ضيّعتُ منى ، ويحى ! طاوعت نفسى وهى لا تطاوعنى ، ويحى طاوعتها فيما يضرها ويضرنى .

ويحها ألا تطاوعنى فيما ينفعها وينفعنى .. أريد إصلاحها وتريد أن تفسدنى ، ويحها إنى لأنصفها وما تنصفنى ، أدعوها لأرشدها وتدعونى لتغوينى ، ويحها إنها لعدو لو أنزلتها تلك المنزلة منى .

ويحها تريد اليوم أن تُردِينى ، وغدا تخاصمنى .

ربٍّ لا تسلطها على ذلك منى ، ربٍّ إنّ نفسى لم ترحمنى فارحمنى ، ربٍّ إنى أعذرها ولا عذرتنى ، إنه إن يك خيرًا أخذها وتخذلنى ، وإن يك شرًا أحبها وتحبنى ، رب فعافنى منها وعافها منى ، حتى لا أظلمها وتظلمنى ، وأصلحنى لها وأصلحها لى ، فلا أهلكها وتهلكنى ، ولا تكلنى إليها ولا تكلها إلىّ .

ويحى ! كيف أفرّ من الموت وقد وكّل بى ، ويحى ! كيف أنساه ولا ينسانى ؟ ويحى إنه يقص أثرى فإن فررت لقينى ، وإن أقمت أدركنى .

ويحى هل عسى أن يكون قد أظلنى فمسّانى وصبّحنى ، أو طرقنى فبغتنى .

ويحى أزعم أن خطيئتى قد أقرحت قلبى ولا يتجافى جنبى ، ولا تدمع عينى ولا تسهر لى [ولا يسهر ليلى] . ويحى كيف أنام على مثلها ليلى .

ويحى هل ينام على مثلها مثلى . ويحى ! لقد خشيت ألا يكون هذا الصدق منى ؟ بل ويلى إن لم يرحمنى ربى . .

ويحى كيف لا توهن قوتى ولا تعطش هامتى .. بل ويلى إن لم يرحمنى ربى .

ويحى كيف لا أنشط فيما يطفيها عنى .. بل ويلى إن لم يرحمنى ربى .

ويحى كيف لا يُذهبُ ذكرُ خطيئتى كسلى ، ولا يبعثنى إلى ما يذهبها عنى .. بل ويلى إن لم يرحمنى ربى .

ويحى لا تناهى الأولى من خطيئتى عن الآخرة ، ولا تذكرنى الآخرة من خطيئتى بسوء ما ركبت من الأولى فويلى ثم ويلى إن لم يُتم عفو ربى ..

ويحى لقد كان لى فيما استوعبت من لسانى وسمعى وقلبى وبصرى اشتغال .. فويل لى إن لم يرحمنى ربى .

ويحى إن حجبت يوم القيامة عن ربى فلم يزكنى ولم ينظر إلىّ ولم يكلمنى ، فأعوذ بنور وجهه من خطيئتى ، وأعوذ به أن أعطى كتابى بشمالى أو وراء ظهرى فيسود به وجهى .. وتَزْرَقُ به مع العمى عينى .. بل ويلى إن لم يرحمنى ربى .

ويحى ! بأى شىء أستقبل ربى ؟

بلسانى أم بيدى أم بسمعى أم بقلبى أم ببصرى ، فى كل هذا له الحجّة والطِّلْبةُ عندى ، فويل لى إن لم يرحمنى ربى .

كيف لا يشغلنى ذكر خطيئتى عما لا يعنينى ؟

ويحك يا نفس مالك تنسين ما لا يُنسى ؟

وقد أوتيت مالا يؤتى ، وكل ذلك عند ربى يُحصى ، فى كتاب لا يبيد ولا يَبْلى .

ويحك لا تخافين أن تُجْزَىْ فيمنْ يُجْزى ، يوم تجزى كل نفس بما تسعى ، وقد آثرت ما يفنى على ما يبقى .

يا نفس ويحك ألا تستفيقين مما أنت فيه : إن سقمت تندمين ، وإن صححت تأثمين ، مالك إن افتقرت تحزنين ، وإن استغنيت تُفتنين ، مالك إن نشطت تزهدين فلم إن دُعيت تكسلين ؟ أراك ترغبين قبل أن تنصبى ، فلم لا تنصبين فيما ترغبين .

يا نفس ويحك ! لِمَ تُخالفين ؟ تقولين فى الدنيا قول الزاهدين وتعملين فيها عمل الراغبين ، ويحك لم تكرهين الموت .

يا نفس ويحك ! أترجين أن تَرْضَىْ ولا تُراضين ، وتُجَانبين وتَغْضبين .

مالك إن سألت تُكثرين ، فلم إن أنفقت تقترين .

أتريدين الحياة ، تعظمين فى الرهبة حين تسألين ، وتقصرين فى الرغبة حين تعملين ، تريدين الآخرة بغير عمل ، وتُؤخرين التوبة لطول الأمل .

لا تكونى كمن يقال هو فى القول مُدِلّ ويستصعب عليه الفعل .

ويح لنا ما أغرّنا ، ويح لنا ما أغفلنا ، ويح لنا ما أجهلنا ، ويح لنا لأى شىء خلقنا ، أللجنة أم للنار ، ويح لنا أى خطر خطرنا ، ويح لنا من أعمال قد أخطرتنا ، ويح لنا ممّا يراد بنا ، ويح لنا كأنما يعنى غيرنا ، ويح لنا إن ختم على أفواهنا ، وتكلمت أيدينا ، وشهدت أرجلنا ، ويح لنا حين تفتش سرائرنا ، ويح لنا حين تشهد أجسادنا ، ويح لنا مما قصرنا ، لا براءة لنا ولا عذر عندنا ، ويح لنا ما أطول أملنا ، ويح لنا حيث نمضى إلى خالقنا ، ويح لنا ولنا الويل الطويل إن لم يرحمنا ربنا فارحمنا ياربنا .

رب ما أحكمك وأمجدك وأجودك وأرأفك وأرحمك وأعدلك وأقربك وأقدرك وأقهرك وأوسعك وأقضاك وأبينك وأنورك وألطفك وأخبرك وأعلمك

وأشكرك وأحلمك وأحكمك وأعطفك وأكرمك .

رب ما أرفع حجتك وأكثر مدحتك ، رب ما أبين كتابك وأشد عقابك ، رب ما أكرم مآبك وأحسن ثوابك ، رب ما أجزل عطاؤك وأجل ثناؤك ، رب ما أحسن بلاءك وأسبغ نعماءك ، رب ما أعلى مكانك وأعظم سلطانك ، رب ما أمتن كيدك وما أغلب مكرك ، رب ما أعز ملكك ، وأتم أمرك ، رب ما أعظم عرشك وأشد بطشك ، رب ما أوسع كربيك وأهدى مهديك ، رب ما أوسع رحمتك وأعرض جنتك ، رب ما أعز نصرك وأقرب فتحك : رب ما أعمر بلادك وأكثر عبادك ، رب ما أوسع رزقك وأزيد شكرك ، رب ما أسرع فرجك وأحكم صنعك ، رب ما ألطف خيرك وأقوى أمرك ، رب ما أنور عفوك وأجل ذكرك ، رب ما أعدل حكمك ، وأصدق قولك ؛ رب ما أوفى عهدك وأنجز وعدك ، رب ما أحضر نفعك وأتقن صنعك .

ويحى ! كيف أغفل ولا يغفل عنى ، أم كيف تهنئنى معيشتى واليوم الثقيل ورائى ؟ أم كيف لا يطول حزنى ولا أدرى ما يُفعل بى ، أم كيف تهنئنى الحياة ولا أدرى ما أجلى أم كيف تعظم فيها رغبتى والقليل منها يكفينى ، أم كيف آمن ولا يدوم فيها حالى ... أم كيف يشتد حبى لدار ليست بدارى ؟ أم كيف أجمع لها وفى غيرها قرارى ؟

أم كيف يشتد عليها حرصى ولا ينفعنى ما تركت فيها بعدى ؟

أم كيف أوثرها وقد أضرّت بمن آثرها قبلى .

أم كيف لا أبادر بعملى قبل أن يغلق باب توبتى .. أم كيف يشتد إعجابى بما يزايلنى وينقطع عنى .

أم كيف أغفل عن أمر حسابى وقد أظلنى واقترب منى ؟ أم كيف أجعل شغلى فيما قد تُكفِّل به لى .

أم كيف أعاود ذنوبى وأنا معروض على عملى ؟ أم كيف لا أعمل بطاعة ربى وفيها المنجاة مما أحذر على نفسى .

أم كيف لا يكثر بكائى ولا أدرى ما يراد بى ؟ أم كيف تقر عينى مع ذكر ما سلف منى ؟ أم كيف أعرّض نفسى لما لا يقوى له هوائى ؟

أم كيف لا يشتد هولى مما يشتد منه جزعى ؟ أم كيف تطيب نفسى مع ذكر ما هو أمامى ؟

أم كيف يطول أملى والموت فى أثرى ؟ أم كيف لا أراقب ربى وقد أحسن طلبى ؟ ويحى فهل ضرّت غفلتى أحدًا سوائى .

أم هل يعمل لى غيرى إن ضيّعت حظى .. ؟ أم هل يكون عملى إلا لنفسى ؟ فَلِمَ أدّخر عن نفسى مايكون نفعه لى ؟.

ويحى كأنه قد تَصرّم أجلى ثم أعاد ربى خلقى كما بدأنى ؟ ثم أوقفنى وسألنى وسأل عنى وهو أعلم بى .. ثم أشهدت الأمر الذى أذهلنى عن أحبابى وأهلى ، وشُغلت بنفسى عن غيرى وبُدِّلت السموات والأرض وكانتا تطيعان وكنت أعصى .

وسُيِّرت الجبال وليس لها مثل خطيئتى ... وجمع الشمس والقمر وليس عليهما مثل حسابى . وانكدرت النجوم وليست تطلب بما عندى .. وحشرت الوحوش ولم تعمل بمثل عملى وشاب الوليد وهو أقل ذنبًا منى ..

ويحى ما أشد حالى وأعظم خطرى فاغفر لى .

واجعل طاعتك همى ، وقوّ عليها جسدى ، وسخّ نفسى عن الدنيا ، واشغلنى بما ينفعنى وبارك لى فى قواها حتى ينقضى منى حالى .. وامنن علىّ وارحمنى حين تُعيد بعد اللقا خلقى ومن سوء الحساب فعافنى يوم تبعثنى فتحاسبنى ، ولا تعرض عنى يوم تعرضنى بما سلف من ظلمى وجرمى . وآمنّى يوم الفزع الأكبر يوم لا تهمنى إلا نفسى ، وارزقنى نفع عمل يوم لا ينفعنى عمل غيرى .

إلهى أنت الذى خلقتنى ، وفى الرحم صورتنى ، ومن أصلاب المشركين نقلتنى ، قرنًا فقرنًا حتى أخرجتنى فى الأمة المرحومة فارحمنى إلهى . فكما مننت علىَّ بالإسلام فامنن علىّ بطاعتك وبترك معاصيك أبدًا ما أبقيتنى ، ولا تفضحنى بسرائرى، ولا تخذلنى بكثرة فضائحى .

سبحانك خالقى .. أنا الذى لم أزل لك عاصيًا فمِنْ أجل خطيئتى لا تقر عينى ، وهلكت إن لم تعف عنى . سبحانك خالقى بأى وجه ألقاك ، وبأى قدم أقف بين يديك ، وبأى لسان أناطقك ، وبأى عين أنظر إليك ؟ وأنت قد علمت سرائر أمرى ، وكيف أعتذر إليك إذا ختمت على لسانى ونطقت جوارحى بكل الذى قد كان منى .

سبحانك خالقى .. فأنا تائب إليك .. فاقبل توبتى واستجب دعائى وارحم شبابى ، وأقلنى عثرتى ، وارحم طول عبرتى ، ولا تفضحنى بالذى قد كان منى .

سبحانك خالقى .. أنت غياث المستغيثين ، وقرة أعين العابدين ، وحبيب قلوب الزاهدين ، فإليك مستغاثى ومنقطعى ، فارحم شبابى ، واقبل توبتى ، واستجب دعوتى ، ولا تخذلنى بالمعاصى التى كانت منى ، إلهى علمتنى كتابك الذى أنزلته على رسولكْ محمد ﷺ ثم وقعت على معاصيك وأنت ترانى ، فمن أشقى منى إذا عصيتك وأنت ترانى ، وفى كتابك المنزل قد نهيتنى ، إلهى أنا إنْ ذكرت ذنوبى ومعاصيتى لم تقر عينى للذى كان منى فأنا تائبٌ إليك فاقبل ذلك منى ، ولا تجعلنى لنار جهنم وقودًا بعد توحيدى وإيمانى بك فاغفر لى ولوالدى ولجميع المسلمين برحمتك آمين يارب العالمين(١) .

---

(١) الحلية .

قالوا عن
البكاء والمناجاة بالليل

• ابك على ظلام قلبك يضيء.

• ابسط فى الدجى يد الطلب ، فأطيب ما أكل الرجل من كسب يده ، وقل بلسان التملق

أحبابنا أنا ذاكُم العبد الذى راعيتموه ناشئًا ووليدا
حالت به الأحوال بعد فراقكم فرمى بأسرته وجاء فريدا

• إذا جلست فى ظلام الليل بين يدى سيدك ، فاستعمل أخلاق الأطفال ، فإن الطفل إذا طلب من أبيه شيئًا فلم يعطه بكى عليه .

• يا من نزلت به بليّة الطرد تروّح إلى حديث المناجاة وإن لم تسمع منك ، وابعث رسائل الأحزان مع رياح الأسحار ولو لم تصل .

• أدلج القوم طول الليل فى السرى ، وخافوا عوز الماء فتمّموا المزاد بالبكا

سلوا غير طرفى إن سألتم عن الكرى
فما لجفون القانتين منام

• كان فتحى الموصلى يبكى الدموع ثم يبكى الدم ، فقيل له على ماذا بكيت الدم ؟ قال : « خوفاً على الدموع أن تكون ما صَحّت لى[1] » .

والعين لها دم ودمع سح ذا يكتب شجوه وهذا يمحو

• لا بد والله من قلق وحرقة ، إما فى زاوية التعبد أوْ فى هاوية الطرد ، فإمّا أن تحرق قلبك بنار الندم على التقصير والشوق إلى لقاء الحبيب ، وإلاّ فنار جهنم أشد حرّا

---

(١) المدهش لابن الجوزى ص ٢٣٨ .

شجاك الفراق فما تصنع ... أتصبر للبين أم تجزعُ
إذا كنت تبكي وهم جيرة ... فكيف تكون إذا ودّعوا ؟

● كان أحد العباد يصيح فى جوف الليل : « قرة عينى وسرور قلبى ما الذى أسقطنى من عينك ، أقلت هذا فراق بينى وبينك » .

ما فى الصحاب أخو وجد تطارحه ... حديث نجد ولا صبّ تجاريه
إليك عن كل قلب فى أماكنه ... ساهٍ ، وعن كل دمع فى مآقيه

● كان سرى يدافع أول الليل ، فإذا جن أخذ فى البكاء إلى السحر .

● قال الإمام أحمد : « لقد رأيت قوماً صالحين . رأيت عبد الله بن إدريس وعليه جبة من لبود قد أتت عليها سنون ، رأيت أبا داود الحفرى وعليه جبّة مخرقة قد خرج منها القطن وهو يصلى فيترجح من الجوع . ورأيت أيوب النجار وقد خرج من كل ما يملكه ، وكان فى المسجد شاب مصفر يقال له العوفى يقوم من أول الليل إلى الصباح يبكى[1] :

قد أكنت أطوى على الوجد الضلوع ولا ... أبدى الهوى وأسوم القلب كتمانا
فخاننى الصبر إذ ناديته ووفتْ ... لى الشئون[2] فعاد السر إعلانا
أكَتِّمُ الوجد والعينان تظهره ... للحب أعظم مما رمته شانا

● قال أبو عمران الجونى : أرتنى أمى موضعاً من الدار قد انحفر فقالت : هذا موضع دموع أبيك .

● المتهجدون على شواطىء أنهار الدمع نزول ، فلو سِرْت عن هواكَ خطوات لاحت لك الخيام .

---

(١) المدهش لابن الجوزى ص ٣١٢ .

وصلوا إلى مولاهم وبقينا — وتنعموا بوصاله وشقينا
فتجمعوا أهل القطيعة والجفا — نبكى شهورًا قد مضت وسنينا
كُثُرٌ فيكَ اللُّوَّمُ — فأين سمعى منهمُ
قالوا سهرت والعيون — الساهرات نُوَّمُ
وليس من جسمك إلا — جلدةٌ وأعظمُ

وما عليهم سهرى — ولا رقادى لهمُ
خُذْ أنت فى شأنك — يا دمعى وخلٍّ عنْهُمُ

• كان فى خد عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء ، وكان فى وجه ابن عباس كالشراكَيْن الباليَيْنِ من الدمع :

أَلا مَنْ لعينٍ من بكاها على الحمى — تجف ضروع المُزْن وهى حلوبُ
وماكنتُ أدرى أن عيناً ركية — ولا أن ماء الماقيين شروب

• كان عطاء يبكى فى غرفة له حتى تجرى دموعه فى الميزاب ، فقطرت يومًا إلى الطريق على بعض المارّين فصاح : يا أهل الدار أماؤكم طاهر؟ فصاح عطاء : اغسله فإنه دمع من عصى الله .

وقالوا لعطاء السلمى : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى أن أبكى حتى لا أقدر أن أبكى .

• قالوا لثابت البنانى : عالجْ عينك ولا تبكى . فقال أى خير فى عين لا تبكى:

بقلبى منهم علق — ودمع فيهم علق
وبى من حبهم حرق — لها الأحشاء تحترق
وما تركوا سوى رمق — فليتهم له رمقوا

• يا عجباً من خلّى يعذل ذا شجى ، ويحك خل شانه وشانه :

فيا حبهم زدنى جوى كل ليلة   ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

• سهر القوم يقع ضرورة ، لأن القلق مانع من النوم ، وليس لهم فى تلك الشدائد إلاّ جريان الدموع :

بلانى الحب فـــيك بما بلانى   فشأنى أن تفيض غروب شانى
أبـيت الـليـل مرتـفـقًا أناجى   بصـدق الوجـد كاذبة الأمانى
فـتشـهـد لى على الأرق الثريـا   ويـعـلم مـا أجنّ الـفـرقـدان
فـيـا ولـع الـعـواذلِ خلّ عنى   ويـاكـف الغرام خذى عنانى

• إن الذنب لا يغسل إلا بدمع ، وإنه لقلب رقيق قلب الفقيه الزاهد أبى سهل الصعلوكى يظهر تأنيبه لنفسه :

انـام على سهـو وتبـكى الحمائم   ولـيس لها جـرم ومنى الجرائم
كذبت لعمرو الله لو كنت عاقلاً   لما سبـقتنى بالبكـاء الحمائم(1)

• كيف لا تذهب العيون البكاء ؟ وما تدرى ما قدْ أعدّ لها :

أحـليفَ النَّوْمِ أَقِلَّ اللَوْمَ   فـعـنـدى اليوم بهم شُغُلُ

• لله در قوم أقلقهم الخوف والفَرَق ، أطافت بقلوبهم الحرق ، يا نورهم إذا جنّ الغسق ، يا حسن دمعهم محدقاً بالحدق ، كتبت عذرها فى الخدّ لا فى الورق ، دابت أجسامهم فلم يبق إلا رمق .

---

(1) الرقائق لمحمد أحمد الراشد نقلا عن طبقات الشافعية ۱۷۱/۳ .

لو رأيتهم يتشبثون بذيل الظلام ويأنسون بنوح الحمام ، وغاية لذاتهم الخلوات:

حمام الأراك ألا فاخبرينا ... بِمَنْ تهتفين ومن تندبينا
فقد سُقتِ ويحك نوح القلوب ... وأذريت ويحك دمعًا معينا
تعالَ نقم مأتمًا للفراق ... وننـدب إخواننا الظاعنينا
ونسعِدْك بالنوح كى تسعدى ... كذاك الحزينُ يواسى الحزينا

نعم يا أخى :

وذو الشوق القديم وإن تعزّى ... مشوق حين يلقى العاشقينا

نعم :

كلٌّ كَنَى عن شوقه بلغاته ... ولربما أبكى الفصيحَ الأعجمُ

● كان محمد بن واسع إذا جنّ عليه الليل يبكى ويقول فى بكائه « ويلى من ذنوب قد أحصيت ، ومنْ صحيفة قد مُلئت ، وربى قد علم ذلك ولم يخف عليه من ذلك شىء :[1]

مَنْ كان يخشى الله جل جلاله ... فليكثر العبرات فى الخلوات
فلعلّه بعد التذكر والبكا ... بدلت له العبرات بالحسنات
وتخفف الأوزار عن منشوره ... يوم الحساب وموقف الحسرات[2]

● جالس البكائين يتعدّ إليك حزنهم . يا مَنْ يشاهد ما يجرى على الخائفين ولا يتزعج ، أقل الأقسام أن يبكى رحمة لهم .

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزى ص ١٧٥ تحقيق د . السيد الجميلى طبع دار الكتاب العربى .
(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين ص ١١٧ .

لا راحة للمحب فى الدنيا : إن أحسّ الحجاب بكى على البعد ، وإن فتح له باب القرب خاف الطرد:

فيبكى إن نأوا شوقاً إليهم ويبكى إن دنَوْا خوف الفراق

● كم بيننا وبين الصالحين ، لا نحنُ إليهم ، ولا هُمْ إلينا إلاّ إن كانت الثريا بالأيدى تُرام .. إلى ليلنا ونومنا يشكو ليلهم عتاباً على تقصيرنا وجدهم.

شكونا إلى أحبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما أقصر النوم عندنا
وذاك لأنّ النوم يغشى عيونهم سريعًا ولا يغشى لنا النوم أعينا

● كان مالك بن دينار قد اسوّد طريق الدمع فى خده:

ومَنْ لبّه مع غيره كيف حاله ومَنْ سرّه فى جفنه كيف يكتمُ(١)

● كان داود عليه السلام يؤتى بالإناء ناقصًا فلا يشربه حتى يتمه بدموعه:

يا ساق القوم إن دارتْ إلىّ فلا تمزج فإنى بدمعى مازج كاسى(٢)

● بكى أبو الشعثاء رحمه الله عند موته فقيل له ما يبكيك ، فقال : لم أشتف من قيام الليل(٣) .

● وبكى يزيد الرقاشى فقيل له ما يبكيك ، فقال أبكى على ما يفوتنى من قيام الليل وصيام النهار ثم جعل يقول : يا يزيد مَنْ يصلى لك ، ومَنْ يصوم عنك ؟ ، ومن يتقرب إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحة(٤).

● الق نفسك فى الدجى على باب الذل وقل «إلهى كم لك سواى ؟ ومالى

(١) للطف فى الوعظ لابن الجوزى ص٦٧ .
(٢) اللطف فى الوعظ لابن الجوزى ص ٦٧ .
(٣) كتاب عقود اللؤلؤ والمرجان فى وظائف شهر رمضان للشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن . دار نبة للطباعة .

سواك . عبيدك سواى كثير وليس لى سيد سواك فبفقرى إليك وغناك عنى ، بقوتك وضعفى ، بعزك وذلى إلا رحمتنى وعفوت عنى ، هذه ناصيتى الكاذبة الخاطئة بين يديك .. أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، سؤال من خضعت لك رقبته ورَغِمَ لك أنفه ، وفاضت لك عينه ، وذلّ لك قلبه » .

« إلهى .. تمّ نورك فهديت ، فلك الحمد ، عظم حلمك ، فغفرت فلك الحمد ، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد ، ربنا وجهُك أكرم الوجوه ، وجاهك أعظم الجاه ، وعطيتك أفضل العطية وأهناها ، تُطاع ربنا فتَشْكُر ، وتُعصى فتغفر ، وتجيب المضطر ، وتكشف الضر ، وتشفى السِّقم ، وتغفر الذنب ، وتقبل التوبة ، ولا يُجْزى بآلائك أحد ، ولا يبلغ مدحتك قول قائل . يا حسن التجاوز ، يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يامن لا يؤاخذ بالجريرة ، ولا يهتك الستر ، يا واسع المغفرة ، يا باسط اليدين بالرحمة ، يا صاحب كل نجوى ، يا منتهى كل شكوى ، يا كريم الصفح ، يا عظيم المنّ ، يا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها ، يا ربنا ويا سيدنا ويا مولانا ويا غاية رغبتنا ، أسألك يا الله أن لا تشوى وجهى بالنار » .

« اللهم أنت أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأعظم مَن ابْتُغِىَ ، وأرأف من مَلَكْ وأجود من سُئِل ، وأوسع من أَعْطَى ، أنت الملك لا شريك لك ، والفرد لا ند لك ، كل شيء هالك إلا وجهَك ، لن تُطاع إلا بإذنك ، ولَن تُعصى إلا بعلمك ، تُطاع فتشكر ، وتعصى فتغفر ، أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ ، حُلْتَ دون النفوس ، وأخذت بالنواصى ، وكتبت الآثار ، ونسخت الآجال ، القلوب لك مفضية ، والسر عندك علانية ، الحلال ما أحللت والحرام ما حرمت ، والدين ما شرعت ، والأمر ما قضيت ، الخلق خلقك ، والعبد عبدك وأنت الرءوف الرحيم .

« إلهى وَفِّرْ حظى من خيرٍتُنزِلُه ، أَوْ إحسان تُفْضِلُه ، أو برٌّ تنشره ، أو رزق تبسطه ، أو ذنب تغفره ،أو خطا تستره ، يا إلهى يا من بيده ناصيتى ، يا عليم بضرى ومسكنتى ، يا خبيرُ بفقرى وفاقتى ، يارب أسألك بحقك وقدسك ، وأعظم صفاتك وأسمائك أن تجعل أوقاتى بالليل والنهار بذكرك معمورة ، وبخدمتك موصولة ، وأعمالى عندك مقبولة ، يا مَنْ عليه مُعَوِّلى ، يا من إليه شكوت أحوالى ، قوِّ على خدمتك جوارحى ، واشدد على العزيمة جوانحى ، وهب لى الجد فى خشيتك ، والدوام على الاتصال فى خدمتك ، حتى أخافك مخافة الموقنين ، وأجتمع فى جوارك مع المؤمنين ».

« اللهم لا تحرمنى خير ما عندك بسوء ما عندى »

« إلهى أنا الذى كلما طال عمرى زادت ذنوبى ، أنا الذى كلما هممت بترك خطيئة عرضت لى أخرى

واذنوباه ! خطيئة لم تبل ، وصاحبها فى أخرى

وادنوباه ! إن كانت النار لى مقيلاً ومأوى

واذنوباه ! إن كانت المقامع لرأسى تُهيأ[1]

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا	وقمت أشكو إلى مولاى ما أجد
وقلت : يا عدتى فى كل نائبة	ومَنْ عليه لكشف الضر أعتمدُ
وقد مددت يدى والضرّ مشتمل	إليك يا خير من مُدَّتْ إليه يدُ
فلا تردنّها يارب خائبة	فبحر جودك يَروى كل من يرد[2]
إليك وإلا لا تُشدُّ الركائب	ومنك وإلا فالمؤَمِّلُ خائب
وفيك وإلا فالغرام مضيَّعٌ	وعنك وإلا فالمحدث كاذب

(١) النصيحة فى الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد إسماعيل من ص ٩٨ إلى ص ١٠٩ « مختارات » .

(٢) النصيحة فى الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد إسماعيل ص ١١٠ .

(٣) النصيحة فى الأذكار والأدعية الصحيحة للشيخ محمد إسماعيل ص ١١١ .

يقول إقبال :

نـائح والـلـيـل سـاج سـادل ... يُهجع الـنـاس ودمعى هاطل [1]

هذه الجفون الموطَّنات على السهد لله. والتى تجود بدمع كالوابل الهطال ما أحلاها من جفون:

لله أجـفـان عين فـيك ساهـرة ... شـوقاً إليك وقـلب بـالغرام شج

* * *

أرواحـهـم خشعت لله فى أدب ... قـلـوبهم من جـلال الله فى وجل

نجواهـم : ربـنـا : جـئـنـاك طائعة ... نـفـوسـنـا ، وعصينا خادع الأمل

إذا سجى الـلـيل قاموه وأعينهم ... من خشية الله مثل الجائد الهطل

هـم الرجال فلا يـلـهيهم لعب ... عن الصلاة ، ولا أكذوبة الكسل [2]

لله ما أحلى أصوات المتهجدين وهى تدعو بأفضل الدعاء من الأدعية القرآنية ـ وما أكثرها ـ ثم الأدعية النبوية ثم ما ورد عن صالحى هذه الأمة فاحرص يا أخى أن تكون مع هذه الرفقة ونـاجِ مولاك وامدحه بما هو أهل له فى دجى الليل

إلهى ... ثكلت خواطر أنست بغيرك ... عدمت قلباً يحب سواك

ربـــاه ، عـــفـوك إنى ... لـــلـــنور مُـدت يـدايـا

أبكي وأبكى ويبكى دمعى ويبكى بكايا

وحـــفـــنـــة من دعـــاء ... غـــرفـــتـــه من دمـــايـــا

ولا لـــــغيرك دوَّى ... يـــارب يومـــاً نـــدايـــا

إلـــيك أنت صـــبـــاحى ... مصـــفـــداً فى مســـايـــا

فـــاســـكب ضـــيـــاءك إنى ... ظـــمآن ضـــل صـــدايـــا [3]

---

(١) الأسرار والرموز ديوان لمحمد إقبال .

(٢) رقائق ص ١٧ .

(٣) قاب قوسين ديوان شعر لمحمود حسن إسماعيل

لم أدر من أى نبع أسقى حنين الركايا
والشط لا ماء فيه يطفى اللظى فى حشايا
رحماك يارب هذا إثمى وهذى تقايا
وذاك دربى وهذى على الطريق عصايا
رحماك يارب إنى وزورقى والخطايا
فى لجة .. ليس فيها من الضياء بقايا
جفّت وغاضت .. ولكن مازلت أُزجى رجايا
غفرت أم لم فإنى مازلت أدعوك يايا

يارب

● « اللهم نوّر دنيانا

اللهم نوّر دنيانا بنور من توفيقك ، واقطع أيامنا فى الاتصال بك ، وانظم شتاتنا فى سلك طاعتك ، عجبًا لمن عرفك ثم أحب غيرك ، ولمن سمع مناديك ثم تأخر عنك إلهى لا تعذب نفساً قد عذّبها الخوف منك .

ولا تخرس لساناً كل ما يروى عنك
ولا تقذ بصرًا طالما يبكى لك
ولا تخيّب رجاءً هو منوط بك
إلهى ، ضع فى ضعفى قوة منك ، ودع فى كفّى كَفّى عن غيرك ،
ارحم عبرة تترقرق على ما فاتها منك
برِّد كبدًا تحترق على بعدها عنك » يا أرحم الراحمين .

● ونختم فصلنا هذا بمناجاة وتذلل وتسبيح لزين العابدين على بن الحسين رحمه الله [1] :

(١) انظر زين العابدين للشيخ عبد الحليم محمود ص ١٣٣ ، ١٣٤ دار الإسلام ـ القاهرة .

« رب أفحمتني ذنوبي ، وانقطعت مقالتي فلا حجة لى ، فأنا الأسير ببليتي ، المرتهن بعملي ، المتردد فى خطيئتي ، المتحير عن قصدي ، المنقطع بى . قد أوقفت نفسى موقف الأشقياء المجترئين عليك ، المستخفين بوعدك .

سبحانك ، أى جرأة اجترأت عليك ، وأى تغرير غررت بنفسى ، مولاى ارحم كبوتى لحر وجهى وزلة قدمى ، وعد بحلمك على جهلى ، وبإحسانك على إساءتى ، فأنا المقر بذنبي ، المعترف بخطيئتى ، وهذه يدى وناصيتى ، أستكين بالقود من نفسى .

ارحم شيبتى ونفاد أيامى واقتراب أجلى ، وضعفى ومسكنتى ، وقلة حيلتى .

مولاى وارحمنى إذا انقطع من الدنيا أثرى ، وانمحى من المخلوقين ذكرى وكنت فى المنسيين كمن قد نُسى . مولاى وارحمنى عند تغير صورتى وحالى ، إذا بلى جسمى وتفرقت أعضائى وتقطعت أوصالى .

يا غفلتى عما يراد بى ، مولاى وارحمنى فى حشرى ونشرى ، واجعل فى ذلك اليوم من أوليائك موقفى ، وفى أحبائك مصدرى ، وفى جوارك مسكنى يارب العالمين . سبحانك الله وحنانيك ، سبحانك اللهم وتعاليت ، سبحانك اللهم والعز إزارك ، سبحانك اللهم والعظمة رداؤك ، سبحانك اللهم والكبرياء سلطانك ، سبحانك من عظيم ما أعظمك ، سبحانك سبحت فى الملأ الأعلى ، تسمع وترى ما تحت الثرى .

سبحانك أنت شاهد كل نجوى ، سبحانك موضع كل شكوى ، سبحانك حاضر كل ملأ ، سبحانك عظيم الرجاء ، سبحانك ترى مافى قعر الماء ، سبحانك تسمع أنفاس الحيتان فى قعور البحار ، سبحانك تعلم وزن السموات سبحانك تعلم وزن الأرضين ، سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر ، سبحانك

تعلم وزن الظلمة والنور ، سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء ، سبحانك تعلم وزن الريح كم هي من مثقال ذرة ، سبحانك قدوس ، قدوس .

سبحانك عجبًا من عرفك كيف لا يخافك ، سبحانك اللهم وبحمدك سبحان العليّ العظيم .

كم دمعةٍ سُفِحَتْ في الليل ساربةً
وكم تردَّدَ في جنبيّ تعليلُ
وكم تنفس صبحٌ ماتسائمه
إلا إبتهالٌ إلى الرحمن متبول
ومانداه سوى دمع أكفكفهُ
يارب علّ دعائي منك مقبول
خفق القلوب دعاء أنت تسمعهُ
وللجوارح تسبيح وتهليلُ

أهـــل اللَّيـــل

القُـــرْآن

«مزامير أنس، فى مقاصير قدس، بألحان توحيد، فى رياض تمجيد، بشدو المثانى فى تلك المعانى المؤدية بأهلها إلى النعيم الدائم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر. هذا طعم الخبر فكيف طعم النظر».

والـلـيـل تحلو به اللـقـيا وإن قصرت
ســاعــاتها مــا أحبـلاها وأحلاه ! !
فـنوره يجعـل الـلـيـل البهيم ضـحى
فما أجَـلّ ومـا أجْـلَى مُـحَـيَّـاه[1]

---

(١) رسالة شوق وحنين من ديوان نفحات ولفحات للقرضاوى ص ١٠٠

جعل الله عزّ وجل نزول القرآن نعمة لا تحصى فقال تعالى ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾[1] .

● وقال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه﴾[2] .

قال ابن عباس : المهيمن : الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله .

● وقال تعالى : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾.

قال ابن عباس : فضل الله الإسلام ، ورحمته : أن جعلكم من أهل القرآن .

وسماه مولانا عز وجل شفاء فقال تعالى : ﴿وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة﴾ وسماه نورًا لتوقف الهداية عليه ﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين﴾ .

● وقال تعالى ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ .

وقال تعالى ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم﴾ أى شرفكم وما تُذكرون به .

وسماه روحًا لتوقف الحياة الحقيقية عليه ، وهى حياة القلب فقال تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نورًا نهدى به من نشاء من عبادنا﴾ .

---

(١) العنكبوت آية ٥١ .

(٢) المائدة آية ٥١ .

• وهو أحسن الحديث قال تعالى ﴿ **الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم . ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ، ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾ (١) .

• وقال تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبْلُ ، فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ (٢) .

• وقال تعالى : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾ وقال تعالى فى حق الذين أوتوا العلم : ﴿ **إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** ﴾ .

وبيْن القرآن ورجال الليل والليل أوثق العرى إلى يوم القيامة ، كيف لا وما بدأنزول القرآن وإشراقة النور إلا فى ليلة من الليالى .

ولنعلم قدر هذه الصلة يكفينا حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : «كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير ، وأجود ما يكون فى شهر رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه فى كل ليلة فى شهر رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة » (٣) .

وفى الحديث كما قال الحافظ ابن حجر أن ليل رمضان أفضل من نهاره ، وأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم لأن الليل مظنة ذلك لما فى النهار من الشواغل والعوارض .

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بالتلاوة فقال تعالى ﴿ **وأمرت أن أكون من**

---

(١) الزمر آية ٢٣ .

(٢) الحديد آية ١٦ .

(٣) أخرجه البخارى كتاب فضائل القرآن باب « كان جبريل يعرض القرآن على النبى ﷺ جـ ٩ ص ٤٣ .

المسلمين. وأن أتلو القرآن ﴿ وخاصة بالليل قال تعالى: ﴿أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلا﴾.

والأحاديث كثيرة فى فضل تلاوة القرآن وتعليمه[1].

• عن عثمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[2] وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[3].

• وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ «**إن الله يرفع بهذا الكلام أقوامًا ويضع به آخرين**»[4].

• وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتّلْ كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**»[5].

• وعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «**من سرّه أن يحب الله ورسوله فلينظر فى المصحف**»[6].

• وعن عثمان بن عفان: «لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم».

وقال خباب بن الأرت: «يا هَنَتاهُ: تقرب إلى الله ما استطعت، فإنك لن تقرب إلى الله بشىء أحب إليه من كلامه»[7].

---

(١) سنفرد للقرآن كتيبًا خاصًا من جمعنا إن مدّ الله فى العمر.

(٢) رواه البخارى.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم.

(٥) حسن: أخرجه أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبى وحسنه الألبانى فى المشكاة رقم (٢١٣٤) والأرناؤوط فى التعليق على شرح السنة جـ ٤ ص ٤٣٥.

(٦) حسن: أخرجه أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان، وابن شاهين وابن عدى. وقال ابن رجب «الموقوف أصح» وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (٦١٦٥).

(٧) خاطب نفسه أى يا هذه، تفتح النون فيه وتسكن وتضم الهاء الأخيرة وتسكن وقيل معناها: يابلهاء

وقال ابن مسعود : من أحب القرآن أحب الله ورسوله .

● وعن ابن عباس رضى الله عنه : ضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع مافيه هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب ، ذلك بأن الله يقول ﴿ **فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا** ﴾ .

● وقال إسماعيل بن أبى خالد : « وهدوا إلى الطيب من القول » القرآن .. ، « وهدوا إلى صراط الحميد » : الإسلام .

● وقال قتادة : « لم يجالس هذا القرآن أحد إلا قام بزيادة أو نقصان ، قضاء الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا » .

● وعن « مطرف » فى قوله تعالى : ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور** ﴾ قال هذه آية القراء .

● وعن عبد الله بن عمير : كان يقال أنقى الناس عقولاً قراء القرآن » .

● وقال كعب : « عليكم بالقرآن فإنه فهم العقل ونور الحكمة وأحدث الكتب بالرحمن » .

● وقال جندب : [أوصيكم بتقوى الله ، وأوصيكم بالقرآن فإنه نور الليل المظلم ، وهدى النهار فاعملوا به على ماكان فيكم من جهد وفاقة] أ . هـ من قيام الليل للمروزى .

● وقال أحد الصالحين لتلميذه : أتحفظ القرآن ؟ قال : لا . قال : واغوثاه يا لله لمريد لا يحفظ القرآن فبم يتنعم ، فبمَ يترنم ؟ فبم يناجى مولاه ؟

وقال أحمد بن أبى الحوارى : سمعت ابن عيينة يقول : « لا تبلغون ذروة هذا الأمر حتى لا يكون شىء أحب إليكم من الله عز وجل ، فمن أحب القرآن فقد أحب الله عز وجل »(١) .

---

(١) استنشاق نسيم الأنس لابن رجب ص ٤٠ .

ولله در القائل فى علامة المحب لله :

ومن الدلائل أن يُرى متفهمًا لكلام مَنْ يحظى لديه السائل

وقال ذو النون : الأنس بالله العلم والقرآن[1] .

● ومن كلام الفضيل بن عياض : «كفى بالله محبًا ، وبالقرآن مؤنسًا ، وبالموت واعظًا ، اتخذ الله صاحبًا ، ودع الناس جانبًا » وقال « من لم يستأنس بالقرآن فلا أنس الله وحشته »[2] .

● وقال زين القرآن محمد بن واسع : « القرآن بستان العارفين ، فأينما حلوا منه حلوا فى نزهة[3] .

● ودموع العين جواب عند تلاوة القرآن .. قال على رضى الله عنه فى وصف الصحابة «كانوا إذا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجرة فى اليوم الشديد الريح وجرت دموعهم على خدودهم » .

● وقال زهير البابى : «إن لله عبادًا ذكروه فخرجت نفوسهم إعظامًا واشتياقاً ، وقوم ذكروه فوجلت قلوبهم فرقًا وهيبة ، فلو حرّقوا بالنار لم يجدوا مسّ النار ، وآخرون ذكروه فى الشتاء فارفضوا عرقًا من خوفه ، وقوم ذكروه فحالت ألوانهم غبرًا ، وقوم ذكروه فجفّت أعينهم سهراً[4] .

● وقال الله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾[5] .

وفى الأثر « وينيبون إلى الذكر كما تنيب النسور إلى وكورها » .

وقال ابن عمر : أخبرنى أهل الكتب أن هذه الأمة تحب الذكر كما تحب

---

(١) استنشاق نسيم الأنس ص ٤٩ .

(٢) استنشاق نسيم الأنس ص ٥٠ .

(٣) الحلية جـ ٢ ص ٣٤٧ .

(٤) جامع العلوم والحكم ص ٣١٨ ، ٣١٩ طبعة دار عمر بن الخطاب .

(٥) الرعد الآية ٢٨ .

الحمامة وكرها. ولهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى ورودها يوم ظمئها »(١) .

● قال ذو النون : ما طابت الدنيا إلا بذكره .

وأشرف الذكر وأعلاه القرآن .

« والمحب لله طائر القلب كثير الذكر متسبّب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليه من الوسائل والنوافل دأباً وشوقاً

وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحباب خُدامُ(٢)

● قال مالك بن دينار : « ما تنعّم المتنعمون بمثل ذكر الله »(٣) . وصدق رحمه الله ، ولله در القائل :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد

وكان رحمه الله يقول : « يا حملة القرآن ماذا غرس القرآن فى قلوبكم ، فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض ، وقد ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فيكون فيه الحبة فلا يمنعها نتن موضعها أن تهتز وتخضرّ وتحسن ، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم ، أين أصحاب سورة ، أين أصحاب سورتين ، ماذا عملتم فيهما »(٤) .

وقال أيضاً رحمه الله : إن الصديقين إذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة ، ثم يقرأ ، اسمعوا ما يقول الصادق من فوق عرشه(٥) .

ولتلك الخاصية والصلة بين الليل والقرآن ، يكثر فى السنة الاهتمام بالتلاوة ليلاً وفضلها ، ويكفيك أن السكينة والملائكة تتنزل بالقراءة ليلاً كما مرّ فى الحديث ، وهاك مجموعة من الأحاديث لنستشعر تلك الصلة : ـ

---

(١) ، (٢) جامع العلوم والحكم ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٣ ، ٤ ، ٥) صفة الصفوة جـ ٣ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ .

قال رسول الله ﷺ « **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه** »[١] كفتاه من قيام الليل أو من الجن والشياطين ، فما بالك لو جمع مع هاتين الآيتين التهجد .

● عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ : « **اقرؤوا هاتين الآيتين فى أواخر سورة البقرة فإن ربى أعطانيهما من تحت العرش** »[٢] .

● وعن البراء « كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر ، فلما أصبح أتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال : تلك السكينة تنزلت بالقرآن »[٣] .

وقال رسول الله ﷺ لعمر وكان يسير معه ليلاً :

« **لقد أنزلت علىّ الليلة سورة هى أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ﴾** »[٤] .

● عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ : « **ألم تر آيات أنزلت الليلة لم يُرَ مثلهن قط ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾** »[٥] .

أفلا ترى رحمك الله ترداد كلمة ليلة .. من قرأ فى ليلة ، أنزلت الليلة ، ألا يدعو هذا رجال الليل أن يكثروا من القرآن دواء أشجانهم ، وقد علموا قول رسولهم ﷺ « **من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ،**

---

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن ابن مسعود ، وأيضًا أحمد فى مسنده ، والدارمى .

(٢) صحيح : رواه أحمد فى مسنده والطبرانى فى الكبير وابن نصر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع رقم (١١٨٣) .

(٣) متفق عليه .

(٤) جزء من حديث عند البخارى باب فضل سورة الفتح

(٥) رواه مسلم .

لا أقول : ﴿الم﴾ حرف . ألف حرف ولام حرف وميم حرف »[1] .

• وقال رسول الله ﷺ « **ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي أن يتغنى بالقرآن** »[2] وهو سماع النبيين ألا تسمع قول رسول الله ﷺ لابن مسعود « **إنى أشتهى أن أستمعه من غيرى** » .

• قال الله تعالى عن القرآن وأثره على القلوب الصادقة ﴿**فتخبت له قلوبهم**﴾ .

وهل حرّك أشجان المتهجدين وهيّج بلابل أحزانهم سوى سماع القرآن ليلاً .

وكيف لا يدمنون تلاوة القرآن والقيام وهم يسمعون قول النبي ﷺ ودعاؤه لصحابي متهجد ، فعن عائشة رضى الله عنها قالت : « سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ فى سورة بالليل فقال : « **يرحمه الله لقد أذكرنى آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا** »[3] .

• أما عَلِمَ أهل التهجد بشغف رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين رضى الله عنهن بسماع القرآن من أبى موسى الأشعرى ، قال رسول الله ﷺ « **لو رأيتنى وأنا أستمع لقراءتك البارحة لقد أُوتيت مزماراً من مزامير آل داود** »[4] وذلك حين مرّ رسول الله ﷺ وعائشة عليه وهو يقرأ فى بيته فقاما يستمعان لقراءته ، فقال أبو موسى « أما أنى لو علمت بمكانك لحبّرته لك تحبيراً » .

وعن أنس أن أبا موسى قام ليلة فسمع أزواج النبى ﷺ صوته وكان حلو

---

(١) رواه الترمذى والدارمى وقال الترمذى حديث حسن صحيح ، غريب إسناداً وقال الألبانى صحيح انظر المشكاة رقم ٢١٣٧ .

(٢) متفق عليه .

(٣) البخارى باب نسيان القرآن جـ ٩ ص ٨٥ .

(٤) رواه مسلم .

الصوت فقمن يستمعن فلمّا أصبح قيل له فقال : لو علمت لحبّرته لكن تحبيرًا »[1].

وكيف لا يترنم المتهجدون بالقرآن وهم يسمعون قول نبيهم ﷺ « **حسّنوا القرآن بأصواتكم . فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حُسنًا** »[2] .

وعن طاوس مرسلاً قال سُئل النبي ﷺ «أى الناس أحسن صوتًا بالقرآن ؟ وأحسن قرآءة ؟ » قال « **من إذا سمعته يقرأ أُريت أنه يخشى الله** » قال طاوس : وكان طلق كذلك[3] .

فانظر رحمك الله إلى قول المتهجدين عن القرآن :

قال أبو سليمان الداراني : « ربما أقمت فى الآية الواحدة خمس ليالٍ ولولا أنى أدع الفكر فيها ما جُزتها أبدًا ، ولربما جاءت الآية من القرآن تطير العقل فسبحان الذى ردّه إليهم »[4] .

● وقيل لرجل لِمَ لا تنام ؟ قال : إن عجائب القرآن قد أطْرَنَ نومى .

● وقال أحمد بن أبى الحوارى : « إنى لأقرأ القرآن فأنظر فيه آية آية فيحار عقلى فيها فأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشىء من الدنيا وهم يتلون كلام الرحمن ؟ ! أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه ، وتلذذوا به ، واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحا بما رُزقوا »[5]

يرحم الله سلفنا الصالح لقد قرأوا القرآن على أنه رسائل من ربهم فقدروه حق قدره ، وقدروا المرسل ؛ أما نحن فمِمَّن يعاتبنا القرآن وقلوبنا غافلة .

---

(١) لفظ ابن سعد ، والإسناد على شرط مسلم كما قال الحافظ فى الفتح جـ ٩ ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) رواه الدارمى عن البراء بن عازب وقال الألبانى إسناده صحيح ، انظر المشكاة حديث رقم ٢٢٠٨ .

(٣) حديث صحيح لطرقه رواه الدارمى وصححه الألبانى فى المشكاة حديث رقم ٢٢٠٩ .

(٤) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٣٢ .

(٥) صفة الصفوة جـ ٤ ص ٢٣٨ .

قال الفضيل بن عياض : « ما ثَمَّ مصيبة أعظم من مصيبتنا يتلو أحدنا القرآن ليلاً ونهارًا ولا يعمل به وكُلُّه رسائل من ربنا إلينا »[1]

إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

● قال شميط بن عجلان فى وصفه للمؤمنين « أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمر وقذهم عن الباطل ، فأسهروا الأعين وأجاعوا البطون وأظمأوا الأكباد وأنفقوا الأموال واهتضموا التالد والطارف فى طلب مايقربهم إلى الله عز وجل وفى طلب النجاة ممّا خوّفهم به » . ويقول رحمه الله : « إن المؤمن اتخذ كتاب الله عز وجل مرآة ، فمرة ينظر إلى مانعت الله عز وجل به المؤمن ومرّة ينظر إلى مانعت الله عز وجل به المُغترّين ، ومرة ينظر إلى الجنة وما وعد الله عز وجل ، ومرة ينظر إلى النار وما أعد الله عز وجل فيها ، تلقها حزيناً كالسهم المرميّ به شوقاً إلى ماشوّقه الله عز وجل . وهرباً مما خوّفه الله عز وجل منه » .

ولما كان القرآن بستان العارفين سهر العباد والمتهجدون معه وتأملوه وتدبروه وعاشوا فى رياضه « والسير إلى الله بالتهجد بطريق التدبر بالأسماء والصفات ، شأنه عجب وفتحه عجب » « والسائر على هذا الطريق له شهود خاص فيها ، مطابق لما جاء به الرسول ﷺ لا مخالف له ، وإذا كان السالك ذو همة عالية فذاك السابق حقًّا ، واحد الناس بزمانه ، لا يُلحق شأوه ، ولا يُشق غباره ، وشتان بين من يتلقى أحواله وإرداته عن الاسماء والصفات ومَنْ يتلقاه عن الرسوم والأذواق والوجد »[2] .

أما نسمع قول الله عز وجل ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** ﴾[3] ثم

(١) تنبيه المغترين للشعرانى ص ١١٩ .
(٢) طريق الهجرتين ص ٢١٥ .
(٣) الحشر آية : ٢١

يردف هذه الآية بأسمائه وصفاته ﴿ **هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ إلى آخر السورة . فعضّ بالنواجد على هذا الطريق يرسمه لك شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله .

● قال محمد بن كعب القرظى : قرأت فى بعض الكتب : « أيها الصدّيقون افرحوا بى وتنعموا بذكرى »[1]

● ولمّا كان أشرف الذكر وأعلاه تلاوة القرآن ـ فكم يحلو الترنم به وتحلو المناجاة حين تهدأ الأصوات ويتجاوب الكون فى الدياجى مع قارىء القرآن ذى الصوت الحسن .

واسمع رحمك الله إلى يحيى بن معاذ وهو يشوقك إلى القرآن لتكن من هؤلاء القوم الذين قال فيهم رحمه الله « قوم على فرش من الذكر فى مجلس من الشوق وبساتين من المناجاة بين رياض الأطراب وقصور الهيبة وفناء مجالس الأنس مع أنق عرائس الحكمة بصدور الأفهام ، منّاعى زفرات الوجد بفنون الأفراح ، وجوه الآخرة تعاطوْا بينهم كئوس حبه ، سقاهم فيها ، وغوتهم على شربها فرقان الشجى ، تجرى فى الأكباد ، تديم عليهم ذكر الحبيب ، ويبلبلهم معها هيمان الوجود .

طرب الحب على الحب ... مـع الحب يـدوم
عـجـبـًا لمن رأيـنـاه ... على الحب يـلـوم
حول حب الله ماعشت ... مـع الشوق أحوم
وبـه أقـعـد مـا عشـ ... ـت حياتى وأقوم[2]

---

(١) مختصر قيام الليل ص ٢٧ .
(٢) نشأة التصوف الإسلامى .

يا أخى :

أتـــاك حـــديث لا يمل سماعـــه   شـــهى إلـــينـا نثره ونـظـامــه
إذا ذكـرتـه الـنفس زال عناؤها   وزال عـن الـقلب الكئيب قتامه

ولما كان الليل يا أخى وقت الأنس بالله والسمر ، وقت الذكر والصفاء ، وقت الشوق والأنين والحنين ، ورجال الأنفاس هم رجال الليل يضيئون ظلمته بنور الإيمان ويملأون صمته بكلام الرحمن ، حتى إذا جاء وقت السحر وما أدراك ما وقت السحر استيقظت القلوب فتلقت من ربها ما تلقت ، وتحمّلت وتحلت ، وأذنت لربها وحُقت ، ولليل عند رجال الله مقام أى مقام ، ولمّا كان للإنسان فى الليل سبحًا طويلاً لمَنْ أراد أن يذكّر أو أراد شكورًا ، كان للقرآن فى الليل مع أهل الليل شأن خاص ، وقد جعل الله الليل لأهله مثل الغيب لنفسه ــ ولله المثل الأعلى ــ فكما لا يشهد أحد فعل الله فى خلقه لحجاب الغيب الذى أرسله دونهم ، فهم خير عصبة فى حق الله ، وهم شرفتية فى حق أنفسهم ، فجعل الليل لباسًا لأهله ، يلبسونه فيسترهم هذا الليل عن أعين الأغيار يتمتعون فى خلواتهم الليلية بحبيبهم فيناجونه من غير رقيب لأنه جعل النوم فى أعين الرقباء سباتًا ، أىْ راحة لأهل الليل إلهية كما هو راحة للناس طبيعية فإذا نام الناس ، استراح هؤلاء مع ربهم ، وخلَوْا به حِسًّا ومعنى ، فيما يسألونه من قبول توبة وإجابة دعوة ومغفرة وغير ذلك ، فنوم الناس راحة لهم ، وإن الله تعالى يَنزل إليهم بالليل إلى السماء الدنيا فأهل الليل هم الفائزون بهذه الحظوة فى هذه الخلوة وهذه المسامرة فى محرابهم ، فهم قائمون يتلون كلامه ويفتحون أسماعهم لما يقول لهم فى كلامه سبحانه إذ قال تعالى ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ يقولون نحن الناس فما تريد منّا يا ربنا فى ندائك هذا ، فيقول لهم عز وجل على لسانهم بتلاوتهم كلامه الذى أنزله ﴿ **اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ وذلك هم رجال الليل يقطعونه ذكراً بقرآن مولاهم ، يقرأونه وكأنهم يستمعون إلى ربهم ويكلمهم بقرآنه ، فكل آية عندهم سؤال وجواب ، وذلك لون من التذوق هبة من هبات الرحمن لأهل الليل ، ومقدار تلك الهبة إنما يعرفها مَن ذاق .

عن أبي رجاء قلت للحسن : ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به ، إنما يصلي المكتوبة ، قال : لعمر الله ، ذاك إنما يتوسد القرآن . قلت : قال الله تعالى : ﴿ فاقرأوا ماتيسر منه ﴾ قال نعم ولو خمسين آية [١] .

وقال الحسن أيضًا : إن هذه القلوب سريعة الدثور اقدعوها [٢] امنعوها هواها ، حادثوها بعمارتها وربيعها القرآن ، القرآن فإنه شافع مشفع ، وماحل مصدق ، والله ما دون القرآن من غنى ، وما بَعْد القرآن من فقر .

فانظر رحمك الله إلى المتهجدين ، إلى قوم لا يجدون لكلام المخلوقين شهوة ، ولا بغير كلام الله لذة . قال ذو النون رحمه الله :

منع القرآن بوعده ووعيده ... مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الكريم كلامه ... فهمًا تذلّ له الرقاب وتخضع

فقال بعض من كان حاضرًا في المجلس : يا أبا الفيض مَنْ هؤلاء القوم يرحمك الله ، فقال : ويحك « هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وسادًا ، والتراب لجنوبهم مهادًا ، هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الأزواج وحركهم بالإدلاج ، فوضعوه على أفئدتهم فانفرجت ، وضمّوه إلى صدورهم فانشرحت ، وتصدعت به هممهم به فكدحت ، فجعلوه لظلمتهم سراجًا ، ولنومهم مهادًا ، ولسبيلهم منهاجًا ، ولحجتهم إفلاجًا ، يفرح الناس ويحزنون وينام الناس ويسهرون ، ويفطر الناس ويصومون ، ويأمن الناس ويخافون ، فهم خائفون حذرون وجلون مشفقون مشمرون ، يبادرون من الفوت ، ويستعدون للموت ، لم يتصغر جسيم ذلك عندهم لعظم ما يخافون من العذاب ، وخطر ما يوعدون من الثواب ، درجوا على شرائع القرآن ، وتخلصّوا بخالص القربان ، واستناروا بنور الرحمن ، فما لبث أن أنجز لهم القرآن موعوده ، وأوفى لهم عهوده ، وأحلهم سعوده ، وأجارهم وعيده ، فنالوا

(١) مختصر قيام الليل ص ٨ .
(٢) أي كُفُّوها عما يطلع إليه من الشهوات .

به الرغائب ، وعانقوا به الكواعب ، وأمنوا به العواطب ، وحذروا به العواقب ، لأنهم فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية ، ونظروا إلى ثواب الآخرة بعين راضية ، واشتروا الباقية بالفانية ، فنعْمَ ما اتجروا ، ربحوا الدارين ، وجمعوا الخيرين ، واستكملوا الفضلين ، بلغوا أفضل المنازل بصبر أيام قلائل ، قطعوا الأيام باليسير حذار يوم قمطرير ، وسارعوا فى المهلة ، وبادروا خوف حوادث الساعات ، ولم يركبوا أيامهم باللهو واللذات ، بل خاضوا الغمرات للباقيات الصالحات ، وأوهن والله قوتهم التعبُ ، وغيرّ ألوانهم النصب ، وذكروا نارًا ذات لهب ، مسارعين إلى الخيرات ، منقطعين عن اللهوات ، بريئون من الريب والخنا ، فهم خرس فصحاء ، وعمى بصراء ، فعنهم تقصر الصفات ، وبهم تُدفع النقمات ، وعليهم تُنزل البركات ، فهم أحلى الناس منطقًا ومذاقًا ، وأوفى الناس عهدًا وميثاقًا ، سراج العباد ، ومنار البلاد ، ومصابيخ الدجى ، ومعادن الرحمة ، ومنابع الحكمة ، وقوام الأمة ، تجافت جنوبهم عن المضاجع ، فهم أقبل الناس للمعذرة ، وأصفحهم للمغفرة ، وأسمحهم بالعطية ، فنظروا إلى ثواب الله عز وجل بأنفسٍ تائقة وعيون رامقة ، وأعمال موافقة ، فحلّوا عن الدنيا مطيّ رحالهم ، وقطعوا منها حبال آمالهم ، لم يدع لهم خوف ربهم عز وجل من أموالهم تليدًا ولا عتيدًا ، فتراهم لم يشتهوا من الأموال كنوزها ، ولا من الأدبار خزوزها ، ولا من المطامع عزيزها ، ولا من القصور مشيدها ، بلى ، ولكنهم نظروا بتوفيق الله لهم وإلهامه إياهم فحرّكهم ما عرفوا بصبر أيام قلائل ، فضموا أبدانهم عن المحارم ، وكفوا أيديهم عن ألوان المطاعم ، وهربوا بأنفسهم عن المآثم ، فسلكوا من السبيل رشاده ، ومهدوا للرشاد مهاده ، فشاركوا أهل الدنيا فى آخرتهم ، عزوا عن الرزايا وغصص المنايا ، هابوا الموت وسكراته وكرباته وفجعاته ، ومن القبر وضيقه ومنكر ونكير ، ومِنْ ابتدارهما وانتهارهما ، وسؤالها ، ومن المقام بين يدى الله عز ذكره وتقدست أسماؤه (١) .

(١) الحلية جـ١ ص١٤ ، ١٥ .

رحمك الله يا أبا الفيض فهؤلاء هم المتهجدون أهل الليل والقرآن وهذا نعتهم .

قال الحسن : فضل القرآن على الكلام كفضل الله على عباده [1] .

وأهل الليل يا أخى لا يرضون بالقرآن بدلاً فهو داء قلوبهم . فهم ما نسوْا قول الناصح لهم :

أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم ... تَدُرّ عليكم بالعلوم سحابُ
وفى طىّ أثناء المثانى نفائس ... يطيب بها نشر ويُفتح باب
تلى فصّلت لما أتاه مجادل ... فأبلس حتى ما يكون جواب
أقرّ بأن القول فيه طلاوة ... ويعلو ولا يعلو عليه خطاب

انظر إلى وصف أهل الليل ورجاله من المتهجدين وحالهم مع القرآن يصفهم على بن أبى طالب فيما رُوى عنه : « أمّا الليل فصافّون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن . يرتلونه ترتيلاً يحزنون به أنفسهم . ويستثيرون دواء دائهم . فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا ، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً . وظنوا أنها نصب أعينهم . وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم . وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم . فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى فكاك رقابهم » [2] .

قال أبو موسى الأشعرى : « إن هذا القرآن كائن لكم ذخرًا . وكائن لكم أجرًا . وكائن عليكم وزرًا ، فاتبعوا القرآن ولا يتبعنكم القرآن . فإنه من يتبع القرآن يهبط به فى رياض الجنة ، ومن يتبعه القرآن يزخّ فى قفاه حتى يقذفه فى جهنم » [3] وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه : « القرآن حجيج يوم القيامة فلكم أو عليكم » [4] وقال الحسن : « هذا القرآن قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله ، ولم يأتوا الأمر من قِبَل أوله قال

(١) شرح السنة جـ ٤ ص

(٢) نهج البلاغة ص ٢٤٢ ـ كتاب الشعب .

(٣) مختصر قيام الليل ص ٧٦ .

(٤) مختصر قيام الليل ض ٧٦ ، ٧٧ .

تعالى : ﴿ **كتاب أنزلناه إليك ليدبّروا آياته** ﴾ وما تدبرُ آياته إلا اتباعه ، ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول : قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفاً ، وقد والله أسقطه كله ، ما ترى القرآن له فى خُلُق ولا عمل ، حتى أن أحدهم ليقول : إنى لأقرأ السورة فى نفس والله ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الوَرِعة ، ومتى كان القرّاء تقول مثل هذا لا أكثر الله فى الناس مثل هؤلاء » .

وقال أيضًا : « ما بقى فى أيدينا بقية غير هذا القرآن فاتخذوه إمامًا ، وائتمنوه على أنفسكم ، واستغشوا عليه أهواءكم ، واعلموا أنه شافع مشفع وماحل مصدق ، من يشفع له القرآن يوم القيامة يُشفع ، ومن محل به صدّق عليه ، وأيْمُ الله إن مِنْ شرار هذه الأمة أقوامًا قرأوا هذا القرآن جهلوا سنته وحرّفوه عن مواضعه ، وإن أحقّ الناس بهذا القرآن مَنْ عَمِل به وإنْ كان لا يقرؤه »[1] .

● ولمّا كان المتهجدون فى ظلم الدياجى جعلوا القرآن شعارهم ودثارهم ، وعلموا أن لله أهلين من الناس وخاصة ، فَعَلَتْ بهم هممهم أن يكونوا هم أهل الله وخاصته ، وسهروا ليلهم مع القرآن تلاوة ، وتدبرًا ، تلاوة سَمَتْ بأرواحهم إلى رياض الفردوس ، وحنّت أسماعهم لصوت داود صاحب المزامير عليه السلام فاتخذوا من القرآن مزامير أنس فى مقاصير قدس بألحان توحيد فى رياض تمجيد ، وما طربت آذانهم إلا لشدو المثانى فى تلك المعانى المؤدية بأهلها إلى النعيم الدائم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وكان هذا لهم خبراً فما طعم النظر ؟

ولما تدبروا آياته براهم الخوف برى القداح ينظر الناظر إليهم فيقول مرضى ، وما بهم مرض ، ويقول قد خولطوا وما خالط القوم من ذكر الآخرة أمر عظيم جعلوا الذكر جلاءً للقلوب ، تسمع به بعد الوقْرة ، وتبصر به بعد العشْوة ، وتنقاد به بعد المعاندة ما ناجاهم ربهم فى فكرهم ، وكلمّهم فى ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة فى الأبصار والأسماع والأفئدة .

ولقد اتخذ المتهجدون القرآن من الدنيا بدلاً يقطعون به أيام الحياة ، فكأنهم قطعوا

(١) مختصر قيام الليل ص ٧٦ .

الدنيا إلى الآخرة وهم فيها فشاهدوا ما وراء ذلك فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الإقامة فيه . وحققت القيامة عليهم عداتها فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا . فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة ، ومجالسهم المشهورة ، وقد نشروا دواوين أعمالهم ، وفرغوا لمحاسبة أنفسهم في كل صغيرة وكبيرة ، وحملوا ثقل أوزارهم ظهورهم فنشجوا نشيجاً وتجاوبوا نحيباً ، يعجون إلى ربهم من مقام خوف وندم واعتراف ـ لرأيت أعلام هدى قد أعدّت لهم الكرامات وتنزلت عليهم السكينة ، في مقام اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم ، يتنسّمون بدعائه رَوْح التجاوز ، رهائن فاقة إلى فضله ، وأُسارَى ذلة لعظمته ، وجرح طولُ الأسى قلوبهم ، وطولُ البكاء عيونهم ، لكل باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة ، يسألون مَنْ لاتضيق لديه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون »(١) .

فهاهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد حفرت الدموع خطان أسودان في وجهه .

قال الحسن : كان عمر رضى الله عنه يمر بالآية من ورده بالليل فيبكي حتى يسقط ، ويبقى في البيت حتى يعاد للمرض(٢) .

وسمع رضى الله عنه رجلاً يتهجد في الليل ويقرأ سورة الطور ، فلمّا بلغ إلى قوله تعالى : ﴿**إن عذاب ربك لواقع . ماله من دافع**﴾ قال عمر : قسم ورب الكعبة حق ، ثم رجع إلى منزله فمرض شهراً يعوده الناس لايدرون مامرضه »(٣) .

وكان تحت عيني ابن عباس مثل الشراك البالي من كثرة الدموع .

وكان جماعة من عباد البصرة قد مرضوا من تدبر القرآن وخوف النار ولزموا منازلهم كالعلاء بن زياد وعطاء السلمي . واشتكى داود الطائي أياماً ، وكان سبب علته أنه مرّ بآية فيها ذكر النار فكررها مرارا في ليلته فأصبح مريضا فوجدوه قد مات(٤) .

---

(١) بتصرف من نهج البلاغة ص ٢٧٠ .

(٢) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٦٨ ، ١٦٩ ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٣) التخويف من النار ص ٢٩ .

(٤) التخويف من النار ص ٢٩ ، ٣٠ .

وسل منصور بن عمار عن قتيل جهنم ذلك الشاب الذى مرَّ ذكره ومات بسبب آيه

● واسمع يا أخى قوارع القرآن ومواعظه وتعال أخبرك بالعجب العجاب من حال سيد من سادات المسلمين على بن الفضيل بن عياض مات من سماع قراءة هذه الآية **﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نُردّ ولا نكذّب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾** [(١)] .

● وسل عمر بن المنكدر وسل سادات المتهجدين عمّا فعلت آيات القرآن بهم . لقد كانت آيات القرآن محرك أشجانهم ومواجيدهم ، بل وهزّهم الحنين إلى روضات الفردوس إذا ذكروا الجنة ، وتنعموا بكلام مولاهم لأنهم علموا أن كلام الملوك ملوك الكلام ، وطافوا برياض الأسماء والصفات ، قدّسوا مولاهم بألسن التماديح فى القرآن ، وأفواه التسابيح وأورثهم ذلك شوقاً إليه وتذللاً بين يديه ، وحبًّا نحلت منه أجسادهم وفاضت مآقيهم بالدموع والعبرات

فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتذبل حتى ما تجيب المناديا
وتنحل حتى لا يُبَقّى لك الهوى ... سوى مقلة تبكى بها وتناجيا

كان القرآن روحهم وريحانهم ، ونزهتهم وبستانهم .

ولله در القائل :

شواهد أهل الحب باد دليلها ... بأعلام صدق ما يضل سبيلها
جسوم أولى صدق المحبة والرضى ... تبين عن صدق الوداد نحولها
إذا ناجت الأفهام أنس نفوسهم ... بألسنة تخفى على الناس قيلها
وضجّت نفوس المستهامين واشتكت ... جوى كان عن أجسامها شر بيلها
يحنون حزناً ضاعف الخوف شجوه ... ونيران شوق كالسعير غليلها

---

(١) التخويف من النار لابن رجب ص ٣١ .

وساروا على حب الرشاد إلى العلى تؤمهم تقواه وهو دليلها
فحطوّا بدار القدس فى خير منزل وفاز بزلفى ذى الجلال حلولها[1]

ولا يعلم إلاّ الله ثم نفوسهم الطاهرة وقع آيات القرآن على أفئدتهم حتى أناطوا برياض القدس . وكم روّحهم نسيم الآيات ، ولم تصل إلينا إلا إشاراتهم وعباراتهم وكم حاولوا إخفاءها ولكن عبير التهجد يفوح عبقاً من خلال تلك الكلمات النيّرات .
إن العبارة الواحدة من عباراتهم ، من أثر التهجد بالقرآن لو اجتمع المتأخرون على أن يأتوا بمثلها ولو نمّقوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وما كانت تخرج تلك الكلمات منهم إلاّ عفوًا.

دع الشوق لأناس يعرفون به قد مارسوا الحب حتى لان أصعبه
رحل من أصفه وبقى من لا أعرفه
لمن الطلول كأنهن بجذع ذى سلم سطور
تطوى معالمها الصّبا طورًا وتنشرها الدبور
وكفَتْ بها من أدمعى فى الركب غادية درورُ
ولقلّ ما تحوى الدمو عُ وينفع الصبَّ الزفير
أقْوَتْ من الحى الديّا رُ فمالها فى العين نور

(١) الحليّة جـ ٩ ص ٣٧٨ .

لما علموا قول رسولهم ﷺ : «**إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار وذكره ، وإن لم يقم به نسيه**»[1] .

يخبرهم ويقول لهم عبدة بن أبى لبابة الأسدى التابعى : « إذا ختم الرجل القرآن بنهار صلت عليه الملائكة حتى يمسى ، وإن فرغ منه ليلاً صلّت عليه الملائكة حتى يصبح »[2] فكيف يطيب لهم العيش إلا بالتنافس فى الختم وإنارة الليالى بصلاة الملائكة وهم أحوج الناس إليها . إن كانت تتنزل بقراءتهم فى الدياجى فهم مشتاقون إلى صلاتهم «كل يهيج لهم ذكرى تشوّقهم إلى الملأ الأعلى» .

فمنهم من كان يختم فى كل يوم وليلة ، ولقد كان عثمان رضى الله عنه يختم فى الوتر وصح ذلك عنه ، وتميم الدارى وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعى .

وعن كثيرين فى كل ثلاث . والذين ختموا فى الأسبوع مرة فكثيرون نُقل ذلك عن عثمان وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبى بن كعب ، وجماعة من التابعين كعبد الرحمن بن يزيد وعلقمة وإبراهيم .

وقد كره جماعة من المتقدمين الختم فى يوم وليلة ويدل عليه الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث** »[3] وهذا اختيار أحمد وأبى عبيد واسحاق بن راهويه وقد ثبت عن كثير من السلف ـ كما يقول الحافظ فى الفتح : كالشافعى ـ أنهم قرأوا القرآن فى دون ذلك .

---

(١) إسناده صحيح : أخرجه ابن نصر فى « قيام الليل » عن ابن عمر ، وقال الألبانى إسناد صحيح ورجاله كلهم رجال الشيخين . انظر الأحاديث الصحيحة رقم (٥٩٧) .

(٢) أخرجه الدارمى ٤٦٩/٢ بسند صحيح كما قال الشيخ شعيب والشاويش فى تحقيق شرح السنة جـ ٤ ص ٤٩٣ .

(٣) إسناده صحيح : رواه أبو داود والنسائى والترمذى والدارمى وقال حديث حسن صحيح . وصححه النووى فى « التبيان فى آداب حملة القرآن » ص ٣٠ ، وقال الألبانى : إسناده صحيح انظر المشكاة رقم ٢٢٠١

قال النووى : « والاختيار أن ذلك يختلف بالأشخاص ، فمن كان من أهل الفهم وتدقيق الفكر استحب له أن يقتصر على القدر الذى لا يختل به المقصود من التدبر واستخراج المعانى ، وكذا من كان له شغل بالعلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب له أن يقتصر منه على القدر الذى لا يخلّ بما هو فيه ، ومن لم يكن كذلك ، فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل ولا يقرؤه هذرمة والله أعلم »[1] .

« ولقد أغرب بعض الظاهرية فقال : يحرم أن يقرأ القرآن فى أقل من ثلاث . وقال النووى : أكثر العلماء على أنه لا تقدير فى ذلك ، وإنما هو بحسب النشاط والقوة ، فعلى هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والله أعلم »[2] .

قال الحافظ ابن رجب فى كتابه « لطائف المعارف » : (١٨١ ، ١٨٢) : ـ

« وإنما ورد النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث على المداومة على ذلك ، فأما فى الأوقات المفضلة ، كشهر رمضان خصوصًا الليالى التى يطلب فيها ليلة القدر أو فى الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره » أ . هـ .[3]

ولله در القائل :

لولا الذين لهم ورد يقومونا وآخرون لهم سرد يصومونا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرًا لأنكم قوم سوء لا تطيعونا

ولقد بوّب النووى وعقد فصلاً فى المحافظة على القراءة بالليل وقال رحمه الله :

« ينبغى أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن فى الليل أكثر ، وفى صلاة الليل أكثر والأحاديث والآثار فى هذا كثيرة .

---

(١) « التبيان فى آداب حملة القرآن » ص ٣٠ طبع مصطفى الحلبى ، وفتح البارى جـ ٩ باب « فى كم يقرأ القرآن من كتاب فضائل القرآن » ص ٩٧ .

(٢) الفتح جـ ٩ ص ٩٧ .

(١) مذهب مالك : جواز ذلك وسيأتى فى التراويح فصل : ـ « من اختار الصلاة وحده على القيام مع الناس

وقال : وإنما رجّحت صلاة الليل وقراءته لكونها أجمع للقلب وأبعد عن الشاغلات والملهيات ، والتصرف فى الحاجات ، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات فى الليل فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً ، وحديث «ينزل ربكم كل ليلة .... » الحديث والصحيح عن رسول الله ﷺ قال « **فى الليل ساعة يستجيب الله فيها الدعاء فى كل ليلة ، وكلما كثرت القراءة والصلاة كان أفضل إلا أن يستوعب الليل كله فإنه يكره الدوام عليه وإلا أن يضرّ بنفسه** »(1) أ . هـ .

عجبت من جسم ومن صحة ومن فتى نام إلى الفجر
والموت لا يؤمن من خطفاته فى ظلم الليل إذا يسرى

● نعم يا أخى لقد كان للقرآن مع المتهجدين شأن أى شأن علموا أن مولاهم « أنزله نورًا لا تطفأ مصابيحه فاستضاءوا به ، وسراجًا لا يخبو توقده ، وبحرًا لا يُدرَك قعْرُه ، فغاصوا طلبًا للآلئه ، ومنهاجًا لا يُضل نهجُه فتركوا لأجله بنيات الطريق ، وشعاعًا لا يُظلِم ضوؤه ، وفرقانًا لا يُخمد برهانه ، وتبيانا لا تُهدم أركانه ، وشفاءً لا تُخشى أسقامه ، فجعلوه دواء أمراضهم ، وعزًا لا تهزم أنصاره فثبت عزهم به ، وحقًا لا تخذل أعوانه ، فهو معدن الإيمان لهم وبُحبوحَتُه(2) ، وينابيع العلم وبحوره ، فشربوا من منهله ورياض العدل وغدرانه ، وأثافى(3) الإسلام وبنيانه ، وأودية الحق وغيطانه(4) ، وبحر لا يَنْزفه المنتَزِفون ، وعُيون لا يُنضِبها الماتحون(5) ، ومناهل لا يغيضها الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، وأعلام لا يعمى عنها

---

(1) « التبيان فى آداب حملة القرآن » للنووى ص ٣٢ ، ٣٤ .
(2) بحبوحته : وسطه .
(3) الأثافى : جمع أثفية : الحجر يوضع عليه القدر . أى عليه قام الإسلام .
(4) غيطان الحق : جمع غاط أو غوط وهو المطمئن من الأرض .. أى أن هذا الكتاب منابت طيبة يزكو بها الحق وينمو .
(5) جمع ماتح : نازع الماء من الحوض .

السائرون ، وآكام لا يجوز عنها القاصدون [1] . جعله الله ريًّا لعطش العلماء ، وربيعًا لقلوب الفقهاء ، ومحاجّ لطرق الصلحاء ، ودواء ليس بعده داء ، ونورًا ليس معه ظلمة ، وحبلاً وثيقاً عروته ، ومعقلاً منيعاً ذروته ، وعزًّا لمن تولاه ، وسلمًا لمن دخله ، وهدى لمن ائتم به ، وعذرًا لمن انتحله [2] ، وبرهانًا لمن تكلم به ، وشاهدًا لمن خاصم به ، وفَلْجًا [3] لمن حاج به ، وحاملاً لمن حمله ، ومطية لمن أعمله ، وآية لمن توسم ، وجُنة لمن استلأم وعلمًا لمن وعى ، وحديثًا لمن روى ، وحكمًا لمن قضى » [4] .

لمّا علموه هكذا سمت هممهم إلى الرفيع من المحل ، واشتاقت نفوسهم إلى الملك الأعلى الأجل ، فلو رأيتهم لرأيت قومًا يتلون كتاب الله بشفاه ذابلة ، ودموع وابلة ، وزفرات قاتلة ، وأجسام ناحلة ، وخواطر فى عظمته جائلة :

لله قوم شروا لله أنفسهم ... فأتعبوها بزجر الله أزمانا
أما النهار فقد وافوا صيامهم ... وفى الظلام تراهم فيه رهبانا
أبدانهم أتعبت فى الله أنفسهم ... وأنفس أتعبت فى الله أبدانا
ذابت لحومهم خوف الحساب غدًا ... وقطعّوا الليل تسبيحًا وقرآنا [5]

---

(١) طرق الحق تنتهى إلى أعالى هذا الكتاب وعندها ينقطع سير السائرين .

(٢) انتحله : انتسب إليه ودان به .

(٣) الفلج : الظفر والفوز ـ استلأم : لبس الأمة وهى الدرع وجميع أدوات الحرب أى كان القرآن وقاية له .

(٤) انظر نهج البلاغة .

(٥) بستان الواعظين لابن الجوزى ص ٣٧٦ .

هُبِّي

يـــا

رِيــــــحَ السَّحَــــــر

« لو شممت نسيم الأسحار لاستفاق منك قلبك المخمور »

بأبى الليل ما أطيبه وما أعظم قدره عند الله عز وجل فقد أقسم به فى كتابه الكريم والعظيم لا يقسم إلا بعظيم قال تعالى : ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾ وقال تعالى ﴿ **والضحى والليل إذا سجى** ﴾ وما أطيب السحر ونسيمه ، هذا الوقت المبارك الذى نجّى الله فيه نبيه لوطاً فقال ﴿ **إلا آل لوط نجيناهم بسحر** ﴾ .

● يُروى بإسناد فيه ضعف عن مجاهد عن عطية عن أبى سعيد قال : إن الله عز وجل خلق جنة عدن من ياقوتة حمراء ثم قال لها تزيّنى فتزينت ، ثم قال لها تكلمى . فقالت : طوبى لمن رضيتَ عنه ، فأطبقَها وعلقها بالعرش فلم يدخلها بعد ذلك إلا الله لا إله غيره يَدْخُلها كل سحر ، فذلك برد السحر . وخرجه الحاكم والبيهقى بإسناد جيد عن مجاهد من قوله مختصرًا وأنشد بعضهم :

تمر الصبا صفحًا بسكان ذى الغضا ويصدع قلبى أن يهب هبوبها
قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث حل حبيبها[(1)]

● عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ :

« لن يُنَجِّى أحدًا منكم عمله » قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته ، سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشىء من الدلجة ، والقصد القصد تبلغوا »[(2)] .

وفى موضع آخر من البخارى : « إن هذا الدين يسر ، ولن يشد الدين أحدًا إلا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة »[(3)]

وهذه الأوقات الثلاثة تكون أوقات السير إلى الله بالطاعات ، وهى آخر الليل وأول النهار وآخره . وقد ذكر الله هذه الأوقات فى قوله تعالى : ﴿ **واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً ، ومن الليل فاسجد له وسبّحه ليلاً طويلاً** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وسبح**

---

(1) استنشاق نسيم الأنس ص ٦ .
(2) رواه البخارى ومسلم وأخرجه البخارى بلفظه فى الرقاق ٧/١٨١ وفيه « برحمة » بدل برحمته .
(3) أخرجه البخارى بلفظه ولكن أسقط « هذا » من « إن هذا الدين » وزاد لفظ « هذا » فى « ولن يشاد هذا الدين » فى كتاب الإيمان ١٠/١٥ وأخرجه النسائى بلفظه فى كتاب الإيمان .

بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ .

والدُّلجة والإدلاج : سير آخر الليل ، والمراد به هاهنا فى الحديث العمل فى آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما قال تعالى ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ .

● وفى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ : « **من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إنّ سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة** » [1] .

وسير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة ، ولهذا فى الحديث الذى رواه أنس عن النبى ﷺ « **إذا سافرتم فعليكم بالدُّلجة فإن الأرض تطوى بالليل** » .

وقال بعض الفضلاء :

اصبر على مضض الإدلاج فى السحر ... وفى الرواح على الطاعات والبُكَرَ
لا تضجرن ولا يُعجزك مطلبها ... فالهمّ يتلف بين اليأس والضجر
إنى رأيت وفى الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلّ من جدّ فى أمر تطلّبه ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

وقد روى أن الأشتر دخل على على بن أبى طالب رضى الله عنه بعد هدأة من الليل وهو قائم يصلى فقال : يا أمير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك ؛ فلما فرغ من صلاته قال : سفر الآخرة طويل فيُحتاج إلى قطعه بسير الليل .

واعلم يا أخى أن مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام ، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب ؛ فلتكن همة طالب الآخرة عالية فإن سلعة الله غالية .

---

(١) صحيح رواه الترمذى والحاكم فى المستدرك وعبد بن حميد والعقيلى فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبى وقال الترمذى هذا حديث حسن غريب وصححه الألبانى انظر صحيح الجامع رقم (٦٠٩٨) .

يا نائماً بالليل كم ترقد   قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته   وردًا إذا ما هجع الرُّقّد
من نام حتى ينقضي ليله   لم يبلغ المنزل أو يجهد[1]

وللسحر والدعاء فيه والاستغفار شأن عظيم عند الله كما مر بك قول الله تعالى ﴿ **والمستغفرين بالأسحار** ﴾ ، وهو أفضل الليل ووقت التنزل الإلهي وقد مر بك من الأحاديث فى فضله وفضل قيامه والاستغفار فيه ، ولا يحرمه إلا كل غمر مطرود .

● وروى أنه لما قال أبناء يعقوب له « استغفر لنا » أخّرهم إلى السحر بقوله « سوف أستغفر لكم ربى » .

● وفى الزهد لابن حنبل « إن داود سأل جبريل فقال : يا جبريل أى الليل أفضل ؟ قال : يا داود ما أدرى إلاّ أن العرش يهتز من السّحر .

كيف لا وهو وقت التنزل الإلهى ، ومن أُبعد عنه فقد حرم الخير كله ونقول كما قال بعض السلف « اللهم إن منعتنىْ ثواب الصالحين فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبته » ويقول الآخر « اللهم إن لم ترض عنا فاعف عنا » .

● كان بعض الصالحين يقوم الليل فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته :

« يا أيها الركب المعرسون ، أكلّ هذا الليل ترقدون ؟ ألا تقومون فترحلون ؟ فإذا سمع الناس صوته وثبوا من فرشهم فيسمع من هنا باك ومن هنا داع ومنْ هنا تال ومن هنا متوضىء ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته : « عند الصباح يحمد القوم السرى »[1] .

ولقد مرّ بك دعاء خليفة العبدى إذا دعا فى السحر : « قام البطالون وقمت قمنا إليك ونحن متعرضون لجودك ، فكم من ذى جرم عظيم قد صفحت له عن جرمه ، وكم من ذى كرب عظيم قد فرجت له عن كربه ، وكم من ذى ضر كثير قد كشفت له عن ضره ، فبعزتك ما دعانا إلى مسألتك بعد ما انطوينا عليه من معصيتك إلا الذى

---

(١) لطائف المعارف ص ٤٢ ابن رجب طبع دار الدعوة بالإسكندرية .

عرفنا من جودك وكرمك فأنت المؤمل لكل خير ، والمرجو عند كل نائبة » .

● فى كل الليل تهب الرياح ، ولكن لنسيم السحر خاصّية ما أظنه تعطّر إلا بأنفاس المستغفرين فَلِنَفَس المحب عطر ينم على قدر طيبه .

● قال سعيد بن الحسن : إذا كان من السحر ألا ترى يفوح ريح كل شجر .

● قال سفيان : إن الله ريحًا مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار .

أخى : اقعد على جانب وادى السحر فلعلّ إبل القوم تمر بك « منهم تعلمت الحمام النوح والإبل الحنينا » وآسف المتقاعد عنهم ، واحسرة البعيد منهم .

● صحائف التائبين خدودهم ومدادهم دموعهم كما قال بعضهم « إذا بكى الخائفون فقد كاتبوا الله بدموعهم » .

واعجبًا ! رسائل الأسحار تُحمل ولا يدرى بها الفلك ، وأجوبتها ترد إلى الأسرار ولا يعلم بها الملك :

صحائفنا إشارتنا ... وأكثر رسلنا الحرق
لأن الكتب قد تقرا ... بغير الدمع لا نثق

لا تزال القصص تستعرض ، ويوقع بقضاء حوائج أهلها إلى أن يطلع الفجر ، ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأُغفرله ، هل من داع فأجيب دعوته إلى أن ينفجر الفجر فلذلك كانوا يفضلون صلاة آخرْ الليل على أوله .

نحن الذين إذا أتانا سائل ... نوليه إحساناً وحُسن تكرم
ونقول فى الأسحار هل من تائب ... مستغفر لينال خير المغنم

الغنيمة تقسم على كل من حضر الوقعة فيعطى منها الرجالة والأجراء والغلمان من الأمراء والأبطال والشجعان والفرسان ، فما يطلع فجر الأجر إلا وقد حاز القوم الغنيمة وفازوا بالفخر وحمدوا عند الصباح السرى ، وما عند أهل الغفلة والنوم خبر مما جرى

يا نفس قومى فقد نام الورى   إن تصنعى الخير فذو العرش يرى
وأنت ياعين دعى عنك الكرى   عند الصباح يحمد القوم السرى[1]

أخى : رياح هذه الأسحار تحمل أنين المذنبين وأنفاس المحبين وقصص التائبين ثم تعود برد الجواب بلا كتاب .

أعلمتمُ أن النسيم إذا سرى   حمل الحديث إلى الحبيب كما جرى
جهل الحبيب بأننى فى حبهم   سهر الدجى عندى ألذ من الكرى

فإذا ورد بريد السحر يحمل ملطفات الألطاف لم يفهمها غير من كتبت إليه

نسيم صبا نجد متى جئت حاملاً   تحيتهم فاطو الحديث عن الركب
ولا تذع السر المصون فإننى   أغار على ذكر الأحبة من صحبى

● يا يعقوب الهجر قد هبت ريح يوسف الوصل فلو استنشقت لعدت بعد العمى بصيراً ولو جدت ماكنت لفقده فقيرًا

كان لى عيش أعيش به   ضاع منى فى تقلبه
رب فاردده علىّ فقد   عيل صبرى فى تطلبه
وأغثنى مادام بى رمق   ياغياث المستغيثين به

● لو قام المذنبون فى الأسحار إلى مولاهم ، وتركوا النوم ، ومالوا إلى الاستغفار ، واشتاقوا إلى موقف نافع وابن عمر « أسحرنا يا نافع ؟ » ومحمد بن واسع وهرم بن حيان وخليفة وعتبة لرقّت منهم القلوب ، وحنّت إلى أيام الصالحين من سلفنا ، واعلم أنك :

● لو شممت رحيق الأسحار لاستفاق منك قلبك المخمور .

يا نائما طول الليل ..

كنت تستطيبُ رياح الأسحار وما تغير المحب عز وجل ، كنت مع الرعيل الأول فما الذى ردّك إلى الساقة .

● يا نائمًا طول الليل ما تحس برد السحر لقد دلت أغاريد الحمام على دنو الفجر ،

---

(١) لطائفُ المعارف من ٤٢ ـ ٤٣ .

صاح الديك فلم تنتبه ، وأعاد فلم تفق ، فقوى ضرب الجناحين لطماً على غفلتك .

● أرواح الأسحار لا يستنشقها مزكوم غفلة ، إنها لتأتى بألطاف الحبيب ثم تعود فيحاء تطلب رسالة « ألا من مستغفر فأغفر له » .

● لو رأيت رياح الأسحار تحرك أشجار القلوب فتقع ثمار المحبة .

يا لذة خلوّهم بالحبيب ، يا وفور نصيبهم من ذلك النصيب

هبّت رياح وصالهم سحرًا   لحدائق الأشواق فى قلبى
واهتز عُود الوصل من طرب   وتساقطت ثمر من الحبِّ
ومضت خيول الهجر سادرة   مطرودة بعساكر القرب
وبدت شموس الوصل خارقة   بشعاعها لسُرادق الحَجْب
وصفا لنا وقت أضاء به   وجه الرضا عن ظلمة العَتْب (١)

● قف فى السحر على أقدام الذل وقل « يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر » .

● من لازم المنام لم ير إلا الأحلام .

● أما تستنشق ريح السحر أما تجد برد الفجر .

يا مطولاً بالقيام   مستلذاً بالمنام
قم فقد فاتك يا   مغبون أرباح الكرام
وخَلَوْا دونك بالمو   لى وفازوا بالمرام
وكذا يسبقك القوم إلى دار السلام

● يا نائماً طول الليل سارت الرفقة ، طلعت شمس التشيب وما انتبهت من الرقدة ، لو قمت وقت السحر رأيت طريق العباد قد غصّ بالزحام ، ولو وردت ماء مدين وجدت عليه أمة من الناس يسقون ، وأسحرة ليل القوم ما أضواها ، قاموا على أقدام التحير ، بين كنّ الحذر ، وشارع الشوق ، سترهم ذيل الليل تحت مخيم الظلام ، إن ناحوا فأشجى من متيم ، وإن ندبوا فأفصح من خنساء .

---

(١) التبصرة جـ٢ ص ٣٢٥ .

سقوا بمياه أعينهم هناك الضال والرندا
بأنفاس كبرق فى أنين يشبه الرعدا
لاحت لهم الجادة فلما سلكوا قالوا : « ربنا الله » ثم استقاموا .

هيهات منك غبار ذلك الموكب . أخبارهم أرق من النسيم . نومهم أعز من الوفاء . السهر عندهم أحلى من رقدة الفجر ، كلما افتتحوا سورة وجدوا بها وجد يعقوب بقميص يوسف احضُر وقت السحر مع القوم حين تفريق الخلع . فإن لم تصلح أسهم لك من نصيب « وإذا حضر القسمة أولو القربىٰ » . لو صعدت عن صدرك صعداء أنفاس الأسف لأثارت سحاباً يقطر من قطريه قطر العفو . لو أرسلت عبرة من جفن على جفاء أعادت نحس الزلل جُفا .

● أبواب الملوك لا تطرق بالأيدى ، ولا تضرب بالحجر . بل بنفس المحتاج . وعُذْرى إقرارى بأن ليس لى عذر ، إذا سارت ركائب الأسحار فابعث معهم رسالة لهف يحتوى على حسرة محصر .

يا سائق العيس ترّفق واستمع منى وبلّغ إن وصلت عنى
عرّض بذكرى عندهم عساهم أن يسمعك سائلوك عنى
قل ذلك المحبوس عن قصدكم معذب القلب فى كل فن
يقول أملت أن أزوركم فى جملة الوفد فخاب ظنى

● يا هذا ، إذا حضر قلبك فنسيم السحر يذكرك ، وإن غاب فمائة ألف نبى لا يوصلون التذكرة إليك

ولى ألف باب قد عرفت سبيله ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

إن لم تكن مع القوم فى السحر ، تلمح آثار الحبيب عليهم وقت الضحى ، ترى فى صحائف الوجوه سطور القبول بمداد الأنوار « وجوه زهاها الحسن أن تتبرقعا » .

● قاموا جميع الدجى على قدم الاعتذار ، ثم تساندوا إلى رواحل البكاء والاستغفار ، رفعوا رسائل الجوى فعاد جواب الأبرار .

• وآسفى متى رحلوا ؟ ليت شعرى أين نزلوا ؟

• مالت بالقوم ريح السحر ميل الشجرة بالأغصان ، فهزّ منهم الخوف أفنان القلوب ، فانتثرت الأفنان ، فاللسان يتضرع ، والعين تدمع ، والوقت بستان ، خلوتهم بالحبيب تشغلهم عن نعم ونعمان . سورهم أساورهم والخشوع تيجان ، خضوعهم حلاهم فما در ولا مرجان ، أين أنت منهم ، كم بينك وبينهم .

• ريح الأسحار ركابى الرسائل ، ونسيم الفجر ترجمان الجواب .

فياريح الصبا اقترحى على الأحشاء واحتكمى
أراك نَسِمْتِ تختبرين ما عهدى وما ذممى
فهذى فى يدى كبدى وذا فى وجنتىّ دمى

• لسان الدمع أفصح من لسان التائب .

• يا من كان له قلب فانقلب ، يامن كان له وقت مع الله فذهب ، قيام السحر يستوحش لك ، صيام النهار يعاتبك . يا مَن كان قريباً فطُرِد ياعزيزى ما ألفت الشقاء فكيف تصبر .

قلت لليل : كم بصدر ر أنبئنى ما أروع الأسرار
قال ما ضاء فى ظلامى سر كدموع المنيب فى الأسحار[1]

• أفترى المؤمن إلا مصدق بجواب الليل فهو مسارع مستبق ؟ أم ترى أهل البلاغة إلاّ فى إذاعة لما قال ؟ يستملون الناس :

فاز من سبّح والناس هجوع
يدفن الرغبة ما بين الضلوع
ويغشّيه سكون وخشوع
ذاكراً لله والدمع هموع
سوف يغدو ذلك الدمع شموع

(١) عبد الوهاب عزام ـ ديوان المثانى ص ٣٥ ـ انظر الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ٣٦ .

لـــتضـيء الـــدرب يـوم المحشر
سـجـدة لله عـنـد السحـر[1]

ويلقنون المذنبين المخطئين طريق الجنة . فيستملون المسرف فى أخرى أن
عــد إلى الله بـقـلـب خـاشـع

وادْعـى لــيلاً بـطـرف دامـع
يـــتولاك بـــعـــفـو واســـع
ويـبـدل كـل تـلك السيـئات
حســنـات أجـرهـا لـن يـنـفـدا
كـل هـذا الـعـفـو للعبد المنيب
سابغـاً من خالق الكون الرحيب
للذى تـاب إلـيـه من قريب[2]

- أخى : لن تحل فى جوار الجبّار حتى تحل بضائع الأسحار.
- اجلس ليلة على مائدة السحر ، وذق طعم المناجاة تنسيك كل لذة .
- أرواح الأسحار أقوات الأرواح.

لم تثر وجـدى حمامـات الـلوى   بـل غـرامى علّم الشجو الحماما

- – إذا جن الغاسق حنّ العاشق .

قلوب المحبين جمرة تحت فحمة الليل كلما هبّ عليها نسيم السحر التهبت وأجّج ما فيها من شوق إلى الله عز وجل

أفى نجد تحاورك الـــقـــبـول   أظـن الـريـح تـفـهـم ما تقول
صحبنا فى ديارهـم صباها   يـنـاوبهـــا التـنفس والـنحول
وأمـطرنـا سحاب الدمع حتى   حسـبـنـا أنها مـهـج تسيـل

(1) وليد ـ فى مجلة التربية الإسلامية ٦٣/٧
(2) وليد ـ فى أغانى المعركة ٩٤ . الرقائق ص ٣٦ ، ٣٧ .

وعجبنا ذاهلين فما علمنا أنحن السائلون أم الطلول ؟

● يقول الداعية الكبير الشيخ حسن البنا رحمه الله وتقبله فى عداد الشهداء عنده :

« أمامك كل يوم لحظة بالغداة . ولحظة بالعشى . ولحظة فى السحر تستطيع أن تسمو فيها كلها بروحك الطهور إلى الملأ فتظفر بخير الدنيا والآخرة ، وأمامك مواسم الطاعات وأيام العبادات وليالى القربات التى وجّهك إليها كتابك الكريم ورسولك العظيم ﷺ فاحرص أن تكون فيها من الذاكرين لا من الغافلين ، ومن العاملين لا من الخاملين . واغتنم الوقت ، فالوقت كالسيف ، ودع التسويف فلا أضر منه » (1)

● قال سفيان : إن لله ريحًا تسمى الصبحية مخزونة تحت العرش ، تهب عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار

يا نسيم الريح من كاظمة شدّ ما هجت الأسا والبرحا
الصّبا إن كان لا بد الصّبا إنها كانت لقلبى أروحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قرّبت من نزحا
وارحموا صبا إذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

● يا هذا كنت تدّعى حبنا وتؤثر القرب منا ، فما هذا الصبر الذى قد عنّ عنّا .

● « إلهى ما أكثر المُعرض عنك والمعترض عليك ، وما أقلّ المتعرضين لك ، ياروُح القلوب أين طلاّبك ، يانور السموات أين أحبابك ، يارب الأرباب أين عبّادك ، يا مُسَبِّبَ الأسباب أين قصّادك .

مَنْ الذى عاملك بلُبِّه فلم يربح ، من الذى جاءك بكربه فلم يفرح ، أى صدر صدر عن بابك ولم يشرح ، من ذا الذى لاذ بجبلك فاشتهى أن يبرح

يا معرضًا عنه إلى مَنْ أعرضت . يا مشغولاً بغيره بِمَنْ تعوضت ؟

مُت على مَنْ غِبْتَ عنه أسفا لست عنه بمصيب خلفا
لن ترى قرة عين أبداً أو ترى نحوهم منصرفا

(1) الرقائق ص ١٨ نقلا عن مجلة « الدعوة » فى دورتها الأولى عدد ٨ سنة ١٩٥١ .

الفهـرس

الفهـرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة